



E.A. •

الْحَمْدُ لِلَّهِ

فی علوم الکتاب

تأليف

مجله علمی و پژوهشی

طريق

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
موسمًا من مواسم الدنيا والآخرة



الْمُهَيِّبُ

دراسات فقهية عن مختلف
شؤون إفتاء آل البيت عليهم السلام

تأليف
مجتهدناي معرفتي

الجزء الأول

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری - علوم اسلامی

شمار ثبت: ۰۲۵۱۹۴
تاریخ ثبت:



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(ج ۱)

- الاستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة
- علوم القرآن
- مؤسسة النشر الإسلامي
- ٤٩١
-
-
-

- المؤلف:
- الموضوع:
- تحقيق ونشر:
- عدد الصفحات:
- المطبوع:
- الطبعة:
- التاريخ:

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

لا شك ولا ريب أن القرآن هو كتاب الله المنزل على رسوله الأمين هداية الناس وإرشادهم وتزكيتهم وإخراجهم من ظلمات الجهل والغباء إلى نور العلم والهداية، وهو دستور لجميع البشرية من حين نزوله إلى الأبدية، وهو الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والنيان لكل شيء، والهادي لسبل الخير والصلاح، والمخبر من كل شر وضلال، وهو كتاب الله القويم الذي لا يعثره أي خطأ واشتباه، ولا تمسه أيدي المضللين، وهو الرابط بين الخالق وخلقه، والمبين لأحكام الله وشرايعه، وهو الكتاب الذي أعجز الكل من جن وإنس من أن يأتوا بمثله ولو بسورة واحدة، وأخبرهم بأنهم لا يقدرُونَ على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهو الكتاب الذي بشر المتقين بالرحمة والرضوان وأوعد الكافرين بالغضب والنيران، وهو الذي له بطون مختلفة وتأويلات عديدة لا يصل إلى كنهها إلا الله والراسخون في العلم.

ولأجل تنوير البشرية بمفاهيمه ومعانيه وتطبيقه على مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية اهتم المسلمون - حين صدوره من المشرع الحكيم إلى رسوله العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله - في حفظه وتفسيره، وهذا الاعتناء والاهتمام قد استمر بعد رحلته صلوات الله عليه وآله قرناً بعد قرن، فأخذ علماء الإسلام وفضلاء الأمة دقائق تفسيره ومعانيه من معادن الحكمة والثقل الآخر للكتاب الكريم - اللذين تركها الرسول الأعظم وأخبر بأنها لن يفترقا حتى يرثا عليه الخوض - وهم أهل بيت الوحي والعصمة سلام الله عليهم أجمعين. فقد بذلوا عنايتهم وجهدهم في البحث عن شتى جوانب القرآن الكريم،

واهتموا بالتكلم عن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتنزيله وتأويله، وعاقبه وخاصه، وإطلاقه وتقييده، وترتيبه وتجويده. وقد ركزوا على هذه المسائل لأجل دفع شبهات المضللين والمنحرفين حول الاعجاز والوحي وانتفاء التحريف إليه وما شاكل ذلك، وهذا ما يعبرون عنه اليوم بـ «علوم القرآن».

وهذه السيرة المباركة من علمائنا العظام مستمرة إلى يومنا هذا، وتستمر إلى زمان ظهور الحجة المهدي المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء. انشاء الله

ومن أولئك الذين بذلوا طاقاتهم في هذا المجال العلامة الأملعي والاستاذ المحقق سماحة الشيخ محمد هادي معرفة. حفظه الله تعالى. حيث قدم حصيلة جهوده المحمودة للدفاع عن حريم القرآن العظيم وتبيين قداسته وتزييف ما يفترى عليه من الأكاذيب والأباطيل على ضوء ما جاء في السنة المطهرة من طريق أهل البيت عليهم السلام، فألف كتابه المسمى بـ «التمهيد في علوم القرآن» في عدة أجزاء (١)، وجعله مقدمة لتفسيره «الوسيط» كما صرح به في مقدمة الكتاب.

وقد قامت المؤسسة بطبعه ونشره - بعد تحقيقه ومقابلته وتنظيم فهارس مختلفة له - وتقديمه إلى طلاب العلم والفضيلة وإلى جميع من يرتوي من منهل معارف الكتاب العزيز، نسأل الله تعالى أن يوفق سماحة المؤلف لإتمام بقية الأجزاء، كما ونسأله سبحانه أن يوفق الأخوة الكرام - الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة لاستيعاب الحاج محي الدين الواعظي والسيد علي الطباطبائي ورعد البهبهاني والحاج كمال الكاتب - وإيانا لنشر تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي العظيم وآله المنتجبين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة

(١) من الجدير بالذكر أن ثلاث أجزاء من هذا الكتاب قد طبع سابقاً، والمؤسسة قامت بطبعها للمرة الثانية مع إضافات كثيرة وتعليقات وتصحيحات مفيدة من المؤلف حفظه الله، علاوة على طبع الجزء الرابع منه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.
وبعد.. فإن دراسة شؤون القرآن الكريم في مختلف جوانبه المتنوعة، دراسة
ممتعة هي في نفس الوقت ضرورة إسلامية ملحة، يستجيبها كل مسلم واع
وجد من هذا الكتاب السماوي الخالد حقيقة ناصعة وبرهاناً من الله صادقاً،
فيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للعالمين:
أولاً، هو سند الإسلام الحي، ومعجزته الباقية، الذي لا يزال الإسلام
يتحدى به جموع البشرية- في نداء صارخ-: لو تستطيع أن تأتي بمثله! لكنها- بكل
صراحة وضراعة- تعترف بعجزها المستمر مع كثر العصور.
«قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^(١).
ثم، هو دستور الإسلام الجامع، والكافل لإسعاد البشرية في كافة ميادين
الحياة الاجتماعية والإدارية والسياسية وغيرها أجمع، وقد تحققت هذه
الواقعية المشرقة، يوم سارت ركب البشرية في ضوء هذا المشعل المضيء.
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»^(٢).
وأيضاً، تجاوبه الوثيق مع فطرة الإنسان الأصيلة، انسجاماً متشابكاً مع

جبلته الأولى التي فطر عليها. وهذا التجاوب يبدو- بكل وضوح- على محيى كافة تشريعاته وتنظيماته وجميع أحكامه الشاملة. الأمر الذي يجعل من هذا القانون السماوي الجامع، نظاماً منبثقاً من صميم الإنسانية، جاء ليؤمن عليه جميع حاجاته النزيهة في مختلف شؤون الحياة.

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (١).

كما وأنه أتحف للبشرية جمعاء بمعارف وتعاليم جليلة، كان المستوى البشري -ولا يزال- يقصر عن البلوغ إليها، لولا سماح القرآن بمثلها -بكل سخاء- وجعلها في متناولها القريب، في أبلغ بيان وأبدع أسلوب حكيم.

«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ» (٢) «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ» (٣) «مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا» (٤).

وأخيراً: هيمنته الخارقة على نفوس بشرية كبيرة، كانت تأبى الرضوخ لغير الحق الصريح، فأشرف بها على واقعية مشهودة كانت دلائل الصدق لائحة على محيائها بوضوح، ومن ثم استسلمت لهيادته الحكيمة مذ تعرفت الى حقيقته الصارخة.

«لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» (٥).
تلك خصائص وميزات بارزة امتاز بها هذا الكتاب الإلهي العظيم، الذي لم يكد يمض من انبثاق نوره اللئلاء أكثر من نصف قرن، حتى ملك رقاب أمم كبيرة، وسيطر على رقعة واسعة من الأرض كانت مهد الحضارة الإنسانية منذ زمن سحيق. فدوخ صدهاء الأجواء، وهزت هيمنته العادلة أرجاء العالم المعمور. الأمر الذي جعل من هذا القرآن موضع اهتمام العلماء ومنصرف عناية

(١) الروم: ٣٠.

(٣) العلق: ٥.

(٥) النساء: ١٦٢.

(٢) النساء: ١١٣.

(٤) هود: ٤٩.

الباحثين في مختلف العصور والدهور.

ومنذ الصدر الأول قد بذل كبار الصحابة وفضلاء التابعين عنايتهم البالغة في البحث عن شتى جوانب القرآن الكريم، واهتموا بالتكلم عن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتنزيله وتأويله، وعامه وخاصه، وإطلاقه وتقييده وترتيبه وتجويده وعن كافة شؤونه المترامية. وهكذا لم يزل يطرد ويتوسع دائرة الدراسات القرآنية عبر القرون والأعصار. كما طفحت من نتائج تلكم البحوث والدراسات جوامع الحديث والتفسير في مختلف الأدوار.

أما عهد التدوين فيرجع الى مؤخر القرن الأول، فكان أول من صنف في القراءة هو يحيى بن يعمر (توفي سنة ٨٩ هـ) أحد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي. ألف كتابه في «القراءة» في قرية واسط، ويضم الاختلافات التي لوحظت في نسخ القرآن المشهورة. كما في «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين. وفي القرن الثاني، صنف الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (ت ١١٠) كتابه في «عدد آي القرآن».

وعبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) كتابه في «اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق» و«المقطوع والموصول» في الوقف والوصل. وشيبة بن نصاح المدني (ت ١٣٠): «كتاب الوقوف».

وأبان بن تغلب (ت ١٤١) صاحب الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) هو أول من صنف في «القراءات» بعد ابن يعمر. وله كتاب «معاني القرآن» أيضاً.

ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦). أول من صنف في «أحكام القرآن». ومقاتل بن سليمان المفسر (ت ١٥٠). له كتاب «الآيات المتشابهات». وأبو عمرو بن العلاء زيان بن عمار التيمي (ت ١٥٤): «الوقف والابتداء» وكتاب «القراءات».

وحمزة بن حبيب، أحد القراء السبعة (ت ١٥٦) صاحب الإمام جعفر بن

محمد الصادق (عليه السلام) له كتاب في «القراءة».

ويحيى بن زياد القراء (ت ٢٠٧): «معاني القرآن» و«اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف» و«الجمع والتثنية في القرآن».

ومحمد بن عمر الواقدي، الكاتب العلامة والمؤرخ الشهير (ت ٢٠٧). له كتاب «الرغيب» في علوم القرآن وغلط الرجال.

وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩): «إعجاز القرآن» في جزئين و«معاني القرآن».

وفي القرن الثالث، صنف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) «فضائل القرآن» و«المقصود والممدود» في القراءات، و«غريب القرآن»، و«الناسخ والمنسوخ» و«إعجاز القرآن». وهو من أوليات الكتب المدونة في الموضوع. وعلي بن المديني (ت ٢٣٤) صنف في أسباب النزول.

وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري شيخ القميين ووجههم (توفي حدود ٢٥٠) له كتاب «الناسخ والمنسوخ».

والإمام أبو زرعة العراقي (ت ٢٦٤) نظم ألفيته في تفسير غريب القرآن. وأبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦): «تأويل مشكل القرآن» و«تفسير غريب القرآن» و«إعراب القرآن». وكتابه في القراءات.

وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت ٢٨٦): «إعراب القرآن». وأبو عبدالله محمد بن أيوب بن ضريس (ت ٢٩٤) كتب فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، وكتاب «فضائل القرآن».

وأبو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري القمي (ت ٢٩٩) صنف رسالة جامعة في صنوف آيات القرآن، عثر عليها العلامة المجلسي، ونقلها متقطعة في موسوعته الكبرى^(١).

ومحمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩) «الحاوي في علوم القرآن»
٢٧ جزءاً.

وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي (ت ح ٣١٠). له كتاب «التنزيه
وذكر متشابه القرآن».

وأبو بكر بن أبي داود، عبدالله بن سليمان السجستاني (٢٣٠-٣١٦). له
كتاب «المصاحف» و«الناسخ والمنسوخ». ورسالة في القراءات.

• وفي القرن الرابع، صنف أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي - المعروف بابن
دريد - (ت ٣٢١) كتابه في غريب القرآن. وهو من كبار أدباء الشيعة
الإمامية، نحوي لغوي معروف.

وأبو البركات عبدالرحمان بن أبي سعيد الأنباري (ت ٣٢٨): «البيان في
إعراب القرآن» و«عجائب علوم القرآن».

وثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩): «فضائل القرآن».
وأبو بكر محمد بن العزيز السجستاني (ت ٣٣٠) الذي اشتهر بكتابه
«غريب القرآن» رتب على حروف المعجم، وأكماله في ١٥ عاماً.

وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨): «إعراب القرآن» و«الناسخ
والمنسوخ» و«معاني القرآن».

وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم - المعروف بابن أبي زينب - الكاتب النعماني
(ت ح ٣٥٠) صنف رسالة جامعة في صنوف آيات القرآن. نقلها برمتها العلامة
المجلسي^(١). كان خصيصاً بالكليني، يكتب له كتاب الكافي.

وأبو محمد القصاب محمد بن علي الكرخي (ت ح ٣٦٠). له «نكت
القرآن».

وأبو عبدالله أحمد بن محمد بن سيار (ت ٣٦٨) كاتب آل طاهرو صاحب

الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام). له كتاب «ثواب القرآن» و«التنزيل والتحريف».

وأبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠) صنف في أحكام القرآن، وهو كتاب كبير طبع في ثلاث مجلدات.

«الحجة في القراءات» لأبي علي الفارسي. علم من أعلام الإمامية ممن ازدهر به القرن الرابع في علمه وفضله وأدبه، وقد أجاز للصاحب بن عباد. وكتابه هذا من أحسن الكتب في موضوع القراءات وتوجيهها وفق القواعد العربية (توفي عام ٣٧٧).

وأبو الحسن عباد بن عباس الطالقاني (ت ٣٨٥) - أيضاً - صنف في أحكام القرآن. وهو والد الوزير صاحب بن عباد.

«النكت في إعجاز القرآن» لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (توفي عام ٣٨٦) ويغلب على الكتاب طابع كلامي عريق في الاعتزال الجدلي.

ومحمد بن علي الأدفوي (ت ٣٨٨): «الاستغناء» في علوم القرآن، مائة جزء رأى منها صاحب الطالع السعيد عشرين مجلداً.

«بيان إعجاز القرآن» للأديب اللغوي المحدث أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي^(١) (توفي عام ٣٨٨) هذه الرسالة - على وجازتها - تعد من أجمل الرسائل الموضوعية في بيان إعجاز القرآن بشكل فني رائع ويعجبني أن أقول: إنها أوفى رسالة في هذا المضمار.

والقاضي أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣): «إعجاز القرآن».

وأبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٤): «تلخيص

البيان» في مجازات القرآن، و«حقائق التأويل» في متشابه التنزيل، عثرت مؤسسة منتدى النشر بالنجف الأشرف على الجزء الخامس من هذا الكتاب

(١) بست: مدينة قرب كابل من بلاد خراسان.

عام ١٣٥٥هـ فقامت بتحقيقه ونشره، فطبع أولاً في النجف ثم في بيروت.
«حجة القراءات» للقاضي أبي زرعة عبدالرحمان بن محمد (ت ٤١٠)
وقد سلك مسلك أبي علي الفارسي وتبعه في خطواته، طبع في جامعة بنغازي
بتونس وطبعة أخرى في بيروت.

وهبة الله بن سلامة (ت ٤١٠): «الناسخ والمنسوخ».
وفي القرن الخامس، صنف الشيخ المفيد أبو عبدالله محمد بن محمد بن
النعمان (ت ٤١٣) كتابه في إعجاز القرآن، وكتاب «البيان» في أنواع علوم
القرآن.

«متشابه القرآن» و«تنزيه القرآن عن المطاعن» كلاهما لأبي الحسن
عماد الدين القاضي عبد الجبار (توفي عام ٤١٥).
وأبو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي الشيعي (ت ٤١٨) هو سبط
ابن أبي زينب النعماني، من أصل فارسي، كتب «خصائص القرآن».
وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت ٤٣٠): «البرهان في علوم
القرآن».

وأبو محمد مكسي بن أبي طالب (ت ٤٣٧): «الكشف عن وجوه القراءات
السبع» في جزئين، يذكر علل اختلاف القراءات وحججها، وهو أثر لطيف.
وأبو عمرو الداني (ت ٤٤٤): «التيسير» في القراءات السبع و«المحكم»
في النقط و«المقنع» في رسم مصاحف الأمصار.
وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦): «الناسخ
والمنسوخ».

وشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠): في مقدمة
تفسيره «التبيان» تكلم في مزعومة التحريف فزيقها، وعن النهي عن التفسير
بالرأي، وعن حجية ظواهر القرآن، وعن صنوف معاني القرآن، وعن ظهر
القرآن وبطنه، وعن محكمه ومتشابهه، وعن أقسام النسخ الجائز والممتنع، وعن

أسامي القرآن واسامي سورة وآياته... وما الى ذلك .
وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨): «أسباب النزول» و«فضائل القرآن».

«الرسالة الشافية» في الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (توفي عام ٤٧١) سلك فيها مسلك التحدي الكاشف عن عجز العرب عن مقابله.

وأبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢): «المفردات» في غريب القرآن. وهو أثر جلد لطيف، وعبر عنه بعض أساتذة الفن: أنه معجزة من معجزات الفن القرآني.

«أحكام القرآن» لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي في أربع مجلدات (ت ٥٤٣).

وتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (توفي بعد الخمسمائة): «اسرار التكرار في القرآن».

٥ وفي القرن السادس، كتب أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨) تفسيره الخالد «مجمع البيان» وجعل في مقدمته فنوناً سبعة، بحثاً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن، على غرار مقدمة التبيان، مع تنقيح وزيادة.
وأبو الفضل حبش بن إبراهيم بن محمد التفلسي (ت ٥٥٨): «وجوه القرآن» بالفارسية.

وقطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣) صنف «فقه القرآن». قيل: هو أول من صنف في تفسير آيات الأحكام من علمائنا الإمامية. لكن سبقه الى ذلك محمد بن السائب الكلبي، وعباد بن عباس الطالقاني، تقدم ذكرهما.

وأبو القاسم عبد الرحمن، المعروف بالسهيلى (ت ٥٨١) ألف في مبهمات القرآن: «التعريف والإعلام بما أنهم في القرآن من الأسماء والأعلام».
ورشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨) تلميذ

القطب الراوندي صنّف رسالته الخالدة «متشابهات القرآن ومختلفه» في جزئين.

وأبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي إمام القراء (ت ٥٩٠): «حرز الأمانى ووجه التهاني» القصيدة المشهورة في القراءات تعرف بالشاطبية.

وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧) صنّف «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» و«المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن».

* وفي القرن السابع، صنّف أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦) «إملاء ما من به الرحمن» في وجوه الإعراب والقراءات.

وعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣): «جمال القراء وكمال الإقراء» في القراءات.

وأبو القاسم تلميذ شرف الدين أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي (ت ح ٦٥٠) ألف رسالة وجيزة تتضمن ما ورد في القرآن من لغات القبائل. وهو أثر لطيف. طبعت على هامش الجلالين. ولخصها جلال الدين السيوطي في النوع السابع والثلاثين من كتابه «الإتقان».

وزعم طابع الرسالة أنها لأبي القاسم بن سلام، ومن ثم اشتبه في موضعين، الأول: أن ابن سلام هو أبو عبيد القاسم بن سلام. والثاني: أن ابن سلام (توفي ٢٢٤). مع أن المؤلف يذكر استجازته من علي بن المفضل (المتوفى ٦١١) فلا يتقدم عليه بأربعة قرون!

وابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤): «بديع القرآن». أثر لطيف يشرح أنواع البديع الوارد في آيات القرآن.

وأبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام - المشهور بالعز - (ت ٦٦٠) كتب في مجاز القرآن.

وقدوة العارفين، رضي الدين، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤) صنّف كتابه الجامع «سعد السعود» في مختلف شؤون

القرآن وتأريخه وتفسير مشكله.

وأبوشامة شمس الدين عبدالرحمان بن إسماعيل (ت ٦٦٥): «المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز».

ومحمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦): «أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها»،
تحتوي على ١٢٠٠ سؤال وجواب في غرائب آي التنزيل.

هذا... وأما التأليف في علوم القرآن، بما تحويه هذه الكلمة من معنى شامل، فلم يحظ به سوى القرنين: الثامن والتاسع.

• وفي القرن الثامن، ألف الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤) كتابه القيم «البرهان في علوم القرآن». جعله على سبع وأربعين نوعاً، استوعب فيها فنون هذا العلم.

وفي هذا القرن - أيضاً - ألف بدر الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بابن جماعة (ت ٧٣٣) كتابه «كشف المعاني عن متشابهات المثاني».

وكمال الدين عبدالرحمان بن محمد الحلبي، المعروف بابن العتائقي (ت ح ٧٧٠): «النامخ والمنسوخ».

وأبو الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير (ت ٧٧٤): «فضائل القرآن».

• وفي القرن التاسع، صنف جلال الدين البلقيني (ت ٨٢٤) كتابه «مواقع العلوم في مواقع النجوم» على ستة أمور، كل أمر يحتوي على أنواع تختلف عدداً. ومجموع الأنواع خمسون نوعاً.

وفي بدء الأمر أخذ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) من هذا الكتاب أصلاً جامعاً لفنون هذا العلم، فنقحه وهذبه في كتاب أسماه «التحبير في علوم النفس» في ٢٠٢ نوعاً. فرغ منه سنة ٨٧٢ هـ.

ثم عثر على كتاب «البرهان» للإمام الزركشي فاستحسنه ووجده أحسن

ما صنف في هذا الباب، فصبّ اهتمامه الى تنقيحه وتحريه، فألف عليه كتابه الخالد الحافل بفنون هذا العلم «الإتقان» في ٨٠ نوعاً، فكان خاتمة المؤلفات على هذا النمط البديع الجامع، ولم تسمح القرون المتأخرة بسوى رسائل مختصرة تعالج طرفاً من شؤون القرآن.

وفي هذا القرن - أيضاً - قام الفاضل السيوري أبو عبدالله المقداد بن عبدالله الحلبي الأسدي (ت ٨٢٦) بتأليف «كنز العرفان في فقه القرآن».

وأبو الخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣): «النشر في القراءات العشر» و«غاية النهاية» في طبقات القراء و«فضائل القرآن».

«الناسخ والمنسوخ» لشهاب الدين أحمد بن عبدالله بن سعيد البحراني، المعروف بابن المتوج (توفي عام ٨٣٦) كان من أعلام الإمامية معاصراً للشهيد الأول تتلمذ عليه، وقد شرحه القارئ عبدالجليل الحسيني (٩٧٦) وقلّعه للأمير أحمد (حاكم جيلان)، وترجمه الى الفارسية الدكتور محمد جعفر الإسلامى المعاصر.

وأبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢): «الإتقان في فضائل القرآن».

«معتك الاقران» في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي (٩١١) أوسع كتاب جامع لأطراف الكلام في الموضوع، وضعه على أسلوب فني رتيب طبع في ثلاث مجلدات كبار. وكتاب «اسرار الترتيب» وغيرهما.

وفي القرن العاشر، صنف القاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦) كتابه «فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن».

وأبو عبدالله جمال الدين محمد بن أحمد بن سعيد المكي (ت ٩٣٠) «الإحسان في علوم القرآن».

ومحمد بن يحيى الحلبي التاذفي (ت ٩٦٣): «القول المذهب» في بيان ما في

القرآن من الرومي المعرب. والظاهر أنه أخذه من «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» تأليف جلال الدين السيوطي.

«أحكام القرآن» المسمى بـ «زبدة البيان» للمولى أحمد بن محمد الشهير بالمقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣) تأليف علمي وضع على أساس التحقيق والتدقيق.

• وفي القرن الحادي عشر، كتب المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠) رسالته الوجيزة في متشابهات القرآن، على ضوء فلسفة الإشراق.

والمولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١) جعل في مقدمة تفسيره «الصافي» ١٢ فتاً، بحثاً عن جوانب خطيرة من شؤون القرآن.

«أحكام القرآن» المسمى بـ «مسالك الافهام» للفاضل الجواد الكاظمي من أعلام القرن الحادي عشر.

والمولى محمد باقر المجلسي (ت ١١١١) خصص من موسوعته الكبرى «بحار الأنوار» - وهي تربو على ١٠٠ مجلد - جزءين بالبحث عن شؤون القرآن الكريم. هما الجزء: ٩٢ والقسم الأول من الجزء: ٩٣ عالج فيها القضايا القرآنية على ضوء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ونقد آراء مخالفة.

وضعه على ١٣٠ باباً. وتكلم في الباب: ١٢٨ في صنوف آيات القرآن برواية النعماني عن أمير المؤمنين (عليه السلام). وفي الباب: ١٢٩ عما ورد من موهم التناقض في القرآن بتفصيل، في محاورة وقعت بين بعض الزنادقة وبين الإمام أمير المؤمنين - أيضاً - فأجاب عليها بإجابات شافية، يكون الإطلاع عليها ضرورياً.

والسيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني (ت ١١٠٩) صدر تفسيره «البرهان» بالتكلم عن طرف من شؤون القرآن في ١٦ مقامة.

• وفي القرن الثاني عشر، صنف ابن البناء أحمد بن محمد الدمياطي (ت ١١١٦): «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر».

والمولى أبو الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد النباطي الفتوي

(ت ١١٣٨): «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار». جعله على ثلاث مقدمات، كل مقدمة مشتملة على مقالات تختلف عدداً، وتحت كل مقالة فصول بأعداد مختلفة أيضاً. ومجموع الفصول التي تكلم فيها عن شؤون القرآن هي: ٢٥ فصلاً. وفي المقالة الثانية من المقدمة الثالثة أسهب في بيان تأويل كلمات جاءت في القرآن، رتبها حسب حروف المعجم، يربو عددها الألف ومائتي كلمة - ١٢٠٠. تكلم عن تأويلهن واحدة واحدة. ووضع خاتمة كتابه على ثماني فوائد.

والشيخ مصطفى بن عبدالرحمان بن محمد الأزميري (ت ١١٥٥): «بدائع البرهان في وصف حروف القرآن».

والحسن بن علي بن أحمد المنطاوي (ت ١١٧٠): «إتحاف فضلاء الأمة» في القراءات السبع.

والشيخ عطية الأجهوري (ت ١١٩٠): «إرشاد الرحمان» في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وأصول علم التجويد. والوحيد البهبهاني المولى محمد باقر بن محمد أكمل، المعروف بالأستاذ الأكبر (ت ١٢٠٦) صنف رسالته التحقيقية بشأن «حجية ظواهر الكتاب».

• وفي القرن الثالث عشر، ألف المولى محمد جعفر بن سيف الدين الاسترآبادي (ت ١٢٦٣): «حلّ مشاكل القرآن».

وأستاذ المتأخرين المولى مرتضى بن محمد أمين الأنصاري التستري، (ت ١٢٨١): رسالة في حجية ظواهر الكتاب.

والمولى محمد تقي الهروي الاصبهاني (ت ١٢٩٩): «خلاصة البيان في حلّ مشكلات القرآن».

والميرزا محمد بن سليمان التنكابني (ت ١٣٠٢): «حجية القراءات السبع» و«حجية ظواهر الكتاب».

والمولى محمد تقي بن محمد حسين الكاشاني (ت ح ١٣١٦): «إيضاح المشتبهات» في تفسير مشكل القرآن.

«وفي القرن الأخير أقبل كثير من العلماء على تأليف كتب ورسائل حول تاريخ القرآن وعلومه وسائر شؤونه:

فألف السيد أحمد حسين بن رحيم علي الأمروهي (ت ١٣٢٨): «مناهج العرفان في علوم القرآن».

والشيخ محمد علي سلامة: «منهج الفرقان في علوم القرآن».

ومحمد غوث الناطقي الأوكاتي: «نثر المرجان في رسم القرآن» في سبع مجلدات.

والأستاذ محمد عبد العظيم الزرقاني: «مناهل العرفان في علوم القرآن».

والمولى المحقق حيدر قلي بن نور محمد المعروف بسر دار كابي: «تحفة

الأحباب» في بيان آي القرآن وسوره والمكي والمدني وغيرها.

والدكتور محمد عبدالله دراز: «النبا العظيم» نظرات جديدة في القرآن.

والأستاذ محمد الغزالي: «نظرات في القرآن».

والأستاذ المحقق الشيخ أبو عبدالله الزنجاني: «تاريخ القرآن».

والأستاذ مصطفى صادق الرافعي: «إعجاز القرآن».

والشيخ خليل ياسين العاملي: «أضواء على متشابهات القرآن» يحتوي على

١٦٠٠ سؤال وجواب.

والدكتور صبحي الصالح: «مباحث في علوم القرآن».

والأستاذ سيد قطب: «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في

القرآن».

والإمام المجاهد العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، جعل في صدر تفسيره

«آلاء الرحمن» مقدمة منيفة تحتوي على أهم المباحث القرآنية، وأتى فيها

بنظرات مستجدة يكون الإطلاع عليها ضرورياً. وطبعت هذه المقدمة - أيضاً -

مع تفسير السيد عبدالله شبر المطبوع بمصر أخيراً.

والمرجع الديني الأكبر سماحة سيدنا الأستاذ الامام الخوئي - دام ظله - وضع

في مقدمة تفسيره «البيان» فصلاً سهياً حقق فيها عن جوانب خطيرة من

شؤون القرآن، لها قيمتها واثرها الكبير في الأوساط العلمية الراهنة، لا يستغني الباحث عن مراجعتها.

وفضيلة العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره: «قرآن در إسلام» بحث حافل بأهم المسائل القرآنية. فضلاً عن أبحاث زان بها تفسيره القيم «الميزان».

هذا.. غيض من فيض... ولم أكن تقصيت الكتب المصنفة في علوم القرآن بصورة شاملة، سوى الغالبية المعروفة. الأمر الذي يكفي لإبداء مابذله علماءنا الأعلام من جهود جبارة حول تحقيق هذا الكتاب المقدس الخالد، ومدى اهتمامهم البالغ بشأنه العزيز، شكر الله مساعيهم الجميلة، وأفاض عليهم سجال رحمته الواسعة، آمين.



ومنذ القرن الثاني عشر، واكب علماء الإفرنج علماء الإسلام في البحث والتنقيب عن شؤون القرآن بنواح شتى، فبدأوا يبحثون عن تأريخه، وعن الكتب المؤلفة فيه، وعن تفسيره وما أشبه ذلك. وحوالي منتصف القرن الرابع عشر قامت ألمانيا بعمل عظيم محمود، ذلك أن المجمع العلمي في مونيخ بألمانيا عني عناية خاصة بالقرآن الكريم، وجمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن وعلومه. وأدلى هذا الأمر إلى الأستاذ «برجشتراسر» الذي كان قد بدأ بالعمل في حياته، فلمّا توفي سنة ١٣٥٢هـ: ١٩٣٣م عهد المجمع بالسير في هذا المشروع إلى العالم «أوتوبرتزل» أستاذ اللغة العربية في مونيخ. وهذا الأستاذ كتب إلى المجمع العلمي العربي في دمشق كتاباً يقول فيه:

«ولقد نوينا تسهيلاً لمحبّي الاطلاع أن تدوّن كلّ آية من القرآن الكريم في لوحة خاصّة تحوي مختلف الرسم الذي وقفنا عليه في مختلف المصاحف مع بيان القراءات المختلفة التي عثرنا عليها في المتون المتنوعة، ومتبوعة بالتفسيرات العديدة التي ظهرت على مدى العصور وتوالي القرون».

وأخذ في نشر أهم الكتب المؤلفة في القرآن، ككتاب «التييسير» في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني. وكتاب «المقنع» في رسم مصاحف الأمصار، مع كتاب «النقط» أيضاً له. وكتاب «مختصر الشواذ» لابن خالويه. وكتاب «المحتسب» لابن جني. وكتاب «غاية النهاية» في طبقات القراء، لشمس الدين ابن الجزري. وكتاب «معاني القرآن» للفرّاء. ورسالة في تأريخ علوم القرآن باللغة الألمانية. وهي تحتوي على أسماء المؤلفات في علوم القرآن الموجودة في الآفاق، ودور الكتب في العالم.

أدلى بهذه المعلومات فضيلة الأستاذ الشيخ أبو عبدالله الزنجاني في كتابه الوجيز «تأريخ القرآن» وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

غير أن الشعلة التي كادت تتوهج وتتوسع، فاجأها الانطفاء المرير، على أثر اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية القاسية، على يد ألمانيا نفسها - ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م - فباله من أسف.

مركز تحقيق التراث
بمكتبة جامعة القاهرة

وكنت منذ تعلّمت القراءة مشغولاً بدراسة شؤون القرآن الكريم ومطالعة الكتب المصنّفة في مختلف جوانبه المتنوعة. وكنت أجد من ذلك متعة ولذة فائقة، حتى خضت عباها وإذا هي ضرورة إسلامية ملحة، لا بد لكل مسلم أن يتعرّف إليها إن كان يريد التحقق من أقوى دعامة لهذا الدين الحنيف. فقامت أدرس من شؤونيه بدقة وإمعان، وأسجل من مطالعائي لقطات إمّا نقداً فيما شككت في صحته، أو إعجاباً بما استطرفته من موضوع.

والآن - وبعد سنين - اجتمعت لديّ من تلكم المذكرات عدد ضخم وفي حجم كبير، فجعلت أرتبها وأنظّمها، وإذا هي تصلح لتأليف كتاب يحتوي على أبواب وفصول في متنوع البحوث القرآنية فأسميته «التمهيد»، لاني جعلت من هذه الأبحاث كمقدمة لتفسير «الوسيط». واسأله تعالى أن يوفقني لإتمامه، ولأن أكون قد خدمت جيلي المسلم بنظرات مستجدة حول القرآن الكريم، ربّما

لا يجدها الباحث في موسوعة سواء، أو يصعب عليه تناولها، وهي في مطاوي كتب ذوات أحجام كبيرة أو بعيدة عن تناول العموم.

والذي شذ من عزمي على إنجاز هذا الأثر المتواضع، أنني لمست فراغاً في مكتبة الطائفة في عهدنا الحاضر. وقد كانت غنية قبل اليوم. فيما يخص جانب البحوث القرآنية مستوفاة ما عدى بحوث قليلة عاجلت طرفاً من شؤون القرآن الكريم، وبقيت الجوانب الأخر. وهي كثيرة. قابعة في زاوية الخمول، لا يجدها الباحث إذا ما حاول التطلع على رأي الطائفة في ضوء مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

ومن ثم جعلت أتتبع الآثار والآراء وانقدها نقداً موضوعياً، عرضاً على نصوص تاريخية ثابتة وروايات متواترة أو مخفوفة بقرائن قطعية.

وسيدو من خلال بحوثنا الآتية مدى انحرافات أودت بكثير من أئمة النقد والتمحيص، مغبة تسرعهم في بت الأمر أو عصبيتهم لمذهب أو طريقة خاصة في تحقيق الآراء والآثار. فلم أفرغ من مسألة إلا وكنت مطمئناً من صحتها ومستوثقاً من أصالتها مبلغ جهدي الذي بذلت فيها حسب المستطاع.

كما ولم أغفل -مئة بقائي في النجف الاشرف (١٣٧٩-١٣٩١هـ)، وبعد المهاجرة الى مدينة قم المقدسة (نهاية عام ١٣٩١)- من إلقاء محاضرات جامعية على طلبة المعاهد الدينية العالية. وإفساح المجال لهم في المناقشة والتساؤل، تحقيقاً لغاية التثبت الكامل فيما استجدته من نظريات، وتحكيمياً لمتفق الآراء المتنورة في كل مسألة عزمتم البت فيها قطعياً.

ولنفس الغاية كنت -أحياناً- أقوم بنشر كراسات أستعرض عليها بحوثاً قرآنية كانت كنماذج عن مباحث مسهبة، ألخص فيها من آراء ومناقشات، لأستلفت أنظار زملائي الأفاضل، نجاباً مع أفكارهم الثمينة، وتفاهماً معهم على صعيد النقد النزيه. ومن ثم أقدم لهم شكري الجزيل وتقديري المتواصل لهذا التجاوب الودّي الكريم جزاهم الله عن القرآن خير جزاء. ووفقنا جميعاً لمرضاته. إنه وليّ قدير وهو الموفق.

قم المقدسة - محمد هادي معرفة

شهر رمضان المبارك ١٣٩٥ هـ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الوحي والقرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ظاهرة الوحي

- الوحي في اللغة.
- الوحي في القرآن.
- الوحي الرسالي.
- وقفة عند مسألة الوحي.
- جانب روحانية الإنسان.
- براهين تثبت وجود النفس.
- الوحي عند فلاسفة الغرب.
- أنحاء الوحي الرسالي.
- موقف النبي من الوحي.
- النبوة مقرونة بدلائل نيرة.
- قصة ورقة بن نوفل.
- الوحي لا يحتمل التباساً.
- أسطورة الغرائق.

ظاهرة الوحي

الوحي - في اللغة -: إعلام سريع خفي ، سواء أكان بإيماءة أو همسة أو كتابة في سرّ، وكلّ ما القيته الى غيرك في سرعة خاطفة حتى فهمه فهو وحي ، قال الشاعر:

نظرت إليها نظرة فتحيّرت دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أنّي أحبّها فأثر ذاك الوحي في وجناتها
وقال تعالى عن زكريا (عليه السلام): «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(١) أي أشار إليهم على سبيل الرمز والإيماء.

قال الراغب: اصل الوحي ، الإشارة السريعة ، ولتضمّن السرعة قيل: أمر وحيّ أي سريع. وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة^(٢).
وقال ابن فارس: «و، ح، ي» أصل يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره، والوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة. وكلّ ما ألقيته الى غيرك حتى علمه فهو وحي ، كيف كان^(٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة: ج ٦ ص ٩٣.

(١) مريم: ١١.

(٢) المفردات: ص ٥١٥.

ولعل هذا التعميم في مفهوم الوحي - عند ابن فارس - كان في أصل وضعه،
غير أن الاستعمال جاء فيما كان خفياً:

قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك سمي
الإلهام وحيًا.

وقال ابن بري: وحي إليه وأوحي: كلمه بكلام يخفيه من غيره. ووحي
وأوحي: أوما. قال الشاعر:

فأوحت إلينا والأنامل رسلها^(١).

أي أشارت بأناملها.

ولعل الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السرعة فيه، فالإيماء
السرعة تخفى - طبعاً - على غير المومى إليه. يقال: موت وحي أي سريع. ومنه
«الوحي الوحي» أي البدار البدار، يقال ذلك عند الاستعجال ومنه الحديث:
«وإن كانت خيراً فتوحه» أي أسرع إليه. قال ابن الأثير: والهاء للسكت^(٢).
قال الزمخشري: أوحي إليه وأومى بمعنى. ووحيت إليه وأوحيت: إذا
كلمته بما تخفيه عن غيره. وتوحي أي أسرع، قال الأعشى:

مثل ريح المسك ذاك ريحها صبتها الساقى إذا قيل: توح^(٣)

الوحي في القرآن:

واستعمله القرآن في أربعة معانٍ:

- ١- نفس المعنى اللغوي: الإيماء الخفية. وقدمر في آية مريم.
- ٢- تركيز غريزي فطري، وهو تكوين طبيعي مجعول في جبلة الأشياء،
استعارة من إعلام قولني لإعلام ذاتي، بجامع الخفاء في كيفية الإلقاء والتلقي،
فبأن الوحي إعلام سرّي، ناسب استعارته لكل شعور باطني فطري. ومنه

(٣) أساس البلاغة: ج ٢ ص ٤٩٦.

(١) لسان العرب: ج ١٥ ص ٣٨١.

(٢) النهاية: ج ٥ ص ١٦٣.

قوله تعالى «وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا»^(١) فهي تنتهج وفق فطرتها، وتستوحي من باطن غريزتها، مذكلة لما أودع فيها من غريزة العمل المنتظم، ومن ثم فهي لا تحيد عن تلك السبيل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا»^(٢) أي قدر. وقد استوحي العجاج هذا المعنى من القرآن في قوله:

أَوْحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثَّبِتَ^(٣)

٣- إلهام نفسي، وهو شعور في الباطن، يحس به الإنسان إحساساً يخفى عليه مصدره أحياناً، وأحياناً يلهم أنه من الله. وقد يكون من غيره تعالى.

وهذا المعنى هو المعروف عند الروحانيين بظاهرة التلبياث: «التخاطر من بعيد» وهو خطور باطني آني لا يعرف مصدره. قالوا: إنها فكرة تنتقل من ذهن إنسان إلى آخر، والمسافة بينهما شاسعة. أو اللقاء روحي، من قبل أرواح عالية أو سافلة^(٤) وقيل: إنها فكرة رحمانية توحىها الملائكة، تنفثها في روع إنسان يريد الله هدايته، أو وسوسة شيطانية تلقىها أبالسة الجن لغرض غوايته.

ومن الإلهام الرحاني قوله تعالى «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»^(٥).

(١) النحل: ٦٨.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) لسان العرب: ج ١٥ ص ٣٨٠.

(٤) راجع رؤوف عبيد، مفصل الإنسان روح لا جسد: ج ١ ص ٥٤٢.

(٥) القصص: ٧.

قال الأزهري: الوحي هنا: إلقاء الله في قلبها. قال: وما بعد هذا يدلّ - والله أعلم - على أنّه وحي من الله على جهة الإعلام، للضمان لها «إنا رآدوه إليك». وقيل: إنّ معنى الوحي هنا: الإلهام. قال: وجائز أن يلقي الله في قلبها أنّه مردود إليها وإنه يكون مرسلًا. ولكن الإعلام أبين في معنى الوحي هنا^(١).

والشيخ المفيد - قدس سرّه - أخذ الوحي هنا بمعنى الإعلام الخفي، في كتابه «أوائل المقالات». لكنه في كتابه «تصحيح الاعتقاد» جعله بمعنى رؤيا أو كلام سمعته أم موسى في المنام. وقال - بصدد إيضاح معنى الوحي -: أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثمّ قد يطلق على كلّ شيء قصد به إفهام المخاطب على السرّ له عن غيره^(٢).

وأما التعبير بالوحي عن وسواس الشيطان وتسويله خواطر الشرّ والفساد، فجاء في قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا»^(٣). وقال: «وإنّ الشياطينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجْادِلُوكُمْ»^(٤) ويفسره قوله: «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ»^(٥).

كما جاء التعبير عمّا يلقيه الله الى الملائكة من أمره ليفعلوه من فورهم، بالوحي أيضاً في قوله تعالى: «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا»^(٦).

وأما التعبير بالوحي عمّا يلقيه الله الى نبيّ من أنبيائه بواسطة ملك أو بغير واسطة لأجل تبليغ رسالة الله، فهو معنى رابع استعمله القرآن وهو موضوع بحثنا

(٥) الناس: ٤-٦

(١) لسان العرب: ج ١٥ ص ٣٨٠.

(٦) الانفال: ١٢.

(٢) راجع أوائل المقالات: ص ٣٩، وتصحيح الاعتقاد: ص ٥٦.

(٣) الانعام: ١١٢.

(٤) الانعام: ١٢١.

في الفصل التالي.

٤- الوحي الرسالي:

الوحي الرسالي، معنى رابع استعمله القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، معبراً عن القرآن أيضاً بأنه وحي أُلقي على النبي (صلى الله عليه وآله): «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ»^(١). «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا»^(٢). «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ»^(٣).

وظاهرة الوحي بشأن رسالة الله، هي أولى سمات الأنبياء، امتازوا بها على سائر الزعماء والمصلحين أصحاب العبقريات الملهمين. ولم يكن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بدعاً من الرسل في هذا الاختصاص النبوي، ولا أول من خاطب الناس باسم الوحي السماوي، ومن ثم فلاعجب في هذا الاصطفاء مادام ركب البشرية منذ بداية سيرها لم تزل يرافقها رجال اصلاحيون يهتفون بهذا النداء الروحي، ويدعون الى الله باسم الوحي وتبليغ رسالة الله.

«أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ»^(٤).

ودفعاً لهذا الاستنكار الغريب قال: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ

(٣) العنكبوت: ٤٥.

(١) يوسف: ٣.

(٤) يونس: ٢.

(٢) الشورى: ٧.

مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا»^(١).

والوحي الرسالي لا يعدو مفهومه اللغوي بكثير، بعد أن كان إعلاماً خفياً، وهو اتصال غيبي بين الله ورسوله، يتحقق على أنحاء ثلاثة، كما جاءت في الآية الكريمة: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ»^(٢).

فالصورة الأولى: القاء في القلب ونفث في الروح. والثانية: تكليم من وراء حجاب، بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣) ولا يرى شخص المتكلم. والثالثة: إرسال ملك الوحي فيبلغه إلى النبي، إما عياناً يراه، أو لا يراه ولكن يستمع إلى رسالته.

إذن فالفارق بين الوحي الرسالي وسائر الإيحاءات المعروفة، هو جانب مصدره الغيبي اتصالاً بما وراء المادة. فهو إيحاء من عالم فوق، الأمر الذي دعى بأولئك الذين لا يروقهم الاعتراف بما سوى هذا الإحساس المادي، أن يجعلوا من الوحي الرسالي سبيلاً إلى الإنكار، أو تأويله إلى وجدان باطني ينتشي من عبقرية واجده وسنبحث عن ذلك في فصل قادم.

(ملحوظة) بما أن الوحي ظاهرة روحية، فإنه بأي أقسامه إنما كان مهبطه قلبه الشريف (شخصيته الباطنة: الروح) سواءً أكان وحياً مباشراً من الله أم بواسطة جبرائيل. قال تعالى: «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ»^(٤). «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

(١) النساء: ١٦٣-١٦٧.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) لكن لا بهذه الأذن المادية ولا لسمعه الآخرون أيضاً، بل بذلك السمع الذي يخص باطنه، قال تعالى: «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ».

(٤) البقرة: ٩٧.

الأمين عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ»^(١) والقلب هو لبّ الشيء وحقيقته الأصلية...

قال سيّدنا الطباطبائي: «وهذا إشارة الى كيفية تلقيه (صلى الله عليه وآله) القرآن النازل عليه، وأنّ الذي كان يتلقاه من الروح هي نفسه الكريمة من غير مشاركة الحواس الظاهرة التي هي أدوات لإدراكات جزئية خارجية.. فكان (صلى الله عليه وآله) يرى شخص الملك ويسمع صوت الوحي، لكن لا بهذه السمع والبصر الماديتين، وإلا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين غيره، ولم يكن يسمع أو يبصر هودون غيره. فكان يأخذه برحاء الوحي وهوبين الناس فيوحى إليه ولا يشعر الآخرون الحاضرون...»^(٢).

اللهم سوى ماورد بشأن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، كان يرى مايراه النبي ويسمع ما يسمعه إلا أنّه ليس بنبي كما قال له الرسول (صلى الله عليه وآله)^(٣) وميأتي تفصيل أنحاء الوحي الرسالي وما كان يعرضه (صلى الله عليه وآله) عند نزول الوحي.

مركز تحقيقات كمبيوتر علوم اسلامی

(١) الشعراء: ١٩٣-١٩٤.

(٢) تفسير الميزان: ج ١٥ ص ٣٤٦. برحاء الوحي: شدة ألمه والاحساس بكربه.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة ١٩٢ ص ٣٠١ صبحي الصالح

وقفة عند مسألة الوحي

وبعد.. فإنَّ الوحي - الوحي الرسالي - في واقعه: إتصال روحي بما وراء المادة، يحصل للأنبياء بداعي الرسالة، فيحملون رسالة الله الى الناس في وعي وأمانة وإخلاص.

أما وكيف يحصل هذا الاتصال الروحي، وماهي مقوماته وماهي عناصره الأوليّة، فهذا أمر خفي علينا، نحن العائشين على الأرض، ولا نملك سوى أحاسيس مادية ومعايير مادية، لا تمكّننا فهم حقائق هي فوق المادة وما وراء المادة. وهذا الخفاء من جهة قصورنا الذاتي، دعني ببعض المتشاكسين إنكار النبوات من رأس، متذرعين بحجة تباعد ما بين العالمين، العالم العلوي والعالم السفلي، ذاك ناصع بيضاء لطيف، وهذا منكدر ظلماء كثيف، وإذلا رابط بين نور وظلمة، ولا صلة بين لطيف وكثيف، فلا علة تربط أحدا العالمين بالآخر. لكن إذا ما عرفنا من هذا الإنسان وجوداً برزخياً ذا جانبين، هو من أحدهما جسمانيّ كثيف، وفيه خصائص المادة السفلى. ومن جانبه الآخر روحانيّ لطيف، وهو ملكوتي رفيع، لم يكن موقع لهذه الشبهة رأساً.

الإنسان وراء شخصيته هذه الظاهرة، شخصية أخرى باطنة، هي التي تؤهله - أحياناً - للارتباط مع عالم روحاني أعلى، إذ كان مبدؤه منه وإليه منتهاه: «إنا لله وإنا إليه راجعون»^(١) هذا هو واقع الإنسان الحقيقي، ذو التركيب المزدوج

من روح وجسم، ومن ثم فهو برزخ بين عالمي المادة وما وراء المادة، فمن جهة هو مرتبط بالسما ومن أخرى مستوثق بالأرض. قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» الى هنا تكتمل خلقه الإنسان المادية، ثم يقول: «ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^(١). وهذا الخلق الآخر هو وجود الإنسان الروحي، وهو وجوده الأصيل. الذي أشارت إليه آية أخرى: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»^(٢). قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا وَخَلَقَ رُوحًا. ثُمَّ أَمَرَ مَلَكًا فَنَفَخَ فِيهِ...»^(٣). فهذا هو الإنسان، مخلوق متركب من جسم هو مادي، وروح هو لا مادي، فبوجوده المادي خلق، وبوجوده اللا مادي خلق آخر. وبوجوده هذا الآخر يستأهل للاتصال بالملأ الأعلى، لا بوجوده ذاك المادي الكثيف.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

نعم جاءت فكرة إنكار الوحي، نتيجة للنظرة المادية البحتة الى هذا الإنسان، وهي نظرة قاصرة بشأن الإنسان، سادت أوروبا في عصر نشوء الفكرة المادية عن الحياة، والتي جعلت تتقدم وتتوسع كلما تقدمت العلوم الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأخذت المقاييس المعنوية في الحياة تتدهور تراجعاً الى الوراء. وكادت الموجة تطبق العالم أجمع، لولا أن انتهضت الفكرة الروحية في أمريكا ومنها سرت إلى أوروبا كلها فجعلت مسألة الوحي تحيى من جديد.

قال الأستاذ وجدي: كان الغربيون الى القرن السادس عشر كجميع

(٣) بحار الأنوار ج ٦١ ص ٢٢ ح ٥.

(٢) السجدة: ٧-٩.

(١) المؤمنون: ١٢-١٤.

الأُمم المتديّنة يقولون بالوحي، وكانت كتبهم مشحونة بأخبار الأنبياء، فلمّا جاء العلم الجديد بشكوكه وماديّاته، ذهبت الفلسفة الغربيّة الى أن مسألة الوحي، هي من بقايا الخرافات القديمة، وتغالت حتى أنكرت الخالق والروح معاً، وعلّلت ماورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنه إما اختلاق من المتنبّاة أنفسهم لجذب الناس إليهم وتسخيرهم لمشيئتهم، وإما هذيان مرضي يعتري بعض العصيّين، فيخيل إليهم أنهم يرون أشباحاً، تكلمهم وهم لا يرون في الواقع شيئاً.

راج هذا التعليل في العالم الغربي، حتى صار مذهب العلم الرسمي. فلمّا ظهرت آية الروح في أمريكا سنة ١٨٤٦م وسرت منها الى أوروبا كلّها، وأثبت الناس بدليل محسوس وجود عالم روحانيّ أهل بالعقول الكبيرة والأفكار الثاقبة، تغيّر وجه النظر في المسائل الروحانيّة، وحييت مسألة الوحي بعد أن كانت في عداد الأضاليل القديمة. وأعاد العلماء البحث فيها على قاعدة العلم التجريبي المقرّر، لاعلى أسلوب التقليد الديني، ولا من طريق الضرب في مهام الخيالات، فتأدّوا الى نتائج، وإن كانت غير مآقره علماء الدين الإسلامي، إلّا أنّها خطوة كبيرة في سبيل إثبات أمر عظيم كان قد أحيل الى عالم الأمور الخرافيّة^(١).

جانب روحانية الإنسان:

قلنا: إنّ موجة الحاديّة لم تطل غير قرنين، كادت تطبق العالم المتمدّن، لولا أن قام في وجهها واقع الأمر، الذي تجلّى أخيراً على عمي العلم، فانقاده العلماء المحقّقون أجمع، ومن ثم اندحرت تلك الفكرة الإلهاديّة، وتراجعت القهقري تراجعاً مع الأبد.

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ج ١٠ ص ٧١٣.

غير أننا نجد أنفسنا في ضرورة النظر الى أدلة أقامها فلاسفة قدماء ومحدثون، بشأن إثبات النفس، أي وجود الإنسان الباطن، ليكون هذا الإنسان مزدوج الشخصية: روحاً وجسداً، وليكون هذا الأخير آلة لا ارادية، يسيّرهما وجود الإنسان الباطني، الذي هو وجود الإنسان الحقيقي الأصيل. وهذه النظرة المزدوجة الى الإنسان كانت ولا تزال هي الفكرة السائدة عن الحياة، في الأوساط المتدنية في العالم القديم، وتواصلت في سيرها حتى حيت معالمها من جديد، وكانت الأديان السماوية كلها تؤيدها أيضاً وتجعلها الأساس لجميع تعاليمها وبرامجها في التشريع والعبادات.

وإليك بعض البراهين الفلسفية أولاً ممّا أقامها فلاسفة إسلاميون. وهي كثيرة ومتنوعة، اخترنا لك مايلي، ثم نعقبها بأدلة حديثة جاء بها العلم التجريبي الحديث.



مركز تحقيقات كينونيات علوم و فلسفه اسلامی

براهين فلسفية لاثبات النفس:

جاءت الفلسفة العقلية بأدلة ضافية، تثبت وجود النفس بصورة واضحة، تكلم عنها الشيخ أبو علي ابن سينا في كتابيه «الشفاء» و«الإشارات». ثم تكلم عنها غيره من فلاسفة إسلاميين، كابن رشد، ونصيرالدين، والرازي، والنيسابوري، وابن حزم، وصدر المتألهين، والحكيم السبزواري، وأخيراً سيدنا الطباطبائي. وغيرهم كثيرون. وإليك منها:

١- الإنسان في كينونة ذاته:

لهذا الإنسان وجود باطن، يدعى بالنفس، هو الذي يشكل كينونته الذاتية الثابتة، ويكون وجوده الأصيل الحقيقي، والذي لا يتغير مهما تغير هذا الجسد الظاهر. وهذا ما يجده كل إنسان من ذاته أنه شيء وراء هذا الجسد. وتوضيحاً لهذا الجانب من وجود الإنسان الحقيقي نستوضح مايلي:

• إننا نجد في كياننا الذاتي شيئاً نعبر عنه بـ «أنا»، لا يمكننا التعبير عنه بغير هذا اللفظ، كما لا نستطيع التعبير بهذا اللفظ عن أي شيء سواه في وجودنا. حينما نقول: «أنا» نقصد من أنفسنا وجوداً باطناً هو الذي يشكل كينونتنا الذاتية، لا شيء آخر سواه، فلانعبر عن أي جارحة من جوارحنا أو أي عضو من أعضائنا الجسدية، بـ «أنا» سواء أكانت أعضاء داخلية كالقلب والكبد والمخ والمعدة وأمثالها، أو كانت أعضاء خارجية كالرأس واليد والرجل والبطن وأمثالها كل ذلك لا يصح التعبير عنه بـ «أنا» بل ولا عن الجسم كله. نعم عندما نريد النفس والذات - وهو وجود باطن حقيقي أصيل - نقول: أنا.

فالإنسان في كينونة ذاته وجود آخر غير وجوده الجسدي الظاهر. • الإنسان يسند جميع ما في وجوده الجسدي - سواء كانت خارجية أم داخلية - إلى نفسه، فيقول: رأسي، يدي، رجلي، قلبي، مخي، بدني، وهذا «المضاف إليه» في جميع ذلك، شيء وراء تلك «المضافات» كلها. الأمر الذي يدل على تباين ما بين الجسد وذلك الوجود الحقيقي الأصيل المنسوب إليه تلکم الأشياء.

وأما إضافة النفس أو الروح إلى الذات: «نفسي». «روحي» فهي من إضافة الشيء إلى نفسه كما في «ذاتي» بشهادة الوجدان بعدم فهم تغاير ما بين المضاف والمضاف إليه في ذلك، على عكسها في إضافة أعضاء الجسد إلى النفس.

• الإنسان ينسب جميع أفعاله وتصرفاته وهكذا جميع حالاته وصفاته إلى نفسه، يقول: تكلمت، تعلمت، أعطيت، أخذت، سافرت، ذهبت، بعث، اشتريت...

لا يريد بذلك إسنادها إلى شيء من جوارحه، لا يريد أن لسانه هو الذي تكلم. أو قلبه هو الذي تعلم. أو يده هي التي أعطت أو أخذت. أو رجله هي

التي مشت أو ذهبت... وإنما يريد أنه بذاته فعل هذه الأمور، وكانت جوارحه آلات توصل بها إلى مآربه وحاجاته.

فكل أحد يجد من نفسه وجوداً - وراء هذه الأعضاء الجسدية - هو الذي يفعل ويتصرف وينسب إليه جميع حالاته وتقلباته.

• إننا نوجه الخطاب أو التكليف، وكل ما يستتبعه من مدح أو ذم أو تحسين أو تقبيح، وكذا كل أمر أو نهي أو بعث أو زجر، إلى الإنسان، لا نريد به جسده ولا شيئاً من أعضائه وجوارحه. وإنما نريد بذلك ذاته ونفسه، وهو المقصود بقولنا: «أنت» لا شيء آخر.

ونتساءل: من المخاطب بقولنا: أنت؟ ومن المأمور أو المنهي عندما نأمر أو نزجر؟ ومن الموجه إليه المدح أو القبح؟

لا شك أنه وجود الإنسان الحقيقي الثابت وهو ذاته ونفسه، ليس إلا. • إن في وجود هذا الإنسان شيئاً لا يغفل عنه أبداً. وما عداه فإنه قد يغفل عنه أحياناً. الإنسان قد يغفل عن جسده وعن كل ما يتعلق بجسده من أعضاء وجوارح داخلية وخارجية، لكنه لا يستطيع الغفلة عن ذاته هو. فذاته متمثلة لديه في جميع حالاته وتقلباته. فوجود الإنسان الحقيقي هو ذاته - الذي لا يغفل عنه أبداً - لا جسده ولا أعضائه - مما يغفل عنه أحياناً - لأن الذات - وهو حقيقة الشيء - هو الذي لا يغفل عنه وأما الذي يغفل عنه فيبدو أنه ليس من الذات الأصل (١).

الأمر الذي يدل على أن وجود الإنسان الحقيقي شيء وراء الجسد، وهو ذاته ونفسه، لا شيء في وجود الإنسان يمكن التعبير عنه بالذات أو النفس سوى الروح، فهو وجود الإنسان الحقيقي الأصل.

(١) ومن هنا كان قولهم المعروف: «غير المغفول عنه غير المغفول عنه». لتكون الغير الأولى أداة معدولة، لأنها صارت جزء الموضوع. والغير الثانية أداة ملب محصلة، لأنها تسلب النسبة حينئذ. أي الذي لا يغفل عنه أبداً يختلف عن الذي يغفل عنه أحياناً.

٢- الإنسان في صفاته وغلرائه:

الإنسان يملك صفات وغلرائه هي ثابتة له أو تبقى له طول الحياة، كما أن له صفات وحالات تتغير حسب تغير الأوضاع والأحوال. وأن صفاته الثابتة الغريزية صفات قائمة بنفسه ومن ثم فهي باقية مدى الحياة. وأما صفاته المتبدلة- وتسمى بعوارض- فهي قائمة بجسمه، ومن ثم فهي متغيرة، الأمر الذي يدل على جانبين من وجود هذا الإنسان، وتوضيحاً لهذا الفرق بين نوعين من صفاته نشرح النقاط التالية:

• لا شك أن هذا الجسد، بما فيه من أجهزة وغدد وتلافيف وأعصاب وعروق، وحتى العظام والغضاريف، في تغير وتبدل دائم- ظاهرة الإحراق والتعويض- وقد قيل: إن جسم الإنسان يتبدل كلياً في كل سبع سنوات. وهذا التغير المستمر في جسم الإنسان يستدعي- طبعاً- تبدلاً في صفات وحالات قائمة بهذا الجسم. أمثال الصحة والمرض والسمن والهزال والقوة والضعف والطفولة والشباب والكهولة والهرم.

لكن الإنسان يملك الى جانب هذه الصفات والأحوال المتغيرة. صفات وغلرائه ثابتة، لا يعرضها أي تغير أو تبدل رغم تبدل الجسم وتغيره، وهي صفات الحب والبغض والرغبة والرغبة، وملكات الكرم والبخل، والشجاعة والجن، والسماحة والحسد، وماشاكلها من صفات ذاتية لا ترتبط مع الجسم أي ارتباط.

إذن فما هو المحل القائم به هذه الصفات الراسخة؟

لا شيء يصلح محللاً لها سوى النفس «الروح»!

وهنا اعتراض معروف نتعرض له في الفصل القادم^(١).

(١) في ذيل الدليل الثاني من الأدلة الحديثة الآتية.

• الإنسان لا يزال ينمو وتستحكم قواه الجسدية الى حدّ معين، ثم يقف في مستوى واحد، ومن بعده يأخذ في الهبوط والانتكاس تدريجياً، فهو الى العقد الثالث من عمره -تقريباً- آخذ في النمو الجسدي، والى العقد الخامس هو على مستوى واحد وبعده يأخذ في ضعف تدريجي. حتى إذا طعن في السن يتسرع هبوطه ضعفاً فوق ضعف.

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ»^(١).

هذه طبيعة الإنسان الجسدية. وأما حياته العقلية فلا تتساق مع ظاهرة الجسم في سرعة التبدل والتغير، فهو لا يزال ينمو في قواه العقلية وتزداد حيوية ونشاطاً عبر العقود الخمسة من عمره، فبينما الجسم آخذ في الهبوط التدريجي منذ العقد الرابع، وإذا بالجانب العقلي من الإنسان بعد، مستمر في طريقه الى الكمال، الأمر الذي يدلنا على أنّ في وجود الإنسان جانبين، هو من أحدهما آخذ في الهبوط ومن الآخر آخذ في الصعود، ذلك سائر في الاكتمال، وهذا راجع في طريقه الى الانتكاس.

• قد يحصل نقص في عضو أو أعضاء من جسد الإنسان، فيصبح الجسم ناقصاً لا محالة، لكن هذا النقص الجسدي لا يؤثر نقصاً في ذات الإنسان، فهو هو بعد، على كماله الإنساني الأول، ليس الإنسان الذي فقد رجله أو يده أو عضواً آخر من جسده خارجياً كان أم داخلياً، إنساناً ناقصاً في إنسانيته، وإن كان ناقصاً في هيكله الجسدي، ومن هنا نعرف أنّ في وجود الإنسان شيئين: روحاً وجسداً، والنقص في أحدهما لا يؤثر نقصاً في الآخر.

وأما القولة المشهورة: العقل السليم في البدن السليم، فتعني: أنّ الآلة كلّما كانت أسلم كان العمل بها أتقن، نظراً لأنّ الروح يستخدم في فعالياته

الحاضرة، آلات البدن مادام قيد هذا الجسد، فكلما كان البدن أكمل وأنشط كان العمل به ايسر وأتم.

٣. الإنسان وظاهرة الإدراك :

الإنسان في داخل وجوده ذو طاقة جبّارة، تختلف تماماً عن قواه الجسدية المحدودة. إنه في جانب عقليته يذهب الى أبعاد شاسعة لانهاية لها، ويتحلق في أجواء لا أمد لها، كما وينطلق الى ما وراء المادة والى آفاق واسعة، انطلاقاً لا وقفة لها عند حد.

إنه يدرك ، وظاهرة الإدراك ذاته ظاهرة غير مادية، إذ لا يوجد فيها أي خاصية من خواص المادة إطلاقاً، إنها لا تقبل انقساماً الى أبعاد ثلاثة. ولا تحمل ثقلًا ولا هي محدودة بالجهات.

إنه يدرك ، وقسم من مدركاته تفوق حدود المادة في جميع أبعادها ومميزاتها بصورة مطلقة: إنه يدرك معاني كلية ليست تتحقق خارجياً البتة. إنه يفهم ملازمات عقلية، والملازمة ذاتها لا وجود لها سوى طرفيها اللازم والملزوم. إنه يعلم بأمور غائبة عن الحس. ويفكر في شؤون ما وراء الإحساس.

وبكلمة جامعة: الإنسان يعرف، والمعرفة في كيان الإنسان ظاهرة غير مادية، في حين أن اللامادي لا يقوم بمادي، فأين محلها من وجود الإنسان؟ ونتيجة على ذلك نعترف - بالضرورة - من بديهة العقل - أن وراء وجود هذا الإنسان الجسدي الظاهر، وجوداً آخر لامادي، هو «النفس» الذي تقوم به ظاهرة الإدراك ، ومجال النفس أوسع من المادة بنسبة فائقة.

وتوضيحاً لهذا الجانب النفسي من ظاهرة الإدراك نقول:

قد تنعكس في ذهنية الإنسان - عندما يواجه منظراً طبيعياً - صورة منطبقة مع الواقع تمام الانطباق في جميع أبعادها وسماتها، من حركة ولون وزهور وأشجار، وجبال وأنهار، وأبعاد وأغوار. وتتجلى هذه الصورة بنفس الأبعاد والسمات

كلما تذكرها، فيجدها حاضرة نفسه على مقاييسها الأولى.. تلك ظاهرة التذكر، فياترى أين محلها الذي تقوم به؟

وثانية نقول: الإنسان يجد صورة المنظر كلما تذكرها بنفس الأبعاد والمقاييس والحركات والألوان، كأنه يشاهدها الآن، صورة طبق الواقع تماماً، إن هذه الصفحة التي تقع عليها هذه الصورة، وتسمى بصفحة الذهن صفحة ذات أبعاد توازي نفس أبعاد المنظر، حسبما يجدها الإنسان حاضرة نفسه الآن. أين تقع هذه الصفحة المتسعة، من وجود الإنسان؟

إن جزيئات المخ، تنطبع عليها صور المحسوسات، لكنها في غاية الصغر. لا تتناسب والأبعاد التي يجدها الإنسان عند التذكر.

إننا لاننكر وجود جزيئات مخية تحتفظ في نفسها صور المشاهدات، لكن ذلك وحده ليس إدراكاً ولا تذكراً لأن هذه الصور موجودة، وهي مستمرة في وجودها حتى مع الغفلة، وتتجلى مع التذكر وعند إلتفات النفس. وهو إدراك متجدد للصورة بعد أن كان إدراكاً لذات الصورة.

لعلك تقول، إن تلك الصور المنطبعة على جزيئات المخ قد تبدل للنفس وقد تخفى وهذا تعلل ظاهري «التذكر» و«الغفلة»!

لكننا نتساءل: إذا كانت هذه الصور تبدو وتخفى، فتجاه أي شيء تبدو، وعن أي شيء تخفى؟ وهذه المقابلة بين أي شيء وشيء؟

وبعبارة أخرى: إن هذه الصور تتجلى. لكنها لمن تتجلى؟ ومن المواجه له؟ لاشك أن المواجهة امر قائم بجانبين، فإذا كانت الصور المنطبعة تشكل جانباً من هذه المواجهة، فأين الجانب الآخر المواجه له؟ نعم إن الصور المنطبعة على جزيئات المخ تتجلى أمام النفس، فالنفس شيء، وهذه الجزيئات شيء آخر فالنفس وهو وجود الإنسان الباطن هو الذي يشكل الجانب الآخر من هذه المواجهة النفسية، والنفس هي التي تدرك تلك الصور متى تذكرتها، وهو إدراك متجدد وإن شئت فسمه التذكر.

إنَّ جزيئات المخّ أفلام تنعكس صورها على صفحة النفس الواسعة عند التذكّر، وعندما تتّجه النفس الى ماخزنتها في آلة الإدراك . وبذلك تتحقّق تلك المقابلة والمواجهة القائمة بطرفين.

فالصحيح: إنّ ظاهرة الإدراك والتذكّر، ظاهرة نفسية، تقوم بنفس الإنسان، وهو وجوده الباطن «الروح» ومن ثم لا توجد فيها خصائص المادة إطلاقاً، فلا محدودية ولا تراحم أبداً.

وأيضاً فإن الإدراك حكم للنفس: هذا ذاك أو ذاك هذا. وهذا يدلّنا على أمرين:

الأول: إنّ وراء هذه الصور المنقّشة على صفحة الضمير، وجوداً آخر هو الذي يحكم عليها بأنّ هذا ذاك أو ذاك هذا، وليس سوى النفس التي تحكم بذلك.

الأمر الثاني: إنّ الحكم ذاته بما أنّه غير ماديّ - لعدم وجود خواصّ المادة فيه إطلاقاً - فإنّ الحاكم بذلك - وهو النفس - أيضاً غير ماديّ، بالمعنى المعروف للمادة. وذلك اقتضاء للسّخية بين الأثر - وهو الحكم - والمؤثر - وهو الحاكم كما أنّ الإدراك يتعلّق بأمور كليّة هي ثابتة في صقع النفس لا تتغيّر ولا تتجدّد، الأمر الذي يتنافى وظاهرة التغيّر والتجدّد المستمرين في جميع جزيئات الجسم بصورة عامّة.

وأخيراً فإنّ ظاهرة التذكّر ليست سوى إعادة لإدراك أمر سابق، كان موجوداً وهو مستمرّ، وليس إدراكاً لشيء جديد، وإن كان نفس الإدراك جديداً.

إنّنا عندما نذكر شيئاً نجده عين ما وجدناه سابقاً، ومحفوظاً في خزانة الذهن، من غير ما تفاوت أو تغيّر، فلو كان قائماً بغير النفس، أي بأجزاء هذا الجسم العنصري، لكان هذا المدرك - بالفتح - ثانياً غير المدرك أولاً، إذ لا شيء

في الجسم إلا وهو آخذ في التبدل والتغير لفترة محدودة، ولا سيما إذا كان التذكر بعد أمد طويل.

فإما أن نخطئ عذاكرتنا - التي حكمت بالعينية - أو نسلّم بلامادية ظاهرة الإدراك والتذكر، الأمر الذي يجعل الأخير هو الصحيح، حيث كانت بداهة الوجدان هي المحكّمة في هذا الرّفص أو القبول.

أدلة حديثة على وجود الروح:

أما الفلسفة الحديثة فأخذت من التعمق في علم الفزيولوجيا «علم وظائف الأعضاء»، براهين جلية على صحّة وجود النفس وتمييزها عن الدماغ ووظيفته:

أولاً: إنّ الأعصاب المنتشرة على سطح الجسم لا تؤثر فيها العوامل الخارجية على حدّ سواء، بل يقتضي لها مؤثرات معينة لا هتزاز الألياف الدقيقة المؤلفة منها. مثلاً أنّ التأثيرات النظرية لأفعل لها في عصب السمع وبالعكس. فإذا اتّخذنا مثلاً حاسة البصر موضوعاً لبحثنا نرى أنّ الحركة التوجّية في الأثير، بتأثيرها في شبكة العين، تحدث اهتزازاً في العصب البصري، وهذا الاهتزاز يمتدّ إلى الطبقة البصرية المستقرّة في وسط الدماغ ومن هناك يندفع إلى مركز الحواس، حيث ينتشر في القلاي الدقيقة، ويوقظ الخلايا العصبية المتعلقة بالتأثيرات البصرية. وعليه فكلّ نوع من التأثيرات الحسية تتفرّق ثمّ تتجمّع في مكان مخصوص من الدماغ وقد أثبت التشريح وجود أماكن معينة في الدماغ، ونواح محدودة يتجمّع فيها ويتكاثف ويتحوّل ما تنقله إليها الحواس من التأثيرات الخارجية. وقد قام علماء الفزيولوجيا ببعض امتحانات على الحيوانات الحية، أظهروا بها أنّهم بنزعهم عن هذه الحيوانات قطعاً أصلية من المادة الحية قد أفقدوها قوة إدراك التأثيرات النظرية أو السمعية. بل أثبت العلامة «شيف» بالامتحان، أنّ الحرارة ترتفع في جزء من أجزاء دماغ

الكلب، نسبة لنوع التأثيرات الواصلة إليه من إحدى الحواس.
 وإذا سألنا الماديين: كيف تتحوّل هذه الحركات الاهتزازية، بعد وصولها
 الى مراكزها النسبية من الدماغ، الى أفكار فهمية؟ فيجبونا: أنّ هذه
 الاهتزازات، حينما تبلغ القلاي الحسية من الدماغ يحدث فيها من ردّ الفعل
 ما يحدث في قلاي النخاع الشوكي!

لكن غير خاف على أحد ما يتمّ في حادث ردّ الفعل هذا، وهو: أنّ محركات
 الأعصاب الحسية تنقل الى القلاي الدقيقة من النخاع الشوكي تهيجاً ينعكس
 الى القلاي الغليظة، فتهتزله الأعصاب المحركة المناسبة لها، وعلى هذه الصورة
 يرتدّ الاهتزاز الى نقطة مصدره تحت هيئة تأثير محرّك . هذا شرح ما يحدث في
 ضفدعة قطع رأسها، ومع هذا ففتشج رجلها لدى مسيسها بحامض مهيج.

والأمر نفسه يحدث في مؤثرات القلاي الحسية من الدماغ، أي أنّ القلية
 القشرية عندما يبلغها الاهتزاز الخارجي تنتصب لدرجة ما وتنبيه حاسيتها
 الذاتية، وتفرغ القوة الكامنة فيها، ثمّ تمتدّ الحركة إلى ما جاورها من القلاي
 وتوقظ القوة المضمورة فيها حتى تبلغ القلاي الغليظة، وهذه تنقلها الى المادة
 الرمادية ذات الأخاديد، من الدماغ، التي تقوّي الاهتزازات، وتدفعها الى
 الأعضاء تحت هيئة تأثير، أو بالأحرى: أمر محرّك .

إننا نسلّم مع ناكري النفس بكيفية مجرى الحسّ هذا، المعبر عنه بالاهتزاز
 العصبي، وبلوغه الى الدماغ ثم ارتداده من هناك تحت هيئة أمر محرّك ، ولكن
 فأت غرماءنا حادث خطير جرى ما بين البلوغ والارتداد وهو «حادث
 الإدراك» أي دراية الشخصية الإنسانية بما حدث لها من الأمور الخارجية، لأنّ
 تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية ماهي إلا حركات مادية تولّد حركات
 أخرى، ولكنها لا تحدث إدراكاً ومانتيجتها سوى أنّ تنبيه القوة العاقلة لإدراك
 مصدر هذا التنبيه، وعلته وأثره. وبدون ذلك لا يكون للاهتزاز أو الحركة
 الخارجية أدنى مفعول في قوّة الفهم.

إنَّ القلية العصبية المركبة من كميات متناسبة من الكوليسترين والماء والفسفور وحامض الأوميك ... الخ ليست بذاتها قوة مدركة. والحركة الاهتزازية هي بذاتها حركة مادية محضة، فكيف يولد اهتزاز هذه القلية العصبية وانتصابها إدراكاً؟

هذا ما عجز الماديون عن تبيانه، أمّا الفلاسفة الروحانيون فيعلموننا بوجود شخصية عاقلة فينا، تدعى «النفس» تنتبه بهذا الاهتزاز، الى ما طرأ من الحوادث الخارجية وعندما يتم انتباهها هذا يحدث الإدراك ! ويؤيد ذلك بأجلى بيان، حادث «الذهول».

مثلاً عندما نكون مستغرقين داخل حجرتنا في عمل من الأعمال، قريباً نغفل عن سماع تكتكة الساعة، بل حتى عن طرق ناقوسها أيضاً، ومع هذا فإن اهتزازات الصوت أثرت في عصب سمعنا وبلغت حتى الدماغ من دون أن ننتبه لها. وما ذاك إلا لكون نفسنا مشغولة بأفكار أخرى لم تنتبه، ولا أثرت فيها اهتزازات القلاي الدماغية فلم يحصل الإدراك السمعي.

وبالاختصار نجد أنَّ المادة هي بذاتها عديمة الاختيار، لا تولد شيئاً من تلقاء نفسها، والمادة الدماغية هي آلة لتبيان إحساسات النفس العاقلة، وأفكارها. فلا تعقل هي لما يصدر بواسطتها من التعبيرات الفكرية كآلة الساعة مثلاً لا تدرك حركة الأوقات التي تشير إليها، كما لا تدرك قراطيس الكتاب الأفكار المسطرة عليها. «ومن زعم أنَّ الدماغ يدرك الفكر، فهو كمن يزعم أنَّ الساعة تدرك حركة الوقت. أو القرطاس يدرك معاني الكتابة!».

ثانياً: قرّر علماء الفزيولوجيا- إجمالاً- أنَّ كلَّ حركة تصدر من الإنسان أو الحيوان، يصحبها احتراق جزء من المادة العضلية. وكلَّ فعل من الإرادة أو الحس يتأتى عنه فناء في الأعصاب. وكلَّ عمل فكري ينتج عنه إتلاف في الدماغ.

وبكلمة جامعة: إنه لا يمكن لذرة واحدة من المادة أن تصلح مرتين للحياة، فعندما يبدو من الحيوان أو الإنسان عمل عضلي أو عقلي، فالجزء من المادة الحية التي صرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماماً. وإذا تكرر العمل فمادة جديدة تصلح لصدوره ثانية وثالثة وهلم جرا. وهذا الإتلاف هو بمناسبة قوة الظهورات الحيوية، فحيثما اشتد ظهور الحياة ازداد تلف المادة الحية.

نعم هذا التلف الدائم يصحبه تعويض مستمر من المادة المستجدة الداخلة في الدم بواسطة الهواء والمواد الغذائية.

وهذان العاملان- أي عامل الإتلاف وعامل التجديد- مرتبطان ببعضهما في الكائن الحي ارتباطاً لا ينفصم وبالإجمال يمكن القول: إن الإتلاف شرط ضروري للتعويض. وهذا العمل الثاني- أي العمل التجديدي وهو عمل باطني سري- لا ظهور له في الخارج، في حين أن عوامل الإتلاف تبدو ظاهرة للعيان، فندعوها «ظواهر الحياة» وماهي إلا بوادر الموت، لأن ظهورها لا يتم إلا بإتلاف جزء من انسجنتنا العضوية.

ينتج مما تقدم: أن في وسط تنازع هذين العاملين، يتجدد جسمنا مراراً عديدة في مدار الحياة. ويتم هذا التجديد على ما ارتأى الفزيولوجي «موليشوت» في كل ثلاثين يوماً. أما «فلورنس» فيزعم أن ذلك لا يتم إلا في سبع سنين. وقد قام هذا العلامة بامتحانات على الأرانب أثبت فيها تجدد عظامها ذرة فذرة في مدة محدودة.

وبعد فإن ناكري النفس يزعمون أن قوة الذاكرة عبارة عن اهتزازات فسفورية تتخزن في القلية العصبية من الدماغ بعد وصول التأثيرات الخارجية إليها!

فإن صح ذلك- وإذا تقرر أن كل ما فينا من العظام والأنسجة العضلية والقلالي العصبية تتلاشى وتتجدد في مدة معلومة لا تتجاوز السبع سنين- اقتضى لقوة الذاكرة أن تتناقص فينا بالتدريج، إلى أن تتلاشى في كل سبع

سنوات، وأن نضطرّ في كلّ سبع سنين الى تجديد كلّ ما تعلمناه سابقاً، والحال أننا نشعر بأنّ الأمر ليس كذلك وأنّ تيار المادّة المتجدّدة فينا باتصال، لم تحدث أدنى تغيير في ذاكرتنا. وإنّ اموراً حدثت لنا أيام الصبا تخطر على بالنا زمن الهرم.

وبالإجمال: كلّ ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا، وعدم تغييرها، رغماً عن استبدال كلّ ذرّات كيّاننا المادّي.

وهذا دليل قاطع على وجود قوّة روحية فينا تدعى «النفس» يقيها جوهرها البسيط من التحوّلات والتقلّبات على المادّة الهوليّة، وفيها ينطبع ذكر الحوادث الماضية والعلوم التي اكتسبناها بإجهاد العقل والفكر.

وقد يعترض البعض: بأنّ الخلايا الحيّة في تنقّلات ذرّاتها تدريجياً، لعلّها تنقل ما عليها من صور ونقوش ذاكريّة، الى ذرّات مستجدّة، كما تنتقل قسّمات الوجه وألوان منطبعة على ظاهر الجسد، وحتى الخال، الى ذرّات جديدة من البشرة، ومن ثمّ يبقى شكل الجسد ولون الخال طول الحياة، وبذلك يعلّل - أيضاً - ظاهرة بقاء الذاكرة المنتقلة من ذرّات فانية الى ذرّات مستجدّة في المخ.

لكن فات هذا المعترض: أنّ المنتقل من الصفات الباقية، هي الطبعيّة الناتجة من داخل الذات، لا العارضة التي طرأت من أحوال المحيط الخارج. مثلاً: لون الخال إنّما يبقى، أي ينتقل من ذرّات فانية الى ذرّات مستجدّة، لأنّه طبيعيّ ذاتيّ، فلا بدّ أنّ نفس الذرّات التي كانت تشكّل ظاهرة الخال في حالة سابقة، أن تتبدّل وتتجدّد الى ذرّات أخرى تشكّل نفس الظاهرة أيضاً. أمّا الصفات العارضة كاللون العارض من لفحة الشمس، فإنّها تخصّ ذرّات الجسم المواجهة للعوامل الأولى، فإذا فنيّت تلك الذرّات المواجهة تدريجياً، فإنّ اللون العارض أيضاً يذهب تدريجياً، ما لم تتجدّد تلك العوامل الأولى.

وعليه فإنّ التي تودّعها ذرّات مخيّة فانية الى ذرّات مستجدّة، هي صفات

ذاتية كقابلية الانطباع والانتقاش والتلقي، أما نفس الصور والنقوش، فبما أنها صفات طارئة عليها، وليست ذاتية ناتجة من داخل الطبيعة، فلا بد أن تذهب تدريجياً مع فناء ذرات سابقة. ولا تعود باقية إلا مع إعادة العوامل الأولى، اللهم إلا أن نقول بأن النفس هي التي تكرر بقاء الصور على الذرات المستجدة، وهذا يلتئم مع مطلوبنا في هذا البحث.

ثالثاً: منذ قرن ونيّف وجدت طريقة بحثية تؤيد وجود النفس بنوع حسي، وهي طريقة «المغنطيسية الحيوانية» وفيها يشاهد انفصال الروح عن الجسد وقيامها بأعمال مذهشة تنبئ عن صحة وجودها الذاتي وصدور أعمال فكرية بمغزل عن الحواس.

إنّ المغنطيسية الحيوانية - على ما حدّد منشئها الحديث «انطونيوس مزمر» - هي: عبارة عن سيال رقيق جداً ينبعث من جسم الفاعل في المغنطيسية الى الشخص المنفعل، بواسطة إشارات وحركات، بل نظرة حادقة تصدر من الأول الى الثاني.

إنّ هذه الظاهرة الروحية قديمة جداً، لكنها كانت أو كادت تعدّ متأخراً من الخرافات البائدة، حتى جاء العلماء الروحانيون «فيسان» و«كرنيليوس» و«باراسلوس» ممّن عاشوا في القرن الرابع عشر والخامس عشر، فأحيوا هذا العلم الروحي من جديد ووضعوا له أصولاً وقواعد، نشرها فيما بعد «انطونيوس مزمر»^(١). ومن ثمّ شاع وذاع هذا العلم واعترف به العلماء جميعاً، فهو اليوم من الحقائق الراهنة التي تنمو وتزداد صيتاً وأعواناً. الأمر الذي لا يبقّى معه شكّ في أنّ الإنسان في كينونته الباطنة وجوداً آخر، ذا طاقة جبّارة، يفعل بها أفعالاً يعجز عنها هذا البدن المادي، وتضعف عنها قواه الجسدية.

(١) المذهب الروحاني: ص ٤٣.

وقد جمع من هذه الظواهر، وأسماء علماء قاموا بتحقيقها وتمحيصها، الأستاذ رؤوف عبيد في كتابه «الإنسان روح لا جسد» ثم فصلها في «مفصل الإنسان روح لا جسد» فراجع.

وظاهرة روحية أخرى: «تحضير الأرواح» جاءت أيضاً في العصر الأخير. لتؤيد وجود الروح وراء هذا البدن العنصري المادي، ليكون الإنسان وراء وجوده الظاهر المحسوس، وجوداً آخر باطنا، ينفصل عنه أحياناً. في هذه الحياة. ونهائياً بعد الممات.

وقد ظهرت آية ذلك لأول مرة في أمريكا سنة ١٨٤٦ م، وسرت منها إلى أوروبا كلها، وأثبتت بدليل علمي تجريبي وجود عالم روحاني. وراء هذا العالم المادي. أهل بالعقول الكبيرة والأفكار الثاقبة، ومن ثم تغير وجه النظر في المسائل الروحانية، وحييت مسألة بقاء الروح بعد مفارقة الجسد من جديد بعد أن كانت في عداد الأضاليل القديمة. وأعاد العلماء البحث فيها على قواعد العلم التجريبي الحديث، ووصلوا إلى نتائج هامة، كانت خطوة كبيرة في سبيل إثبات أمر عظيم كان قد أُحيل إلى عالم الخرافات.

تألفت في لندرة من سنة ١٨٨٢ م جمعية دعيت باسم «جمعية المباحث الروحية» تحت رئاسة الأستاذ جويك المدرس بجامعة كمبروج، وهو من أكبر العقول في إنجلترا. وعضوية الأستاذ السير أوليفر لودج الملقب بدارون علم الطبيعة، والسير وليم كروكس أكبر كيماويي الإنجليز، والأستاذ فردريك ميرس، وهودسون، المدرسين بجامعة كمبروج، والأستاذ وليم جيمس المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا، والأستاذ هيزلوب المدرس بجامعة كولومبيا، والعلماء الكبار، غازني وباريت، وبودمور، والعلامة الكبير شارل ريشية المدرس بجامعة الطب الباريزية والعضو بالمجمع العلمي الفرنسي والرياضي الكبير كاميل فلامريون الفلكي الفرنسي المشهور، وعدد كبير غيرهم من كبار علماء الأرض.

وكان الغرض من هذه الجمعية: البت في المسألة الروحية وتحقيق حواذئها بأسلوب النقد الصارم، والحكم بقبولها نهائياً في العلم إن كانت حقيقة. أو تقرير إبعادها عن العلم والفلسفة إن كانت من الأمور الوهمية.

ففضى على هذه الجمعية حوالي نصف قرن، حققت في خلالها ألوفاً من الحوادث الروحية، وعملت من التجارب في النفس وقواها، مالا يكاد يدرك، لولا أنه مدون في محاضر تلك الجمعية في نحو خمسين مجلداً ضخماً. فكان من ثمرات جهادها إثبات شخصية ثانية للإنسان، أي أننا أحياء مدركون في حياتنا الحاضرة، لا بكل قوى الروح التي فينا، بل بجزء من تلك القوى سمحت لنا بها حواسنا الخمس القاصرة. ولكن لنا فوق ماتعطيه لنا حواسنا هذه أرقى من هذه الحياة، لا تظهر بشيء من جلالها إلا إذا تعطلت فينا هذه الشخصية العادية بالنوم العادي أو النوم الصناعي المغناطيسي أو بالموت. وقد سجل الأستاذ «فريد وجدي» شهادات ضافية من علماء كبار بهذا الشأن، في دائرة معارفه^(١)، والأستاذ «أمين الهلالي» في كتابه: المذهب الروحاني^(٢)، والدكتور «رؤوف عبيد» في كتابه: الإنسان روح لا جسد^(٣)، والأستاذ «جيمس آرثر. فندلاي» في كتابه: على حافة العالم الأثيري^(٤)، وغيرهم كثيرون، فراجع.

فذلكة البحث:

وخلاصة ما سبق من الأبحاث: أن الإنسان يملك في وجوده جانبين، هو من

(١) إثبات الروح بالبراهين الحسية، مادة روح: ج ٤ ص ٣٦٤ - ٤٠٠. الوحي وفلامفة الغرب، مادة وحي: ج ١٠ ص ٧١٢ - ٧٢٠.

(٢) الباب الثاني، إثبات وجود النفس بالأدلة الطبيعية: ص ٣٦ - ٤٤. والباب الثالث: إثبات خلود النفس بالحوادث الروحية: ص ٦٢ - ٦٤.

(٣) الفصل التاسع، بين العقل والمخ: ج ١ ص ٦٤٩ - ٦٨١، مفضل الإنسان وروح لا جسد.

(٤) الفصل الثالث، المادة والعقل: ص ٤٧ - ٥١. ترجمه أحمد فهمي الطبعة الثالثة.

أحدهما جسماني، ومن الآخر روحاني، فلا غرو أن يتصل - أحياناً - بعالم وراء المادة، ويكون هذا الاتصال مرتبطاً بجانبه الروحي الباطن. وهو اتصال خفي، الأمر الذي يشكل ظاهرة الوحي.

الوحي: ظاهرة روحية، قد توجد في آحاد من الناس، يمتازون بخصائص روحية تؤهلهم للاتصال بالملأ الأعلى، إما مكاشفة في باطن النفس أو قرعاً على مسامع، يحس به الموحى إليه إحساساً مفاجئاً يأتيه من خارج وجوده، وليس منبعثاً من داخل الضمير، ومن ثم لا يكون الوحي ظاهرة فكرية تقوم بها نفوس العباقر - كما يزعمه ناكرو الوحي - كلاً، بل إلقاء روحاني صادر من محل أرفع إلى مهبط صالح أمين.

قال تعالى: «أَكَاَنَّ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ»^(١).

نعم شيء واحد لا نستطيع إدراكه، وإن كنا نعتبره واقعاً حقاً، ونؤمن به إيماناً صادقاً، وهو: كيف يقع هذا الاتصال الروحي؟ هذا شيء يخفى علينا إذا كنا نحاول إدراكه بأحاسيسنا المادية أو نريد التعبير عنه بمقاييسنا اللفظية الكلامية، إنها الفضاظ وضعت لمفاهيم لا تعدو الحس أولاً تكاد. وكل ما باستطاعتنا إنما هو التعبير عنه على نحو التشبيه والاستعارة أو المجاز والكناية لا أكثر، فهو مما يدرك ولا يوصف، فالوحي ظاهرة روحية يدركها من يصلح لها. ولا يستطيع غيره أن يصفها وصفاً بالكنه، ماعدا التعبير عنها بالآثار والعوارض هذا فحسب.

الوحي عند فلاسفة الغرب:

أشرنا فيما سبق أن فلاسفة أوروبا بعد أن عادوا إلى الاعتراف بوجود

شخصية باطنة للإنسان، تسمى بالروح، وعلموا أنها هي التي كوّنت جسمه في الرحم وهي التي تحرك جميع عضلاته وأعضائه التي ليست تحت إرادته كالكبد والقلب والمعدة وغيرها، فهو إنسان بها لهذه الشخصية العادية.. عادوا يعترفون أيضاً بالوحي، الوحي الذي يدّعيه الأنبياء ملء كتبهم النازلة المنسوبة إلى السماء.

ولكن فسروه تفسيراً يختلف عما قرّره علماء الدين الإسلامي - على ماسبق تعريفه بأنه إلقاء من خارج الوجود إما قنفاً في قلب أو قرعاً في سمع..

قالوا: الوحي عبارة عن إلهامات روحية تنبعث من داخل الوجود، أي الروح الواعية هي التي تعطينا تلك الإلهامات الطيبة الفجائية في ظروف حرجية، وهي التي تنفث في روع الأنبياء ما يعتبرونه وحياً من الله، وقد تظهر نفس تلك الروح المتقبعة وراء جسمهم، متجسدة خارجاً فيحسبونها من ملائكة الله هبطت عليهم من السماء، وماهي إلا تجلّي شخصيتهم الباطنة، فتعلّمهم ما لم يكونوا يعلمونه من قبل، وتهديهم إلى خير الطرق لهداية أنفسهم وترقية أمتهم وليس بنزول ملك من السماء ليلقي عليهم كلاماً من عند الله.

هذا ما يراه العلم الأروبي التجريبي الحديث في مسألة الوحي.

ودليلهم على ذلك: أن الله أجلّ وأعلى من أن يقابله بشر أو يتصل به مخلوق، وأن الملائكة مهما قيل في روحانيّتهم وتجردهم عن المادّة فلا يعقل أنهم يقابلون الله أو يستمعون إلى كلامه، لأنّ هذا كلّهُ يقتضي تحيزاً في جانبه تعالى، ويستدعي عدم التنزيه المطلق اللائق بشأنه جلّ شأنه. ولأنّ الملائكة مهما ارتقوا فلا يكونون أعلى من الروح الإنساني التي هي من روح الله نفسه، فثلهم ومثلها سواء.

وهذه النظرية حاولوا حلّ ما عسى أن يصادفوه في بعض الكتب السماوية من أنواع المعارف المناقضة للعلم الصحيح طبيعياً وإلهياً. فهم لا يقولون بأنّ تلك

الكتب قد حرقت عن أصلها الصحيح النازل من عند الله، ولكنهم يقولون بأن الشخصية الباطنة لكل رسول إنما تأتي صاحبها بالمعلومات على قدر درجة تجليها وعبقريتها، وعلى قدر استعداده لقبول آثارها ومن ثم قد تختلط معارفها العالية بمعارف باطلة آتية من قبل شخصيته العادية، فيقع في الوحي خلط كثير بين الغث والسمين، فترى بجانب الأصول العالية التي لم يعرفها البشر إلى ذلك الحين، أصولاً أخرى عاميةً اصطلاح عليها الناس إلى ذلك الزمان^(١).

وبعد: فإذا ما أخضعتهم الحقيقة العلمية، على طريقة تجريبية قاطعة، بأن وجود الإنسان الحقيقي هو شخصيته الثانية القابعة وراء هذا الجسد، وأنه يبقى خالداً بعد فناء الجسد، فما عساهم امتنعوا من الاعتراف بحقيقة الوحي كما هي عند المسلمين؟! لا شك أن ما وصلوا إليه خطوة كبيرة نحو الواقعية، لانزال نقدتها تقديراً علمياً، لكنها بلا موجب توقفت أثناء المسير ودون أن تنتهي إلى الشوط الأخير.

مركز تحقيقات كينوز علوم إسلامي

إن منار العلم وضوء الحقيقة قد هدياهم إلى الدرب اللائح، وكادوا يلمسون الحقيقة مكشوفة بعيان، فوجدوا وراء هذا العالم عالماً آخر مليئاً بالعقول. ووجدوا من واقع الإنسان شخصية أخرى وراء شخصيته الظاهرة: فهاتان مقمتان أذعنوا لهما، وقد أشرفتا بهن على الاستنتاج الصحيح وصاروا منه قاب قوسين أو أدنى، لكنهم بلا موجب توقفوا، وأنكروا حقيقة كانوا على وشك لمسها.

فعلى ضوء هاتين المقمتين، لا مبرر لعدم فهم حقيقة اتصال روحي خفي يتحقق بين ملاً أعلى وجانب روحانية هذا الإنسان. فيتلقى بروحه إفاضات تأتيه من ملكوت السماء وإشراقات نورية تشع على نفسه من عالم وراء هذا

(١) راجع دائرة معارف القرن العشرين: ج ١٠ ص ٧١٥، فيما نقله عن العلامة «ميرس-Myers» من كتابه «الشخصية الإنسانية»: ص ٧٧ فما بعد.

العالم المادي. وليس اتصالاً أو تقارباً مكانياً لكي يستلزم تحيزاً، في جانبه تعالى. وأظنهم قاسوا من أمور ذاك العالم غير المادي بمقاييس تخص العالم المادي مع العلم أن الألفاظ هي التي تكون قاصرة عن أداء الواقع، وأن التعبير بنزول الوحي أو الملك تعبير مجازي، وليس سوى إشراق وإفاضة قدسية ملكوتية يجدها النبي (عليه السلام) حاضرة نفسه، ملقاة عليه من خارج روحه الكريمة. وليست منبعثة من داخل كيانه هو.

هذا هو حقيقة الوحي الذي نعتف به، من غير أن يقتضي تحيزاً في ذاته تعالى.

أما التعليل الذي يعللون به ظاهرة الوحي، فهو في واقعه إنكار للوحي وتكذيب ملتوٍ للأنبياء بصورة عامة، كما هم فسروا معجزة إبراء الأكمه والأبرص بظاهرة الهبنتوزم (المغناطيسية الحيوانية) فجعلوا من المسيح (عليه السلام) إنساناً مشعوذاً. حاشاه! يستغل من عقول البسطاء مجالاً متسعاً لترويج دعوته، بأساليب خداعة ينسبها إلى الباري تعالى...!

ونحن نقدر ساحة الأنبياء من أيّ مراوغة أو احتيال مسلكي، وحاشاهم من ذلك. وما هي إلا واقعية بنوا عليها دعوتهم الإصلاحية العامة، واقعية يعترف بها العلم سواء في مراحل القديمة أو الجديدة الحاضرة. إذن لا مبرر لتأويل ماجاء في كتب الأنبياء من ظاهرة الوحي، اتصالاً حقيقياً بمبدأ أعلى.

نعم: إن ما بقي بأيدي الناس من تراجم كتب منسوبة إلى الأنبياء السالفين، لم تبق سالمة من تطاول أيدي المحرّفين، ومن ثم ففيها من الغث والسمين الشيء الكثير، ونحن نربأ بعلماء محققين أن يجعلوا من موضوع دراستهم لشؤون الأنبياء (عليهم السلام) تلكم التراجم المحرّقة.

أنحاء الوحي الرسالي

قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا» أي إلهاماً وقذفاً في روعه، وهو إلقاء في الباطن، يحس به الموحى إليه كأنها كتب في ضميره صفحة لامعة، أو رؤياً في منام^(١) «أو من وراء حجاب» أي يكلمه تكليماً يسمع صوته ولا يرى شخصه، كما كلم موسى (عليه السلام) بخلق الصوت في الهواء يخرق مسامعه، ويأتيه من كل مكان، وكما كلم نبينا (صلى الله عليه وآله) ليلة المعراج.

والتكليم من وراء حجاب كناية أو تشبيه بمن يتكلم محتجباً، أو المراد بالحجاب الحجاب المعنوي، لبعد الفاصلة بين كمال الواجب ونقص الممكن. «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا»: ملكاً من الملائكة «فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ» إلقاء على السمع أو نقرأ في القلب «إِنَّهُ عَلَيَّ حَكِيمٌ».

«وَكَذَلِكَ» أي على هذه الأنحاء الثلاثة: إلهاماً وتكليماً وإرسال ملك^(٢) «أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا»: هي الشريعة أو القرآن «مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٢).

هذه أنحاء الوحي بوجه عام وبصورة إجمالية. أما بالنسبة إلى نبينا محمد

(٢) الشورى: ٥١-٥٢.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٤٦.

(صلى الله عليه وآله) فكان يأتيه الوحي تارة في المنام، وهذا - أكثرياً - كان في بدء نبوته. وأخرى وحياً مباشراً من جانب الله، بلا توسط ملك. وثالثة مع توسط جبرئيل عليه السلام. غير أن الوحي القرآني كان يخص الأخيرين إما مباشرة أو على يد ملك. وإليك بعض التفصيل:

١- الرؤيا الصادقة:

كان أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة، كان (صلى الله عليه وآله) لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح - وهو كناية عن تشعشع نوراني كان ينكشف لروحه المقدسة، تمهيداً لإفاضة روح القدس عليه صلوات الله عليه وآله - ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه^(١)، الليالي أولات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها^(٢)، حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء: جاءه الملك فقال: «اقرأ...»^(٣).

قال علي بن إبراهيم القمي: «إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه، فيقول: يا رسول الله. ومضت عليه برهة من الزمن وهو على ذلك يكتمه، وإذا هو في بعض الأيام يرعى غنماً لأبي طالب في شعب الجبال إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل أرسلني الله إليك ليأخذك رسلاً...»^(٤).

(١) التحنث: التحنّف، وهو الميل إلى الحنيفيّة، كناية عن التبعّد الذي هو مطهرة للعبد، قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنّف، فيبدلون الفاء من الشاء، كما في جدث وجدف أي القبر. قال: وحديث أبي عبيدة أن العرب تقول: فمّ في موضع ثم، راجع السيرة: ج ١ ص ٢٥١.

(٢) التزود: استصحاب الزاد.

(٣) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣. وصحيح مسلم: ج ١ ص ٩٧. وتاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٨.

(٤) بحار الأنوار ج ١٨ ص ١٨٤ ح ١٤ و ١٩٤ ح ٣٠.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «وأما النبي فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم (عليه السلام) ونحو ما كان رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرائيل (عليه السلام) من عند الله بالرسالة...»^(١).

قوله: «قبل الوحي» أي قبل الوحي الرسالي المأمور بتبليغه. لأن هذا البيان تفسير لمفهوم «النبي» قبل أن يكون رسولاً. وهو إنسان أوحى إليه من غير أن يكون مأموراً بتبليغه. فهو يتصل بالملأ الأعلى اتصالاً روحياً، وينكشف له الملكوت كما حصل لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) قبيل بعثته المباركة. قال صدر الدين الشيرازي: «يعني أنه (صلى الله عليه وآله) اتصفت ذاته المقدسة بصفة النبوة وجاءته الرسالة من عند الله، باطنا وسراً، قبل أن يتصف بصفة الرسالة أو ينزل عليه جبرائيل معانينا محسوساً بالكلام المنزل المسموع. وإنما جاءه جبرائيل معانينا حين جمع له من أسباب النبوة ما جمع للأنبياء الكاملين، كإبراهيم، من الرؤيا الصادقة والإعلامات المتتالية بحقائق العلوم والإيماءات بالمغيبات. والحاصل: أن النبي (صلى الله عليه وآله) استكمل باطنه وسره قبل أن يتعدى صفة الباطن منه إلى الظاهر، فاتصف القلب بصفة القلب محاكياً له، والأول نهاية السفر من الخلق إلى الحق، والثاني نهاية السفر من الحق إلى الخلق»^(٢).

نعم ربّما كانت الرؤيا الصادقة سبيل الوحي إليه (صلى الله عليه وآله) فيلقى إليه العلم أحياناً في المنام، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رؤيا الأنبياء وحي»^(٣). ولكن لم يكن شيء من ذلك قرآناً، إذ لم يعهد نزول قرآن

(١) الكافي: ج ١ ص ١٧٦ ح ٣. وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦٦ ح ٢٧.

(٢) شرح اصول الكافي: (صدر المتألهين): كتاب الحجة ج ٣ ص ٤٥٤.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢١٥ وبحار الأنوار: ج ١١ ص ٦٤ ح ٤.

عليه في المنام. نعم وإن كان بعض رواه أسباباً لنزول القرآن، كما في قوله تعالى: «لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ...»^(١) فقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك، عام الحديبية^(٢) وصدقت عام الفتح^(٣). وكما في قوله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»^(٤) فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر، عن سعيد بن المسيب، قال: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بني أمية على المنابر، فسأه ذلك، فأوحى الله إليه: إنما هي دنيا أعطوها وهي قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...» يعني بلاء للناس^(٥).

هذا... وقد ذكر بعضهم أن سورة الكوثر نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام، لرواية أنس بن مالك، قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أظهرنا إذ أعفَى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: أنزلت عليّ آتفا سورة، فقرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْظَمُكَ الْكَوْثَرَ...» الخ^(٦).

قال الرافعي: إنهم فهموا من ذلك أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة، لكن الأشبه أنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة عليه قبل ذلك، فقرأها عليهم وفسرها لهم. قال: وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي - ويقال لها: برحاء الوحي - وهي سبتة شبه النعاس كانت تعرضه من ثقل الوحي.

قال جلال الدين: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، والتأويل الأخير أصح من الأول لأن قوله «آتفا» يدفع كونها نزلت قبل ذلك، بل نزلت في

(١) الاسراء: ٦٠.

(١) الفتح: ٢٧.

(٥) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٩١ وتفسير الطبري: ج ١٥ ص ٧٧.

(٢) وهي سنة ست من الهجرة.

(٦) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤٠١.

(٣) وهي سنة ثمان.

تلك الحالة، ولم يكن الإغفاء اغفاء نوم بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي^(١) وأنف بمعنى: قبيل هذا الوقت.

أقول لاشك أن سورة الكوثر مكية، وهذا هو المشهور بين المفسرين شهرة تكاد تبلغ التواتر. قالوا: نزلت بمكة عندما عابه المشركون بأنه أبترا لعقب له، أو أنه مبتور من قومه منبوذ.

وهكذا لمآ مات ابنه عبدالله مشيت قريش بعضهم الى بعض متباشرين، فقالوا: إن هذا الصابي قد بتر الليلة.

قال ابن عباس: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من باب الصفا وخرج من باب المروة، فاستقبله العاص بن وائل السهمي، فرجع العاص الى قريش، فقالت له قريش: من استقبلك يا أبا عمرو آنفاً؟ قال ذلك الأبتري يريد به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). فأنزل الله - جل جلاله - سورة الكوثر، تسلية لنفس نبيه الزكية^(٢).

هذا وأنس عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لم يبلغ العشرين، إذ كان عند مقدمه (صلى الله عليه وآله) المدينة طفلاً لم يتجاوز التسع وقيل: ثماني سنوات^(٣)، فكيف نشق بحديث منه يخالف إطباق الأمة على خلافه، وأنها نزلت بمكة في قصة جازت حد التواتر؟!

الأمر الذي يرجح الوجه الأول من اختيار الإمام الرافعي، أو نجعل من رواية أنس حبلها على غاريها!

نعم أخرج مسلم والبيهقي هذه الرواية من وجه آخر، ليس فيه «أنزلت علي». قال أغفى النبي (صلى الله عليه وآله) إغفاءة ثم رفع رأسه فقرأ: «بسم

(١) الإقنان: ج ١ ص ٢٣.

(٢) راجع أسباب النزول للسيوطي بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٤٢. والدر المنثور: ج ٦ ص ٤٠١.

(٣) اسد الغابة: ج ١ ص ١٢٧.

اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَغْظَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...» الخ ثم فسرها بنهر في الجنة. قال البيهقي: وهذا اللفظ أولى، حيث لا يتنافى وما عليه أهل التفاسير والمغازي من نزول سورة الكوثر بمكة (١).

٢- نزول جبرائيل:

كان الملك الذي ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله) بالوحي هو جبرائيل (عليه السلام) فكان يلقيه على مسامعه الشريفة، فتارة يراه، إما في صورته الأصلية- وهذا حصل مرتين- أو في صورة دحية بن خليفة. وأخرى لا يراه، وإنما ينزل بالوحي على قلبه (صلى الله عليه وآله): «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ» (٢).

قال تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ»: جبرائيل. مثال قدرته تعالى «ذُومِرَةً» أي ذو عقلية جبارة «فَأَسْتَوَىٰ»: استقام على صورته الأصلية. وهذا هو المرة الأولى في بدء الوحي «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ»: سد ما بين الشرق والغرب «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ».

فجعل يقترب من النبي (صلى الله عليه وآله) «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ» الله بواسطة جبرائيل «إِلَىٰ عَبْدِهِ» محمد (صلى الله عليه وآله) «مَا أَوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ»: فؤاد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «مَا رَأَىٰ» فكان قلبه (صلى الله عليه وآله) يصدق بصره فيما يرى أنه حق «أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ» مرة ثانية في مرتبة أنزل من الأولى «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ» (٣) فكان الذي يراه حقيقة واقعة، ليس وهماً ولا خيالاً.

وقال: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»: جبرائيل «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ

مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ: محمد (صلى الله عليه وآله) «بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ»: رأى جبرئيل في صورته الأصلية «بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ»^(١) إشارة الى المرة الأولى أيضاً.

قال ابن مسعود: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم ير جبرئيل في صورته إلا مرتين، أحدهما أنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسد الأفق. وأما الثانية فحيث صعد به ليلة المعراج، فذلك قوله «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى»^(٢). والصحيح أن المرتين كانت إحداها في بدء الوحي بحراء. ظهر له جبرئيل في صورته التي خلقه الله عليها، مائلاً أفق السماء من المشرق والمغرب، فتهيبه النبي (صلى الله عليه وآله) تهيباً بالغاً، فنزل عليه جبرئيل في صورة الآدميين فضمّه الى صدره، فكان لا ينزل عليه بعد ذلك إلا في صورة بشر جميل.

والثانية كانت باستدعائه (صلى الله عليه وآله) الذي جاءت به الروايات: كان لا يزال يأتيه جبرئيل في صورة الآدميين. فسأله رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يريه نفسه مرة أخرى على صورته التي خلقه الله، فأراه صورته فسد الأفق. فقله تعالى: «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى» كانت المرة الأولى. وقوله «نَزَلَهُ أُخْرَى» كانت المرة الثانية^(٣).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول^(٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): إن جبرائيل كان إذا أتى النبي (صلى الله عليه وآله) لم يدخل حتى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد^(٥).

(١) التكوين: ١٩-٢٣.

(٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ١٢٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٧٣ و ١٧٥ و ج ١٠ ص ٤٤٦. وتفسير الصافي: ج ٢ ص ٦١٨.

(٤) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣. (٥) كمال الدين: ص ٨٥.

هذا.. وكان جبرئيل -عندما يتمثل لرسول الله (صلى الله عليه وآله)- يبدو في صورة دحية بن خليفة الكلبي. وبتعبير أصح: يبدو في صورة شبيهة بدحية. كما جاء في تعبير ابن شهاب: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشبه دحية الكلبي بجبرائيل، حينما يتصور بصورة بشر^(١).
وذلك لأن دحية كان أجمل إنسان في المدينة، كان إذا قدم البلد خرجت الفتيات ينظرن إليه^(٢).

والسبب في ذلك: أن جبرائيل كان حينما يتمثل بشراً، يتمثل صورة إنسان خلقه الله على الفطرة الأولى، والإنسان في أصل خلقته جميل، فكان يتمثل جبرئيل في أجمل صورة إنسانية. وبما أن دحية كان أجمل إنسان في المدينة، كان الناس يزعمون من جبرئيل -وهو يتمثل بشراً- أنه دحية الكلبي، ومن ثم كان العكس هو الصحيح. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي، وكان دحية رجلاً جميلاً. والظاهر أن الجملة الأخيرة هي من كلام أنس، راوي الحديث^(٣) أي على صورة تشبهها صورة دحية. وكان الصحابة يزعمونه دحية حقيقة، ومن ثم نهاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يدخلوا عليه إذا وجدوا دحية عنده. قال: إذا رأيتم دحية الكلبي عندي فلا تدخلن عليّ أحد^(٤).

وكان جبرئيل قد يتمثل للصحابة أيضاً بصورة دحية، كما في غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة شاهده الصحابة على بغلة بيضاء^(٥).
وشاهده أيضاً عليّ (عليه السلام) دفعات بمحضر النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة: ج ١ ص ٤٧٤.

(٢) الإصابة: ج ١ ص ٤٧٣.

(٣) الإصابة: ج ١ ص ٤٧٣. واسد الغابة: ج ٢ ص ١٣٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٣٢٦ ح ٦٠ عن كتاب التفصيل لابن الأثير.

(٥) سيرة ابن هشام: ج ٣ ص ٢٤٥.

وآله) وتكلم معه، والنبى (صلى الله عليه وآله) راقد^(١).

وأما نزول الملك عليه بالوحي من غير أن يراه فكثير أيضاً، أما إلقاء على مسامعه وهو يصغي إليه، أو إلهاماً في قلبه فيعيه بقوة. قال تعالى: «وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»^(٢).

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) في أوائل نزول الملك عليه بالوحي، يخشى أن يفوته اللفظ ومن ثم كان يحرك لسانه وشفتيه ليستذكره ولا ينساه، فكان يتابع جبرائيل في كل حرف يلقيه عليه، فهناك تعالى عن ذلك ووعده بالحفظ والرعاية من جانبه تعالى قال: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»^(٣) وربما كان (صلى الله عليه وآله) يقرأ على أصحابه فور قراءة جبرئيل عليه، وقبل أن يستكمل الوحي أو تنتهي الآيات النازلة، حرصاً على ضبطه وثبته، فهناك تعالى أيضاً وقال: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً»^(٤) فاطمأنه تعالى بالحفظ والرعاية الكاملة. فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك إذا أتاه جبرئيل، استمع له، فإذا انطلق قرأه كما أقرأه^(٥) قال تعالى: «سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى»^(٦).

وإشارة الى هذا النحو من الوحي الذي هونكت في القلب قال (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفْثٌ فِي رُوعِي»^(٧) وهو سواد القلب، كناية عن السر الباطن، والمقصود: روحه الكريمة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٠ وج ٢٢ ص ٣٣١-٣٣٢ ح ٤٣. ومجمع البيان: ج ٨ ص ٣٥١.

(٢) الشعراء: ١٩٢-١٩٥. (٥) الطبقات: ج ١ ص ١٣٢.

(٣) القيامة: ١٦-١٩. (٦) الأعلى: ٦.

(٤) طه: ١١٤. (٧) الإتيان: ج ١ ص ٤٤.

٣- الوحي المباشر:

ولعل أكثرية الوحي، كان مباشراً لا يتوسطه ملك، على ما جاء في وصف الصحابة حالته (صلى الله عليه وآله) ساعة نزول الوحي عليه، كان ذا وطء شديد على نفسه الكريمة، يجهد من قواه وتعتريه غشوة منهكة، فكان ينگس رأسه ويتربد وجهه ويتصبب عرقاً، وتسطو على الحضور هيبة رهيبة، ينگسون رؤوسهم صموداً، من روعة المنظر الرهيب. قال تعالى: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا»^(١). قال الإمام الصادق (عليه السلام): كان ذلك إذا جاءه الوحي وليس بينه وبين الله ملك، فكانت تصيبه تلك السببة^(٢) ويغشاه ما يغشاه، لشغل الوحي عليه. أمّا إذا أتاه جبرائيل بالوحي فكان يقول: هوذا جبرئيل أو قال لي جبرائيل...^(٣)

قال الشيخ أبو جعفر الصدوق: «إِنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَكُونُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَيَغْمِي عَلَيْهِ وَهُوَ يَنْصَابُ عِرْقًا، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا وَأَمْرَكُمْ بِكَذَا وَنَهَاكُمْ عَنْ كَذَا. قَالَ: وَكَانَ يَزْعُمُ أَكْثَرُ مُخَالَفِينَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ نَزُولِ جِبْرَائِيلَ. فَسُئِلَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ الْغَشِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَأْخُذُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَكَانَتْ عِنْدَ هَبُوطِ جِبْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: لَا إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَعْدَةُ الْعَبْدِ، وَإِنَّمَا ذَاكَ عِنْدَ مُخَاطَبَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِيَّاهُ بِغَيْرِ تَرْجَمَانٍ وَوَاسِطَةٍ»^(٤).

(١) الزمل: ٥.

(٢) هي إغواء تشبه النعسة.

(٣) محاسن البرقي: كتاب العلل ص ٢٣٨ ح ١٢١. وأما الشیخ الطوسی: ص ٣١. وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧١ ح ٣٦.

(٤) کمال الدین: ص ٨٥ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٠ ح ١٢.

وفما يلي أوصاف جرت على ألسنة الصحابة، يذكرون مشهوداتهم عن الحالة التي كانت تعترى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة نزول الوحي عليه:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) سورة المائدة، وهو على بغلته الشهباء، فثقل عليه الوحي حتى وقفت، وتدلى بطنها، حتى رأيت سرّتها تكاد تمس الأرض، وأغمي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي...»^(١).

وقال عبادة بن الصامت: «كان إذا نزل الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله) كرب له وتربّد وجهه»^(٢). وفي رواية: «نكّس رأسه ونكّس أصحابه رؤوسهم فلما سرى عنه رفع رأسه»^(٣).

وقال عكرمة: «كان إذا أوحى إلى رسول (صلى الله عليه وآله) وقد لذلك ساعة كهياة السكران»^(٤).

وقال ابن أروى الدوسي: «رأيت الوحي ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله) وإنه على راحلته فترغو، وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فربما بركت وربما قامت موتدة يديها حتى يسري عنه، من ثقل الوحي. وإنه لينحدّر منه مثل الجمان»^(٥).

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٨٨ ح ٢ والذؤابة: شعر مقدم الرأس.

(٢) الطبقات ج ١ ص ١٣١. «كرب» - بالبناء للمجهول -: أي انقبضت نفسه وتغيّرت حالته. «تربّد» أي تغيّرون وجهه إلى الغبرة.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين: ج ١٠ ص ٧١٢.

(٤) الطبقات: ج ١ ص ١٣١. «وقد» - بالبناء للمجهول -: أي غشي عليه. والموقوذ: من غلبه النعاس فصار كهياة السكران.

(٥) الطبقات: ج ١ ص ١٣١. «ترغو» أي تضج وتكابد من شدة الثقل. «تفتل يديها» أي تباعد بينها. «ينقصم» أي ينكسر. «قامت موتدة» أي وقفت جامدة لا حراك لها، وثبتت قوائمها كالسمار المثبت في الأرض. «التحدّر»: الانصباب السريع، «الجمان»: اللؤلؤ. والواحدة: جملة. شبه بذلك

وقالت عائشة: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً»^(١). وقالت أيضاً: «إنه كان ليوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو على راحلته فيضرب بجرانها»^(٢).

وقال ابن عباس: «كان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا نزل عليه الوحي، يعالج من ذلك شدة، وألماً شديداً وثقلاً، ويتصدع رأسه»^(٣).

وقال ابن شهر آشوب: وروي أنه كان إذا نزل عليه الوحي، نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم. ومنه يقال: برحاء الوحي^(٤).

وروى ابن قيم: «أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءه الوحي مرة، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها»^(٥).

وروى صاحب المنتقى، قال: وفي الحديث المقبول أنه (صلى الله عليه وآله) أوحى إليه وهو على ناقته فبركت ووضع جرانها بالأرض فما تستطيع أن تتحرك. وأن عثمان كان يكتب للنبي (صلى الله عليه وآله) وفخذه على فخذ عثمان فغشيه الوحي، فثقلت فخذته على فخذ عثمان حتى قال: خشيت أن ترضها^(٦).

قطرات عرق جبينه الطيب.

(١) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣. «التفصد»: قطع العرق الذي ينصب منه الدم بتدفق، استعارة لكثرة انصباب عرقه الطيب حين نزول الوحي.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٧٨. وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦٤ ح ٢٠. «الجران» من البعير مقدم عنقه. يقال: ألقي البعير جرانه أي برك.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦١ ح ١٣ عن المناقب ج ١ ص ٤١.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦١ ح ١٣ عن المناقب: ج ١ ص ٣١. والبرحاء: شفة الكرب والألم.

(٥) زاد المعاد: ج ١ ص ١٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦٣-٢٦٤ ح ٢٠. وعثمان هذا هو ابن مظعون، كما جاء التصريح به في

رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في كتاب سعد السعود: ص ١٢٢. وبحار الأنوار: ج ١٨

ص ٢٦٨ و٢٦٩ ح ٣٢.

وأخيراً فقد وصف هو (صلى الله عليه وآله) نزول الوحي عليه بما يدهش:
سأله عبدالله بن عمر: هل تحسّ بالوحي؟ فقال: أسمع صلاصل، ثم
أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلّا ظننت أنّ نفسي تُقبض! (١).
وسأله الحارث بن هشام، قال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) كيف
يأتيك الوحي؟ فقال (صلى الله عليه وآله): «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس،
وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال (٢). وأحياناً يتمثل لي
الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول (٣) وهو أهونه عليّ» (٤).
وتذيلاً على هذه الرواية- وهي متواترة الى حد ما- يجب أن ننبه القارئ
على نقاط هامة:

أولاً: صلصلة الجرس في هذه الرواية، كناية عن صوت متعاقب كصوت
الناقوس المصلصل المجلجل، كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع صوتاً
متداركاً كجلجلة الناقوس، هو صوت الوحي المباشر، فكان (صلى الله عليه
وآله) ينصت له بكلّ وجوده حتى يتلقاه كاملاً، وكان ذا وقع شديد على نفسه
الكرمة. وهذا التعبير «صلصلة الجرس» يشي بشدة الوقع، حيث تتابع الصوت
المتدارك يؤثر على حاسة السمع تأثيراً نافذاً في الأعماق، فكانها يأخذ بلب
القلب، أخذاً متواصلاً قوياً ومن ثم قال (صلى الله عليه وآله): ظننت أنّ نفسي
تقبض.

والظاهر أنّ هذه الصلصلة كانت تمهيداً لنزول الوحي عليه (صلى الله عليه

(١) الإتيان: ج ١ ص ٤٤. عن مسند أحمد بن حنبل.

(٢) سنشرح هذا الكلام فيما ننبه عليه تالياً.

(٣) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣. والطبقات: ج ١ ص ١٣٢. وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦٠.
والصلصلة: صوت تذاك الحديد بعضه مع بعض.

(٤) هذه الزيادة جاءت في رواية أبي عوانة في صحيحه. راجع فتح الباري ج ١ ص ٣٠. والإتيان: ج ١
ص ٤٤.

وآله وسلم) كي يستعد لذلك الا اتصال الروحي الشديد. ومن ثم قال: ثم أسكت عند ذلك، أي أنصت حيث الإشعار بنزول الوحي.

نعم كان للوحي ذاته دوي شديد بالغ الشدة، لم يكن يتحمّله أهل السماوات العلى.

قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» (١): «كان أهل السماوات لم يسمعوا وحيًا في الفترة بين المسيح (عليه السلام) وبعثة محمد (صلى الله عليه وآله) فلما بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا، فصعقوا أجمعين. فلما فرغ الله من الوحي، انحدر جبرئيل، كلما مرّ بأهل سماء فزع عن قلوبهم، أي كشف عنهم تلك الغشية. فجعل بعضهم يقول لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق، وهو العليُّ الكبير» (٢).

وفي حديث ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان - الحجر الأملس - فيفزعون» (٣).

وقال ابن عباس: «كان إذا نزل الوحي كان صوته كوقع الحديد على الصفوان، فيصعق أهل السماء حتى إذا فزع عن قلوبهم - أي رفع عنهم الفزع - قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قالت الرسل (عليهم السلام): الحق» (٤).

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «إذا أراد الله أن يوحى بأمر، تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صُعِقُوا وَخَرُوا سَجْدًا...» (٥).

وبعد.. فلا نكاد نستغرب من غشية تعتري رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) سبأ: ٢٣. (٣) الإنشقاق: ج ١ ص ٤٤. (٥) الدر المنثور: ج ٥ ص ٢٣٦.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٥٣٩. (٤) الدر المنثور: ج ٥ ص ٢٣٥.

ساعة نزول الوحي عليه إذا كان أهل السماوات لا تتحمل وقع صوته المدهش.

ثانياً: هذا النمط من الوحي الشديد الوقع على نفسه الكريمة، كان يخص الوحي المباشر، كما تقدم حديثه. كما أن الرواية ذاتها تشي بهذا التفصيل، حيث جعلت من النوع الأول مثل صلصلة الجرس، فكان صوت الوحي النازل عليه مباشرة. ومن ثم قال (صلى الله عليه وآله): وكان أشده عليّ، وجعلت من النوع الثاني ما يكلمه الملك مشافهة فيعي ما يوحى إليه في حينه، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حينئذ في حالته العادية.

وزعم جلال الدين: أن النوعين اللذين أشارت إليهما الرواية: أحدهما ما كان الملك النازل بالوحي مخفياً، والآخر ما كان متمثلاً^(١) وهذا مخالف لما يفهم من الرواية ذاتها، كما نبّه بذلك شيخنا الصدوق^(٢). ومرّ في حديث الإمام الصادق (عليه السلام)^(٣).

ثالثاً: إنّ الجذبة الروحية القويّة في الصورة الأولى ربّما كانت توهم انفلات شيء من الوحي، حينما يفقد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعيه الظاهر. لكنه (صلى الله عليه وآله) تدارك هذا الوهم بأنّه كان بعدما يتقشّع غشوته يجد كلّ ما أوحى إليه حاضرة ذهنه الشريف، كأنّها كتب في كتاب، ولم ينفلت منه شيء. وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وآله): «فيفصم عني وقد وعيت».

والسبب في ذلك: أنّ الوحي في صورة المباشرة كان يخالط لبه، ويتسرّب الى أعماق وجوده (صلى الله عليه وآله) بما انفذه الله في قلبه الكريم «سَنُقْرِئُكَ

(١) الإتقان: ج ١ ص ٤٤.

(٢) كمال الدين: ص ٨٥ وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٦٠ ح ١٢.

(٣) محاسن البرقي: كتاب العلل ص ٣٣٨ ح ١٢١ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧١ ح ٣٦.

فَلَا تَنْسَى^(١).

وبهذا يتضح معنى الحديث الذي رواه ابن أبي سلمة عن عمه، أنه بلغه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: «كان الوحي يأتيني على نحوين، يأتيني جبرئيل فيلقيه عليّ، كما يلقي الرجل على الرجل^(٢)، فذلك الذي يتفَلَّت مني. ويأتيني في شيء^(٣) مثل صوت الجرس، حتى يخالط قلبي، فذاك الذي لا يتفَلَّت مني^(٤)».

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): فذلك الذي يتفَلَّت مني، أي الذي كان يكاد يتفَلَّت منه، لأنه كان سماعاً مباشراً من ملك الوحي، ومرعان ما ينسى الإنسان ما يسمعه من غيره إذا لم يعه وعياً. فهذا النمط من الوحي كان بمعرض النسيان وخوف التفَلَّت. كما هو شأن السماع المجرد إذا لم يتقيد بالكتابة في وقته. لأنه كان يتفَلَّت منه بالفعل. أما في صورة الوحي المباشر فحيث كان يخالط لبه وينفذ في أعماق قلبه الكريم، فلم يكن يخشى عليه التفَلَّت أصلاً. هذا وقد وقع بعض الباحثين، في خلط من هذا الحديث^(٥) ورفضه آخرون. لكن المعنى على ما ذكرنا صحيح، توافقه سائر الأحاديث.

تجربة روحية:

رأينا من المناسب أن نأتي هنا بذكر شاهد واحد من مئات الشواهد، والتي مرّت الإشارة إليها على صحّة وجود النفس، وأنّ للإنسان روحاً مستقلة عن الجسم، وهي لا تنحلّ بانحلاله، ويمكنها الاتصال بعالم ما وراء المادّة... وهي

(١) الأعلى: ٦.

(٢) أي كما يلقي الرجل بكلامه على صاحبه. وهذا هو الصورة الثانية مما تقدّم.

(٣) أي الوحي ذاته يأتيني بلا توسط ملك. وهي الصورة الأولى ممّا تقدّم.

(٤) الطبقات: ج ١ ص ١٣١.

(٥) فتح الباري: ج ١ ص ١٨.

طريقة التنويم الصناعي أو التنويم المغناطيسي . وهذه التجربة حضرها الأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني سنة ١٣٥١ هجرية بالقاهرة مع حشد مثقف، وشهد تفاصيلها بنفسه برآى الملاء ومسمع . وهذه التجربة أثبتت كيف يمكن التأثير على ذهنية الوسيط وتغيير عقيدته بفعل المنوم، فيوحي إليه وهو في حالة الإغماء، ويأمره بالاحتفاظ به الى مدة كذا، ثم يوقظه وإذا بالذي أُوحي إليه حاضر ذهنه الى تمام المدة:

قام المحاضر - وهو أستاذ في التنويم المغناطيسي - وأحضر الوسيط، وهوفتي فيه استعداد خاص للتأثر بالأستاذ، والأستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط، فالأول ضعيف النفس، والثاني قويها . نظر الأستاذ في عين الوسيط نظرات عميقة نافذة، وأجرى عليه حركات يسمونها سحبات، فهاهي إلا لحظة حتى رأينا الوسيط يغط غطيظ النائم، وقد امتقع لونه، وهد جسمه، وفقد إحساسه المعتاد، حتى لقد كان أحدا يحزه بالأبرة وخزات عدة، ويخزه كذلك ثان وثالث، فلا يبدي الوسيط حراكاً، ولا يظهر أي عرض لشعوره وإحساسه بها . وحينئذ تأكدنا أنه قد نام ذلك النوم الصناعي .

وهنا لك تسلط الأستاذ على الوسيط يسأله: ما اسمك؟ فاجابه باسمه الحقيقي، فقال الأستاذ: ليس هذا هو اسمك، إنما اسمك كذا (وافترى عليه اسماً آخر) ثم أخذ يقرر في نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب، ويحو منه أثر الاسم القديم الصادق، بواسطة أغاليظ يلقيها إياه في صورة الأدلة، وبكلام يوجهه إليه في صيغة الأمر والنهي، وهكذا أملى عليه هذه الأكلوبة املاء وفرضها عليه فرضاً، حتى خضع لها الوسيط وأذعن .

ثم أخذ الأستاذ وأخذنا نناديه باسمه الحقيقي المرة بعد الأخرى في فترات متقطعة، وفي أثناء الحديث على حين غفلة، كل ذلك وهو لا يجيب، ثم نناديه كذلك باسمه المصنوع فيجيب دون تردد ولا تلثم .

ثم أمر الأستاذ وسيطه أن يتذكر دائماً أن هذا الاسم الجديد هو اسمه

الصحيح حتى الى ما بعد نصف ساعة من صحوه ويقظته. ثم أيقظه وأخذ يتم محاضراته ونحن نفجأ الوسيط بالاسم الحقيقي فلا يجيب، ثم نفجؤه باسمه الثاني فيجيب، حتى إذا مضى نصف الساعة المضروب عاد الوسيط الى حاله الأولى من العلم باسمه الحقيقي...

قال الأستاذ الزرقاني: وهذه التجربة ثبت لي ما قرب الى الوحي فهماً عملياً، فالوحي اتصال روحي يتأثر الموحى إليه بما يلقي إليه الموحى في حالة يتسلخ من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حالته العادية، ويظهر أثر التغير عليه، ويستغرق في الأخذ والتلقي، وينطبع ما تلقاه في نفسه، حتى إذا انجلي عنه الوحي وعاد الى حالته الأولى، وجد ما تلقاه ماثلاً في نفسه، حاضراً في قلبه، كأنها كتب في صحيفة فؤاده كتاباً.

ثم يقول: انظروا أن المخلوق يستطيع التأثير في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير الغريب، ولا يستطيع مالك القوى والقدر أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي؟ كلا ثم كلا، إنه على كل شيء قدير^(١).

أقول ونحن اذ لانسلم بجميع التفاصيل التي جاءت بها طريقة التنويم المغناطيسي، ولا نصدق بجميع مظاهرها بصورة مطلقة، إذ لا تخلو أحياناً عن الشعوذة لكننا نعترف بصحتها وإمكانها في الجملة، ومن ثم فباستطاعة هذه الطريقة العلمية الحديثة المعترف بها إجمالياً، إثبات ظاهرة الوحي - ولو إجمالياً - وفي هذا كفاية على نحو الإيجاب الجزئي.

موقف النبي من الوحي:

هنا موضوعان لهما أهمية كبيرة بشأن رسالة الأنبياء وصدق دعوتهم الى الله، لا بد من معالجتهما بصورة علمية مقبولة. وقد تكلم فيها عامة أهل السنة بطريقة

(١) مناهل العرفان: ج ١ ص ٦٠.

غير مألوفة، وربّما لا يستسيغها العقل الفطري في شيء. أمّا علماؤنا الإمامية فتكلّموا فيها بطريقة عقلية على أساس الاستدلال البرهاني مدعماً بالنقل المأثور عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام):

الأول: كيف عرف النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه مبعوث؟ ولم لم يشك في أنّ الذي أتاه شيطان، واطمأن أنّه جبرائيل؟

الثاني: هل يجوز على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يخطأ فيما يوحى إليه، فيلبس عليه تخیلات باطلة في نفسه لتبدوله بصورة وحي، أو يلقي عليه ابليس ما يظنه وحيّاً من الله؟

والأكثر في الموضوع الأول جعلوا من النبي (صلى الله عليه وآله) مرتاعاً في أول أمره، خائفاً على نفسه من مسّ جنون، عائداً الى أحضنان زوجه الوفاة، لتستجد هي بدورها الى ابن عمّها ورقة بن نوفل، فيطمئنه هذا بأنّه نبيّ ويؤكد عليه ذلك حتى يطمئن ويستريح بالله.

أمّا الموضوع الثاني فقد أجازوا لإبليس أن يتلاعب بوحي السماء فيلقي على النبي ما يظنه وحيّاً. كما في حديث الغرائيق- لولا أن يتداركه جبرائيل فيذهب بكيد الشيطان.

وقد ذهب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في كلا الموضوعين مذهباً نزهياً، وجعلوا من النبي (صلى الله عليه وآله) أكرم على الله من أن يتركه الى إنسان غيره ولا ينير عليه الدلائل الواضحة على نبوّته الكريمة في تلك الساعة الحرجة. كما لا يدع للشيطان أن يستحود على مشاعر نبيّه الكريم: «وَاضْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ»^(١).

هذا.. ويجدر بنا ونحن نحاول تنزيه جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممّا ألصقوه بكرامته، أن نتكلّم في كلا المجالين بصورة مستوفاة، كلّاً على حدة.

النبوة مقرونة بدلائل نيرة:

يجب على الله - وجوباً منبعثاً من مقام لطفه ورأفته بعباده - أن يقرن تنبيهه إنساناً بدلائل نيرة لا تدع لمسارب الشك مجالاً في نفسه، كما أرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، ليكون من الموقنين^(١). وكما «نودي يا موسى - إني أنا ربك»^(٢) «يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم»^(٣) «يا موسى لا تخف إني لا أخاف لذي المرسلون»^(٤).

هذا هو مقتضى قاعدة اللطف، وقد بحث عنها علماء الكلام^(٥)، وتتلخص في تمهيد سبيل الطاعة. فواجب عليه تعالى أن يمهد لعباده جميع ما يقرهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية. وهذا الوجوب منبعث من مقام حكمته تعالى إذا كان يريد من عباده الانقياد، وإلا كان نقضاً لغرضه من التكليف. ومن ثم وجب عليه تعالى أن يبعث الأنبياء وينزل الشرائع ويجعل في الأمم ما ينير لهم درب الحياة، أما إلى سعادة فباختيارهم. أو إلى شقاء فباختيارهم أيضاً^(٦).

وطبقاً لهذه القاعدة لا يدع - تعالى - مجالاً لتدليس أهل الزيغ والباطل، إلا ويفضحهم من فورهم «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»^(٧) فالحق دائماً يعلو ولا يعلو عليه، والحق والباطل كلاهما، على وضع الجلاء، لا يكدر وجه الحق غبار الباطل أبداً، «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»^(٨). «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) مقتبس من الآية: ٧٥ من سورة الانعام.

(٢) طه: ١١-١٢.

(٣) النمل: ٩-١٠.

(٥) علم منشعب عن الفلسفة الحكيمية، يبحث عن أحوال المبدأ والمعاد في ضوء العقل وارشاد الشريعة.

(٦) راجع شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي: ص ١٨١.

(٧) الحاقة: ٤٤-٤٦.

(٨) الأنبياء: ١٨.

في الحياة الدنيا»^(١). وهذا إنما هو نصر واعتلاء مبدئي، فالحق دائماً ظاهر منصور، وأن رسالة الأنبياء دائماً تكون هي الغالبة الظافرة، «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ»^(٢). نعم «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً»^(٣).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أبى الله أن يعرف باطلا حقاً. أبى الله أن يجعل الحق في قلب المؤمن باطلا لاشك فيه. وأبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقاً لاشك فيه. ولولم يجعل هذا هكذا ما عُرف حق من باطل».

وقال: «ليس من باطل يقوم بازاء الحق، إلا غلب الحق الباطل. وذلك قوله تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»^(٤).

هذا.. وقد سأل زرارة بن أعين، الإمام أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن نفس الموضوع قال: قلت لأبي عبد الله: كيف لم يخف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون متبرئاً به الشيطان؟ فقال (عليه السلام): «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار. أي الطمأنينة والاتزان الفكري. فكان الذي يأتيه من قبل الله، مثل الذي يراه بعينه»^(٥) أي يجعله في وضع الحق، لا غبار عليه أبداً، فيرى الواقع ناصعاً جلياً لا يشك ولا يضطرب في رأيه ولا في عقله. وقد أوضح الإمام (عليه السلام) ذلك في حديث آخر، سئل (عليه السلام): كيف علمت الرسل أنها رسل؟ قال: «كشف عنهم الغطاء»...^(٦).

قال العلامة الطبرسي: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُوحِي إِلَى رَسُولِهِ إِلَّا بِالْبَرَاهِينِ النُّورِ

(١) غافر: ٥١. (٢) الصافات: ١٧١-١٧٣. (٣) النساء: ٧٦.

(٤) محاسن البرقي: كتاب مصابيح الظلم، ح ٣٩٤ و ٣٩٥، ص ٢٢٢.

(٥) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٠١ ح ١٠٦ و بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٢ ح ١٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٥٦ ح ٥٦.

والآيات البيّنة، الدالة على أنّ ما يوحى إليه إنّما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفزع ولا يفزع ولا يفرق»^(١).

وقال القاضي عياض: «لا يصحّ - أي في حكمته تعالى، وهو إشارة إلى قاعدة اللطف - أن يتصور له الشيطان في صورة الملك، ويلبس عليه الأمر، لا في أول الرسالة ولا بعدها. والاعتماد - أي اطمئنان النبي - في ذلك دليل المعجزة. بل لا يشكّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ ما يأتيه من الله هو الملك ورسوله الحقيقي إمّا بعلم ضروريّ يخلقه الله له، أو ببرهان جليّ يظهره الله لديه. لتتمّ كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمات الله»^(٢).

إذن فلا بدّ أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين انبعائه نبياً على علم يقين، بل عين يقين من أمره، لا يشكّ ولا يضطرب، مستيقناً مطمئناً بالله مرعياً بعناية الله تعالى ولطفه الخاص، منصوراً مؤيداً، ولا سيما في بدء البعثة فيأتيه الناموس الأكبر وهو الحق الصراح معانياً مشهوداً، وهي موقعية حاسمة لا ينبغي لنبيّ أن يتزلزل فيها أو يتروّع في موقفه ذلك الحرج العصيب: «إني لا يخاف لذي المرسلون».

وأيضاً فإنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لم يختره الله لنبوته، إلّا بعد أن أكمل عقله وآدبه فأحسن تأديبه. وعرفه من أسرار ملكوت السماوات والأرض ما يستأهله للقيام بمهمة السفارة وتبليغ رسالة الله إلى العالمين. كما فعل إبراهيم الخليل (عليه السلام) قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق الكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره...»^(٣) وقال الإمام

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٨٤.

(٢) رسالة الشفا: ص ١١٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة: ١٩٢ ص ٣٠٠ صبحي الصالح.

العسكري (عليه السلام): «إنَّ الله وجد قلب محمد (صلى الله عليه وآله) أفضل القلوب وأوعاها فاختره لنبوته...»^(١). كما قال -ص-: «ولا بعث الله نبياً ولا رسولا حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع «عقول أمته...»^(٢).

قال العلامة المجلسي: «منذ أن أكمل الله عقله، لم يزل مؤيداً بروح القدس يكلمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة، حتى بعثه الله نبياً رسولاً»^(٣).

والدلائل على أنه (صلى الله عليه وآله) منذ بدايته كان مورد لطفه تعالى وعنايته الخاصة كثيرة، وقد عرف قومه فيه النبوغ والجدارة الذاتية، ولمسوا فيه الصدق والأمانة والذكاء والفطنة، فوجدوه مزيجاً من الاستقامة وحصافة العقل، حتى حُبب إلى الناس جميعاً ولقبوه بالصادق الأمين، أميناً في رأيه، وأميناً في سلوكه.

وكان قبيل بعثته تظهر له علامات النبوة، فقد ظهرت آياتها قبل ثلاث سنوات من بعثته وهو في سن السابع والثلاثين -كما في رواية علي بن ابراهيم القمي^(٤)- فكان يرى الرؤيا الصادقة، وكان يختلي بنفسه في غار حراء، متفكراً في أسرار الملكوت، متعمقاً في ذات الله متطلعاً سر الخليفة، حتى فجأه الحق وقد بلغ سن الأربعين. فقد كان ممهداً نفسه لذلك، عارفاً بسمات أمر قد أشرفت طلائعه منذ حين.

وهكذا إنسان لا يفرع ولا يفرق ولا يظن بنفسه الجنة أو عارضه سوء، ليلتجأ إلى امرأة لا عهد لها بأسرار النبوات أو رجل^(٥) كان حظه من العلم أن قرأ كتباً محرقة وآثاراً بائدة، لم يثبت آنذاك أنه لمس حقائق ومعارف من الملك والملكوت كانت موجودة فيها لحدّ ذاك، غير ممسوخة عن فطرتها الأولى.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ١٢-١٣.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٥-٢٠٦ ح ٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٤ ح ١٤ وص ١٩٤ ح ٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٧٧.

(٥) هو: ورقة بن نوفل ابن عم خديجة.

على أن النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) كان أشرف الأنبياء وأفضل المرسلين وخاتم سفراء رب العالمين، فكان أكرم عليه تعالى من أن يتركه ونفسه يتلوى في أحضان القلق والاضطراب، خائفاً على نفسه مسّ جنون أو الاستحواذ على عقله الكريم- على ما جاءت في روايات آتية لاقيمة لها عندنا..

إذن فقد كان موقف النبي (صلى الله عليه وآله) تجاه نزول الحق عليه- في بدء البعثة- موقف إنسان واع بجليّ الأمر، عارف بحقيقة الحق النازل عليه، في اطمئنان بالغ وسكون نفس وانشرح صدر، لم يتردد ولم يشك ولم يضطرب، كما لم يفزع ولم يفرق. وسند ذكر قصة بدء البعثة على ما جاءت في روايات أهل البيت (عليهم السلام) وهي تشرح جوانب من موقف النبي (صلى الله عليه وآله) آنذاك ملؤها عظمة وإكبار وأبهة وجلال.



قصة ورقة بن نوفل:

تلك كانت قصة البعثة، وفق ما جاءت في أحاديث أهل البيت، وهم أدري بما في البيت، وإليك الآن حديثاً آخر عن بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على ما جاءت في روايات غيرهم:

روى البخاري ومسلم وابن هشام والطبري وأضرابهم: «بينما كان النبي (صلى الله عليه وآله) مختلياً بنفسه في غار حراء إذ سمع هاتفاً يدعوه، فأخذه الروح ورفع رأسه وإذا صورة رهيبة هي التي تناديه، فزاد به الفزع وأوقفه الرعب مكانه، وجعل يصرف وجهه عما يرى، فإذا هو يراه في آفاق السماء جميعاً ويتقدم ويتأخر فلا تنصرف الصورة من كل وجه يتجه إليه. وأقام على ذلك زمناً، ذاهلاً عن نفسه، وكاد أن يطرح بنفسه من حلق من جبل، من شدة ما ألم به من روعة المنظر الرهيب. وكانت خديجة قد بعثت أثناءه من يلتمس النبي (صلى الله عليه وآله) في الغار فلا يجده، حتى إذا انصرفت الصورة، عاد هو راجعاً، وقلبه مضطرب ممتلباً رعباً وهلعاً، حتى دخل على خديجة وهو يرتعد فرقاً

كأن به الحمى، فنظر الى زوجه نظرة العائد المستنجد، قائلاً: يا خديجة: مالي؟! وحديثها بما رأى، وأفضى إليها بمخاوفه أن تخدعه بصيرته. قال: لقد اشفقت على نفسي، وما أراني إلا قد عرض لي^(١) وقال: إنَّ الأبعد- يعني نفسه الكريمة- لكاهن أو مجنون!

فرنت إليه زوجه الوفية بنظرة الإشفاق، وقالت: كلاً يا ابن عم، ابشر واثبت، والله لا يخزيك أبداً. فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، إنَّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتعين على النوائب، وما أوتيت بفاحشة قط. وهكذا طمأنته بحديثها المرفف.

ثم قامت بتجربة ناجحة: قالت: يا ابن عم، أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فاخبرني به. فجاءه الملك كما كان يأتيه. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا خديجة، هذا هو قد جاءني. فقالت: نعم، فقم يا ابن عم واجلس على فخذي اليسرى. فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّل واقعد على فخذي اليمنى، فتحوّل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت فتحوّل واجلس في حجري، فتحوّل وجلس في حجرها، ثم تحسّرت^(٢) وألقت خمارها، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس في حجرها. فقالت: هل تراه يا ابن عم؟ قال: لا. فقالت: يا ابن عم، ابشروا ثبت، فوالله إنّه لملك وما هو بشيطان.

ثم توكيداً لما استنتجته من تجربتها، انطلقت الى ابن عمّها ورقة بن نوفل وكان متنصراً قارئاً للكتب، فقصّت عليه خبر ابن عمّها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ورقة: قدّوس قدّوس لئن كنت صدقتني يا خديجة، فقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى. فقلولي له: فليثبت. وأنه لنبي هذه

(٢) أي كشفت عن نفسها.

(١) قال ابن الأثير: أي أصابني مس من الجن.

الأمّة. ولوددت أن أدرك أيتامه فأؤمن به وأنصره. فعادت خديجة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبرته بما قال، فعند ذلك اطمأنّ بالله، وذهبت روعته، وأيقن أنه نبيّ (١).

قلت: لاشك أن قصة ارتباع النبي (صلى الله عليه وآله) بتلك الصورة الفظيعة، اسطورة خرافة حاكتها عقول ساذجة، جاهلة بمقام أنبياء الله الكرام. ومن ثم فهي إزرار بشأنهم الرفيع، وحط من منزلتهم الشائخة، إن لم تكن ضعيفة بأقوى دعامة رسالة الله!

أولاً: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أكرم على الله من أن يروّعه في ساعة حرجة هي نقطة حاسمة في حياة رسوله الكريم، هي نقطة تحوّل عظيم، من إنسان كامل كان مسؤول نفسه، الى إنسان رسول هو مسؤول أمّة بأجمعها، كان قبل أن يصل الى موقفه هذا العصيب، يسير قدماً الى قمة الاكتمال الإنساني الأعلى، في سفره خطرة كان مبدؤها الخلق ومنتهاها الحق تعالى. فكان يسير من الخلق الى الحق. والآن وقد وصل القمة، فعاد من الحق، حاملاً للحق، الى الخلق (٢).

فساعة البعثة هي الفترة الحاسمة، وهي الحلقة الواصلة بين السفرتين الذاهبة والراجعة، وهي موقف حرج، حاشا لله أن يترك حبيبه يكابد الأمرين حينما بلغ قمة اللقاء والآن يريد أن يخساره رسولاً الى الناس، فيتركه يتلوّى في هواجس خطيرة، ويروّعه بتلك الصورة الفظيعة التي تكاد تذهب بنفسه الكريمة أو تستحوذ على عقله روعة المنظر الرهيب!!

(١) راجع سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٥٢-٢٥٥. وصحيح البخاري: ج ١ ص ٣-٤. وصحيح مسلم: ج ١ ص ٩٧-٩٩. وتاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٨-٣٠٣. وتفسير الطبري: ج ٣ ص ١٦١. وحياة محمد (محمد حسين هيكل): ص ٩٥-٩٦.

(٢) على ما جاء في تعبير الفيلسوف الإلهي، الحكيم صدرالدين الشيرازي تقدّم كلامه في ص ٥٧.

أليس محمد (صلى الله عليه وآله) أكرم على الله من إبراهيم الخليل وموسى الكليم وغيرهما من أنبياء عظام، لم يتركهم في ساعة العسرة، ليلتجأوا إلى إنسان غيره، حاشاه من رب رؤوف رحيم!!

ثانياً: إنا لنربأ بعلماء- هم أهل تحقيق وتمحيص- أن يفضلوا عقلية امرأة لاشأن لها وأسرار النبوات، على عقلية إنسان كامل كان قد بلغ القمة التي استأهلته لحمل رسالة الله. ثم تقوم هي بتجربة حاسمة يجهلها رسول رب العالمين. ليطمئن إلى قولتها. أو قوله رجل كان شأنه أن كان قارئاً للكتب، وليس لذلك العهد كتب فيها حقائق ومعارف غير محرفة قطعياً. ولم نعرف ما الذي وجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قولتها فكان منشأ اطمئنانه، لم يجده في الحق النازل عليه من عند الله العزيز الحكيم!؟

ألم تكن الرؤيا الصادقة التي سبقت البعثة، ولم يكن تسليم الملك النازل عليه حينها: السلام عليك يا رسول الله. وتسليم الشجر والحجر كلمها مرّهما في طريقه راجعاً إلى بيت خديجة. ولم يكن عرفانه الذاتي الذي كان يتعمقه مدة اختلاؤه بحراء. كلّ ذلك لم يستوجب استيقانه بالأمر، ليستيقن من طمأننة امرأة أو رجل متنصر!! إن هذا إلا إزراء فظيع بمقام رسالة الله، إن لم يكن مساً شنيعاً بكرامة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنيعة.

ثالثاً: اختلاف سرد القصة، بما لا يلتئم مع بعضها البعض، لدليل على كذبها رأساً. ففي رواية: انطلقت خديجة لوحدها إلى ورقة، فأخبرته بما جرى. وفي أخرى: انطلقت بي إلى ورقة وقالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى. وفي ثالثة: لقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة.

ولئن أدركت ذلك لأنصرت الله نصرأ يعلمه. وفي رابعة: عن ابن عباس عن

ورقة بن نوفل. قال: قلت: يا محمد أخبرني عن هذا الذي يأتيك، يعني جبرائيل (عليه السلام) فقال: يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قلبيه أخضر^(١). وهذا ليس في روايات خديجة مع ورقة. على ما جاءت في الصحاح المتقنة. وفي خامسة: أن أبا بكر دخل على خديجة، فقالت: انطلق بمحمد إلى ورقة، فانطلقا فقضا عليه...^(٢).

ثم لوصحت القصة، فلماذا لم يؤمن به ورقة، حين ذاك وقد علم أنه نبي مبعوث؟!!

فقد صح أنه مات كافراً لم يؤمن به. وقضية رؤيا النبي (صلى الله عليه وآله): كان ورقة في ثياب بيض. أيضاً مكنوبة وسندها مقطوع. وإلا لسجل اسمه فيمن آمن به. قال ابن عساكر: لا أعرف أحداً قال أنه أسلم^(٣) هذا وقد عاش ورقة إلى زمن بعد البعثة، فقد روي أنه مرتبلاً وهو يعذب^(٤) قال ابن حجر: وهذا يدل على أنه عاش حتى ظهرت دعوته (صلى الله عليه وآله) ودعا بلالاً فأسلم. إذن فلم يبق على كفره ولم يسلم كما أسلم الآخرون؟ ولم لم ينصره كما نصره آخرون؟ وقد خالف عهده كما جاء في الأسطورة.

الوحي لا يجتمل التباساً:

هذا هو الموضوع الثاني - فيما أشرنا سابقاً - النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يخطأ فيما يوحى إليه، ولا يلتبس عليه الأمر قط. النبي كان عندما يوحى إليه، يكشف عن عينه الغطاء، فيرى الواقعية فيما يتصل بجانب روحه الملكوتي، منقطعاً عن صوارف المادة، إنه (صلى الله عليه وآله) حينذاك يلمس تجليات وإشراقات نورية تغشاها من عالم الملكوت، لينصرف بكليته إلى لقاء روح الله

(١) اسد الغابة: ج ٥ ص ٨٨ والرواية ضعيفة بروح بن مسافر. ولم يدرك ابن عباس ورقة.

(٢) الإقنان: ج ١ ص ٢٤. (٣) الإصابة: ج ٣ ص ٦٣٣. (٤) نفس المصدر.

وتلقّي كلماته، فيرى حقيقة الحقّ النازل عليه بشعور واعي وبصيرة نافذة، كمن يرى الشمس في وضع النهار، لا يحتمل خطأ في إبصاره ولا التباساً فيما يعيه. وهكذا الوحي إذ لم يكن فكرة نابغة من داخل الضمير، ليحتمل الخطأ في ترتيب مقدمات استنتاجها. أو إبصاراً من بعيد ليتحمّل التباساً في الانطباق^(١). بل هي مشاهدة حقيقة حاضرة بعين نافذة. فاحتمال الخطأ فيه مستحيل.

تلك طريقة علمية فلسفية^(٢) تهدينا الى الاعتراف بعدم احتمال الوحي الخطأ أبداً. ومن ثم فإنّ شريعة الله النازلة على أيدي رسله الأمناء، مصونة عن احتمال الخطأ رأساً.

وهناك طريقة أخرى عقلية تحتم لزوم عصمة الأنبياء، فيما يبلغون من شرائع الله، يفصلها علماء الكلام. وتتلخّص في أنّ النبي المبلّغ عن الله، يجب في ضوء قاعدة اللطف - أن ينعم بصحة كاملة في أجهزة إحساسه، وسلامة تامّة

(١) الخطأ إنّما يحتمل في مجالين: إمّا في مجال التفكير أو في مجال الإبصار الخارجي - مثلاً - وذلك لأنّ للاستنتاج الفكري شرائط وأحكاماً، إذا ما أهملها المتفكّر فسوف يقع في خطأ التفكير، وكذلك إبصار العين الخارجية إذا كان من بعيد، فربّما يقع الخطأ فيه من ناحية تطبيق ما عند النفس من مركّزات ومعلومات على خصوصيّات يراها موجودة في العين الخارجية، فالخطأ إنّما هو في هذا التطبيق النفسي، لا في العين المشاهدة. لأنّ الإبصار عبارة عن انطباع صورة الخارج - وهي واقعية لا تتغيّر - في الشبكة العصبية خلف بؤرة العين.

وهذه ظاهرة طبيعية تتحقّق ذاتياً إذا ما تحققت شرائطها. نعم كانت النفس هي التي تحكم على ما شاهده العين بأنّه كذا وكذا، والخطأ إنّما هو في هذا الحكم، لا في ذلك الإبصار الطبيعي. إذن فيها أنّ الوحي خارج عن الأمرين، لا تفكير ولا إبصار من بعيد - مثلاً - وإنّما هو لمس حقيقة حاضرة فلا موقع للخطأ فيه أصلاً.

(٢) راجع: ما كتبه الأستاذ العلامة الطباطبائي بهذا الصدد في رسالة الوحي «وحي يا شعور مرموز»

في قوى مشاعره، وفي مقدرته العقلية، فيكون مستقيماً في آرائه ونظرياته، معتدلاً في خلقه وسيرته، مستوياً في خلقته وصورته. وبكلمة جامعة: يجب أن يختار الله لرسالته إنساناً كاملاً في خلقه وخلقته. كي لا يتنفر الناس من معاشرته، ويطمثوا إلى ما يبلغه عن الله. وإلا كان نقضاً لغرض التشريع.

فالنبي (صلى الله عليه وآله) معصوم من الخطأ والنسيان، ولا سيما فيما يخص تبليغ أحكام الشريعة. وهذا إجماع من المسلمين. ومن غيرهم من عقلاء أذعنوا برسالة الأنبياء. ولولاه لكان الالتزام بشرائع الدين سفهاً يأباه العقل^(١).

هذا مضافاً إلى ما عهد الله لنبيه بالرعاية والحفظ: «سُنُقِرْكَ فَلَا تَنْسَى»^(٢). كان (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدء نزول القرآن، يخشى أن يفوته شيء فكان يساق جبرئيل فيما يلقي عليه كلمة بكلمة فنهى عن ذلك: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»^(٣) «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً»^(٤) قال ابن عباس: فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك إذا أتاه جبرئيل استمع له، فإذا انطلق قرأ كما أقرأه^(٥)، وأخيراً فإن قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(٦) يقطع أي احتمال الدس والتزوير في نصوص القرآن الكريم.

وأما احتمال تلبس إبليس ليتدخل فيما يوحى إلى النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) راجع: مباحث العصمة من شرح تجريد الاعتقاد: المسألة الثالثة من المقصد الرابع من مباحث النبوة العامة ص ١٩٥.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) الأعلى: ٦.

(٤) القيامة: ١٦-١٩.

(٥) الطبقات: ج ١ ص ١٣٢.

(٦) الحجر: ٩.

وآله) ويجعل من تسويلاته الشيطانية في صورة وحي ويلبسه على النبي (صلى الله عليه وآله) ليزعمه وحياً من الله. فهو أمر مستحيل، لأن الشيطان لا يستطيع الاستحواذ على عقلية رسل الله وعباده المكرمين: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ»^(١). ومتناف مع قوله تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ...»^(٢). وقوله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ»^(٣). وقد قال الشيطان: «وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِي»^(٤) ومتناف مع قاعدة اللطف الآنفه، ومتناقض مع حكمته تعالى في بعث الأنبياء (عليهم السلام) في شرح سبق تفصيله.

نعم ذهب أصحاب الحديث من العامة إلى إمكان استحواذ الشيطان على عقلية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاءت روايتهم لقصة الغرائق، الأمر الذي نراه مستحيلاً إطلاقاً، ومن ثم فهي أسطورة وضعها من يريد الامتهان بمقام الرسالة، ليعتبرها على عقول البسطاء، فكانت غنيمة بأيدي أعداء الإسلام. وإليك نص الأسطورة ونقدها تباعاً:

أسطورة الغرائق:

روى ابن جرير الطبري بإسناد زعمها صحيحة، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس، وسعيد بن جبير، وابن عباس، وغيرهم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في حشد من مشركي قريش، بفناء الكعبة، أو في ناد من أنديتهم. وكانت تساوره نفسه لويأتيه شيء من القرآن يقارب بينه وبين قومه الألداء. إذ كان يتألم من مبادئهم، وكان يرجو الائتلاف معهم مهما

(٣) النجم: ٣-٥.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(١) الاسراء: ٦٥.

(٢) الحاقة: ٤٤-٤٥.

كلّف الأمر. فلما نزلت عليه سورة النجم، فجعل يتلوها حتى إذا بلغ: «أفرأيتم
اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى»^(١) ألقى عليه الشيطان: «تلك الغرائق
العلی وإن شفاعتهن لترتجى»^(٢) فحسبها وحياً، فقرأها على ملأ من قريش، ثم
مضى وقرأ بقية السورة. حتى إذا أكملها سجد وسجد المسلمون، وسجد
المشركون أيضاً، تقديراً بما وافقهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في تعظيم
آلهتهم ورجاء شفاعتهم. وطار هذا النبأ حتى بلغ مهاجري الحبشة، فجعلوا
يرجعون الى بلدتهم مكة. فرحين بهذا التوافق المفاجئ. كما فرح النبي
(صلى الله عليه وآله) أيضاً بتحقيق أمنيته القديمة على ائتلاف قومه.
ويقال: إن شيطانا أبيض هو الذي تمثّل للنبي في صورة جبرئيل وألقى
عليه تينك الكلمتين.

ويقال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يصلي عند المقام إذ نعس نعسة فجرت
على لسانه هاتان الكلمتان من غير شعور بها.
ويقال: النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي تكلم بهما من تلقاء نفسه
حرصاً على ائتلاف قلوب المشركين. ثم ندم من فعله هذا الذي كان افتراء على
الله!

ويقال: إن الشيطان أجبره على النطق بهذا الكلام... الخ.
ثم لما أمسى الليل أتاه جبرائيل، فقال له: اعرض عليّ السورة. فجعل
النبي (صلى الله عليه وآله) يقرأها عليه حتى إذا بلغ الكلمتين قال جبرائيل:
مه، من أين جئت بهاتين الكلمتين فتندم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال:
لقد افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل؟! فحزن حزناً شديداً، وخاف من
الله خوفاً كبيراً.

(١) النجم: ١٩-٢٠.

(٢) الغرائق: جمع الغرنوق. وهو الشاب الناعم الأبيض. وفي الأصل: اسم لطير الماء (مالك الحزين)
وهو تشبيه آلهة المشركين بطيور بيض متحلقة في أجواء السماء، كناية عن قربهم من الله.

ويقال: إِنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) قال لجبرائيل: أَنَّهُ أَتَانِي آتٍ عَلَى صُورَتِكَ فَأَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِي فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ أَقْرَأُكَ هَذَا.. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. فَنَزَلَتْ: «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِیْنَا إِلَيْكَ لِتَقْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُزُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. إِذَا لَا أَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا»^(١).

فاشتدَّ حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذه البادرة المباغته، ولم يزل مغموماً مهموماً، حتى نزلت عليه: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(٢) وكانت تسلية لقلبه الحزين، فعند ذلك سرى عنه الهم وطابت نفسه^(٣).



مركز تحقيقات کهنه و نوین علوم اسلامی

نقد الحديث سنداً:

تلك أسطورة الغرائيق، مفتراة على النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وقد أولع المستشرقون والطاعنون في الدين الإسلامي الحنيف، بهذه الأسطورة المصطنعة وأذاعوها وأثاروا حولها عجاجة من القول البذيء^(٤).

في حين أنها اكدوبة مفتعلة، صنعتها قرائح القصاصين، ونسبوها الى بعض التابعين، ومن الصحابة الى ابن عباس، ودلائل الكذب والافتراء بادية على

(١) الاسراء: ٧٣-٧٥.

(٢) الحج: ٥٢ وسنتكلم عن الآيتين في نهاية المقال.

(٣) تفسير الطبري: ج ١٧ ص ١٣١-١٣٤. والدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٤ وص ٣٦٦-٣٦٨. وفتح الباري:

ج ٨ ص ٣٣٣.

(٤) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان: ص ٣٤.

محيّاها القدر.

أولاً: لم يتصل تسلسل سند الحديث الى صحابي إطلاقاً. وإنما أسند الى جماعة من التابعين ومن لم يدرك حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه فالحديث مرسل غير موصول السند الى من شاهد القضية - فرضاً -.

وأما النسبة الى ابن عباس فلا تقل عن غيرها، بعد أن كانت ولادة ابن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة، فلم يشهد القصة بتاتاً، وإنما نقلت إليه على الفرض.

فالرواية من جميع وجوها غير موصولة الإسناد الى شهود القصة لوصحت الواقعة.

وقواعد فنّ التحيص في اسناد الروايات تأبى جواز الاحتجاج بمثل هذا الحديث المرسل.

هذا وقد شد ابن حجر في قوله: فيها ثلاث مراسيل رجالها ثقات على شرط الصحة. ثم أخذ يتهجم على من زعمها مختلفة، قائلاً: إذا كثرت الطرق وتباينت مخارجها، دلّ ذلك على أن لها أصلاً، قال: وتلك المراسيل يحتج بها ولو عند من لا يحتج بالمراسيل، لاعتضاد بعضها ببعض^(١).

أقول: وهل الكذبة إذا راجت تنقلب في ماهيتها وتصبح صادقة؟!

ثانياً: شهادة جلّ أئمة الحديث بكذب هذا الخبر، وأنّ الطرق إليه ضعاف واهية، فهو فيما يشتمل عليه من السند أيضاً ساقط في نظر الفنّ.

قال ابن حجر نفسه: وجميع الطرق الى هذه القصة - سوى طريق ابن جبير - إما ضعيف (يكون الراوي غير موثوق به أو مرمياً بالوضع والكذب) أو منقطع (أي كانت حلقة الوصل بين الراوي الأوّل والراوي الأخير مفقودة)^(٢) وسنذكر أنّ بلاء طريق ابن جبير هو الإرسال والضعف أيضاً.

وقال أحمد بن الحسين البيهقي- أكبر أئمة الشافعية، مشهوراً بدقة النقد والتمحيص:- «هذا الحديث من جهة النقل غير ثابت ورواته مطعون فيهم»^(١).

وقال أبوبكر ابن العربي: «كل ما يرويه الطبري في ذلك باطل لا أصل له»^(٢) وصنف محمد بن إسحاق بن خزيمة رسالة، فنّد فيها هذا الحديث المفتعل، ونسبه الى وضع الزنادقة^(٣).

وقال القاضي عياض: «هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكلّ غريب، المتلقفون من الصحف كلّ صحيح وسقيم. قال: وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلي المسلمون ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلّق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته»^(٤).

وأما طريق ابن جبير فذكر أبوبكر البزار: أن هذا الحديث لم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره، يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ثم يذكر شكّه في صحة الإسناد الى ابن عباس أيضاً فيما اسند الى ابن جبير^(٥) وأما طريق الكلبي الى ابن عباس عن طريق أبي صالح فهوون بالاتفاق، قال جلال الدين السيوطي: هي أوهى الطرق^(٦).

ثالثاً: اتفاق كلمة المحققين من علماء الإسلام قديماً وحديثاً، على أنه حديث مفترى وحكموا عليه بالكذب الفاضح، غير آبهين بجانب السند، متصل أم منقطع، صحيح أم سقيم، لأنه قبل كلّ شيء، متناقض مع صريح القرآن الذي «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^(٧).

(٦) الإتيان: ج ٢ ص ١٨٩.

(٧) فصلت: ٤٢.

(١) و(٣) تفسير الرازي: ج ٢٣ ص ٥٠.

(٢) فتح الباري: ج ٨ ص ٣٣٣.

(٤) الشفا: ص ١١٧.

(٥) نفس المصدر: ص ١١٨.

وهادم لأقوى اسس الشريعة وأقوم دعامته الرصينة.

قال الشريف المرتضى: فأما الأحاديث المروية في هذا الباب فلا يلتفت إليها، من حيث أنها تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل (عليهم السلام) عنه. هذا لولم تكن في أنفسها مطعونة ضعيفة عند أصحاب الحديث. وكيف يجوز ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من يسمع قول الله تعالى: «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ». وقوله: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» وقوله: «سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى»... ثم اخذ في توضيح الاستدلال^(١).

وقال الإمام الفخر: هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين. وأما أهل التحقيق فيرونها باطلة موضوعة، واحتجوا عليها بوجوه من العقل والنقل^(٢). وقال السيد الطباطبائي: الأدلة القطعية على عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) تكذب متن الحديث، وإن فرضت صحة أسناده. فمن الواجب تنزيه جانب قدسية النبي (صلى الله عليه وآله) عن أمثال هذه الرذائل التي تمس كرامة الأنبياء^(٣).

مركز تحقيقات كنجوير علوم حسيني

وتكلم القاضي عياض في تفنيدها هذا الحديث بوجوه عديدة اقتبسنا منها فصولاً في هذا العرض. وأخيراً أخذ الدكتور حسين هيكل في تفنيدها القصة بأسلوب حديث، لخصناه في نهاية المقال.

نقد الحديث مدلولاً:

هذا الحديث، فضلاً عن سنده الموهون، فإن مضمونه باطل على كل تقدير: أولاً: مناقضته الصريحة مع كثير من نصوص القرآن الكريم في شتى الجهات.

(١) تنزيه الأنبياء: ص ١٠٧-١٠٩.

(٢) التفسير الكبير: ٢٣ ص ٥٠.

(٣) تفسر الميزان: ج ١٤ ص ٤٣٥.

ثانياً: منافاته الظاهرة مع مقام عصمة الأنبياء، الثابتة بدليل العقل والنقل المتواتر والإجماع.

ثالثاً: عدم إمكان إلتهامه مع سائر آيات السورة نفسها، لحنأ وأسلوباً، بحيث لا يمكن التباس هذا الجانب على من يعرف أساليب الكلام الفصيح، وبالأحرى أن لا يلتبس الأمر على أفصح من نطق بالضاد، وعلى أولئك الحضور، وهم صناديد قريش وأفلاذ العرب.

وتوضيحاً لهذه الجوانب الثلاث الخطيرة نستعرض مايلي:

١- مناقضته مع القرآن:

إننا لنربأ بمسلم نابه - فضلاً عن ناقد خبير كابن حجر- أن يتسلم صدق هذا الحديث المفتعل، نظراً لما زعمه من صحة إسناده المراسيل، ثم لا يتدبر في متنه الفاسد، الظاهر التنافي مع كثير من نصوص الكتاب العزيز، وإليك طرفاً من ذلك:

أ- تبدأ السورة بقوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ»^(١).

وهي شهادة صريحة من الله، بأن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يضل ولا يغوى ولا ينطق إلا عن وحي من الله، يعلمه الروح الأمين.

فلو صح ماذكروه في رأس الآية العشرين، لكان تكذيباً فاضحاً لهذه الشهادة، وتغليباً لجانب الشيطان على جانب الرحمان، وهو القائل تعالى: «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً»^(٢). والقائل: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»^(٣).

فكيف - ياترى - يتغلب إبليس على ضمان يضمنه الله تعالى، فيبطله

(٣) المجادلة: ٢١.

(٢) النساء: ٧٦.

(١) النجم: ١-٥.

صريحاً، قبل أن يفرغ من كلامه عزشأنه؟! وهل يتغلب ضعيف في كيدته على قوي في إرادته؟! وهل هذا إلا تهافت باهت، وكلام فارغ، لا يستطيع عاقل تصديقه!

ب- وأيضاً فإنه تعالى يقول: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» كناية عن أن أحداً لا يستطيع التقول على الله، تلبساً للحقيقة إلا ويهلكه الله من فوره. الأمر الذي تقتضيه حكمته تعالى، جرياً مع قاعدة اللطف، وقد سبقت الإشارة إليها.

أفهل ترى -بعد هذا التأكيد- يستطيع إبليس، وهو صاحب الكيد الضعيف أن يتقول على الله، ويلبس الأمر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما يحسبه حياً آتياً به جبرائيل الأمين؟! إذن فأين الضمان الذي ضمنه الله تعالى الغالب على أمره، وتعهدده على نفسه في الآية المذكورة؟!

ج- وقال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَرْتِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» فقد ضمن تعالى سلامة القرآن من تلاعب أيدي المبطلين، وحفظه عن دسائس المعاندين، أفهل يعقل -بعد ذلك- أن يترك إبليس وشأنه في سبيل التلاعب بالذكر الحكيم، فور نزوله على رسوله الكريم؟! وهل هذا إلا تهافت في الرأي، وإبطال لضمان الله؟! ومعه لا تبقى ثقة بما وعد الله المؤمنين من النصر والغلبة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!!

د- وقال تعالى: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» وقال: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا». فكيف يجوز -بعد هذا الضمان الصريح المؤكد- أن يتسلط إبليس على اخلص عباد الله المكرمين، فيلبس عليه ناموس الكبرياء، وفي أمس شؤون رسالته المضمونة؟!

على أن القرآن يصرح: أن لاسلطة لإبليس على أحد إطلاقاً، سوى وسوسته الخداعة ودعوته الى شرور، أما التدخل عملياً في شؤون الخلق أو الخالق، فهذا

لا سبيل لإبليس إليه إطلاقاً، وقد حكى الله سبحانه عن لسان إبليس: «وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي».

٢ - منافاته لمقام العصمة:

قال القاضي عياض: «وقد قامت الحجة وأجمعت الامة على عصمته (صلى الله عليه وآله) ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، أما تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا، من مدح آلهة غير الله، وهو كفر. أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن، حتى يجعل فيه مالميس منه، ويعتقد النبي (صلى الله عليه وآله) أن من القرآن مالميس منه، حتى ينبهه جبرائيل (عليه السلام) وذلك كله ممتنع في حقه (صلى الله عليه وآله).

أو يقول النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك من قبل نفسه عمداً، وذلك كفر. أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله.

وقد قرّرنا بالبراهين والإجماع عصمته (صلى الله عليه وآله) من جريان الكفر على قلبه أو لسانه، لا عمداً ولا سهواً.

أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك ممّا يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ... الآية». وقال تعالى: «إِذْ نَافِلًا أَتَيْنَاكُم بِطَبَقٍ مِمَّا لَمْ يَذُوقُوا... الآية». (١)

وأيضاً فلولا العصمة الملحوظة في أداء رسالة الله، لزالَت الثقة بالدين، ولأخذت الشكوك مواضعها من أحكام وتكاليف وشرائع يبلغها النبي (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى!!

وامتداداً لجانب عصمته (صلى الله عليه وآله) وأن لا سبيل لإبليس الى

(١) الشفا: ج ٢ ص ١١٨-١١٩.

شأن من شؤونه المعتصمة بعصمة الله تعالى، قال: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»^(١). وقد فهم العلماء من هذا الحديث قاعدة كلية: لا يستطيع إبليس التمثل بأي ولي من أولياء الله العباد المخلصين، وبالأحرى: عدم استطاعته التمثل بجبرائيل، ملك الوحي المقرب الأمين!!
إذن فأتى إبليس التلاعب بوحى السماء، أو أن ينتحل صورة رسول من رسل الله الأكرمين! كلاً، «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ»^(٢).

٣- تهافته مع آي السورة:

قال القاضي عياض- أيضاً-: «ووجه ثان، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان- كما روي- لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي (صلى الله عليه وآله) ولا من حضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه»^(٣).

أفهل يتصور بشأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهو العارف بمواقع الكلام، الناقد لأفصح أقوال العرب الفصحاء، أن يلتبس عليه شأن كلام ساقط، لا يتناسب وسائر جمل وآيات كانت تنزل عليه حينذاك؟! أم كيف ينسجم ما ذكره مع قوله تعالى: «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ»^(٤) أم كيف يقتنع المشركون- وهم أهل نقد وفصاحة- بتلك المجاملة المفضوحة: يقترن مدح مشكوك، بذلك القدح الصارم،

(٣) الشفا: ج ٢ ص ١١٩.

(٤) النجم: ٢٣.

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ٥٧.

(٢) الصافات: ٨.

ليأخذه تقارباً مبدئياً بين إشراكهم والدعوة التي قام بها محمد (صلى الله عليه وآله) والتي قامت على محق الشرك وإخلاص الدين الحنيف. ولا سيما مع تعقيبها بقوله أيضاً: «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً»^(١) أفهل يلتئم هذا الكلام التوحيدي الخالص مع تلك الكذوبة: «وإن شفاعتكم لترجى»؟!

وأخيراً فلو صحت الحكاية لشاعت وذاعت، ولأخذها المشركون مستمسكاً في وجه المسلمين طول الدعوة، ولم يصدقوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعواه النسخ مهما كلف الأمر. هذا في حين أن التاريخ لم يضبط من تلك الأقصوصة المفتعلة سوى حكايتها عن اتاس تأخروا عن ظرفها بزمان بعيد ولم يسجل التاريخ من يقول: حضرته! الأمر الذي يجعلنا قاطعين بكذبها. ولعلها من الإسرائيليات المفضوحة التي نسجتها أيدي النكاة بالإسلام، في عهدسطة المظالم على أرجاء البلاد الإسلامية، في ظل حكومة بني أمية أعداء الدين والقرآن، وهذا هو الأرجح في نظرنا. وفي فصول هذا الكتاب الآتية يتضح موقف هذه الفئة الباغية على الإسلام أكثر.

قال الأستاذ هيكل: «حديث الغرائق حديث ظاهر التهافت، ينقضه قليل من التحيص. وهو بعد حديث ينقض ما لكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه. فن العجب أن يأخذ به بعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين. ولذلك لم يتردد ابن إسحاق حين سئل عنه في أن قال: إنه من وضع الزنادقة. لكن بعض الذين أخذوا به حاولوا تبرير أخذهم هذا، فاستندوا الى قوله تعالى: «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ». والى قوله: «إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ» ويضيف (سير ولیم مویس) أن مرجع المسلمين الذين هاجروا الى

الحبشة بعد ثلاثة أشهر من إقامتهم هناك لدليل قاطع على صحة هذه القصة. وهذه الحجج التي يسوقها القائل بصحة حديث الغرانيق، حجج واهية لا تقوم أمام التمهيص: أما رجوع المسلمين فكان سببه اضطراب سياسي، عم أرجاء الحبشة على أثر ثورة جديدة قامت فيها.

أما الاحتجاج بالآيات فاحتجاج مقلوب، لأن الآية الأولى لا تشي بوقوع الأمر: «وَلَوْلَا أَنْ ثَبِّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ». فالآية تقول: إِنَّ اللَّهَ ثَبَّتَهُ فَلَمْ يَفْعَل. وأما آية التمهني فلا صلة لها بحديث الغرانيق، وقد تقدم شأنها.

ودليل آخر أقوى وأقطع: سياق السورة وعدم احتمالها لمسألة الغرانيق، فإنها ذم صريح، ولهجة تقريع لا ينسجم وإدراج هكذا جملة، الأمر الذي لا يكاد يخفى على العرب آنذاك.

وأيضاً فإن وصف آلهة قريش بالغرانيق لم يأت في نظمهم هم ولا في خطبهم ولا شيء من معنى الغرنوق يلائم معنى الآلهة التي وصفها العرب - كما قاله الشيخ محمد عبده -.

وبقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرانيق هذه، من حياة محمد نفسه، «فهو منذ طفولته وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط، حتى سمي الأمين. وكان صدقه أمراً مسلماً به من الناس جميعاً، فكيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل، ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه! هذا أمر مستحيل، يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القويّة الممتازة التي تعرف الصلابة في الحق ولا تداجي فيه لأي اعتبار»^(١).

والإنسان - من سورة الاسراء وسورة الحج - لا تمسّان قصة الغرانيق في شيء،

(١) ج ١، ص ١٢٤ - (محمد حسين هيكل): ص ١٢٤ - ١٢٩.

وإنما تعنيان شيئاً آخر ذكره المفسرون. وسيأتي تفصيل الكلام فيها في خاتمة الجزء الثالث من هذا الكتاب عند التعرض لمسألة العصمة عند الكلام عن عصمة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) واليك الآن اجمال الكلام فيهما:

أما الآية من سورة الاسراء: «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً...» فهي - كما أشار إليه هيكل - صريحة في أنه (صلى الله عليه وآله) لم يفعل... بدليل «لولا» الامتناعية.. فهي إن دلت فإنما تدل على أن مقام عصمته (صلى الله عليه وآله) التي هي عناية من الله خاصة بأوليائه المنتجبين هي التي تحول دائماً دون ارتكاب أية رذيلة مهما كانت صغيرة أو كبيرة..

وكم حاول أهل الزيف والفساد أن يميلوا بمنهج الإسلام المستقيم، سواء بدسائسهم حال حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) أم بعد وفاته.. ولكن أنى لهم التناوش من مكان بعيد.. إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

فالآية تضمنين سلامة هذه الشريعة دون تحريف المبطلين.. وكاف الخطاب إنما وردت من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة».. كما ورد في التفسير.. وليكون ذلك اعتباراً لأولياء المسلمين طول عهد التاريخ أبداً..

وكذا الآية من سورة الحج: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ»... لامساس لها بقصة الغرائق.. بعد أن كانت تشير الى ظاهرة طبيعية كانت تخالج نفوس كبار المصلحين أبداً.. وهي: تحكيم مباني دعوتهم الإصلاحية، وتدعيم أسسها وقوائمها، دون تضعف أو ضياع أو فساد، وأن تطبق شريعة الله عامة الخلائق وكافة الأمم، وأن تزدهر معالمها وتزهو أنوارها في أرجاء العالم المعمور.. هذه هي أمنية كل رسول أنبي، بل وكل قائم بالإصلاح خالصاً مخلصاً له الدين^(١)... غير أن دسائس أهل الزيف والفساد..

(١) وقد عبّر عنه في لسان أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) بالمحدث، أي الملهم بأصول الخير ومناشئ

قد تحول دون تحقق هذه الأمنية .. لكنه حوّل لاقرار له .. لأنه من كيد الشيطان .. وإن كيد الشيطان كان ضعيفاً، وقد كتب الله لأغلبنا أناورسلي .. إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا .. إن الله قوي عزيز .. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .. أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. فهذه الآية أيضاً ضمان لبقاء هذا الدين وسلامته عن تجاوز أيدي المحرّقين. إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.



مركز تحييت كچونيز علوم اسلامی

نزول القرآن

- بدء نزول الوحي .
- بدء نزول القرآن .
- فترة ثلاث سنوات .
- آراء وتأويلات .
- أول ما نزل من القرآن .
- آخر ما نزل من القرآن .
- التعريف بالمكي والمدني
- ترتيب النزول .
- سور مختلف فيها .
- آيات مستثنيات .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

نزول القرآن

هناك مسألة ذات أهمية تمس جانب نزول الوحي قرآناً، وارتباطه مع بدء الرسالة، حيث اقترنت البعثة - وكانت في شهر رجب - بنزول شيء من القرآن (خمس آيات من أول سورة العلق) في حين تصريح القرآن بنزوله في ليلة القدر من شهر رمضان! فما وجه التوفيق؟ وهكذا تعين المدة التي نزل القرآن خلالها تدريجاً، والسور التي نزلت قبل الهجرة لتكون مكية - اصطلاحاً - والتي نزلت بعدها لتكون مدنية. وهل هناك استثناء لآيات على خلاف السور التي ثبتت فيها؟ والأرجح أن لا استثناء، وأن السورة إذا كانت مكية فجميع آياتها مكية، وهكذا السور المدنية. إذ لا دليل على الاستثناء على ما سنبين .. وإليك تفصيل هذه الجوانب:

بدء نزول الوحي «البعثة»:

قال الشيخ الجليل الثقة علي بن ابراهيم القمي: إن النبي (صلى الله عليه وآله) لما أتى له سبع وثلاثون سنة، كان يرى في منامه كأن آتياً يأتيه فيقول: يا رسول الله! ومضت عليه برهة من الزمان وهو على ذلك يكتمه، وإذا هو في بعض الأيام يرعى غنماً لأبي طالب في شعب الجبال، إذ رأى شخصاً يقول له: يا رسول الله! فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل، أرسلني الله إليك ليأخذك رسولاً، فجعل يعلمه الوضوء والصلاة. وذلك عندما تم له أربعون

سنة. فدخل عليّ (عليه السلام) وهو يصلي. قال: يا أبا القاسم ما هذا؟ قال: هذه الصلاة التي أمرني الله بها. فجعل يصلي معه. وكانت خديجة ثالثها. فكان عليّ (عليه السلام) يصلي إلى جناح رسول الله الأيمن، وخديجة خلفه، فأمر أبوطالب ابنه جعفر أن يصلي إلى جناح رسول الله الأيسر. وكان زيد بن حارثة عتيق رسول الله^(١) قد أسلم عند مانبىء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان يصلي معهم أيضاً. وهذا الجمع انعقدت نطفة الإسلام^(٢).

وفي تفسير الإمام: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يغدو كل يوم إلى حراء، وينظر إلى آثار رحمة الله، متعمقاً في ملكوت السماوات والأرض، ويعبد الله حقّ عبادته، حتى استكمل سنّ الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها. فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا، ومحمد (صلى الله عليه وآله) ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين جبرائيل مطوّقاً بالنور، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه، فقال: يا محمد! اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد! «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علقٍ اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم».

ثم أوحى إليه ما أوحى. وصعد جبرائيل إلى ربه، ونزل محمد (صلى الله عليه وآله) من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال أبهته ماركبه الحمى النافضة^(٣) وقد اشتدّ عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش ونسبته إلى الجنون

(١) قيل: اشتراه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لخديجة، فلما تزوّجها وهبته له، فأعتقه رسول الله

(صلى الله عليه وآله) وقيل: استوهبته خديجة من ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد، عندما قدم

مكة برقيق فيهم زيد وصيف أي غلام لم يراهق. فقال لها: يا عمّة! اختاري أي هؤلاء الغلمان

شئت: فاخترت زيدا، ثم وهبته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعتقه رسول الله وتبّناه.

(٢) بحار الأنوار ج ١٨ ص ١٨٤ ح ١٤ وص ١٩٤ ح ٣٠.

(٣) وهي الشديدة.

وقد كان أعقل خلق الله وأكرم بريته. وكان أبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين، فأراد الله أن يشجع قلبه ويشرح صدره، فجعل كلمها يمر بحجر وشجر ناداه: السلام عليك يا رسول الله^(١).

وفي شرح النهج: أن بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) سأله عن قول الله - عز وجل -: «إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»^(٢) فقال: يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد (صلى الله عليه وآله) ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أن ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئاً^(٣).

وراجع: الخطبة القاصعة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الشأن، وقد نقلنا فيما سبق شطراً منها. وهي الخطبة رقم: ٢٣٨ في شرح النهج لابن أبي الحديد.

وفي تاريخ الطبري: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل أن

(١) تفسير الإمام: ص ١٥٧ وهو منسوب إلى الإمام الحادي عشر: الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) وقد طعن بعض المحققين في نسبته إلى الإمام (عليه السلام) لما فيه من مناكير. لكن لو كان المقصود أنه من تأليف الإمام بقلمه وإنشائه الخاص، فهذا شيء لا يمكن قبوله بثبات. وأما إذا كانت النسبة بملاحظة أن الراوي كان يحضر مجلس الإمام (عليه السلام) ويسأله عن أشياء مما يتعلق بتفسير أي القرآن، ثم عندما يرجع إلى داره يسجله حسب ما حفظه ووعاه، وربما يزيد عليه أشياء أو ينقص، وفق معلوماته الخاصة أيضاً. فهذا شيء لا سبيل إلى إنكاره. ونحن نقول بذلك، ومن ثم نعتمد على كثير مما جاء في هذا التفسير، مما يوافق سائر الآثار الصحيحة: وراجع أيضاً: بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٥-٢٠٦ ح ٣٦.

(٢) الجن: ٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ج ١٣ ص ٢٠٧.

يظهر له جبرئيل (عليه السلام) برسالة الله إليه، يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله، فكان من ذلك مامضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشققا بطنه^(١) واستخرجا مافيه من الغل والدنس، وهو عند أمه من الرضاعة حليلة. ومن ذلك أنه كان إذامر في طريق لايمر بشجر ولا حجر إلا سلم عليه. وهكذا كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً، ويفضي الى الشعاب وبطون الأودية. فلايمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً^(٢).

قال اليعقوبي: كان جبرائيل يظهر له ويكلمه أو ربما ناداه من السماء ومن الشجر ومن الجبل. ثم قال له: إن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان، فكان أول أمره. فكان رسول الله يأتي خديجة ابنة خويلد ويقول لها ما سمع وتكلم به، فتقول له: استريا ابن عم! فوالله إني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً^(٣).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بعث قد استكمل الأربعين، لعشرين مضي من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان^(٤). قال اليعقوبي: كان مبعثه (صلى الله عليه وآله) في شهر ربيع الأول. وقيل: في رمضان. ومن شهور العجم: في شباط. قال: وأتاه جبرئيل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين^(٥). قال ابن سعد: نزل الملك على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) لم يرد بهذا التعبير حديث من طريق أهل البيت (عليهم السلام) ولعل هذه التعابير كانت كناية عن أمور معنوية بإبعاد الصفات الخسيسة عن طباعه (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧ طبعة النجف الثانية.

(٤) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣١.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧-١٨.

وآله) بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان^(١).
 قال أبو جعفر الطبري: وهذا - أي نزول الوحي عليه بالرسالة يوم الاثنين -
 مما لا خلاف فيه بين أهل العلم وإنما اختلفوا في أي الاثنان كان ذلك؟
 فقال بعضهم: نزل القرآن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانى عشرة
 خلت من رمضان. وقال آخرون: لاربعة وعشرين خلت منه. وقال آخرون:
 لسبع عشرة خلت من شهر رمضان: واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: «وَمَا أَنزَلْنَا
 عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ»^(٢) وذلك ملتقى رسول الله
 (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشركون ببدر، وكان صبيحة سبع عشرة من
 رمضان^(٣).

لكن لا دلالة في الآية على أن مبعثه كان مصادفاً لذلك اليوم.
 أولاً: لأن المقصود: ما أنزل عليه ذلك اليوم من دلائل الحق وآيات
 النصر، لا القرآن كله ولا مبدأ نزوله.
 وثانياً: سوف نذكر: أن مبدأ نزول القرآن - بعنوان كونه كتاباً سماوياً -
 كان متأخراً عن يوم مبعثه بالرسالة، فقد بعث (صلى الله عليه وآله)
 رسولاً إلى الناس في ٢٧ رجب، وأنزل عليه القرآن في شهر رمضان ليلة القدر،
 وربما كان بعد فترة ثلاث سنين كما يأتي.

وثالثاً: معنى يوم الفرقان: اليوم الذي فرق فيه بين الحق والباطل، وغلب
 الحق على الباطل فكان زهوقاً، وكان يوماً حاسماً في حياة المسلمين، وقد أيس
 الشيطان فيه أن يعبد أو يطاع إلى الأبد^(٤).

قال المسعودي: أول ما نزل عليه (صلى الله عليه وآله) من القرآن: «اقْرَأْ
 بِاسْمِ رَبِّكَ». وأتاه جبرائيل في ليلة السبت ثم في ليلة الأحد وخاطبة بالرسالة

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٤.

(٤) راجع تفسير شبرا: ص ١٩٥.

(١) الطبقات: ج ١ ص ١٢٩.

(٢) الانفال: ٤١.

يوم الاثنين، وذلك بحراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأول السورة الى قوله: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» ونزل تمامها بعد ذلك .

وكان ذلك بعد بنيان الكعبة بخمس سنين، على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز، وعلى رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالربذة^(١) . وكانت سنة ستمائة وتسع من تاريخ ميلاد المسيح (عليه السلام)^(٢) .

والصحيح عندنا في تعيين يوم مبعثه (صلى الله عليه وآله وسلم): أنه اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الأصعب، على ما جاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام) ويستحب صيامه والقيام بأداب وعبادات تخصه، تلتزم بها الشيعة الإمامية، كل عام تقديساً لهذا اليوم المبارك، الذي أنزلت الرحمة فيه على الناس جميعاً، وافتتحت أبواب البركة العاقمة على أهل الأرض، إذ بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة للعالمين، فياله من يوم مبارك !

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)»^(٣) وقال: «لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فإنه اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد (صلى الله عليه وآله)»^(٤) .

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «بعث الله - عز وجل - محمداً (صلى الله عليه وآله) رحمة للعالمين، في سبع وعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كتب الله له صيام ستين شهراً»^(٥) .

(١) مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي (لجرجي زيدان): ج ١ ص ٤٣ .

(٣) أمالي ابن الشيخ: ص ٢٨، وبحار الأنوار ج ١٨ ص ١٨٩ ح ٢١ .

(٤) و(٥) الكافي: ج ٤ ص ١٤٩ ح ١ و ٢ .

والروايات بهذا الشأن من طرق أهل البيت (عليهم السلام) كثيرة^(١).

وهكذا وردت روايات من طرق أهل السنة، بتعيين نفس اليوم:

أورد الحافظ الدميّاطي في سيرته عن أبي هريرة، قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبرئيل»^(٢).

وروى البيهقي في شعب الإيمان، عن سلمان الفارسي، قال: «في رجب يوم وليلة، من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة، وهو لثلاث بقين من رجب، وفيه بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله)»^(٣).

وروى صاحب المناقب عن ابن عباس، وأنس بن مالك: أنهما قالوا: «أوحى الله إلى محمد (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين، السابع والعشرين من رجب، وله من العمر أربعون سنة»^(٤).

قال العلامة المجلسي -قدس سره- اختلفوا في اليوم الذي بُعث فيه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على خمسة أقوال:

الأول: سابع عشر شهر رمضان.

الثاني: ثامن عشر شهر رمضان.

الثالث: أربع وعشرون شهر رمضان.

الرابع: ثاني عشر ربيع الأول.

الخامس: سابع وعشرون شهر رجب.

(١) راجع وسائل الشيعة: باب ١٥ من ابواب الصوم المندوب ج ٧ ص ٣٢٩ ح ١.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٣٨.

(٣) منتخب كنز العمال بهامش المسند: ج ٣ ص ٣٦٢.

(٤) المناقب: ج ١ ص ١٥٠ وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٤ ح ٣٤.

قال: وعلى الأخير اتفاق الإمامية^(١).

أقول: وهناك قول سادس: ثامن ربيع الأول. وقول سابع: ثالث ربيع الأول. ذكرهما ابن برهان الحلبي في سيrote. ثم ذكر القول بأنه الثاني عشر من ربيع الأول، يوم مولده الشريف، ليوافق القول بأنه بعث على رأس تمام الأربعين^(٢). وسنذكر: أن أكثرية القائلين ببعثته (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان، لعله قد اشتبه عليهم مبدأ حادث النبوة بمبدأ حادث نزول القرآن كتاباً فيه تبيان كل شيء وهذا الاشتباه يبدو من استدلالهم على تعيين يوم البعثة بما دلّ على أن القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان. وسنتحقق: أن لاصلة بين الحادثين، فقد بعث (صلى الله عليه وآله) في رجب: ٢٧. ولكن القرآن بسمته كتاباً مفصلاً، بدأ نزوله على النبي (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان: ليلة القدر. بعد ثلاث سنين من نبوته (صلى الله عليه وآله) فكانت مدة نبوته (صلى الله عليه وآله) ثلاثاً وعشرين سنة. ولكن فترة نزول القرآن مفرقاً استغرقت عشرين عاماً، بدأت بدخول السنة الرابعة من البعثة، وختمت في عاشر الهجرة بوفاته (صلى الله عليه وآله).

بدء نزول القرآن:

لا شك أن القرآن نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، لقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^(٣). وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ»^(٤). وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^(٥). وليلة القدر - عندنا - مرددة بين ليلتين في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك: إحدى وعشرين أم ثالثة وعشرين؟ والأرجح أنها الثانية، لحديث الجهني^(٦).

(٣) البقرة: ١٨٥.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٩٠.

(٥) القدر: ١.

(٤) الدخان: ٣.

(٢) السيرة الحلبيّة: ج ١ ص ٢٣٨.

(٦) راجع وسائل الشيعة: باب ٣٢ من ابواب احكام شهر رمضان ج ٧ ص ٢٦٢ ح ١٦.

وقال الصدوق - رحمه الله -: اتفق مشايخنا على أنها ليلة ثلاث وعشرين^(١). والكلام في تعيين ليلة القدر ليس من مبحثنا الآن، وإنما همنا التعرض لجوانب من هذا التحديد، أي نزول القرآن في ليلة واحدة - هي ليلة القدر - من شهر رمضان.

أولاً: منافاته - ظاهراً - مع ما أسلفناه من اتفاق الإمامية وعدد من أحاديث غيرهم، على أن البعثة كانت في رجب، ولا شك أن البعثة كانت مقرونة بنزول آي من القرآن: خمس آيات من أول سورة العلق. فكيف يتم ذلك مع القول بنزول القرآن - كله أو بدء نزوله - في شهر رمضان في ليلة القدر؟

ثانياً: ماذا يكون المقصود من نزول القرآن في ليلة واحدة هي ليلة القدر؟ هل نزل القرآن كله جملة واحدة تلك الليلة؟ مع العلم أن القرآن نزل نجوماً لفترة عشرين أو ثلاث وعشرين عاماً، حسب المناسبات والظروف المختلفة، ودعيت باسم «أسباب النزول»، فكيف ذلك؟

ثالثاً: ماهي أول آية أو سورة نزلت من القرآن، فإن كانت هي سورة العلق أو آي منها، فلم تسمت سورة الحمد بفاتحة الكتاب؟ إذ ليس المعنى: أنها كتبت في بدء المصحف! لأن هذا الترتيب شيء حصل بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أو لا أقل في عهد متأخر من حياته - فرضاً - في حين أنها كانت تسمى بفاتحة الكتاب منذ بداية نزولها: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»^(٢) حديث مأثور عن لسان النبي (صلى الله عليه وآله)!

وللإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة - بصورة إجمالية - نقول: إن بدء البعثة يختلف عن بدء نزول القرآن ككتاب سماوي. لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيء ولم يؤمر بالتبليغ العام إلا بعد ثلاث سنوات، كما كان خلالها يدعو في اختفاء حتى نزلت الآية: «فاصدع ببما تؤمر وأعرض عن المبشرين»^(٣). ومن هذا

(١) الخصال: ج ٢ ص ١٠٢.

(٢) صحيح مسلم: ج ٢ ص ٩ ومنتخب كنز العمال بهامش المسند: ج ٣ ص ١٨٠. (٣) الحجر: ٩٤.

الحين جعل القرآن ينزل تباعاً، بسمه كونه كتاباً أنزل من السماء وكان يسجل على العصب واللخاف، يكتبه من كان يعرف الكتابة من المؤمنين، وهم عدد قليل، خلال عشرين عاماً.

وقد كان بدء نزول القرآن -بعد تلك الفترة- في ليلة القدر من شهر رمضان. وهذا الاعتبار صَحَّ التعبير بأن القرآن نزل في ليلة القدر، وإن كان نزوله تباعاً استغرق عشرين عاماً. إذ كلَّ حدث خطير تكون له مدّة وامتداد، فإنَّ تاريخه يسجل حسب مبدأ شروعه، كما سنفضل الكلام عنه.

أما أول آية نزلت فهي الآيات الخمس من أول سورة العلق، ونزلت بقيتها في فترة متأخرة. غير أنَّ أول سورة كاملة نزلت من القرآن هي سورة الحمد، ومن ثم سميت بفاتحة الكتاب.

هذا إجمال الكلام حول هذه المواضع الثلاثة، وأما التفصيل فهو كما يلي:

فترة ثلاث سنوات:

ولنفرض أنَّ البعثة كانت في رجب، حسب رواية أهل البيت ولقيف من غيرهم، لكن القرآن -بسمه كونه كتاباً سماوياً وديناً إلهياً خالداً- لم ينزل عليه إلا بعد فترة ثلاث سنين. كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلالها يكتُم أمره من ملأ الناس، ويدعو إلى الله سرّاً، ومن ثم لم يكن للمشركون يتعرّضون أذاه، سوى طعنات لسنّية، حيث لا يرون من شأنه ما يخشى على دينهم. وكان يصلي اذ ذاك مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعة: علي وجعفر وزيد وخديجة. وكلّما مرّهم ملأ من قريش سخروا منهم.

قال علي بن إبراهيم القمي: فلما أتى لذلك ثلاث سنين، أنزل الله عليه: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» قال: وكان ذلك بعد أن نبي ثلاث سنين^(١).

(١) تفسير القمي: ص ٣٥٣. وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٥٣ ح ٧ وص ١٧٩ ح ١٠.

وقال اليعقوبي: وأقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ثلاث سنين يكم أمره^(١).

وقال محمد بن اسحاق: وبعد ثلاث سنين من مبعثه نزل «فأصدع بما تؤمر»، فامر أن يجهر بالدعوة ويعم الإنذار^(٢).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة بعدما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مخفياً خائفاً لا يظهر أمره، حتى أمره الله أن يصدع بما أمر به، فأظهر حينئذ الدعوة»^(٣).

وهذه الروايات، إذا لاحظناها مع روايات قائلة: إن فترة نزول القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) استغرقت عشرين عاماً، تعطينا: أن مبدأ نزول القرآن كان متأخراً عن البعثة بثلاث سنوات، إذ لا شك أن القرآن كان ينزل عليه (صلى الله عليه وآله) حتى عام وفاته (صلى الله عليه وآله) وبذلك يلتئم القول بأن بدء نزول القرآن كان في شهر رمضان، ليلة القدر كما نص عليه القرآن الكريم.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ثم نزل القرآن في طول عشرين عاماً». كما جاء في رواية الكليني^(٤) والعياشي^(٥) وأشار إليه الصدوق^(٦) والمجلسي^(٧). والنص على تحديد فترة نزول القرآن بعشرين عاماً كثير^(٨).

والى هذا المعنى تشير الرواية عن سعيد بن المسيب، قال: أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) وهو ابن ثلاث وأربعين^(٩) أي أنزل عليه القرآن عند ذلك. إذ لا شك أن النبوة نزلت عليه (صلى الله عليه وآله) عند اكتمال

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٩.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٨٠. والمناقب: ج ١ ص ٤٠ وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٩٣ ١٩٤ ح ٢٩.

(٣) الغيبة (الشيخ الطوسي): ص ٢١٧، وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٧٧ ح ٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ح ٦. (٧) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٥٠ ح ٣ و ص ٢٥٣.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٨٠ ح ١٨٤. (٨) راجع الإتيان: ج ١ ص ٤٠. وتفسير شبر: ص ٣٥٠.

(٩) الاعتقادات: ص ١٠١. (٩) مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٦١٠.

الأربعين، وهذا إجماع الأمة، وعليه اتفاق كلمتهم، فكيف يخفى على مثل سعيد؟!

وروى الواحدى بإسناده إلى الشعبي، قال فرق الله تنزيله فكان بين أوله وآخره عشرون أو نحو من عشرين سنة^(١).

وأوضح من ذلك ما رواه الإمام أحمد بسند متصل إلى عامر الشعبي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن. فلما مضت ثلاث سنين، قرن بنبوته جبرئيل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة، فمات (صلى الله عليه وآله) وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن كثير: وهو إسناد صحيح إلى الشعبي^(٢).

وهذه الرواية وإن كانت فيها أشياء لا نعرفها، ولعلها من اجتهاد الشعبي الخاص، لكن الذي نريده من هذه الرواية هو جانب تحديد نزول القرآن في مدة عشرين عاماً، وأن نزوله تأخر عن البعثة بثلاث سنين، وهذا شيء متفق عليه.

آراء وتأويلات:

وأما تأويل نزول القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان، مع العلم أن القرآن نزل منجماً طول عشرين أو ثلاث وعشرين عاماً، في فترات ومناسبات خاصة، تدعى بأسباب النزول، فللعلماء في ذلك آراء وتأويلات:

١- إن بدء نزوله كان في ليلة القدر من شهر رمضان.

وهذا اختيار محمد بن إسحاق^(٣) والشعبي^(٤). قال الإمام الرازي: وذلك

(١) أسباب النزول: ص ٣.

(٢) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٤، والإتقان: ج ١ ص ٤٥، والطبقات: ج ١ ص ١٢٧. وتاريخ يعقوبي:

ج ٢ ص ١٨.

(٤) الإتقان: ج ١ ص ٤٠.

(٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٧٦.

لأن مبادئ الملل والدول هي التي تؤرخ بها. لكونها أشرف الأوقات. ولأنها أيضاً أوقات مضبوطة معلومة^(١). وهكذا ففسر الزمخشري الآية بذلك، قال: «ابتدى فيه إنزاله»^(٢).

وهو الذي نرتأيه، نظراً لأن كل حادث خطير، إذا كانت له مدة وامتداد زمني، فإن بدء شروعه هو الذي يسجل تاريخياً كما إذا سُئل عن تاريخ دولة أو مؤسسة أو تشكيل حزبي، أو إذا سُئل عن تاريخ دراسة طالب علم أو تلبسه الخاص وأمثال ذلك، فإن الجواب هو تعيين مبدأ الشروع أو التأسيس لا غير. وأيضاً: فإن قوله تعالى: «أنزل فيه القرآن» والآيات الأخر، حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكي وإلا لكان اللفظ بصيغة المضارع أو الوصف. فنفس هذا الكلام دليل على أن من القرآن ما نزل متأخراً عن ليلة البدر، اللهم إلا بضرب من التأويل غير المستند، على ماسيأتي.

كما أن اختلاف مناسبات الآيات، حسب الظروف والدواعي، أكبر دليل على اختلاف مواقع نزولها، إذ يربط ذلك كل آية بمحاذة في قيد وقتها، وهذا في كل آية نزلت بشأن حدث أو واقعة وقعت في وقتها الخاص، وجاءت آية تعالجها في نفس الوقت. كل ذلك دليل على أن القرآن لم ينزل جملة واحدة. وإلا لما كان موقع لقولة المشركين: «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة» قال تعالى -رداً على هذا الاعتراض- «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً»^(٣). أي كان نزول القرآن تباعاً وفي فترات مناسبة أدم لاطمئنان قلبك، حيث الشعور بعناية الله المتواصلة في كل آونة ومناسبة^(٤).

وذهب الى هذا الرأي -أيضاً- ابن شهر آشوب في المناقب، قال: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي ابتداء نزوله. وقال في متشابهات القرآن:

(٣) الفرقان: ٣٢.

(٤) راجع الإقنان: ج ١ ص ٤١.

(١) التفسير الكبير: ج ٥ ص ٨٥.

(٢) الكشف: ج ١ ص ٢٢٧.

والصحيح أن «القرآن» في هذا الموضع لا يفيد العموم، وإنما يفيد الجنس: فأتي شيء، نزل فيه فقد طابق الظاهر^(١).

ويبدو من الشيخ المفيد - قدس سره - من آخر كلامه ردّاً على أبي جعفر الصدوق - عليه الرحمة - فيما يأتي: اختيار هذا القول أيضاً، قال: وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر، أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه الى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله). فأما أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر، فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن، والمتواتر من الأخبار، وإجماع العلماء على اختلافهم في الآراء^(٢).

٢- كان ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله) في كل ليلة قدر من كل عام، ما كان يحتاج إليه الناس في تلك السنة من القرآن، ثم ينزله جبرائيل حسب مواقع الحاجة شيئاً فشيئاً بما يأمره الله تعالى. فيكون المقصود من شهر رمضان: هو النوع. لا رمضان خاص - وهو احتمال الإمام الرازي أيضاً^(٣) - وهذا اختيار ابن جريح^(٤) والسدي، وأسنده الأخير الى ابن عباس أيضاً^(٥). ونقله القرطبي عن مقاتل بن حيان. ووافقه الحلبي والماوردي وغيرهما^(٦).

غير أن هذا الاختيار، يخالفه ظاهر قوله تعالى: «أُنزِلَ فِيهِ» أو «أُنزِلْنَاهُ» حكاية عن حدث سابق، فلو صح هذا القول لكان المناسب أن يقول: ننزله، صفة للحال!

وأيضاً يردّه ما استبعدناه على الرأي الخامس الآتي: ماهي الفائدة المتوخاة من نزول قرآن قبل الحاجة إليه، ولاسيما في صيغة جملة الماضي أو الحال، المستدعية

(١) المناقب: ج ١ ص ١٥٠ ومتشابهات القرآن: ج ١ ص ٦٣.

(٤) الدر المنثور: ج ١ ص ١٨٩.

(٢) شرح عقائد الصدوق: ص ٥٨.

(٥) مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٣) التفسير الكبير: ج ٥ ص ٨٥.

(٦) الإتيان: ج ١ ص ٤٠.

كونها نزلت لمناسبة وقتية، لا موقع لنزولها قبل ذلك، حسب التعبير اللفظي!

٣- شهر رمضان الذي نزل في شأنه القرآن، أي في فرض صيامه، كما يقال: نزل في فلان، أو في مناسبة كذا قرآن. والمراد من القرآن آية أو آيات منه^(١).

قال الضحاك: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، أي الذي أنزل صومه في القرآن^(٢). وقال سفيان بن عيينة: معناه: أنزل في فضله القرآن. واختاره الحسين ابن الفضل وابن الأنباري^(٣).

لكن هذا الوجه يخص آية البقرة، ولا يجري في آتي الدخان والقدر، كما لا يخفى. فضلاً عن أنه تأويل في اللفظ لا مبرر له ولا مستند.

٤- إن معظمه نزل في أشهر رمضان، ومن ثم صغ نسبة الجميع إليه. وهذا احتمال ثان احتملها سيد قطب، قال: الشهر الذي أنزل فيه القرآن إما بمعنى أن بدء نزوله كان في رمضان، أو أن معظمه نزل في أشهر رمضان^(٤). لكن لا دليل على أن معظم آيات القرآن نزلت في أشهر رمضان وفي ليلة القدر بالخصوص. ولعل الواقعة تأبى هذا الاحتمال رأساً.

٥- القرآن نزل جملة واحدة في ليلة واحدة، هي ليلة القدر، إلى بيت العزة أو البيت المعمور، ثم نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فترات ومناسبات، طول عشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً. ذهب إلى هذا القول جماعة من أرباب الحديث، نظراً لظاهر أحاديث

(٣) التفسير الكبير: ج ٥ ص ٨٠.

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٧٦. والكشاف: ج ١ ص ٢٢٧.

(٤) في ظلال القرآن: ج ٢ ص ٧٩.

(٢) الدر المنثور: ج ١ ص ١٩٠.

رويت في ذلك .

قال الشيخ الصدوق -عليه الرحمة-: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر، جملة واحدة الى البيت المعمور، في السماء الرابعة، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة. وأن الله أعطى نبيه العلم جملة واحدة، ثم قال له: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ»^(١).

قال العلامة المجلسي -تعقيباً على هذا الكلام-: قد دلت الآيات على نزول القرآن في ليلة القدر. والظاهر نزوله جميعاً فيها. ودلت الآثار والأخبار على نزول القرآن في عشرين^(٢) أو ثلاث وعشرين سنة^(٣). وورد في بعض الروايات: أن القرآن نزل في أول ليلة من شهر رمضان^(٤). ودل بعضها على أن ابتداء نزوله في المبعث^(٥). فيجمع بينها بأن في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الرابعة (البيت المعمور) لينزل من السماء الرابعة الى الأرض تدريجاً. ونزل في أول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) ليعلمه هو، ولا يتلوه على الناس، ثم ابتداء نزوله آية وآية وسورة سورة في المبعث أو غيره ليتلوه على الناس ...^(٦).

وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: قال: انزل القرآن ليلة القدر جملة واحدة الى السماء الدنيا، ووضع في بيت العزة، ثم انزل نجوماً على النبي (صلى الله عليه وآله) في عشرين سنة.

(١) الاعتقادات: ص ١٠١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨-٦٢٩ ح ٦.

(٣) هي مدة نبوته (صلى الله عليه وآله) بناء على ابتداء نزول القرآن يوم مبعثه واختتامه بوفاة (صلى الله عليه وآله).

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٦٦ ح ١.

(٥) وهي روايات دلت على أن أول سورة نزلت هي سورة العلق، نزلت في بدء البعثة في اليوم ٢٧ من رجب، راجع بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٣٩ ح ١ وج ١٨ ص ٢٠٦ ح ٣٦.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٥٣-٢٥٤، ح ٣.

قال جلال الدين: وهذا هو أصح الأقوال وأشهرها. وروى في ذلك روايات كثيرة، حكم على أكثرها بالصحة، رواها عن الحاكم والطبراني والبيهقي والنسائي وغيرهم^(١).

وروى الطبري بسنده عن واثلة بن الأسقع عن النبي (صلى الله عليه وآله): قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان. وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان. وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت. وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان»^(٢).

وفيه عن السدي عن ابن عباس، قال: شهر رمضان، واللييلة المباركة ليلة القدر، فإن ليلة القدر هي اللييلة المباركة، وهي في رمضان، نزل القرآن جملة واحدة من الزبر الى البيت المعمور، وهي مواقع النجوم في السماء الدنيا، حيث وقع القرآن، ثم نزل على محمد (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك في الأمر والنهي وفي الحروب رسلاً رسلاً^(٣).

وكان عطية بن الأسود قد وقع في نفسه الشك من هذه الآية، وقد نزل القرآن في جميع شهور السنة، فسأل ابن عباس عن ذلك، فأجابه بما تقدم^(٤). وهكذا روى جلال الدين بسنده الى جابر بن عبد الله الانصاري - رضوان الله عليه - قال: أنزل الله صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزل التوراة على موسى لست خلون من رمضان، وأنزل الزبور على داود لثنتي عشرة خلت من رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى ثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمد (صلى الله عليه وآله) لأربع وعشرين خلت من رمضان^(٥). ومن طرقنا روى العياشي عن إبراهيم، أنه سأل الإمام الصادق (عليه

(٤) الدر المنثور: ج ١ ص ١٨٩.

(٥) نفس المصدر.

(١) الإتيان: ج ١ ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ج ٢ ص ٨٤.

(٣) تفسير الطبري: ج ٢ ص ٨٥.

السلام) عن قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» كيف أنزل فيه القرآن، وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة، من أوله الى آخره؟! فقال الإمام (عليه السلام): «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور، ثم أنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة. ثم قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان. وأنزلت الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وأنزل الزبور لثاني عشرة من رمضان. وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان»^(١).

وجاء الحديث في الكافي، إلا أن في آخره: «وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان» والرواية هي عن الحفص بن غياث^(٢). وفي التهذيب جاء قسم من الحديث برواية أبي بصير، وفي آخره: «وأنزل الفرقان في ليلة القدر»^(٣).

مركز تحقيقات كويريزي

هذه جملة من روايات مأثورة، تفسر نزول القرآن جملة واحدة في ليلة واحدة، إما الى البيت المعمور في السماء الرابعة، كما في روايات الخاصة. أو الى بيت العزة في السماء الدنيا، كما في بعض روايات العامة، ثم منها نزلت آياته مفرقة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب الظروف والمناسبات رسلاً رسلاً...

وقد أخذ الظاهريون من أصحاب الحديث بظاهر هذه الروايات، مستريحين بأنفسهم الى مدلولها الظاهري تعبداً محضاً.

(١) تفسير العباسي: ج ١ ص ٨٠ ح ١٨٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨-٦٢٩ ح ٦.

(٣) تهذيب الاحكام: ج ٤ ص ١٩٣-١٩٤ ح ٧.

أما المحققون من العلماء فلم يرقهم الأخذ بما لا يمكن تعقله، ولا مقتضى للتعبّد بما لا يرجع الى اصول العباديات، ومن ثم أخذوا ينتقدون هذه الأحاديث نقداً علمياً. متسائلين: ماهي الفائدة الملحوظة من وراء نزول القرآن جملة واحدة في إحدى السماوات العلى، ثم ينزل تدريجياً على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!

٢ ٥ ٥ ٥

وإجابة على هذا السؤال، قال الفخر الرازي: ويحتمل أن يكون ذلك تسهيلاً على جبرئيل أو لمصلحة النبي (صلى الله عليه وآله) في توقع الوحي من أقرب الجهات^(١).

وهذا الجواب غاية في الوهن والسقوط، مضافاً إلى أنه تخرّص بالغيب، ونستغرب صدور مثل هذا الكلام الفارغ من مثل هذا الرجل المصطلع بالتحقيق!!

وقال المولى الفيض الكاشاني: وكأنّه يريد بذلك: نزول معناه على قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ». ثم نزل طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه الى ظاهر لسانه، كلما أتاه جبرائيل (عليه السلام) بالوحي وقرأه عليه بألفاظه^(٢).

فقد أوّل - رحمه الله - البيت المعمور الى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وربّما أراد الصدوق (رحمه الله) أيضاً هذا المعنى من قوله: وأعطى نبيه العلم جملة واحدة.

وهكذا وقع اختيار الشيخ أبي عبد الله الزنجاني في تأويل هذه الرواية، قال: ويمكن أن نقول بأن روح القرآن وهي أغراضه الكلية التي يرمي إليها، تجلّت لقلبه الشريف في تلك الليلة «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ» ثم

(١) تفسير الرازي: ج ٥ ص ٨٥.

(٢) تفسير الصافي: ج ١ ص ٤٢.

ظهرت بلسانه الأظهر مفرقة في طول سنين «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» (١).

وقد أخذ العلامة الطباطبائي - قدس سره - هذا التأويل وزاد عليه تحقيقاً، قال: إنَّ الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء مانفهمه بالفهم العادي، وهي حقيقة ذات وحدة متماسكة لا تقبل تفصيلاً ولا تجزئة، لرجوعها الى معنى واحد لأجزاء فيه ولا فصول. وإنما هذا التفصيل المشاهد في الكتاب طراً عليه بعد ذلك الاحكام، قال تعالى: «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (٢). وقال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» (٣) وقال: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ» (٤) ... إذن فالمراد بإنزال القرآن في ليلة القدر: إنزال حقيقة الكتاب المتوحدة الى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفعة، كما أنزل القرآن المفصل في فواصل وظروف، على قلبه (صلى الله عليه وآله) أيضاً تدريجاً في مدة الدعوة النبوية... (٥).

أقول: هذا كلام لطيف، لكنه لا يعدو تأويلاً غير مستند الى دليل، والمسألة قبل كل شيء عقلية وليست بالعقلية النظرية، ومن ثم نتساءل هؤلاء الأعلام: بم أولتم البيت المعمور الذي هو في السماء الرابعة - حسب روايات الخاصة - أو بيت العزة - حسب روايات العامة - الى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! ولم هذا التعبير جاء في هذا اللفظ؟! وسوف نناقش السيد العلامة في اختيار وجود آخر للقرآن بسيط، وراء هذا الوجود المفصل، سيأتي الكلام عليه في فصل المتشابهات إن شاء الله (٦).

(١) الأسراء: ١٠٦ تاريخ القرآن: ص ١٠. (٤) الاعراف: ٥٢.

(٢) هود: ١. (٥) تفسير الميزان: ج ٢ ص ١٥-١٦.

(٣) الواقعة: ٧٧-٧٩. (٦) عند الكلام عن حقيقة التأويل في الجزء الثالث من الكتاب.

تحقيق مفيد:

قال المحقق العلامة الشيخ أبو عبد الله المفيد: الذي ذهب إليه أبو جعفر^(١) - رحمه الله - في هذا الباب، أصله حديث واحد - أي ليس من المتواتر المقطوع به - لا يوجب علماً ولا عملاً. ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالا فحالا يدل على خلاف ما تضمنه هذا الحديث. وذلك أن القرآن قد تضمن حكم ما حدث وذكر ما جرى على وجهه، وذلك لا يكون على الحقيقة إلا لوقت حدوثه عند السبب...

مثلاً قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا»^(٢)، نزلت هذه الآية بشأن خولة بنت خويلد جاءت تشتكي زوجها أوس بن الصامت الذي كان قد ظاهرها، وكان ذلك طلاقاً في الجاهلية^(٣).

وقوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا»^(٤). وقوله: «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»^(٥).

وكثير في القرآن لفظة «قالوا» و«قال» و«جاؤوا» و«جاء» - بلفظ الماضي - كما أن فيه ناسخاً ومنسوخاً... كل ذلك لا يتناسب ونزوله جملة واحدة في وقت لم يحدث شيء من ذلك.

قال - رحمه الله - : ولو تتبعنا قصص القرآن، لجاء مما ذكرناه كثيراً لا يتسع به المقال. وما أشبه ما جاء به هذا الحديث بمذهب المشبهة الذين زعموا أن الله

(١) نقلنا كلامه سابقاً. وكلام المفيد هنا رد عليه، وعلى كل من ذهب مذهبه من اختيار ظاهر تكمم الأحاديث.

(٢) المجادلة: ١.

(٤) الجمعة: ١١.

(٥) الأحزاب: ٢٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٤٦.

سبحانه لم ينزل متكلاً بالقرآن- أي القول بقدوم القرآن- ومخبراً عما سيكون بلفظ كان، وقد ردّ عليهم أهل التوحيد بنحو ما ذكرناه.

قال: وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر: أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه الى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأما أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر فهو بعيد عما يقتضيه ظاهر القرآن، والمتواتر من الأخبار، وإجماع العلماء على اختلافهم في الآراء...^(١).

وقال المرتضى علم الهدى - رحمه الله - : «والذي ذهب إليه أبو جعفر ابن بابويه - رحمه الله - من القطع على أنه أنزل جملة واحدة...» إن كان معتمداً في ذلك على الأخبار المروية التي رواها، فتلك أخبار آحاد لا توجب علماً ولا تقتضي قطعاً. وبإزائها أخبار كثيرة أشهر منها وأكثر، تقتضي أنه أنزل متفرقاً، وأن بعضه نزل بمكة وبعضه بالمدينة، ولهذا نسب بعض القرآن الى أنه مكّي وبعضه مدني. وأنه (صلى الله عليه وآله) كان يتوقف عند حدوث حوادث، كالظهار وغيره، على نزول ما ينزل إليه من القرآن، ويقول (صلى الله عليه وآله): ما أنزل اليّ في هذا شيء. ولو كان القرآن أنزل جملة واحدة لما جرى ذلك، ولكان حكم الظهار وغيره مما يتوقف فيه معلوماً له. ومثل هذه الأمور الظاهرة المنتشرة لا يرجع عنها بأخبار الآحاد خاصة.

فأما القرآن نفسه فدلّ على ذلك، وهو قوله تعالى، «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً»^(٢) ولو كان أنزل جملة واحدة لقل في جوابهم قد أنزل على ما اقترحتم، ولا يكون الجواب: «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً». وفسّر المفسرون كلّهم ذلك بأن قالوا: المعنى إنا أنزلناه كذلك أي متفرقاً يتمهل على إسماعه ويتدرّج الى تلقيه والترتيل أيضاً إنا هو ورود الشيء

في أثر الشيء، وصرف ذلك الى العلم به غير صحيح، لأن الظاهر خلافه. ولم يقل القوم: لولا علمنا بنزوله جملة واحدة، بل قالوا: لولا أنزل إليك جملة واحدة. وجوابهم إذا كان أنزل كذلك أن يقال: قد كان الذي طلبتموه، ولا يحتاج لإنزاله متفرقاً بما ورد بنزوله في تمام الآية.

فأما قوله: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»^(١) فإنها يدل على أن جنس القرآن (معظمه أو بدء شروعه) نزل في هذا الشهر، ولا يدل على نزول الجميع فيه.

فأما قوله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ»^(٢) فلا ندري من أي وجه دل على أنه أنزل جملة واحدة. وقد كان أنه - رحمه الله - يبين وجه دلالة على ذلك. وهذه الآية بأن تدل على أنه ما أنزل جملة واحدة أولى، لأنه تعالى قال «قَبْلَ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» وهذا يقتضي أن في القرآن منتظراً ما قضى الوحي به وقوع منه.

وقد كنا سؤلنا إملأ تأويل هذه الآية قديماً، فأملينا فيها مسألة مستوفاة، وذكرنا عن أهل التفسير فيها وجهين، وضمننا إليهما وجهاً ثالثاً تفردنا به.

فأحد الوجهين: إنه كان (عليه السلام) إذا نزل عليه الملك بشيء من القرآن قرأه مع الملك المؤدي له إليه قبل ان يستتم الأداء. حرصاً منه (عليه السلام) على حفظه وضبطه. فامر (عليه السلام) بالتثبت حتى ينتهي غاية الأداء، لتعلق الكلام بعضه ببعض.

والوجه الثاني: إنه (صلى الله عليه وآله) نهى أن يبلغ شيئاً من القرآن قبل أن يوحى إليه بمعناه وتأويله وتفسيره.

والوجه الثالث - الذي انفردنا به - إنه (صلى الله عليه وآله) نهى عن أن يستدعي من القرآن ما لم يوح إليه به لأن ما فيه مصلحة منه لا بد من انزاله وإن

لم يستدع، لأنه تعالى لا يذخر المصالح عنهم. ومالا مصلحة فيه لا ينزله على كل حال، فلا معنى للاستدعاء.

فلا تعلق للآية بالموضع الذي وقع فيه .. (١).

أول ما نزل:

اختلف الباحثون في شؤون القرآن، في أن أي آياته أوسوره نزلت قبل؟ والأقوال في ذلك ثلاثة:

١- سورة العلق. لأن نبوته (صلى الله عليه وآله) بدأت بنزول ثلاث أو خمس آيات من أول سورة العلق. وذلك حينما فجأه الحق وهو في غار حراء، فقال له الملك: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ، فغطه غطاءً ثم قال له: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم» (٢). الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم» (٣).

وفي تفسير الإمام: هبط إليه جبرائيل وأخذ بضبعه وهزه، فقال: يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اقرأ: قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم» (٤).

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «أول ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك. وآخر ما

(١) جواب المسائل الطرابلسيات الثالثة. ضمن المجموعة الأولى من رسائل الشريف المرتضى: ص ٤٠٣-٤٠٥.

(٢) صحيح البخاري: ج ١ ص ٣.

(٣) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٧.

(٤) تفسير الامام: ص ١٥٧ وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٠٦ ح ٣٦. وتفسير البرهان: ج ٢ ص ٤٧٨.

نزل عليه إذا جاء نصر الله»^(١).

٢- سورة المدثر. لما روي عن ابن سلمة، قال سألت جابر بن عبد الله الانصاري أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قلت: أو اقرأ باسم ربك؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي. ولعلّهُ سمع هاتفاً. ثم نظرت إلى السماء فإذا هو- يعني جبرائيل- فأخذني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، فأُنزل الله «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ»^(٢).

هذا.. ولعلّ جابراً اجتهد من نفسه أنها أول سورة نزلت، إذ ليس في كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) دلالة على ذلك، والأرجح أن ما ذكره جابر، كان بعد فترة انقطاع الوحي، فظنّه جابر بدء الوحي^(٣). وإليك حديث فترة انقطاع الوحي برواية جابر أيضاً:

قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحدث عن فترة الوحي، قال: فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض، فجلست منه فرقاً. أي فرغت- فرجعت، فقلت: زملوني زملوني فدثروني، فأُنزل الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ»- وهي الاوئان- قال (صلى الله عليه وآله): ثم تتابع الوحي. وفي لفظ البخاري: فحمى الوحي وتتابع^(٤).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٢٨-٦٢٩ ح ٦. وعيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٦ ح ١٢. وبحار الأنوار ج ٩٢ ص ٣٩.

ح ١. وتفسير البرهان: ج ١ ص ٢٩.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٩.

(٣) راجع البرهان: ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٨. وصحيح البخاري: ج ١ ص ٤.

٣- سورة الفاتحة. قال الزمخشري: أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل^(١). وروى العلامة الطبرسي عن الأستاذ أحمد الزاهد في كتابه «الإيضاح» بإسناده عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فأول ما نزل عليه بمكة: فاتحة الكتاب، ثم اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم...»^(٢).

وروى الواحد في أسباب النزول بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا خلى وحده سمع نداء فيفزع له، وللمرة الأخيرة ناداه الملك: يا محمد! قال: ليبيك، قال: قل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى بَلَغَ: وَلَا الضَّالِّينَ»^(٣). قلت: لاشك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي منذ بعثته، وكان يصلي معه علي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة^(٤) ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب^(٥) فقد ورد في الأثر: أول ما بدأ به جبرائيل: أن علمه الوضوء والصلاة^(٦) فلا بد أن سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة. قال جلال الدين السيوطي: لم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب^(٧).

وبعد.. فلانرى تناقياً جوهرياً بين الأقوال الثلاثة، نظراً لأن الآيات

(١) الكشف: ج ٤ ص ٧٧٥. وناقشه ابن حجر مناقشة سطحية لا مجال لها بعد توضيحنا الآتي في وجه

الجمع بين الأقوال الثلاثة. وراجع فتح الباري: ج ٨ ص ٥٤٨.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥.

(٣) أسباب النزول: ص ١١. (٤) تفسير علي بن إبراهيم القمي: ص ٣٥٣.

(٥) مستدرک الحاكم: ج ١ ص ٢٣٨-٢٣٩. وصحيح مسلم: ج ٢ ص ٩.

(٦) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦١. وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٤ ح ١٤ و ص ١٩٤ ح ٣٠.

(٧) الاتقان ج ١ ص ١٢.

الثلاث أو الخمس من أول سورة العلق إنما نزلت تبشيراً بنبوته (صلى الله عليه وآله) وهذا إجماع أهل الملة، ثم بعد فترة جاءت آيات - أيضاً - من أول سورة المدثر، كما جاء في حديث جابر ثانياً. أما سورة الفاتحة فهي أولى سورة نزلت بصورة كاملة، وبسمة كونها سورة من القرآن كتاباً سماوياً للمسلمين، فهي أول قرآن نزل عليه (صلى الله عليه وآله) بهذا العنوان الخاص، وأما آيات غيرها سبقتها نزولاً، فهي إنما نزلت لغايات أخرى، وإن سجلت بعدئذ قرآناً ضمن آياته وسوره.

ومن هنا صح التعبير عن سورة الحمد بسورة الفاتحة أي أول سورة كاملة نزلت بهذه السمة الخاصة. وهذا الاهتمام البالغ بشأنها في بدء الرسالة، واختصاص فرضها في الصلوات جميعاً، جعلها - في الفضيلة - عدلاً للقرآن العظيم: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»^(١). فقد امتن الله على رسوله بهذا النزول الخاص تجاه سائر القرآن.

نعم لو اعتبرنا السور باعتبار مفتتحها فسورة الحمد تقع الخامسة، كما جاء في رواية جابر بن زيد^(٢) الآتية.

آخر منازل:

جاء في روايتنا: أن آخر منازل هي سورة النصر، روي أنها لما نزلت وقرأها (صلى الله عليه وآله) على أصحابه، فرحوا واستبشروا، سوى العباس بن عبد المطلب، فإنه بكى، قال (صلى الله عليه وآله): ما يبكيك يا عم! قال: أظن أنه قد نعت إليك نفسك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إنه لكما تقول، فعاش (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدها سنتين^(٣).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «وآخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله

(٣) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٥٤.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٢٥.

(١) الحجر: ٨٧.

وَالْفَتْحُ»^(١).

وأخرج مسلم عن ابن عباس، قال: آخر سورة نزلت، إذا جاء نصر الله
وَالْفَتْحُ»^(٢).

وروي: آخر سورة نزلت براءة. نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند
مرجعه (صلى الله عليه وآله) من غزوة تبوك، نزلت آيات من أولها، فبعث بها
النبي مع علي (عليه السلام) ليقرأها على ملأ من المشركين^(٣).
وروي: آخر آية نزلت «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ». نزل بها جبرئيل، وقال: وضعها في رأس المائتين
والثمانين من سورة البقرة. وعاش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدها
أحدًا وعشرين يومًا، وقيل سبعة أيام^(٤).

قال ابن واضح البعقوني: وقد قيل: إن آخر ما نزل عليه (صلى الله عليه
وآله) «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٥) قال: وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة. وكان نزولها
يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بغدير خم^(٦).
أقول: لا شك أن سورة النصر نزلت قبل براءة، لأنها كانت بشارة بالفتح،
أو بمكة عام الفتح^(٧) وبراءة نزلت بعد الفتح بسنة. فطريق الجمع بين هذه
الروايات: أن آخر سورة نزلت كاملة هي سورة النصر، فقال (صلى الله عليه وآله
وسلم): أما أن نفسي نعت إلي^(٨). وآخر سورة نزلت باعتبار مفتحتها هي
سورة براءة. وأما آية «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» فإن صح أنها نزلت

(٥) المائة: ٣.

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٩.

(٦) تاريخ البعقوني: ج ٢ ص ٣٥.

(٢) الإقتان: ج ١ ص ٢٧.

(٧) أسباب النزول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٤٥.

(٣) تفسير الصافي: ج ١ ص ٦٨٠.

(٨) مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٩٤.

(٤) تفسير شبر: ص ٨٣.

بمنى يوم النحر في حجة الوداع- كما جاء في رواية الماوردي^(١) فأخر آية نزلت هي آية الإكمال- كما ذكرها اليعقوبي. لأنها نزلت في مرجعه (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ثامن عشر ذي الحج. وإلا فلوصح أن النبي عاش بعد آية «وَاتَّقُوا...» أحداً وعشرين يوماً أو سبعة أو تسعة أيام، فهذه هي آخر آية نزلت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم).

والأرجح عندنا: هو ما ذهب إليه اليعقوبي، نظراً لأنها آية الإعلام بكمال الدين، فكانت إنذاراً بانتهاء الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) بالبلاغ والأداء. فلعل تلك الآية كانت آخر آيات الأحكام، وهذه آخر آيات الوحي إطلاقاً. وهناك أقوال وآراء أخر لا قيمة لها، إنها غير مستندة الى نص معصوم. قال القاضي أبوبكر- في الانتصار:- وهذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن وليس العلم بذلك من فرائض الدين، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط. ويحتمل أن كلاً منهم أخير عن آخر ما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وغيره سمع منه بعد ذلك. ويحتمل أيضاً- أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها، وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخراً وتلاوته، فيظن سماع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب^(٢).

المكي والمدني:

لمعرفة المكي من المدني، سواء أكانت سورة أم آية، فائدة كبيرة تمس جوانب أسباب النزول، وتمد المفسر والفقيه في تعيين اتجاه الآية، وفي مجال معرفة الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والقيد من الإطلاق،

(٢) البرهان: ج ١ ص ٢١٠.

(١) البرهان: ج ١ ص ١٨٧.

وما أشبه. ومن ثم حاول العلماء جهدهم في تعيين المكيات من المدنيات، ووقع إجماعهم على قسم كبير، واختلفوا في البقية. كما استثنوا آيات مدنية في سور مكية أو بالعكس، ولذلك تفصيل طريف يأتي.

والملاك في تعيين المكّي والمدنيّ مختلف حسب اختلاف الآراء والأنظار في ذلك، وفيما يلي ثلاث نظريات جاءت مشهورة:

الأولى: اعتبار ذلك بهجرة النبي (صلى الله عليه وآله) ووصوله الى المدينة المنورة. فما نزل قبل الهجرة أو في اثناء الطريق قبل وصوله الى المدينة، فهو مكّي، وما نزل بعد ذلك فهو مدنيّ.

والملاك على هذا الاعتبار ملاك زمني، فما نزل قبل وقت الهجرة، ولو في غير مكة فهو مكّي. وما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة حتى ولو نزل في مكة عام الفتح أو في حجة الوداع، فهو مدنيّ باعتبار نزوله بعد الهجرة. وعلى هذا الاصطلاح فجميع الآيات النازلة في الحروب وفي أسفاره (صلى الله عليه وآله) بما أنها نزلت بعد الهجرة، كلّها مدنيّات.

قال يحيى بن سلام: ما نزل بمكة أو في طريق المدينة قبل أن يبلغها (صلى الله عليه وآله) فهو مكّي. وما نزل بعدما قدم (صلى الله عليه وآله) المدينة أو في بعض أسفاره وحروبه فهو مدنيّ. قال جلال الدين: وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكّي اصطلاحاً^(١).

وذلك كقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ»^(٢) قيل: نزلت بالجحفة والنبيّ (صلى الله عليه وآله) في طريق هجرته الى المدينة^(٣).

الثانية: ما نزل بمكة وحواليها - ولو بعد الهجرة - فهو مكّي، وما نزل بالمدينة وحواليها فهو مدنيّ. وما نزل خارج البلدين، بعيداً عنها فهو لا مكّي ولا مدنيّ،

(٣) البرهان: ج ١ ص ١٩٧.

(٢) القصص: ٨٥.

(١) الإتيان: ج ١ ص ٩.

كقوله تعالى: «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ»^(١). قيل: نزلت بالحديبية حينما صالح النبي (صلى الله عليه وآله) مشركي قريش فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم... فقال سهيل بن عمرو وسائر المشركين مانعوا عن الرحمان إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فنزلت الآية^(٢) وهكذا آية الأنفال^(٣) نزلت في بدر عندما اختصم المسلمون في تقسيم الغنائم^(٤) لامكية ولا مدنية، على هذا الاصطلاح.

الثالثة: ما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكّي، وما كان خطاباً لأهل المدينة فهو مدني، وهذا الاصطلاح مأخوذ من كلام ابن مسعود: «كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو بمكة. وكل شيء نزل فيه يا أيها الذين آمنوا فهو بالمدينة»^(٥). قال الزركشي: لأن الغالب على أهل مكة الكفر، والغالب على أهل المدينة الإيمان^(٦).

مركز تحقيقات كميونير علوم راسدي

وهذا الاختلاف في تحديد المكّي والمدنيّ أوجب اختلافاً في كثير من آيات وسور: أنها مكية أم مدنية^(٧). غير أن المعتمد من هذه المصطلحات هو الأول، وهو المشهور الذي جرى عليه أكثرية أهل العلم^(٨) وكان تحديدنا الآتي في نظم السور حسب ترتيب نزولها معتمداً على هذا الاصطلاح.

(٤) راجع السيرة لابن هشام: ج ٢ ص ٣٢٢.

(١) الرعد: ٣٠.

(٥) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٦ ص ٢٩٣.

(٦) البرهان: ج ١ ص ١٨٧.

(٣) الأنفال: ١.

(٧) كما في آية الأمانات من سورة النساء: ٥٨ زعمها النحاس مكية لرواية ابن جريج راجع مجمع

البيان: ج ٣ ص ٦٣.

(٨) راجع البرهان: ج ١ ص ١٨٧. والاتقان ج ١ ص ٩.

نعم، الطرق الى معرفة مواقع النزول: أنها كانت بمكة أو بالمدينة أو
بغيرهما، قليل جداً، لأنّ الأوائل لم يعيروا هذه الناحية المهمة اهتماماً معتداً
به، سوى ماذكروه في عرض الكلام استطراداً، وهي استفادة ضئيلة للغاية،
ومن ثمّ يجب لمعرفة ذلك ملاحظة شواهد وقرائن من لفظ الآية أو استفادة من
لهجة الكلام، خطاباً مع نوعيّة موقف الموجه اليهم: أكان في حرب أم في سلم،
وعد أم وعيد، إرشاد أو تكليف...؟ فيما إذا أوجب ذلك علماً أو حلاً قطعياً
لمشكلة في لفظ الآية، كما في قوله: «فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ
أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»^(١)، فإنّ مشكلة دلالتها على مطلق الترخيص دون الإلزام
والإيجاب، تنحلّ بما أثر في سبب نزولها^(٢). الأمر الذي يوجب الثقة بصحة
الأثر، مع غرض النظر عن ملاحظة السند، ومن ثمّ فهي مدنيّة.

قال الجعبري: لمعرفة المكي والمدنيّ طريقان: سماعيّ وقياسيّ.
فالسماعيّ ماوصل إلينا نزوله بأحدهما. والقياسيّ، قال علقمة عن ابن
مسعود: كلّ سورة فيها «يا أيّها الناس» فقط، أو «كلا» أو أولها حروف تهج
سوى الزهراوين (البقرة وآل عمران) والرعد في وجه. أو فيها قصة آدم وإبليس
سوى الطولي (البقرة) أو فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية، فهي مكّيّة. وكلّ
سورة فيها حدّ أو فريضة، فهي مدنيّة. وفي رواية: وكلّ سورة فيها:
«يا أيّها الذين آمنوا» فهي مدنيّة.

قال الزركشي: وهذا القول - الأخير - إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإنّ
سورة البقرة مدنيّة وفيها: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ»^(٣)، وفيها: «يَا أَيُّهَا
النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً»^(٤). وسورة النساء مدنيّة وفيها:

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) كان المسلمون يتحرّجون السعي بين الصفا والمروة، زعماً أنّها عادة جاهليّة تكرماً بمقام أساف ونائلة،

فنزلت الآية دفعاً لهذا الوهم. راجع مجمع البيان: ج ١ ص ٢٤٠.

(٤) البقرة: ١٦٨.

(٣) البقرة: ٢١.

«يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ»^(١). وفيها: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ»^(٢). فإنَّ أراد المفسِّرون أنَّ الغالب ذلك فهو صحيح، ولذا قال مكِّي بن حموش: هذا إنَّما هو في الأكثر وليس بعام. وفي كثير من سور مكيَّة «يا أيُّها الذين آمنوا»^(٣). وقال القاضي أبوبكر: كانت العادة تقضي بحفظ الصحابة ذلك، غير أنَّه لم يكن من النَّبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك قول، ولا ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا وإنَّما لم يفعله لأنَّه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأُمَّة، وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم، لمَّا لم يعتبروا ذلك من فرائض الدين، لم تتوفَّر الدواعي على إخبارهم به، ومواصلة ذلك على أسماعهم. وإذا كان الأمر على ذلك ساغ أن يختلف من جاء بعدهم في بعض القرآن: هل هو مكِّي أو مدني؟ وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد^(٤).

مركز تحقيقات كميته علوم دینی

ترتيب النزول:

اعتمدنا في هذا العرض على عدة روايات متفق عليها. وثق بها العلماء أكثرها، وعمدتها رواية ابن عباس بطرق وأسانيد اعترف بها أئمة الفقه^(٥). قال الإمام بدرالدين الزركشي: وعلى هذا الترتيب استقرت الرواية من الثقات^(٦). وقد أخذناها الأصل الأول في هذا العرض، واكملنا ما سقط منها

(١) النساء: ١.

(٢) النساء: ١٣٣.

(٣) لم نجد في سورة مكيَّة «يا أيُّها الذين آمنوا» نعم فيها كثير ذكر «الذين آمنوا» بلا خطاب. كما في سورة ص والزمر وغافر وفصلت وغيرها.

نعم ذكر الزركشي مثلاً لذلك قوله تعالى: «يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا» سورة الحج: ٧٧. فزعمها مكيَّة. لكن الصحيح أنَّها مدنيَّة وسيأتي ذلك.

(٤) راجع البرهان: ج ١ ص ١٩٠-١٩٢.

(٥) راجع مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥-٤٠٦. والإتقان: ج ١ ص ١٠-١١ و ٢٥.

(٦) البرهان: ج ١ ص ١٩٣-١٩٤.

على رواية جابر بن زيد وغيره، وكذا نصوص تاريخية معتمدة^(١)، نعم كان بينها بعض الاختلاف إما للاختلاف في تحديد المكي والمدني، أو في عدد المكيات من المدنيات، ومن ثم جاء اختلافهم في نيف وثلاثين سورة: أنها مكيات أم مدنيات.

والنظر في هذا العرض كان الى مفتتح السور، فالسورة إذا نزلت من أولها بضع آيات، ثم نزلت أخرى، وبعدها اكتملت الأولى، كانت الأولى متقدمة على الثانية في ترتيب النزول حسب هذا المصطلح.

واليك قائمة السور المكية، وعددها: ست وثمانون سورة. متقدمة على السور المدنية، وعددها: ثمان وعشرون سورة. مع غرض النظر عن سور مختلف فيها، وسنتكلم عن ذلك في فصل قادم.



مركز تحقيقات كليات علوم إيسدي

(١) راجع الفهرست: ص ٢٨، وتاريخ البقوي: ج ٢ ص ٢٨.

السور المكية

(٨٦)

ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف
١	العلق	٩٦	١٤	العاديات	١٠٠
٢	القلم	٦٨	١٥	الكوثر	١٠٨
٣	المزمل	٧٣	١٦	التكاثر	١٠٢
٤	المدثر	٧٤	١٧	الماعون	١٠٧
٥	الفاتحة ^(١)	١	١٨	الكافرون	١٠٩
٦	المسد	١١١	١٩	الفيل	١٠٥
٧	التكوير	٨١	٢٠	الفلق	١١٣
٨	الأعلى	٨٧	٢١	الناس	١١٤
٩	الليل	٩٢	٢٢	التوحيد	١١٢
١٠	الفجر	٨٩	٢٣	النجم	٥٣
١١	الضحى	٩٣	٢٤	عبس	٨٠
١٢	الشرح	٩٤	٢٥	القدر	٩٧
١٣	العصر	١٠٣	٢٦	الشمس	٩١

(١) سقطت الفاتحة من رواية ابن عباس، فأثبتناها على رواية جابر بن زيد: الإقنان: ج ١ ص ٢٥ وعلى

نص تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٦.

٢٧	البروج	٨٥	٥٠	الإسراء	١٧
٢٨	التين	٩٥	٥١	يونس	١٠
٢٩	قريش	١٠٦	٥٢	هود	١١
٣٠	القارعة	١٠١	٥٣	يوسف	١٢
٣١	القيامة	٧٥	٥٤	الحجر	١٥
٣٢	الهمزة	١٠٤	٥٥	الأنعام	٦
٣٣	المرسلات	٧٧	٥٦	الصافات	٣٧
٣٤	ق	٥٠	٥٧	لقمان	٣١
٣٥	البلد	٩٠	٥٨	سبا	٣٤
٣٦	الطارق	٨٦	٥٩	الزمر	٣٩
٣٧	القمر	٥٤	٦٠	غافر	٤٠
٣٨	ص	٣٨	٦١	فصلت	٤١
٣٩	الأعراف	٧٧	٦٢	الشورى	٤٢
٤٠	الجن	٧٢	٦٣	الزخرف	٤٣
٤١	يس	٣٦	٦٤	الدخان	٤٤
٤٢	الفرقان	٢٥	٦٥	الجاثية	٤٥
٤٣	فاطر	٣٥	٦٦	الأحقاف	٤٦
٤٤	مريم	١٩	٦٧	الذاريات	٥١
٤٥	طه	٢٠	٦٨	الغاشية	٨٨
٤٦	الواقعة	٥٦	٦٩	الكهف	١٨
٤٧	الشعراء	٢٦	٧٠	النحل	١٦
٤٨	النمل	٢٧	٧١	نوح	٧١
٤٩	القصص	٢٨	٧٢	إبراهيم	١٤

٧٨	النبا	٨٠	٢١	الأنبياء	٧٣
٧٩	النازعات	٨١	٢٣	المؤمنون	٧٤
٨٢	الانفطار	٨٢	٣٢	السجدة	٧٥
٨٤	الانشقاق	٨٣	٥٢	الطور	٧٦
٣٠	الروم	٨٤	٦٧	الملك	٧٧
٢٩	العنكبوت	٨٥	٦٩	الحاقة	٧٨
٨٣	المطففين	٨٦	٧٠	المعارج	٧٩

السور المدنية

(٢٨)

ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة	ترتيب المصحف	ترتيب النزول	السورة
٦٥	٩٩	الطلاق	٢	٨٧	البقرة
٩٨	١٠١	البيّنة	٨	٨٨	الأنفال
٥٩	١٠٢	الحشر	٣	٨٩	آل عمران
١١٠	١٠٣	النصر	٣٣	٩٠	الأحزاب
٢٤	١٠٤	النور	٦٠	٩١	الممتحنة
٢٢	١٠٥	الحج	٤	٩٢	النساء
٦٣	١٠٦	المنافقون	٩٩	٩٣	الزّلزّل
٥٨	١٠٧	المجادلة	٥٧	٩٤	الحديد
٤٩	١٠٨	الحجرات	٤٧	٩٥	محمد
٦٦	١٠٩	إلتحريم	١٣	٩٦	الرعد
٦٢	١١٠	الجمعة	٥٥	٩٧	الرحمان
٦٤		التغابن	٧٦	٩٨	الإنسان

٥	المائدة (٢)	١١٣	٦١	الصف (١)	١١١
٩	براءة	١١٤	٤٨	الفتح	١١٢

وإليك قائمة أخرى مرتّبة على حروف التهجّي، والرقم يشير إلى ترتيب
السورة في المصحف:

الف

نزلت بعد الأنفال	مدنيّة	٣- آل عمران
نزلت بعد نوح	مكيّة	١٤- إبراهيم
نزلت بعد آل عمران	مدنيّة	٣٣- الأحزاب
نزلت بعد الجاثية	مكيّة	٤٦- الأحقاف
نزلت بعد القصص	مكيّة	١٧- الإسراء
نزلت بعد ص	مكيّة	٧- الأعراف
نزلت بعد التكويد	مكيّة	٨٧- الأعلى
نزلت بعد إبراهيم	مكيّة	٢١- الأنبياء
نزلت بعد الرحمان	مدنيّة	٧٦- الإنسان
نزلت بعد الانفطار	مكيّة	٨٤- الانشقاق
نزلت بعد الحجر	مكيّة	٦- الأنعام
نزلت بعد البقرة	مدنيّة	٨- الأنفال
نزلت بعد النازعات	مكيّة	٨٢- الانفطار

ب

نزلت بعد المائدة	مدنيّة	٩- براءة
------------------	--------	----------

(١) جعل الزركشي في البرهان سورة الصف بعد التحريم وقبل الجمعة.

(٢) قدم الزركشي في البرهان البراءة على المائدة، وجعل هذه الأخيرة آخر السور.

نزلت بعد الشمس	مكية	٨٥- البروج
نزلت بعد المطففين	مدنية	٢- البقرة
نزلت بعد ق	مكية	٩٠- البلد
نزلت بعد الطلاق	مدنية	٩٨- البيّنة

ت

نزلت بعد الحجرات	مدنية	٦٦- التحريم
نزلت بعد الجمعة	مدنية	٦٤- التغابن
نزلت بعد الكوثر	مكية	١٠٢- التكاثر
نزلت بعد المسد	مكية	٨١- التكوير
نزلت بعد الناس	مكية	١١٢- التوحيد
نزلت بعد البروج	مكية	٩٥- التين



مركز تحيت كچويز علوم رسدي

ج

نزلت بعد الدخان	مكية	٤٥- الجاثية
نزلت بعد التحريم	مدنية	٦٢- الجمعة
نزلت بعد الأعراف	مكية	٧٢- الجن

ح

نزلت بعد الملك	مكية	٦٩- الحاقة
نزلت بعد النور	مدنية	٢٢- الحج
نزلت بعد يوسف	مكية	١٥- الحجر
نزلت بعد المجادلة	مدنية	٤٩- الحجرات
نزلت بعد الزلزال	مدنية	٥٧- الحديد

نزلت بعد البيّنة	مدنيّة	٥٩- الحشر
د		
نزلت بعد الزخرف	مكيّة	٤٤- الدخان
ذ		
نزلت بعد الأحقاف	مكيّة	٥١- الذاريات
ر		
نزلت بعد الرعد	مدنيّة	٥٥- الرحمان
نزلت بعد محمد	مدنيّة	١٣- الرعد
نزلت بعد الانشقاق	مكيّة	٣٠- الروم
		
نزلت بعد الشورى	مكيّة	٤٣- الزخرف
نزلت بعد النساء	مدنيّة	٩٩- الزلزال
نزلت بعد سبأ	مكيّة	٣٩- الزمر
س		
نزلت بعد لقمان	مكيّة	٣٤- سبأ
نزلت بعد المؤمنون	مكيّة	٣٢- السجدة
ش		
نزلت بعد الضحى	مكيّة	٩٤- الشرح
نزلت بعد الواقعة	مكيّة	٢٦- الشعراء
نزلت بعد القدر	مكيّة	٩١- الشمس

٤٢ - الشورى مكية نزلت بعد فصلت

ص

٣٨ - ص مكية نزلت بعد القمر

٣٧ - الصافات مكية نزلت بعد الأنعام

٦١ - الصف مدنية نزلت بعد التغابن

ض

٩٣ - الضحى مكية نزلت بعد الفجر



٨٦ - الطارق مكية نزلت بعد البلد

٢٠ - طه مكية نزلت بعد مريم

٦٥ - الطلاق مدنية نزلت بعد الإنسان

٥٢ - الطور مكية نزلت بعد السجدة

ع

١٠٠ - العاديات مكية نزلت بعد العصر

٨٠ - عبس مكية نزلت بعد النجم

١٠٣ - العصر مكية نزلت بعد الشرح

٩٦ - العلق مكية هي أول ما نزلت

٢٩ - العنكبوت مكية نزلت بعد الروم

غ

نزلت بعد الذاريات	مكية	٨٨- الغاشية
نزلت بعد الزمر	مكية	٤٠- غافر

ف

نزلت بعد المدثر	مكية	١- الفاتحة
نزلت بعد الفرقان	مكية	٣٥- فاطر
نزلت بعد الصف	مدنية	٤٨- الفتح
نزلت بعد الليل	مكية	٨٩- الفجر
نزلت بعد يس	مكية	٢٥- الفرقان
نزلت بعد غافر	مكية	٤١- فصلت
نزلت بعد الفيل	مكية	١١٣- الفلق
نزلت بعد الكافرون	مكية	١٠٥- الفيل

ق

نزلت بعد المرسلات	مكية	٥٠- ق
نزلت بعد قريش	مكية	١٠١- القارعة
نزلت بعد عبس	مكية	٩٧- القدر
نزلت بعد التين	مكية	١٠٦- قريش
نزلت بعد النمل	مكية	٢٨- القصص
نزلت بعد العلق	مكية	٦٨- القلم
نزلت بعد الطارق	مكية	٥٤- القمر
نزلت بعد القارعة	مكية	٧٥- القيامة

ك

نزلت بعد الماعون	مكية	١٠٩- الكافرون
نزلت بعد الغاشية	مكية	١٨- الكهف
نزلت بعد العاديات	مكية	١٠٨- الكوثر

ل

نزلت بعد الصافات	مكية	٣١- لقمان
نزلت بعد الأعلى	مكية	٩٢- الليل

م

نزلت بعد الفتح	مدنية	٥- المائدة
نزلت بعد التكاثر	مكية	١٠٧- الماعون
نزلت بعد المنافقون	مدنية	٥٨- المجادلة
نزلت بعد الحديد	مدنية	٤٧- محمد
نزلت بعد المزمل	مكية	٧٤- المذثر
نزلت بعد الهمزة	مكية	٧٧- المرسلات
نزلت بعد فاطر	مكية	١٩- مريم
نزلت بعد القلم	مكية	٧٣- المزمل
نزلت بعد الفاتحة	مكية	١١١- المسد
نزلت بعد العنكبوت	مكية	٨٣- المطففين
نزلت بعد الحاقة	مكية	٧٠- المعارج
نزلت بعد الطور	مكية	٦٧- الملك
نزلت بعد الأحزاب	مدنية	٦٠- المتحنة

نزلت بعد الحج	مدنيّة	٦٣- المنافقون
نزلت بعد الأنبياء	مكيّة	٢٣- المؤمنون

ن

نزلت بعد الفلق	مكيّة	١١٤- الناس
نزلت بعد النبأ	مكيّة	٧٩- النازعات
نزلت بعد المعارج	مكيّة	٧٨- النبأ
نزلت بعد التوحيد	مكيّة	٥٣- النجم
نزلت بعد الكهف	مكيّة	١٦- النحل
نزلت بعد الممتحنة	مدنيّة	٤- النساء
نزلت بعد الحشر	مدنيّة	١١٠- النصر
نزلت بعد الشعراء	مكيّة	٢٧- النمل
نزلت بعد النمل	مكيّة	٧١- نوح
نزلت بعد النصر	مدنيّة	٢٤- النور

و

نزلت بعد طه	مكيّة	٥٦- الواقعة
-------------	-------	-------------

هـ

نزلت بعد القيامة	مكيّة	١٠٤- الهمزة
نزلت بعد يونس	مكيّة	١١- هود

ي

نزلت بعد الجن	مكيّة	٣٦- يس
---------------	-------	--------

نزلت بعد هود	مكة	۱۲- يوسف
نزلت بعد الإسراء	مكة	۱۰- يونس



مرکز تحقیقات کتب و پژوهش‌های اسلامی

سور مختلف فيها

نتيجة على ما سبق كانت السور المكية ستاً وثمانين سورة، أولهنّ سورة العلق وآخرهنّ سورة المطففين. والسور المدنية ثمانين وعشرين سورة، أولهنّ سورة البقرة، وآخرهنّ سورة براءة.

لكن هذا التحديد لم يكن متفقاً عليه عند الجميع، فهناك في أكثر من ثلاثين سورة خالف بعضهم ما أثبتناه في القائمتين. وفيما يلي عرض موجز عن هذا الاختلاف، مع إلمامة قصيرة الى وجه اختيارنا في الموضوع، ونؤجل التفصيل الى تفسيرنا الوسيط:

١- سورة الفاتحة

قال مجاهد: إنها مدنية^(١).

قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد، لأنّ العلماء على خلاف قوله^(٢) ولقول عليّ (عليه السلام): نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش^(٣).

ولقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»^(٤)، وسورة الحجر مكية باتفاق، وهذا إخبار عن ماض سبق.

(٣) الإقنآن: ج ١ ص ١٢.

(٤) الحجر: ٨٧.

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ١٧.

(٢) الإقنآن: ج ١ ص ١٢.

ولأنّها أول سورة كاملة نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) علّمه إياها جبرئيل^(١) ومن ثمّ سميت بفاتحة الكتاب^(٢) فكان (صلى الله عليه وآله) يصلي بها في أولى جماعة انعقدت بهم نطفة الإسلام، ولا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب^(٣) قال جلال الدين: ولم يحفظ صلاة بغير فاتحة الكتاب^(٤).

٢- سورة النساء

زعم النحّاس أنّها مكيّة، نظراً الى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»^(٥) فقد قال ابن جريح: إنّها نزلت بمكة عام الفتح بشأن مفتاح البيت الحرام، أراد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يدفعه الى العباس بن عبدالمطلب فأمره الله أن يدفعه الى عثمان بن طلحة، حيث كان (صلى الله عليه وآله) قد أخذه منه^(٦).

لكن المفسرين اتفقوا على أنّها مدنيّة، نظراً لضعف إسناد هذا الحديث. على أنّ نزول آية أو سورة بمكة عام الفتح لا يجعلها مكيّة، على الاصطلاح المشهور: ما نزل بعد الهجرة فهو مدنيّ ولو كان نزوله بمكة. وأخيراً فإنّ السورة بكاملها لا تتسم بسمة آية واحدة فيها: كان نزولها على غير نزول السورة.

٣- سورة يونس

في رواية شاذة عن ابن عباس: أنّها مدنيّة^(٧). ولم تثبت هذه الرواية،

(١) السيرة النبويّة: ج ١ ص ١٦١.

(٢) تقدّم ذلك في الصفحة: ١٢٥.

(٣) صحيح مسلم: ج ٢ ص ٩. والمستدرک للحاكم: ج ١ ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

(٤) مجمع البيان: ج ٣ ص ٦٣.

(٥) الإتيقان: ج ١ ص ١٢.

(٦) الإتيقان: ج ١ ص ١٢.

(٧) النساء: ٥٨.

فضلاً عن مخالفتها للنص المتقدم عن ابن عباس نفسه في ترتيب نزول السور، وكان متفقاً عليه تقريباً.

٤- سورة الرعد

قال محمد بن السائب الكلبي ومقاتل وعطاء إنها مكية^(١). وكذا في رواية رواها مجاهد عن ابن عباس^(٢).

ورجح سيد قطب هذا القول، قال: ومكية هذه السورة شديدة الوضوح، سواء في طبيعة موضوعها أو طريقة أدائها أو في جوها العام الذي لا يخطئ تنسّمه من يعيش في ظلال هذا القرآن^(٣).

لكن روايات الترتيب اتفقت على أنها مدنية نزلت بعد سورة القتال، كما جاء في رواية عكرمة والحسين بن أبي الحسن. ورواية خفيف عن مجاهد عن ابن عباس نفسه^(٤). وكذا قال الحسن وقتادة^(٥).

وأما سياق السورة فإنه توجيه عام للبشرية إلى آيات التوحيد، الأمر الذي تشترك فيها السور المكية والمدنية، ككثير من آيات سورة البقرة وغيرها من سور مدنيات. والعمدة: اتفاق روايات الترتيب. ويتضح ذلك أكثر عند الكلام عن سورة الرحمن.

٥- سورة الحج

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: إنها مكية^(٦). وروى ذلك عن مجاهد

(١) الدر المنثور: ج ٤ ص ٤٢. ومجمع البيان: ج ٦ ص ٢٧٣.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٩.

(٣) في ظلال القرآن: ج ١٣ ص ٦٣ الهامش.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٠.

(٥) مجمع البيان: ج ٦ ص ٢٧٣. والدر المنثور: ج ٤ ص ٤٢.

(٦) الكشف عن القراءات السبع: ج ٢ ص ١١٦.

بسند فيه ضعف^(١) قال: سألت ابن عباس عن نزول السور، حتى انتهى الى سورة الحج، فقال: أنزلت بمكة سوى الآيات الثلاث (١٩ و ٢٠ و ٢١) نزلن بالمدينة^(٢) ولما رواه الطبري من حديث الغرائق^(٣) وأيضاً فإن لهجتها الشديدة تناسب نزولها بمكة!

قلت: كل ذلك لا يقاوم اتفاق كلمة روايات الترتيب ونصوص المؤرخين. ورواية مجاهد- مع ضعف سندها- معارضة بروايات الترتيب المتفق عليها^(٤). أما حديث الغرائق فحديث خرافة لا أصل لها^(٥). وأما اللهجة فهي غالبية وليست دائمية، ومن ثم لا تصلح مستنداً للحكم عليها.

٦- سورة الفرقان

زعم الضحاك أنها مدنية، نظراً لآيات في آخرها قيل فيها: أنها مدنية^(٦). وهذا لوحده لا يصلح دليلاً على مدنيّتها بعد اتفاق روايات الترتيب.

مركز تحقيقات كنجوير علوم إسلامي

٧- سورة يس

قيل: إنها مدنية^(٧). ولم يعرف هذا القائل ولا دليله الذي استند إليه. والإجماع منعقد على أنها مكية.

(١) بسبب أبي عبيدة معمر بن المثنى، كان يرى رأي الخوارج بذيئاً متهكاً، قليل العناية بالقرآن، وإذا قرأه قرأه نظراً. راجع الفهرست: ص ٥٩. وميزان الاعتدال: ج ٤ ص ١٥٥. وتهذيب التهذيب: ج ١٠ ص ٢٤٧.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٩.

(٣) تفسير الطبري: ج ١٧ ص ١٣١-١٣٢.

(٤) راجع الإتيان: ج ١ ص ١١ و ٢٥. والفهرست: ص ٢٨، والدر المنثور: ج ٤ ص ٣٤٢.

(٥) تقدم ذلك في الصفحة: ٨٦.

(٦) الإتيان: ج ١ ص ١٣.

(٧) نفس المصدر.

٨- سورة ص

أيضاً فيل: مدنية^(١) وهو شاذ مخالف للإجماع.

٩- سورة محمد (صلى الله عليه وآله)

فيها قول ضعيف: أنها مكية^(٢) وهو غريب بعد أن كانت سورة القتال!

١٠- سورة الحجرات

قيل: إنها مكية. وهي مدنية بالإجماع قولاً واحداً^(٣).

١١- سورة الرحمن

جاء في نص الفهرست واليعقوبي: أنها مكية. وذهب المشهور أيضاً إلى ذلك.

قال جلال الدين: وهو الصواب، لما رواه الترمذي والحاكم عن جابر قال: لما قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) سورة الرحمن على أصحابه حتى فرغ. قال: مالي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً! ما قرأت من مرة «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد. قال جلال الدين: وقصة الجن كانت بمكة^(٤).

قال: وأصرح من ذلك ما رواه أحمد في مسنده عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»^(٥) قال: وهذا

(١) و(٢) و(٣) و(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٣.

(٥) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤٩.

دليل على أنها نزلت قبل سورة الحجر.

وقال سيد قطب: نسق السورة تتضح فيه سمات القرآن المكي^(١).
أقول: لا شك أن رتبتها الأخاذة تشبه رتبة غالبية السور المكية، بل من أوقعها على مسامع النفس. لكن ليس هذا وحده دليلاً على مكيتها بعد أن لم يكن ميزة اختصاصية، وكانت توجد في سور مدنية أيضاً، كما في سورة الزلزلة، وسورة البينة، وسورة الإنسان، وغيرهن. وكثير من سور مكية جاءت في لهجة هادئة كسورة يوسف ويونس وهود والأنعام والأعراف وغيرهن كثير.
وأما حديث الجن فلا دليل على أنه كان بمكة، إذ لا ملازمة بين هذا الحديث وحديث نزول سورة الجن بمكة. فلعلها قصة أخرى كانت بالمدينة.
وأما حديث أسماء- إن صح- فهو يدل على نزولها في باكورة البعثة، ولا قائل بذلك لأنها قالت: قبل أن يصدع بالأمر.
هذا فضلاً عن ضعف إسناد هذا الحديث- كما جاء في المسند- بسبب وجود ابن لهيعة قاضي مصر، في طريقه، وهو مطعون فيه، فقد ضعفه ابن معين وقال: لا يحتج بحديثه. وكان يحيى بن سعيد لا يراه شيئاً^(٢).
وأخيراً فإن هكذا تعليقات ضعيفة لا تقاوم روايات الترتيب المتفق عليها^(٣).

١٢- سورة الحديد

قال قوم: إنها مكية^(٤) استناداً إلى حديث إسلام عمر بن الخطاب، دخل

(١) في ظلال القرآن: ج ٢٧ ص ٦٦٨.

(٢) راجع ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٤٧٥. وتهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٣٧٤.

(٣) راجع مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥. والإتقان: ج ١ ص ١١ و ٢٥.

(٤) قال ابن حزم: هي مدنية إلا في قول الكلبي: أنها مكية رسالة الناسخ والمنسوخ بهامش الجلالين: ج ٢

على أخته فوجد عندها صحيفة فيها سورة الحديد، فقرأها حتى بلغ: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(١) فحَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلم على يديه^(٢).

وهذا الحديث معارض بحديث ابن إسحاق: كانت في الصحيفة سورة طه، فقرأها حتى انتهى الى قوله تعالى: «لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى»^(٣). وقيل إنَّ الصحيفة كان فيها مع سورة طه: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». وإنَّ عمر انتهى في قراءتها الى قوله: «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَخْضَرْتُ». فلان قلبه ورغب في الاسلام^(٤).

ومعارض أيضاً بحديث شريح بن عبيد، قال: قال عمر: خرجت اتعرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن أسلم فوجدته سبقي الى المسجد، فقممت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فلما أتمها وقع الإسلام في قلبي كل موقع^(٥).

هذا وذاك الحديث مرسل، أرسله من لا يوثق به. قال ابن حجر: والحديث بسند فيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة^(٦). وأشار بذلك الى غمز في السند، لأن ابن أبي فروة هذا مطعون فيه متروك الحديث^(٧).

وتمسك بعضهم بحديث ابن مسعود: قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بقوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...» الى قوله: فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وكثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»^(٨) إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون

(١) الحديد: ٨.

(٣) طه: ١٥.

(٢) اسد الغابة: ج ٤ ص ٥٤.

(٤) سيرة ابن هشام، وهامشه: ج ١ ص ٣٧٠.

(٥) اسد الغابة: ج ٤ ص ٥٤، والاصابة: ج ٢ ص ٥١٩.

(٦) الامابة: ج ٢ ص ٥١٩.

(٧) راجع تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٢٤٠، والمغني للذهبي: ج ١ ص ٧١. وميزان الاعتدال: ج ١

(٨) الحديد: ١٦.

ص ١٩٣.

يعاتب بعضهم بعضاً^(١).

قلت: وهذا الحديث أيضاً معارض بأحاديث تنصّ على أنها نزلت بعد الهجرة بسنة، بشأن المنافقين^(٢) أو بعد ما أترف المؤمنون فكادت تقسي قلوبهم^(٣).

١٣- سورة الصف

قال ابن حزم: مكيّة^(٤) لكن الجمهور وروايات الترتيب على خلاف قوله، فالصحيح أنها مدنية، ونسب ابن الغرس ذلك الى الجمهور^(٥).

١٤- سورة الجمعة

مدنية بالإجماع، والمخالف غير معروف. قال جلال الدين: ثبت في نصوص صحيحة أنها مدنية كلّها^(٦).

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

١٥- سورة التغابن

قيل: مكيّة الى قوله تعالى: «فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»^(٧) نسب ذلك الى ابن عباس^(٨) غير أنّ روايات الترتيب مطبقة على أنها مدنية كلّها.

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٣٧. والاتقان: ج ١ ص ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٣٧.

(٣) أسباب النزول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٩٤.

(٤) رسالة الناسخ والمنسوخ بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٩٩.

(٥) الاتقان: ج ١ ص ١٣.

(٦) الاتقان: ج ١ ص ١٣.

(٧) التغابن: ١٣.

(٨) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٩٦.

١٦- سورة الملك

فيها قول غريب: أنها مدنية^(١) والصحيح أنها مكية قولاً واحداً.

١٧- سورة الإنسان

قال عبد الله بن الزبير: نزلت بمكة^(٢) وتبعه على ذلك جماعة ممن يروقههم إنكار أي فضيلة لأهل البيت (عليهم السلام) وهي النقطة المركزية التي تدور عليها رعى هذا التبجح الغريب^(٣)! وعداء ابن الزبير لأهل البيت مشهور! وهكذا أصر سيد قطب على أنها مكية، مستشهداً بالسياق وقال: واحتمال أن هذه السورة مدنية- في نظرنا- هو احتمال ضعيف جداً، يمكن عدم اعتباره^(٤).

قال الحافظ الحسكاني: اعترض بعض النواصب بأن هذه السورة مكية باتفاق المفسرين، وهذه القضية- إن كانت- فهي مدنية، فكيف كانت سبب نزول السورة؟! فقال- رداً على هذا القائل:- كيف يسوغ له دعوى الإجماع، مع قول الأكثر: أنها مدنية!... ثم ذكر نصوص الأئمة على ترتيب السور مصرحة بأنها نزلت في المدينة بعد سورة الرحمان وقبل سورة الطلاق، وفق ما قدمنا^(٥).

وهكذا حقق العلامة الطبرسي في تفسيره وغيره من محققي المفسرين. والعمدة: إطباق روايات الترتيب، لا تشذ منها في ذلك ولا رواية واحدة^(٦) وعليه فقضية السياق واهية، بعد أن لم تكن كلية دائمة.

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٣. وتفسير شبر: ص ٥٤٢.

(٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ٢٩٧.

(٣) راجع شواهد التنزيل: ص ٢٩٩.

(٤) في ظلال القرآن: ج ٢٩ ص ٢١٥.

(٥) شواهد التنزيل: ص ٣١٠ و ٣١٥.

(٦) راجع مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥.

قال السيّد شبر: القول بأنها مكية يكذّبه النقل الصحيح^(١).
هذا ونؤجّل التفصيل في ذلك الى تفسيرنا الوسيط.

١٨- سورة المطففين

قال اليعقوبي: أوّل سورة نزلت بالمدينة^(٢) وقيل: نزلت عليه (صلى الله عليه وآله) وهو مهاجر في طريقه الى المدينة^(٣). قال جلال الدين: أخرج النسائي وغيره بسند صحيح عن ابن عباس، قال: لما قدم النبيّ (صلى الله عليه وآله) المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله هذه السورة، فأحسنوا الكيل^(٤).

قلت: هذا يناقض روايات الترتيب المتّفة على أنّها آخر السور المكية. كما أنّ لهجة السورة العنيفة لا تتناسب وبدء قدوم نبيّ الرحمة الى المدينة في أوّل عهده بأهلها المستسلمين له، ولا سيّما مع هذا التكرار في لفظة «كلا» التي تشي بعناد المخاطب وإنكاره الخبيث ممّا لا يلتئم مع جوّ الإيمان السليم الذي أبداه أهل المدينة آنذاك!! وقد سبق كلام الجعبري: كلّ سورة فيها «كلا» فهي مكية^(٥).

١٩- سورة الأعلى

قيل: إنّها مدنيّة، استناداً الى قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»^(٦) إشارة الى صلاة العيد وزكاة الفطرة^(٧).
قلت: الآية عامّة. والرواية- إن صحت- جاءت لتطبّق هذا العموم على

(٥) نقلت ذلك في الصفحة: ١٣١.

(٦) الأعلى: ١٤-١٥.

(٧) الإتيان: ج ١ ص ١٤.

(١) تفسير شبر: ص ٥٤٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٥.

(٣) رسالة الناسخ والنسخ بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٢٠٢.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٣.

مصدق من مصاديقه، لأنه هو المقصود الذاتي لا غير. ثم لو سلمنا أن هاتين الآيتين نزلتا بالمدينة، فلا يدل ذلك على أن جميع السورة بكاملها مدنية. فالصحيح أن السورة مكية حتى ولو كانت بعض آياتها مدنية. هذا فضلاً عن شهادة اللهجة بمكيّتها!

٢٠- سورة الفجر

مكية بالا تفاق. والقائل بالخلاف غير معروف^(١).

٢١- سورة البلد

مكية بالإجماع، لأن البلد هي مكة المكرمة بالا تفاق، فكيف يقول القائل: إنها مدنية؟!^(٢).



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

٢٢- سورة الليل

قيل: أنها مدنية، نظراً لما روي في سبب نزولها: كانت نخلة متدلّية في دار رجل فقير، وكان صبيانه يتناولون تمرها، أمّا صاحب النخلة - وهو رجل ثري - فكان يحفّوهم. فساومه النبي (صلى الله عليه وآله) على نخلة في الجنة فأبى، حتى ساومه أنصاريّ على أربعين نخلة، فاشتراها منه ووهبها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوهبها النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الرجل الفقير. قيل: فنزلت: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ»^(٣) غير أن السند مقطوع غير موصول. على أن الآية لا تنطبق تماماً على فحوى القصة.

فالصحيح: أن الآية عامّة في كلّ بخيل بحق الله سبحانه فلا يخشى عقابه،

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٤. (٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧. ومجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٠١.

(٢) نفس المصدر.

كما جاء في رواياتنا، وفي كثير من روايات غيرنا^(١).

٢٣- سورة القدر

قال ابن حزم وأبو محمد: إنها مدنية^(٢) لما رواه الحاكم عن الحسن بن عليّ (عليهما السلام) قال: رأى النبي (صلى الله عليه وآله) بني أمية يتزوّنون على منبره نزوال القردة. فسأه ذلك فنزلت تسليّة لحاطره الكريم^(٣).

قال جلال الدين: قال المزي: وهو حديث منكر^(٤)! لكنّه تعصب مفضوح، لأنّ الحاكم رواها بسند صحيح، قال: هذا إسناد صحيح. وقرّره على ذلك، الحافظ الذهبي في التلخيص. وأضاف إليه طريقاً آخر وثقه أيضاً، ثم قال: وما أدري آفته من أين؟!^(٥).

قلت: جاءت آفته من قبل نزعة أموية اشربت في قلوب تحكّمت فيها نزعات قوميّة جاهلية، ومن ثم يصعب عليها الرضوخ للحق مهما بلغ حدّ التواتر واليقين!^(٦)

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

وبعد فإنّ دلالة هذا الحديث على مدنيّة السورة، جاءت من قبل لفظ «المنبر» إذ لم يكن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بمكة منبر! لكن هذا وحده لا يصلح دليلاً على ذلك، إذ يجوز- قريباً- أنّه (صلى الله عليه وآله) أرى ذلك بمكة قبل هجرته لتكون بشارة له باعتلاء ذكره، والمامة

(١) راجع مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٠٢ وتفسير الطبري: ج ٣٠ ص ١٤٠. وتفسير الصافي: ج ٢ ص ٨٢٥.

(٢) الكشف عن القراءات السبع: ج ١ ص ٣٨٥. ورسالة الناسخ والمنسوخ بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٢٠٣.

(٣) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٧١.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٤.

(٥) تلخيص المستدرک بالهامش: ج ٣ ص ١٧٠.

(٦) راجع تفسير الطبري: ج ١٥ ص ٧٧ وج ٣٠ ص ١٦٧. والدر المنثور: ج ٤ ص ١٩١ وج ٦ ص ٣٧١.

ومروج الذهب: ج ٣ ص ٢٥٠.

الى الاغتصاب الذي يرتكبه شرار أمته . فلا تتنافى هذه الرواية مع روايات الترتيب أصلاً .

وتأييداً لذلك نقول : الآية : «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»^(١) ، تشير الى نفس الرؤيا المذكورة ، والآية من سورة الإسراء المكيّة بالاتفاق ، ولم يستثن أحد هذه الآية ، وإن استثنوا غيرها ، كما سيأتي .

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر : أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة ، وأنزل الله في ذلك : وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ . قال : والشجرة الملعونة ، يعني الحكم وولده» .

وأخرج أيضاً عن يعلى بن مرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أريت بني أمية على منابر الأرض ، وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء ، واهتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلت الآية» .

وأخرج ابن مردويه عن عائشة : أنها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لأبيك وجدك : «إنكم الشجرة الملعونة في القرآن» .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب ، قال : رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني أمية على المنابر فسأه ذلك ، فأوحى الله إليه : إنما هي دنيا أعطوها . فقررت عينه ، وهي قوله تعالى : «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ»^(٢) .

قال النيسابوري : واعترض بعضهم بأن أيام بني أمية كانت مذمومة فكيف تذكر في مقام تفخيم أمر ليلة القدر ؟ فأجاب : إنه تفضيل لسعادة

(١) الاسراء : ٦٠ .

(٢) الدر المنثور : ج ٤ ص ١٩١ .

معنوية، وجلال حقيقي دائم، على سعادة ظاهرية، وجلال صوري زائل^(١). وفي حديث ابن المسيب الأنف إشارة الى هذا الجواب.

٢٤- سورة البينة

قال مكي بن أبي طالب: مكية^(٢).

لكن اتفاق روايات الترتيب ونصوصه على أنها مدنية، ويؤيدها ماورد: أنها لما نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله) دعا أبي بن كعب فقرأها عليه^(٣) وأبي، أنصاري، أسلم على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة.

٢٥- سورة الزلزلة

قال ضحّاك وعطاء: مكية. وهكذا قال مكي بن أبي طالب، ووافقهم سيد قطب، نظراً للهجتها المثيرة^(٤).

لكن اتفقت كلمة الروايات على أنها مدنية^(٥) وأيضاً فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني لراي عملي؟ قال: نعم. قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم، قلت: الصغار الصغار؟ قال: نعم، قلت: واثكل أمي!...^(٦) وأبوسعيد أنصاري، لم يبلغ إلا بعد وقعة أحد^(٧).

(١) تفسير النيسابوري بهامش الطبري: ج ٣٠ ص ١٣٦.

(٢) الكشف عن القراءات السبع: ج ٢ ص ٣٨٥.

(٣) الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٧٨.

(٤) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٢٤. والكشف عن القراءات السبع: ج ٢ ص ٣٨٦. وفي ظلال القرآن: ج ٣٠ ص ٦٣٩.

(٥) الفهرست: ص ٢٨. ومجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥. والإتقان: ج ١ ص ١١. والدر المنثور: ج ٦ ص ٣٧٩.

(٦) الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٨١. (٧) الإتقان: ج ١ ص ١٤. ومستدرك الحاكم: ج ٣ ص ٥٦٣.

٢٦- سورة العاديات

عن قتادة: أنها مدنية^(١)، لرواية منسوبة الى ابن عباس، قال: نزلت في خيل بعثها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سرية فأبطأت، فشق ذلك عليه، فأخبره الله بما كان من أمرهم^(٢).

لكن الرواية فيها تمحل وتهافت ظاهر، وفي نفس الوقت معارضة بما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري والحاكم - وصححه - وابن مردويه، عن ابن عباس أيضاً: أن علياً (عليه السلام) نهى عن تفسير العاديات بالخيول تغير في سبيل الله. وأوضح له: أنها الإفاضة من عرفات الى المزدلفة... قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت الى قول علي (عليه السلام)^(٣).



٢٧- سورة التكاثر

اختار جلال الدين أنها مدنية، وتمسك لاختياره بالأمر التالية:

١- حديث ابن بريده: أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار تفاخروا.

٢- وقال قتادة: إنها نزلت في اليهود.

٣- وعن أبي بن كعب - وهو أنصاري -: كنا نزعم أن «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثاً...» آية قرآنية، حتى نزلت «ألهاكم التكاثر...».

٤- وعن علي (عليه السلام): كنا نشك في عذاب القبر، حتى نزلت. قال جلال الدين: وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة، كما في الصحيح في قصة اليهودية^(٤).

قلت: جميع ما تمسك به باطل:

أولاً: هذه السورة لا تمس مسألة التفاخر، وإنما تعرضت لناحية التكاثراً!

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٢٧. (٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٨٣، وتفسير الطبري: ج ٣٠ ص ١٧٧.

(٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٨٣. (٤) الإقنان: ج ١ ص ١٤.

وثانياً: كيف يبقى أبي بن كعب في شك من آية قرآنية، ولا يسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو كاتبه الأول، الى أن يذهب شكّه بنزول سورة لأشأن لها ونفي قرآنية غيرها!

وثالثاً: كيف نحيز لأنفسنا تصديق رواية تنسب الشك الى مثل أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) في مسألة من مسائل الآخرة، وهو (عليه السلام) باب علم النبي (صلى الله عليه وآله)!

وأما اختصاص نزولها باليهود، فتضايق في فحوى السورة العام، إذ هي تعالج مسألة عامة تمس حياة البشرية الطاعنة في مطالب سافلة! والصحيح- كما جاء في روايات الترتيب المتفقة -: أنها من أوليات السور المكية، وقد نصّ على ذلك جلال الدين نفسه في الدر المنثور، ورواه عن ابن عباس^(١).

هذا مضافاً الى ما نلمسه من لهجة السورة العنيفة، التي تناسب أجواء مكة المسيطر عليها النزعة المادية بشدة، ويزيد العنف استعمال لفظة «كلا» الخاصة بأهل مكة كما مرّ.

٢٨- سورة الماعون

قال الضحاك : إنها مدنية^(٢).

لكن روايات الترتيب ونصوصه المتفق عليه ترفض هذا القول، مضافاً الى أنّ لهجة السورة تقريع عنيف بأولئك المكذّبين بالدين، فهي بأوليات السور المكية أشبه، فقد كانت السابعة عشرة في الترتيب، نزلت بعد سورة التكاثر^(٣).

(١) الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٨٦.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٤٦.

(٣) الفهرست ص ٢٨. ومجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٥. والإتقان: ج ١ ص ١١.

٢٩- سورة الكوثر

عن عكرمة والضحاك : أنها مدنية^(١) . ورجحه جلال الدين ، وكذا النووي في شرح مسلم ، لما رواه مسلم عن أنس ، قال : بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءة ، فرفع رأسه وقال : أنزلت عليّ آناً سورة ، فقرأها .

لكنّا تكلمنا عن هذا الحديث^(٢) وزيفنا دلالة على نزول قرآن عليه (صلى الله عليه وآله) تلك الحالة ، وذكرنا تأويل الرافعي للحديث الى أنها قد خطرت له في تلك الحالة فقرأها عليهم ، لأنها نزلت عليه حينذاك . كما ويؤيد ذلك : أنّ مسلم نفسه روى هذا الحديث بسند آخر ليس فيه «أنزلت عليّ» . قال : أغفى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إغفاءة ، ثم رفع رأسه فقرأها^(٣) . وأخيراً فقد أطبق المفسرون على أنها مكية ، نزلت تسليّة لحاظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما شنأه ذلك الأبرّ اللعين^(٤) . هذا مضافاً اتفاق روايات الترتيب : أنها نزلت بمكة إذن لا يصلح حديث مضطرب أن يقاوم ذلك الإجماع وهذا الاتفاق !

٣٠- سورة التوحيد

رجح جلال الدين كونها مدنية ، لأحاديث رواها بشأن نزولها . قال : نزلت في طائفة من يهود المدينة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يصف لهم

(١) مجمع البيان : ج ١٠ ص ٥٤٨ .

(٢) تقدم ذلك في الصفحة : ٥٧ .

(٣) الدر المنثور : ج ٦ ص ٤٠١ .

(٤) لباب النقول بهامش الجلالين : ج ٢ ص ١٤٢ . والدر المنثور : ج ٦ ص ٤٠٤ . ومجمع البيان : ج ١٠

ربه، فنزل جبرئيل بسورة التوحيد^(١).

لكن تجاه هذه الروايات روايات أخرى تذكر هذا السؤال للمشركون، قالوا: انسب لنا ربك يا محمد (صلى الله عليه وآله) فنزلت^(٢) مضافاً الى اتفاق روايات الترتيب.

ومن ثم قال بعض الباحثين: إنها نزلت مرتين!

قلت: لا يبعد ذلك، ولكن معنى نزول السورة مرتين: أن الثانية كانت تذكيراً للنبي (صلى الله عليه وآله) بمناسبة الحاضرة، فمن المحتمل - على هذا الفرض -: أن اليهود سألوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سؤالاً، كان المشركون قد سبقوهم الى مثله، فتردد النبي (صلى الله عليه وآله) في أن يقرأ عليهم السورة التي كانت إجابة على سؤال المشركين من ذي قبل، وذلك نظراً للفرق بين مستوى اليهود ومستوى المشركين، فعند ذلك نزل جبرئيل بكفاية نفس الإجابة الأولى، بعد أن لم تكن السور القرآنية خاصة بقوم دون قوم، وبمستوى دون مستوى إذ الناس على مختلف مستوياتهم يستفيدون من جميع آي القرآن، وإن كانت نوعية الاستفادة تختلف حسب مراتب الثقافات. وعلى ذلك فالسورة مكية وإن تكرر نزولها بالمدينة أيضاً.

٣١-٣٢- المعوذتان

عدهما اليعقوبي من أواخر المدينيات^(٣). وقال جلال الدين: المختار أنهما مدينتان، لأنهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم^(٤). والقصة - كما جاءت في الصحيحين^(٥) - حدثت بها عائشة، قالت: «سحر

(١) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٤٧. والإتقان: ج ١ ص ١٤.

(٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٥.

(٤) الإتقان: ج ١ ص ١٤.

(٥) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٤٨ وج ٧ ص ١٧٦. وصحيح مسلم: ج ٧ ص ١٤.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يَحْتَل إليه إنه يفعل الشيء وما يفعله - وفي لفظ آخر: سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين. قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر - ^(١) قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم دعا ثم دعا. ثم قال: يا عائشة، أشعرت ^(٢) أن الله أفئاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان ^(٣) فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب ^(٤). قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قالت: في مشط ومشاطة، وجفّ طلعة نخل ذكر ^(٥). قال: فاين هو؟ قال: في بئر ذي اروان. قالت: فأتاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اناس من أصحابه، ثم رجع وقال: يا عائشة، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ^(٦) ولكأن نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فقلت: هلا استخرجته؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا، أمّا أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً. ثم أمر بالبئر فدفنت.

وفي لفظ: «قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعة ذكر تحت راعوفة ^(٧) في بئر ذروان. قالت: فأتى النبي (صلى الله عليه وآله) البئر حتى استخرجه. فقال:

(١) صحيح البخاري: ج ٧ ص ١٧٧.

(٢) أي أعلمت. بصيغة استفهام خطاباً إليها.

(٣) في رواية: جبرائيل وميكائيل، فسأل الأول الثاني. فتح الباري: ج ١٠ ص ١٩٤.

(٤) أي مسحور.

(٥) المشاطة: ما ينتزع من الشعر عند المشط - بالفتح - وهو تسريح الشعر، وبالضم: آتته. والجفّ: غشاء الطلع.

(٦) أي لون مائها لون نقيع الحناء.

(٧) الراعوفة: صخرة أو حجر صلد، توضع عند فم البئر، لا يستطيع قلعها، يقف عليها المستقي أو توضع في أسفلها ليجلس عليها الذي ينظف البئر.

هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحنّاء. وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فقلت: أفلا، أي تنشرت؟ فقال: أما الله فقد شفاني، وأكره أن اثّر على أحد من الناس شرّاً»^(١).

هذه القصة كما هي مذكورة في الصحيحين ليس فيها شاهد بنزول السورتين. وقد تنبّه السيوطي لذلك، ومن ثم استدرك الأمر بما ورد من طرق أخر لم تصح إسنادها. فقد أخرج البيهقي في الدلائل عن عائشة، قالت: «كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) غلام يهودي يخدمه، يقال له: لبيد بن أعصم. فلم تزل به اليهود حتى سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان يذوب ولا يدري ما وجعه. وفي لفظ: فكان يدور ولا يدري ما وجعه»^(٢). فبينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات ليلة نائم إذ أتاه ملكان، فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، فقال الأول للثاني: ما وجعه؟ قال: مطبوب. قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: بم طبّه؟ قال: بمشط ومُشاطة وجُفت طلعة ذكر بندي أروان، وهي تحت راعوفة البئر، فلما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غدا ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج الجفت، فإذا فيها: مُشط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومُشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع، تمثال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا فيها إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة. فأتاه جبرئيل بالمعوذتين، فقال: يا محمد، قل: أعوذ برب الفلق، وحلّ عقدة. من شرّ ما خلق، وحلّ عقدة. حتى فرغ منها، وحلّ العقد كلّها، وجعل لا ينزع إبرة إلا يجد لها الماء، ثم يجد بعد ذلك راحة، فقل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو قتلت اليهودي! فقال: قد عافاني الله، وما وراءه من عذاب الله أشدّ».

وفي رواية: «سحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يهودي، فاشتكى فأناه

(١) صحيح البخاري: ج ٧ ص ١٧٨.

(٢) فتح الباري: ج ١٠ ص ١٩٣.

جبرئيل بالمعوذتين، وقال: إنّ رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان. فأرسل علياً (عليه السلام) فجاء به، فأمره أن يحلّ العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحلّ حتى قام النبي (صلى الله عليه وآله) كأنها نشط من عقال»^(١).
وقيل: إنّ بنات لبيد كنّ ساحرات فهنّ سحرن وأبوهنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعقدن له إحدى عشرة عقدة. فأنزل الله المعوذتين، إحدى عشرة آية بعدد العقد وشفى الله رسوله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

وبعد... فهذه القصة - لوتسّمناها - فلا شاهد في رواية الصحيحين على أنّ المعوذتين نزلتا بشأنها. أمّا سائر الطرق فلا تصحّ مستنداً للثقة بها، فضلاً عن أخذها مستمسكاً للحكم في شأن من شؤون القرآن، الذي لا ينبغي لمسلم أن يتكلّم فيه بغير علم ولا عن مستند وثيق.
قال جلال الدين: أمّا أصل القصة فله شاهد في الصحيحين، دون نزول السورتين. ثم قال: ولكنّ له شاهد من غيرهما.. وأراد بذلك ما أخرجه البيهقي عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وفيه ذكر القصة ونزول السورتين^(٣).

لكن ذكر جلال الدين نفسه - في الإتيقان - أنّ أوهى الطرق إلى ابن عباس، هو طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(٤).
ثم ذكر شاهداً آخر فمما أخرجه أبونعيم في كتاب الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك^(٥).
هذا.. وابن حبان قال: إنّ أهل الحديث يتقون من حديث الربيع بن أنس

(١) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤١٧.

(٤) الإتيقان: ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ج ٤ ص ٢٢٥.

(٥) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٤٨.

(٣) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٤٨.

إذا كان من رواية أبي جعفر الرازي عنه، لأنّ في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً^(١).

إذن أفلا تعجب من رجل هو مضطلع بفنّ الحديث والتفسير، كيف يورط بنفسه في تناقض الاختيار؟! ويضطرب في التماس الحجّة من غير وجهها الوجيه؟! ومن ثمّ يتكلّم في شأن جانب من كتاب الله العزيز من غير استناد وثيق؟!

أما نحن - الإمامية - فإنّ أصول معتقداتنا تنفي إمكان التأثير على قلب نبيّ كرم، هو مهبط وحي الله وعيبة علمه الأمين! وبالأحرى فإنّ ليبدأ أعجز من أن يستطيع التصرف في عقلية مثل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل خلق الله وأكرم أنبيائه!!

يقول تعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا»^(٢) فأجدر بلبيد عدم قدرته على الاستحواذ على قلب أكرم عباد الله، وقلبه (صلى الله عليه وآله) بيت إلاله تعالى، لا يدع لحبيث الاقتراب منه أبداً! على أنّا لوجوزنا إمكان التأثير على شعور النبيّ الكرم بحيث يكاد يخيل إليه أنّه يفعل ولا يفعل، فإنّ الثقة بما يقوله وحيّاً تزول، فلعله مفعول سحر ساحر خبيث، خيل إليه أنّه وحي؟!

قال العلامة الطبرسي: هذا لا يجوز، لأنّ من وصفه بأنّه مسحور فكأنّه قد خبل عقله، وقد أبى الله سبحانه ذلك في قوله: «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا. انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا»^(٣).

ولكن يمكن أن يكون اليهوديّ أو بناته - على ما روي - اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه، واطلع الله نبيّه (صلى الله عليه وآله) على ما فعلوه من التمويه حتى

(٣) الفرقان: ٨-٩.

(١) تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٢٣٩. (٢) الاسراء: ٦٥.

استخرج، وكان ذلك دلالة على صدقه. وكيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم؟! ولو قدروا على ذلك لقتلوه، وقتلوا كثيراً من المؤمنين، مع شدة عداوتهم لهم^(١).

وقال العلامة المجلسي: المشهور بين الإمامية عدم تأثير السحر في الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) ومن ثم أولوا بعض الأخبار الواردة في ذلك، وطرحوا بعضها أي ما لا يقبل التأويل^(٢).

وقال القطب الراوندي: روي أن امرأة يهودية عملت له (صلى الله عليه وآله) سحراً، فظننت أنه ينفذ فيه (صلى الله عليه وآله) كيدها والسحر باطل محال! إلا أن الله دلّه عليه، فبعث من استخرجه. وكان على الصفة التي ذكروها، وعلى عدد العقد التي عقد فيها ووصف مالوعاينه معاين لغفل عن بعض ذلك^(٣).

وجاء في طب الأئمة: أن جبرئيل أتى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال له: إن فلاناً اليهودي سحرك، ووصف له السحر وموضعه. فبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) حتى أتى القلب فبحث عنه فلم يجده، ثم اجتهد في طلبه حتى وجده فأتى به إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وإذا هو حقة فيها قطعة كرب نخل في جوفه وتر عليها إحدى عشرة عقدة، وكان جبرئيل (عليه السلام) قد أنزل المعوذتين. فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أن يقرأهما على الوتر، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى فرغ منها، فكشف الله عن نبيّه ما سحر به وعافاه^(٤).

وهذه الرواية - وإن لم يصح إسنادها - ليس فيها التأثير على عقلية الرسول (صلى الله عليه وآله) نعم في رواية أخرى جاء التأثير على جسمه الشريف،

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٥٧ ح ١١.

(٤) طب الأئمة: ص ١٠٨.

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٧٠.

فكان يحسّ بوجع شديد، وهذا معنى «كشف الله عن نبيّه وعافاه» في رواية طبّ الاثمة. أي عافاه من الوجع الذي كان يحسّ به. وهذا أمر ممكن، غير أنّ الأصحّ عندنا هو ما ذكره القطب الراوندي: أنّ السحر لم ينفذ فيه (صلى الله عليه وآله) فقد أرادوا به كيداً لكنهم أصبحوا هم الخاسرين.

آيات مستثنيات:

تعرض الأوائل لاستثناء آيات من سور تخالفها في النزول، فربّ سورة مكية فيها آيات مدنية أو بالعكس، واستقصى ذلك جلال الدين السيوطي في «الإتقان» مستوعباً، غير أنّه اعتمد في الأكثر على روايات ونقول ضعيفة، ثم جاء المتأخرون ليأخذوا بذلك تقليداً من غير تحقيق^(١) في حين أنّ غالبية القائلين بهذه الاستثناءات قالوا بها عن حدس أو اجتهاد في الرأي، من غير أن يستندوا الى نصّ صحيح ماثور. قال ابن الحصار: إنّ من الناس من اعتمد في الاستثناء

مركز تحقيق كتب علوم إسلامي

(١) جاءت في المصحف الأميري المطبوع بالقاهرة بإذن مشيخة الأزهر وبإشراف لجنة مراقبة البحوث الإسلامية، استثناءات بأرقام كبيرة، لكنه تقليد محض لأصل لأكثريتها الساحقة. وهكذا سجلها من غير تحقيق الشيخ أبو عبد الله الزنجاني في تاريخ قرآنه.

أضف الى ذلك تناقضات جاءت في هكذا اختيارات تقليدية:

مثلاً: جاء في المصحف الأميري أنّ سورة الم تنزل - السجدة - نزلت بعد سورة المؤمن، وأنّ سورة حم تنزل - فصلت - نزلت بعد سورة غافر! في حين أنّ المؤمن وغافر اسمان لسورة واحدة! وأثبت أبو عبد الله في تاريخ قرآنه قائمتين بشأن ترتيب نزول السور فذكر في القائمة الأولى: أنّ سورة الأنعام نزلت بعد الحجر. وفي الثانية: أنّها نزلت بعد الكهف! كما ذكر في الأولى أنّ الأعراف نزلت بعد ص وفي الثانية: نزلت بعد الأنفال! وذكر أنّ السور المكية: ٨٥. والسور المدنية: ٢٨. ولم يلتفت أنّها تنقص مجموع سور القرآن بواحدة! وأظنه في ذلك قلّد الإمام بدر الدين الزركشي!!

كما جاء في مصحف مطبوع في إيران على عهد القاجارية قائمتان، الأولى تسجّل عام نزول كلّ سورة، والثانية تسجّل ترتيب النزول. فجاء في الأولى: نزلت الصافات في العام الخامس من البعثة، ونزلت الأنعام في العام الثالث عشر. ثم جاء في القائمة الثانية: أنّ الصافات نزلت بعد الأنعام!! وأمثال هذا التناقض كثير.

على الاجتهاد دون النقل^(١).

ونحن إذ نستطرق هذا الباب، نضرب عن كل ما قالوه بهذا الشأن صفحاً، إذا لم يكن مستنداً الى دليل مقبول. إذ لا شك أن الآيات كانت تسجل تباعاً في كل سورة بعد نزول بسملتها، واحدة تلو أخرى ترتيباً طبيعياً حسب النزول. أما أن تبقى آية مكية غير مسجلة في سورة، حتى تنزل سورة بالمدينة ثم تسجل فيها، فهذا أمر غريب خارج عن طريقة الثبوت المعروف، كما أن آية مدنية تسجل في سورة مكية بحاجة الى نص صريح خاص وليس بالأمر الذي يتدخل فيه الحدس أو الاجتهاد النظري!

قال ابن حجر: وأما نزول شيء من سورة بمكة، ثم يتأخر نزول أصل السورة الى المدينة، فلم أره إلا نادراً، فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية، لكن قيل: إن قوله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...»^(٢) نزلت بمكة، ثم نزلت سورة الأنفال بالمدينة. وهذا غريب جداً^(٣). وسوف نذكر بطلان هذه المزعومة! وإليك نماذج من النوعين مردفة بما تشير إليه من تحقيق الرأي إجمالاً:

استثناءات من سور مكية:

١- سورة الفاتحة: مكية

حكى أبو الليث السمرقندي قولاً بأن نصفها نزلت بالمدينة.

قال جلال الدين: لا دليل لهذا القول^(٤). كما سبق: أنها من أوائل ما نزلت بمكة كاملة، وكان المسلمون يقرأون بها في الصلاة.

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٤.

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) فتح الباري: ج ٩ ص ٣٨.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٢ و ١٤.

٢- سورة الأنعام: مكية

«نزلت بمكة جملة واحدة، وشيّعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد وقد طبقوا ما بين السماء والأرض، وكانت ليلة جمعة، وكانت لنزولهم هيبة وعظمة، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم، وخرّ ساجداً. ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم».

هذا الحديث مستفيض رواه الفريقان بطرق يعضد بعضها بعضاً^(١). قال جلال الدين: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً^(٢). ومن ثم لا وقع لقول أبي عمرو بن الصلاح: أن الخبر المذكور جاء من حديث أبي بن كعب، وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسناداً صحيحاً، وقد روي ما يخالفه^(٣).

قلت: استفادة الطرق إلى عدة من الأصحاب غير أبي بن كعب أيضاً كافية للاستناد إليها.

هذا... وأما رواية المخالف فضعيفة وغير ثابتة.

قال ابن الحصار: استثنى منها تسع آيات، ولا يصح به نقل^(٤). وسنتكلم فيما زعموا صحتها من روايات الاستثناء^(٥).

وجاء في المصحف الأميري وفي بعض كتب المقلدة استثناء تسع آيات من غير تحقيق، نبحث عن كل واحدة واحدة فيما يلي:

الأولى: قوله تعالى «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ»^(٦).

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٥٣ ح ١. ومجمع البيان: ج ٤ ص ٢٧١. والدر المنثور: ج ٣ ص ٢.

(٢) الإقنان: ج ١ ص ٣٧.

(٥) عند استثناء الآيات رقم: ٧ و ٨ و ٩.

(٣) البرهان: ج ١ ص ١٩٩.

(٦) الأنعام: ٢٠.

(٤) الإقنان: ج ١ ص ١٥.

الثانية: قوله تعالى: «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ»^(١).

ولا شاهد للاستثناء في هاتين الآيتين إطلاقاً. ولعلّ السبب مجيء ذكر أهل الكتاب فيهما، على غموض في الثانية. ولا دليل في ذلك، بعد أن جاء ذكر أهل الكتاب في كثير من سور مكية. كقوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(٢)، ولم يستثنها أحد. وكذلك قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»^(٣). وأمثال ذلك كثير.

الثالثة: قوله تعالى: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»^(٤).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً»^(٥) قيل: نزلت في جماعة من اليهود، قالوا: يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً.

وقيل: نزلت في مالك بن الصيف، وكان حبراً من أحبار يهود قريظة، وكان سميناً، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ الْخَبَرَ السَّمِينَ»؟. فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء وقيل: الذي خاصم النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا المقال هو فنحاص بن عازوراء اليهودي.

(١) الانعام: ٢٣.

(٤) الانعام: ٩١.

(٢) و(٣) العنكبوت: ٤٦ و٤٧.

(٥) الكشف عن القراءات السبع: ج ١ ص ٤٤٠.

وقيل: نزلت في مشركي قريش، حيث أنكروا النبوات رأساً^(١). قال أبو جعفر الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب، هو القول الأخير، إذ لم يجر لليهود ذكر قبل ذلك. وليس إنكار نزول الوحي على بشر ممّا تدين به اليهود، بل المعروف من دينهم الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود. ولم يكن الخبر بأنها نزلت في اليهود خبراً صحيحاً متصل السند، ولا أجمع المفسرون على ذلك. وكان سياق السورة من أولها إلى هنا جارياً في المشركين، فناسب أن تكون هذه الآية أيضاً موصولة بما قبلها لا مفصولة منه. فلم يجز لنا أن ندعي فصلها إلا بحجة قاطعة من خبر أو عقل. ولعلّ الذي أوقع هذا القائل في الوهم المذكور ما وجدته في قوله تعالى: «تجعلونه...» على وجه الخطاب. ولكن الأصوب من القراءة أنها بياء الغيبة^(٢).

قلت: ونحن إذ نصادق أبا جعفر في هذا التحقيق، نضيف إليه: أن القصة التي ذكروها بشأن مالك بن الصيف في محاورته تلك مع النبي (صلى الله عليه وآله) تتنافى تماماً مع خلق رسول الله الكريم، النبي لا يخرج من عاطفة إنسان إطلاقاً، كما ونزّهه كتاب الله العزيز عن التعرّض لهكذا أمور تافهة لا قيمة لها، أو تنزل بشأنها آية!!

إذن فقوله: «وعلمتم...» خطاب موجّه إلى المشركين، بعد تلك الحكاية- بصورة الغيبة كما رجحها أبو جعفر- عن أهل الكتاب.

وأما القراءة المشهورة بتاء الخطاب في الجميع، فلا تستدعي اختصاص الخطاب بأهل الكتاب، بل إلى البشرية باعتبار فعل بعضهم ممّن نزل عليهم الكتاب. ولا سيّما ومساس العرب المشركين مع اليهود ومخالطتهم معهم في الجزيرة، ومن ثمّ جاء الكلام عن بني إسرائيل في سور مكّيّة كثيراً، كما في

(١) تفسير الطبري: ج ٧ ص ١٧٧. ومجمع البيان: ج ٤ ص ٣٣٣.

(٢) جامع البيان: ج ٧ ص ١٧٨. وهكذا وافقه سيد قطب في ظلال القرآن: ج ٧ ص ٣٠٢-٣٠٣.

سورة الأعراف (١).

ويشهد بذلك قوله تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (٢) خطاباً مع أهل مكة، وسورة الأنبياء المكية أيضاً (٣). وقد كان للعرب صلة وثيقة وثقة بأهل الكتاب، ويعرفونهم أهل علم وثقافة، وكثيراً ما يسألونهم عن تاريخ الأمم والأنبياء ويعتمدون كلامهم، فجاز أن يخاطبوا بخطاب اليهود المجاورين لهم المخالطين معهم الموثوق بهم عندهم!

الرابعة: قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» (٤).

قالوا: نزل قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ...» في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخى عثمان من الرضاعة. وكان أسلم وكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما نزلت: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» (٥) دعاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأملأها عليه. فلما انتهى إلى قوله: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): هكذا أنزلت عليّ، فشك عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صادقاً لقد أوحى إليّ كما أوحى إليه. ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال. فارتد عن الإسلام، ولحق أهل مكة، فجعلوا يقولون له: كيف كنت تكتب لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت. وذلك أنه كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يملئ عليه «عليماً حكيماً» فيكتب «غفوراً رحيماً» يزيد وينقص ويبدل في كتاب الله، ولا يشعر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٥) المؤمنون: ١٢.

(٣) الآية: ٧.

(١) الآية: ١٠٢ و ١٦٠.

(٤) الانعام: ٩٣.

(٢) النحل: ٤٣.

ومن ثم شك في رسالته، وكفر ولحق بقريش. فأهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمه! لكن عثمان أجاره يوم الفتح، وألح على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى عفى عنه^(١).

وقالوا:- أيضاً. إن قوله: «أَوْ قَالَ أَوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ» نزل في مسيلمة والأسود العنسي، كانا قد تنبأ في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) وآله^(٢).

لكن الحديث مكذوب من أصله. لأن سورة «المؤمنون» مكية، ولم يستثن أحد تلك الآية. فكيف يكتبها ابن أبي سرح بالمدينة ثم يرتد إلى مكة؟! ثم أتى لبشر أن يتقوّل على الله كذباً وينتحلّه وحياً، وقد ضمن الله لكتابه الكريم بالحفظ. ثم لا يشعر الرسول بدسّ كاذب مفتر على الله فيما أنزله الله عليه!! وهل تبقى- بعد هذا الاحتمال- ثقة بنصوص الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟! 

نعم هناك ثلاث آيات من ثلاث سور، قيل في كل واحدة منها: أنها نزلت بشأن ابن أبي سرح. هذه إحداها!

والثانية قوله: تعالى: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا»^(٣).

والثالثة: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا»^(٤).

وهذه الأخيرة أنسب وأولى بالقبول، كما روي ذلك عن الإمامين: محمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)^(٥).

(١) راجع مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٣٥. والدر المنثور: ج ٣ ص ٣٠. وتفسير الطبري: ج ٧ ص ١٨١. وتفسير

الإمام الرازي: ج ١٣ ص ٨٤. وفي ظلال القرآن: ج ٧ ص ٣٠٦. والبرهان: ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) نفس المصادر.

(٤) النساء: ١٣٧.

(٣) النحل: ١٠٦. تفسير الطبري: ج ٧ ص ١٨١.

(٥) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨١ ح ٢٨٨. وأما الذي جاء في التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم

إذن فالصحيح في الآية الأولى هو ما قاله أبو جعفر الطبري: هي عامة، تصف موقف الإنسان عموماً تجاه رسالات الأنبياء (عليهم السلام): فمن منكر معاند لا يصدق بأي رسالة جاءت من قبل الله. وآخر مسترسل ضعيف يؤمن بكل دعوى رسالية، حتى ولو كانت نزغة شيطانية، من غير تدبر ولا تفكير صحيح. ومن ثم وبخت الآية هذا النمط من الاسترسال الهابط، وتلك الجرأة الظالمة تجاه رب العزة، فيفتري عليه تعالى ظلماً وعدواناً. ولا مساس للآية بقضية ابن أبي سرح بالخصوص.

على أن قوله تعالى: «سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» لا ينطبق مع موقف ابن أبي سرح تجاه رسول الله (صلى الله عليه وآله). نعم كان ينطبق عليه لو كانت الآية هكذا: «سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ مُحَمَّدٌ...»!

وقد ناقض سيد قطب هنا بشأن الآية، ففي موضع رجح كون السورة مكية كلها، وفي موضع آخر اعتمد على روايات الاستثناء! (١).

الخامسة: قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُبْتَغِي حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» (٢).

وليس في الآية ما يدعو إلى الظن بأنها مدنية إلا ذكر أهل الكتاب فيها. وقد سبق أن هذا وحده ليس دليلاً، فقد ورد مثلها في آيات مكية كثيرة. ويرجع السبب إلى ثقة العرب المشركين بمن جاور بلادهم من أهل الكتاب، فيرونهم أهل علم ودراية، ومن ثم قال تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

القسمي: ج ١ ص ٢١٠ من نزول آية الأنعام (٩٣) بشأن ابن أبي سرح، ففيه من المناكير ما يرفض صدوره من المعصوم (عليه السلام) إذ فيه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقره على تبديله النص ويقول له: هو واحد...!!

(٢) الأنعام: ١١٤.

(١) في ظلال القرآن: ج ٧ ص ١٠٦ و ٣٠٦.

لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ»^(١) يعني أهل الكتاب ولا سيما اليهود. وهذه الآية مكية بالإجماع، ما خلا مانسب الى جابر بن زيد، وقد ردّ عليه السيوطي من وجهين فراجع^(٢).

السادسة: قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ.. الى قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»^(٣). ولعلّ القائل بمدنيّتها فسر الحقّ الواجب بالزكاة، والزكاة لم تقرّر بأنصبتها المحددة في الزروع والثمار إلّا في المدينة.

ولكن هذا المعنى ليس متعيّناً في الآية، لأنّها فسّرت بمطلق الصدقة من غير تحديد، وهي بهذا الإطلاق كانت واجبة في مكة، وجاءت الإشارة إليها في قوله: «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» الآية رقم: ١٩ من سورة الذاريات المكية باجماع. وجاء ذكر الإنفاق والصدقة في كثير من آيات مكية. وجاءت روايات مأثورة، بأنّ الحقّ في هذه الآية يعني الإنفاق وإعطاء اليتامى والمساكين - عن سعيد بن جبير وغيره - ثمّ نسخت بآية الزكاة فيما بعد^(٤) وروي ذلك عن الإمام أبي عبدالله الصادق، عن آبائه (عليهم السلام)^(٥).

السابعة: قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...»^(٦). الثامنة: قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...»^(٧). التاسعة: قوله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ...»^(٨). قال السيوطي: وقد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء هذه الآيات

(٥) مجمع البيان: ج ٤ ص ٣٧٥.

(٦) الانعام: ١٥١.

(٧) الانعام: ١٥٢.

(٨) الانعام: ١٥٣.

(١) النحل: ٤٣-٤٤. وفي سورة الأنبياء: ٧ بدون النيل.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٣) الانعام: ١٤١.

(٤) راجع الدر المنثور: ج ٣ ص ٤٩. وتفسير الطبري: ج ٨ ص ٤٤.

الثلاث^(١) والرواية هي: ما أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» عن طريق أبي عبيدة معمر بن المثنى، عن يونس، عن أبي عمرو، عن مجاهد عن ابن عباس...^(٢).

وأبو عبيدة هذا كان رجلاً به شذوذ، كان يرى رأي الخوارج، وكان بذيء اللسان متهمكاً قليل العناية بالقرآن، وإذا قرأه قرأه نظراً^(٣)، ومن ثم لا يعتمد على نقله فيما يخص الكتاب والسنة، اللهم إلا في رواية الشعر والأدب. ولاندرى بم صرح جلال الدين سند هذا النقل؟!

هذا وقد روى أبونعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على القبائل، خرج إلى منى وأنا معه وأبوبكر، وكان رجلاً نضاباً، فوقف على مضاربهم بنى وسلم عليهم فردوا عليه السلام، فتكلم معه القوم، حتى سأله: إلى ما تدعونا أخا قريش؟ فتلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) «قل تعالوا اتل ما حرم ربكم - إلى قوله: لعلمكم تتقون» تمام الآيات الثلاث، فأعجبهم كلام الله، وقالوا: فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان لعرفناه...^(٤) فالآيات كانت نازلة حينذاك بمكة^(٥). على أن لحن الآيات وأسلوب التعبير فيها - أيضاً - يشهد بمكيته.

وتلخص: أن سورة الانعام كلها مكية، ليست منها آية مدنية إطلاقاً. ولم يثبت شيء مما قيل باستثنائه أصلاً، لانقلاً ولا عقلاً، على ما أسلفنا.

٣- سورة الأعراف: مكية

أخرج ابن ضريس والنحاس وابن مردويه من عدة طرق عن ابن عباس:

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٥. (٤) الدر المنثور: ج ٣ ص ٥٤.
(٢) الإتيان: ج ١ ص ٩. (٥) تفسير الطبري: ج ٨ ص ٦٠.
(٣) الفهرست: ص ٥٩. وتهذيب التهذيب: ج ١٠ ص ٢٤٧. وميزان الاعتدال: ج ٤ ص ١٥٥. وتقدم ذلك في الصفحة: ١٤٨.

أنها نزلت بمكة^(١).

قال قتادة: سوى آية واحدة: «وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ»^(٢). قال: نزلت بالمدينة^(٣).

وقال غيره: الى نهاية الآية رقم: ١٧١^(٤). وهي قوله: «وَأَذْنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ...».

قلت: ودليل قتادة هو الأمر بسؤال اليهود، وهو يناسب - كما زعم - أيام كونه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة. وهذا ليس دليلاً، إذ لا مستند لعود الضمير الى اليهود، فلعله يعود الى المشركين أنفسهم، لمكان معرفتهم بقصة أصحاب السبت، والقرية - وهي أيلة - كانت على ساحل البحر الأحمر، ممالي الشام. وهي آخر الحجاز وأول الشام، مدينة يهودية صغيرة كانت عامرة^(٥)، وكانت قريش تمر عليها في رحلتها الصيفية التجارية، وكانت تتصل بهم أخبارها، ومن ثم كانوا على معرفة من أهلها اليهود الذين عتوا عن أمر ربهم. وأما قول غيره فلا مستند له إطلاقاً، ولا سند معروف فالصحيح أن هذه الآيات متناسقة مع غيرها من قصص أمم الأنبياء نزلت على قريش ليعتبر أولوا البصائر منهم، إذن يكون الترجيح مع القول بأن جميعها مكية، لاستثناء فيها.

٤ - سورة يونس: مكية

استثنى بعضهم منها أربع آيات:

الأولى: قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ»^(٦).

(٥) معجم البلدان: ج ١ ص ٢٩٢.

(٦) يونس: ٤٠.

(١) الدر المنثور: ج ٣ ص ٦٧.

(٢) الاعراف: ١٦٣.

(٣) الكشف عن القراءات السبع: ج ١ ص ٤٦٠.

(٤) الإتقان: ج ١ ص ١٥.

زعم بعضهم أنها نزلت في اليهود^(١). لكن السياق يأباه.
الثانية: قوله تعالى: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ...»^(٢).

الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا...»^(٣).

الرابعة: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...»^(٤).

زعموها. أيضاً نزلت في اليهود. ولا دليل لهم في ذلك، والسياق واحد متصل. ولعل ذكر أهل الكتاب هو الذي أوقعهم في هذا الزعم! مع العلم بأن هذه الآيات ليست بأصرح من قوله: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ»^(٥) الآية المكية بالإجماع.

وقيل: من الآية: رقم ٤٠ إلى نهاية السورة كلها نزلت بالمدينة^(٦) ولا شاهد لهذا القول إطلاقاً. ولحن الآيات ولهجتها أيضاً تأباه.

والخلاصة: القائل بالاستثناء في هذه السورة، لا يملك دليلاً موثقاً به ولا سنداً يعتمد عليه. كما أن سياقها يناهض مكيته بوضوح. ومن ثم نرجح كونها مكية أجمع.

٥- سورة هود: مكية

استثني منها ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ»^(٧).

لكن السياق يشهد - صراحة - بأنها مكية. وقد روي في سبب نزولها

(٥) النحل: ٤٣.

(٦) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٧) هود: ١٢.

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٢) يونس: ٩٤.

(٣) يونس: ٩٥.

(٤) يونس: ٩٦.

ما يجعلها أيضاً مكية قطعياً^(١).

الثانية: قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتِ الْأَرْوَاحُ مَوْعِدُهُ»^(٢). استشهد من قال بمدنيته بقوله: «كتاب موسى». وبقوله: «من الأحزاب».

لكن لا شاهد فيها، بعد أن جرى ذكر موسى في كثير من آيات مكية. والاحزاب إشارة الى قبائل عربية متحزبة ضد الرسول، وقد كانت تحزبت منذ أن شعر المشركون بخطر نفوذ الإسلام في الجزيرة وسرعة انتشار الدعوة^(٣). ولا شاهد على إرادة وقعة الأحزاب.

الثالثة: قوله تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»^(٤).

روى أبو جعفر الطبري بإسناده عن أبي ميسرة. قال: جاءني امرأة تبتاع متي تمرأ، فقلت لها: إن في البيت تمرأ أجود، فأدخلتها البيت وأهويت إليها أقبلها وآتي منها ما يأتي الرجل من امرأته سوى الجماع، حتى مسست بيدي دبرها. ثم خرجت فذكرت ذلك لأبي بكر وعمر، فقالا: استر ذلك على نفسك ولا تخبرن أحداً. ثم ذكرت ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: هل جهزت غازياً؟ قلت: لا. فقال: هل خلفت غازياً في أهله؟ قلت: لا. فقال: استغفر ربك وصل أربع ركعات. ثم تلا: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» ثم قال: إنها للناس عامة، وفي رواية: نزل بها جبرئيل لساعته^(٥).

وهذه الرواية بهذا السياق باطلة عندنا البتة. لأنها تجربة على المعاصي،

(١) مجمع البيان: ج ٥ ص ١٤٦.

(٤) هود: ١١٤.

(٢) هود: ١٧.

(٥) تفسير الطبري: ج ١٢ ص ٨٢-٨٣.

(٣) تفسير البيان: ج ٥ ص ٤٦١.

فليفعل أيّ إنسان ما يريد ثم يعتمد الى صلاة يصلّيها لتكون كفارة عن كلّ ذنب يقتضيه. هذا فضلاً عن التهافت في نفس الرواية وعدم انسجامها مع الآية، وهو دليل آخر على وهنها. وأخيراً ففي أكثر الروايات: ثم تلا عليه الآية، وليس فيها أنّها نزلت حينذاك. كما روى غير هذه الأقصوصة أيضاً.

والصحيح عندنا: أن سورة هود مكيّة بأجمعها، نظراً لوحدة سياقها المنتظم على أسلوب تقريعي بديع يتناسب والدعوة في مكة.

٦- سورة يوسف: مكيّة

في المصحف الأميري: استثناء ثلاث آيات من أولها (١-٣) وقوله: «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ»^(١). قال جلال الدين: وهو واه جداً، لا يلتفت إليه^(٢) قلت: ونحن نربأ بمثل العلامة أبي عبد الله الزنجاني أن يتابع ثبت المصحف المصري من غير تحقيق، فيسجله في كتابه القيم^(٣). وفضح الأمر أوضح من أن يستتره وهم.

٧- سورة ابراهيم: مكيّة

قال الزركشي: سوى آيتين نزلتا في قتلي بدر من المشركين وهما قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ»^(٤).

والأصل في ذلك: ما روي عن سعد، عن عمر بن الخطاب قال: الذين بدّلوا نعمة الله كُفْرًا، هما: الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أميّة. أمّا بنو

(١) يوسف: ٧. (٢) تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني: ص ٢٨.

(٣) ابراهيم: ٢٨-٢٩. البرهان: ج ١ ص ٢٠٠.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

المغيرة فكفيتموهم يوم بدر. أو قال: استأصلهم الله يوم بدر. وأما بنو أمية. فمَتَّعُوا إلى حين^(١) وهكذا روي عن الإمام الصادق، وزاد، بلى هي قريش قاطبة^(٢).

لكن لا دلالة في ذلك على أنَّهما نزلتا يوم بدر أو بعده. وإنما كانت وقعة بدر مصداقاً من مصاديق البوار الذي أُنذروا به. أما المصداق الأوفى فهي جهنم يصلونها وبش القرار. فهذا الاستثناء كان نتيجة عدم التدبر في تأويل الآية بزعم أنه السبب الداعي للنزول!

٨- سورة الحجر: مكية

قال جلال الدين: وينبغي استثناء قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُشْتَدِّينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُشْتَائِرِينَ»^(٣). لما أخرجه الترمذي: أنها نزلت في صفوف الصلاة^(٤).

وقال الحسن: إلا قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مَبْعَأً مِنَ الْمَثَانِي...»^(٥) وقوله تعالى: «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ»^(٦). قلت: سياق الآية يأبى حملها على صلاة الجماعة. بشاهد قوله تعالى قبل هذه الآية: «وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ»، وكذا الآية بعدها: «وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ»، وإنما المعنى: ولقد علمنا بالأموات الماضين وبالأحياء الباقين^(٧) أما رواية الترمذي فهي مقطوعة وفي اسنادها ضعف، مضافاً إلى عدم انسجامها مع الآية.

(١) تفسير الطبري: ج ١٣ ص ١٤٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٢٩ ح ٢٢. وتفسير الصافي: ج ١ ص ٨٨٨.

(٣) الحجر: ٢٤.

(٤) الحجر: ٩٠-٩١. مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٢٦.

(٥) الإقنآن: ج ١ ص ١٥.

(٦) راجع تفسير الطبري: ج ١٤ ص ١٦ و ١٨.

(٧) الحجر: ٨٧.

وأما استثناء الآية رقم: ٨٧ فستند الى قول مجاهد: إنَّ سورة الفاتحة نزلت بالمدينة. وتقدّم أنها هفوة منه، والإجماع على خلاف قوله^(١).

وأما آية المقتسمين، فزعموها نزلت في اليهود والنصارى ممن آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعض^(٢) لكنّه زعم باطل، لأنَّ اليهود لم يؤمنوا بالقرآن إطلاقاً، ولم يكونوا هم المنزل عليهم. نعم كان إيمانهم بالكتب النازلة عليهم كذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

والصحيح أنَّ الآية المذكورة نزلت في المشركين الذين جعلوا من القرآن بعضه سحراً وبعضه أساطير الأولين وبعضه مفترى وغير ذلك، وكانوا يتفرقون على أبواب مكّة يصدّون الناس عن القرآن ويقولون على الله الكذب^(٣) وقد روى العياشي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام): أنها نزلت في قريش^(٤).



مركز تحقيقات كهنوت وعلوم اسلامی

٩- سورة النحل: مكّة

قال قتادة: إلّا قوله: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...»^(٥). وقيل: الى آخر السورة نزلن بالمدينة^(٦).

وعن عطاء بن يسار: استثناء قوله: «وإن عاقبتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُم بِهِ...» الى آخر السورة. وهن ثلاث آيات. نزلن في حادثة أحد، بعد مقتل حمزة (عليه السلام)^(٧).

(٧) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٣٥.

(١) راجع الإتيان: ج ١ ص ١٢.

(٢) تفسير الطبري: ج ١٤ ص ٤٢.

(٣) راجع الميزان: ج ١٢ ص ٢٠٥.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٥١-٢٥٢، ج ٤٣ و ٤٤.

(٥) النحل: ٤١.

(٦) الإتيان: ج ١ ص ١٥. وفي مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٤٧ نسبه الى الحسن و قتادة.

وفي رواية عن ابن عباس قوله: «وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...» الى قوله: بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١) نزلتا بالمدينة^(٢).

قلت: أمّا الآية رقم ٤١ و ٤٢ فلا دلالة فيها على أن المراد هي الهجرة الثانية الى المدينة، بل الظاهر منها أنها: الهجرة الأولى الى الحبشة، كما روي ذلك عن قتادة أيضاً^(٣) وأمّا القول بنزول مابعد آية الأربعين الى آخر السورة بالمدينة فلا مستند له وسياق الآيات أيضاً ينفيه.

وأمّا الآية رقم ٩٥ و ٩٦ فقليل: نزلت بشأن امرئ القيس الكندي، كان قد غصب أرضاً من عبدان الأشعر الحضرموتي. فشكاه الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنكر امرؤ القيس، فاستحلفه فاستعظم أن يحلف كاذباً، فنزلت الآية^(٤). وهذه القصة وقعت بالمدينة!

لكن القصة لم تثبت، ولهجة الآية عامّة، وسياقها يشهد بانسجامها الوثيق مع آيات قبلها، تهدف تقريعاً عنيفاً بأولئك المشركين المعاندين. وملاحظة عابرة بالآية تجعلنا نطمئن بأنها مرتبطة تمام الارتباط مع الآية رقم: ٩١ «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» توكيداً منها، وتثبيتاً بموقف المؤمنين آنذاك، فلا يشتروا بآعاهدوا الله عليه ثمناً بخساً: عرض هذه الحياة الدنيا، تجاه ما أعد لهم من عظيم الأجر والثواب وحسن الخاتمة^(٥).

وأمّا آية «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» فقد اختلف المفسرون فيها على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها نزلت يوم أحد، عندما وقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على حمزة وقد مثل به، فما كان أوجع لقلبه الكريم، فقال: أمّا والله لا مثلن بسبعين،

(٤) مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٨٤.

(١) النحل: ٩٥-٩٦.

(٥) راجع الدر المنثور: ج ٤ ص ١٢٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٤٧.

(٣) الدر المنثور: ج ٤ ص ١١٨.

أوقال: بثلاثين منهم مكانك!

وهكذا لما سمع المسلمون ذلك، قالوا: لئن أمكننا الله منهم لنمثّلن بالأحياء منهم فضلاً عن الأموات، وقال بعضهم: لنمثّلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب! فنزل جبرئيل بالآية، فكفر النبي (صلى الله عليه وآله) عن يمينه وأمسك عن الذي أراد!

الثاني: أنها نزلت يوم الفتح، فهمّ المسلمون أن يقعوا في المشركين، ويقتلوهم شرّ قتلة، تشفياً بما كانوا فعلوا بهم يوم أحد: كان قد أصيب من الانصار يومذاك أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبدالمطلب، وقد مثل بهم المشركون! فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنرينّ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة، وأمكن الله المسلمين من المشركين، نزلت الآية للأخذ من حدة المسلمين، وأن لا يتجاوزوا حدود ما أنزل الله!

الثالث: أنها عامة في كلّ ظلم، يحاول المظلوم الانتقام من الظالم، بعد ما يمكنه الله منه.

وهذه الآية جاءت مزيجاً بين الانتقام العادل والصفح الجميل، الأمر الذي يتناسب مع حالة المسلمين يوم كانوا بمكة. ومن ثم قالوا: إنها منسوخة بآية القتال. وهي نظيرة قوله تعالى: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» وقوله: «فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»^(١) نزلت أوائل عهد المسلمين بالمدينة.

وهذا الرأي الأخير هو الصحيح، نظراً الى سياق الآية نفسها، ومناسبتها الوثيقة مع آيات قبلها وبعدها:

قال تعالى: «أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...».

«وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ...» .
 «وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ»^(١).

وهذه الآية جاءت تصبر النبي (صلى الله عليه وآله) على أذى المشركين وتسليه عن حزنه عليهم لاحزنه منهم، وهو دليل على أن الآية نزلت يوم كان المشركون صموداً تجاه دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) ومتعرضين أذاه. وكانت نفوس مؤمنة تأبى تحمل الضيم، وتحاول الانتقام منهم مهما كلف الأمر^(٢).

١٠- سورة الإسراء: مكية

قالوا: فيها سبع عشرة آية نزلن بالمدينة، وهن: ٢٦، ٣٢، ٣٣، ٥٧، ٦٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٨، ١٠٧.
 وهذه مبالغة في القول، لا سند لأكثرها، وإليك بعض التفصيل:
 الآية الأولى: قوله تعالى: «وَأَيُّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا»^(٣).

قيل: نزلت بالمدينة بعدما فتح الله خير على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعطى فاطمة فداً^(٤).

وأخرج أبو جعفر الطبري عن السدي عن أبي الديلم، قال: قال علي بن الحسين (عليهما السلام) لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم! قال: أفأقرأت في بني إسرائيل: «وَأَيُّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ»؟ قال: وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه؟ قال (عليه السلام): نعم^(٥).

(١) النحل: ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧.

(٢) راجع مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٩٣. والدر المنثور: ج ٤ ص ١٣٥.

(٣) الاسراء: ٢٦.

(٤) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٧. ومجمع البيان: ج ٦ ص ٤١١. (٥) تفسير الطبري: ج ١٥ ص ٥٣.

وأخرج الحافظ الحسكاني حديث نزول الآية بشأن إعطاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) فذكاً، بأسانيد وطرق عديدة^(١).

قلت: ولكن ظاهر الآية كونها شريعة عامة، وظيفة لكل مسلم، وجاءت مجملة بوجوب الإنفاق على ذوي القرى والمساكين، كما هو طابع التشريعات المكية، ثم فصلت حدودها بعد الهجرة بالمدينة.

والآية بعمومها شاملة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو أيضاً مأمور بمواصلة الأرحام والإنفاق عليهم وعلى الفقراء، كأحد المسلمين.

إذن فالآية - لعلها - نزلت للمرة الثانية بعد فتح خيبر، وبعدما أفاء الله على رسوله والمؤمنين، نزل بها جبرئيل يذكرها بها وجوب مواصلة قرباه، فدعى فاطمة (عليها السلام) وأعطاهها فذكاً، ولا دليل على أن الآية نزلت - في أول نزولها - حينذاك .

أو لعل الآية التي نزلت بخيبر، بشأن مواصلة القرى، كانت غيرها: فقد ورد في حديث «مهال بن عمرو» بالشام - أيضاً - عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في قوله تعالى: «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ»^(٢). وأهل القرى: هم بنو قريظة وبنو النضير. والقرى، هي: فذك وخيبر وعرينة وينبع، أصبحت غنائم في يد المسلمين. وقد نزلت الآية بشأنها حينذاك^(٣).

فلو صحَّ أن جبرئيل (عليه السلام) جاء بالآية الأولى أيضاً، فهو تذكير للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحكم سابق، وتأكيد لحكم حاضر. هذا إذا لم يكن الراوي قد اشتبهت عليه إحدى الآيتين بالأخرى!

(١) شواهد التنزيل: ج ١ ص ٣٣٨ - ٣٤١.

(٢) الحشر المدنية: ٧.

(٣) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٦٠ - ١٦١. وجاء في الدر المنثور: ج ٦ ص ١٨٩ إشارة.

الآية الثانية: قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا»^(١).

الآية الثالثة: قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^(٢).
والقائل باستثناء هاتين الآيتين لم يعلل استثناءه بشيء^(٣).

ولعله نظر الى ظاهر تشريع حرمة الزنا وقتل النفس، حيث كان تشريع الأحكام بالمدينة!

لكن فاته أن تحديدات الحدود وتفاصيل الأحكام جاءت بالمدينة، أمّا أسس الشريعة وكمالات الأحكام في صورها الإجمالية فقد جاءت في سور مكية وبمكة كثيراً. وهاتان الآيتان جاءتا بمكة على نفس النمط.

قال السدي: آية: «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا» نزلت يوم لم تكن حدود. فجاءت بعد ذلك في سورة النور- وهي مدنية-^(٤). وقال الضحاك في آية القتل: كان هذا بمكة، والنبي (صلى الله عليه وآله) بها. وهو أول شيء نزل من القرآن في شأن القتل، كان المشركون يغتالون أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) يومذاك، فهم أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفعلوا بهم مثل ذلك، فقال جل ثناؤه: من قتلكم فلا يحملنكم عمله على أن تقتلوا أباه أو أخاه أو أحداً من المشركين، كما كانت العادة الجاهلية جارية على قتل الأخ بأخيه أو آخرين من أفراد قبيلته، فلا يقتلن أحدكم إلا القاتل نفسه^(٥).

الآية الرابعة: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ»^(٦).

(٤) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٩.

(١) الاسراء: ٣٢.

(٥) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٨١.

(٢) الاسراء: ٣٣.

(٦) الاسراء: ٥٧.

(٣) تاريخ القرآن لابي عبد الله الزنجاني: ص ٢٨.

والآية، بقرينة الآية قبلها تتناسب مع نزولها بمكة، ولم نعرف وجه هذا الاستثناء الذي جاء في المصحف الأميري وغيره!
الخامسة: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» (١).

جاء هذا الاستثناء في كلام جلال الدين، نظراً لأن الآية نزلت في رؤيا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهّمته، رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، ولم يرضاحكاً حتى مات (صلى الله عليه وآله) (٢).
هذا... والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن له منبر بمكة!
وقد تقدم كلامنا في ذلك، وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أرى اعتلاء دعوته المباركة، وأرى أيضاً تطاول أيدي الغاصبين لمنصبه الإلهي فساءه ذلك (٣).



السادسة والسابعة والثامنة: قوله تعالى: «وَأَن كَاذِبُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ لِيَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً. إِذَا لَا أَذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً» (٤).

لا شك أن الآيات مكّيات، نزلن بشأن مشركي قريش عرضوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسالمة مع آلهتهم، فنهروهم نهراً، ونزلت الآيات تثبيتاً بموقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاك المشرف، وتثبيتاً للمؤمنين نهائياً، لئلا يطمعوا في رسول الله، وهو داعية إلى التوحيد الخالص ونبذ الإشراك كلياً، أن يجامل فيما يناقض دعوته إلى الله وحده لا شريك له! (٥).

(١) الاسراء: ٦٠.

(٢) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٩١. (٤) الاسراء: ٧٣-٧٤-٧٥.

(٣) تقدم ذلك في الصفحة: ١٥٧. (٥) راجع مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٣١. والدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٤.

ولم نعرف وجهاً صحيحاً لاستثناء هذه الآيات الثلاث، كما جاء في كلام جلال الدين^(١) وفي المصحف الأميري وغيرهما!.

التاسعة والعاشرة: قوله تعالى: «وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً. سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستيتنا تحويلاً»^(٢).

وجه الاستثناء: ما قيل في سبب نزولهما: أن اليهود أتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له: إن كنت نبياً فأنت الشام أرض الأنبياء، فصدتهم على ذلك. وغزا غزوة تبوك، لا يريد إلا اللحاق بالشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه هاتين الآيتين، فأمره بالرجوع إلى المدينة، ففيها عياله وماله ومبعثه يوم القيامة^(٣).

لكنه معارض بما ورد: أنها نزلتا بشأن مشركي مكة، هموا بإخراج الرسول من مكة بنفس الأسلوب، قالوا له (صلى الله عليه وآله): كانت الأنبياء (عليهم السلام) يسكنون الشام فما لك وسكني هذه البلدة! أو هموا بإخراجه عنفاً، لأن الاستفزاز هو الإزعاج بعنف، وظاهر الآية يرجع المعنى الثاني، كما أن المشركين لما فعلوا ذلك بعدئذ طبقت عليهم سنة الله في الخلق، بدأت بقتلي بدر، وانتهت بفتح مكة وإخراج المشركين منها نهائياً^(٤).

الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة: قوله تعالى: «أقم الصلاة لذلول الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً. ومن الليل فتعجذ به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. وقل رب أدخلني مدخل

(٣) مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٣٢. والدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٥.

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٤) راجع: نفس المصادر.

(٢) الاسراء: ج ٧٦-٧٧.

صِدْقِي وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقِي وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا. وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»^(١).

زعم المستثني: أنها من تامة الآيتين السابقتين نزولا بالمدينة^(٢). وهو زعم باطل، بعد أن لم يثبت الأصل فكيف بالفرع!

وقد أخرج أبونعيم والبيهقي عن ابن عباس: أن قوله: «وقل رب ادخلني مدخل صدق...» نزل بمكة قبيل هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣).

على أن الآيات في سياقها المتصل، سبقاً ولحقاً، بنفسها تشهد بنزولها بمكة، ولا تنسجم مع القول بنزولها في المدينة بشيء.

الخامسة عشرة: قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»^(٤).

أخرج جماعة من أهل الحديث: أن هذا السؤال كان من يهود المدينة، بعد الهجرة^(٥).

مركز تحقيقات كويتية للعلوم الإسلامية

لكنه معارض بما ورد أن هذا السؤال وقع من مشركي قريش، سألوه عن الروح الذي جاء ذكره في القرآن^(٦) أو أن اليهود أوعزوا إلى المشركين توجيه هكذا سؤال إلى محمد (صلى الله عليه وآله). قالوا: فإن أجابكم فليس بنبي وإن لم يجيبكم فهو نبي^(٧).

هذا مضافاً إلى أن ذيل الآية تشهد بأنها خطاب مع المشركين، وعن

(١) الاسراء: ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٣) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٨. وتفسير الطبري: ج ١٥ ص ١٠٠.

(٤) الاسراء: ٨٥.

(٥) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٩. وتفسير الطبري: ج ١٥ ص ١٠٥.

(٦) و (٧) راجع مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٣٧ والدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٩.

عطاء بن يسار: أنَّ قوله تعالى: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» نزلت بمكة^(١).

السادسة عشرة: قوله تعالى: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»^(٢).
أخرج الطبري: أنَّ الآية نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، بسبب قوم من اليهود جادلوه في تناسق القرآن، فانكروا تناسقه وزعموا أنَّ التوراة أنسق منه^(٣).

لكن رنة الآية الأخاذة تشي بنزولها بشأن مشركي قريش تحدياً معهم حينما سألوهم مخاريق غريبة الى جنب مطالب تافهة، تجاه نزول القرآن.
وهذه الآية نزلت تمهيداً للتشريع المتجه إليهم في آيات بعدها: «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا»^(٤) الى تمام الأربع آيات، والتي تستتبعها الى الآية السابعة والتسعين. فراجع نفس الآيات.

الآية الأخيرة وهي السابعة عشرة: قوله تعالى: «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُثْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا»^(٥).
قال جلال الدين: نزلت بالمدينة، لما أخرجناه في أسباب النزول^(٦).
لكنه لم يخرج شيئاً بهذا الشأن، لافي لباب النقول ولا في الدر المنثور!

(١) و(٣) تفسير الطبري: ج ١٥ ص ١٠٦. (٥) الاسراء: ١٠٧.

(٢) الاسراء: ٨٨.

(٤) الاسراء: ٩٠.

(٦) الإتيان ج ١ ص ١٥. وفي الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٠٥: أخرج ابن جرير عن مجاهد: أنَّ الذين أُوتوا العلم من قبله هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد.. لكن ذلك لا يستدعي نزول الآية بالمدينة، كما لا يخفى.

والآية بسياقها تشهد بأنها مكية، نزلت توبيخاً لصمود المشركين تجاه نزول القرآن وإبائهم عن الإيمان به، وتلمييحاً بأن هذا العناد هو أثر الجاهل الأعمى والتوخش الفادح الذي تمكن من نفوسهم القاسية، أمّا أهل المدينة والثقافة فإنهم إذا لمسوا من حقيقة القرآن الواضحة يؤمنون به فوراً بلا ارتياب، كناية بأن هؤلاء المشركين بعيدون عن الحضارة والعلم، ومن ثم هذا التأنف والشموخ الجاهل!

١١- سورة الكهف: مكية

استثنى بعضهم منها اثنتين وثلاثين آية، زعمها نزلت بالمدينة. وهذا إسراف في القول، لأن هذا يعني: أن ثلث السورة، ولاسيما ثمانى آيات من أولها مدنية، فكان جديراً ثبوتها في المدنيات!

قال جلال الدين: استثنى من أولها إلى قوله: «جُرُزاً» الآيات رقم: ١-٨ نزلت بالمدينة^(١).

ولا دليل لهذا الاستثناء إطلاقاً، مضافاً إلى استلزامه أن تكون السورة مدنية لامكية! لأن الاعتبار في المكية والمدنية إنما هو بمفتتح السورة وشي من آيات من أولها. هذا والإجماع منعقد على أن سورة الكهف مكية لا اختلاف فيها^(٢).

ولعل المستثنى نظر إلى قوله تعالى: «وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»^(٣).

ولكن ذلك لا يستدعي نزولها بالمدينة لمناسبة وجود اليهود فيها، بل هي عامة تشمل النصارى والمشركين أيضاً، على أن نزول آية بشأن قصة يهودية لا تستوجب مقارنة نزولها يوم كانوا ينابذون الإسلام، والآيات بهذا النمط كثيرة

(٣) الكهف: ٤.

(١) نفس المصدر.

(٢) راجع الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٠٨.

في سور مكية، وذلك لوجود الصلة القريبة بين اليهود والمشركون قبل مهاجرة النبي (صلى الله عليه وآله) الى المدينة، كما تقدمت الإشارة الى ذلك.

وقال أيضاً باستثناء قوله تعالى: «وَاضْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ... الى قوله: فرطاً»^(١).

زعموها نزلت في عيينة بن حصن، عرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آنذاك بالمدينة، أن يتباعد مجلس فقراء المؤمنين، إن كان يريد إسلام عظماء البلد^(٢).

لكن الصحيح أنها نزلت في أمية بن خلف، عرض عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك وهو بمكة فدعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى طرد الفقراء وتقريب صناديد قريش^(٣) ولهجة الآية وسياقها أيضاً تشي بذلك.

وفي المصحف الأميري وتاريخ القرآن للزنجاني: استثناء قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْتَيْنِ... الى قوله: لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا»^(٤) تسع عشرة آية.

زعموا أن الذين وجهوا هذا السؤال الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا هم اليهود أنفسهم، ومن ثم كان نزول الآيات- بصدد الإجابة- في المدينة^(٥).
والصحيح أن المشركون هم الذين سألوا هذا السؤال، لكن بتعليم من اليهود، كان المشركون بعثوا من يسأل اليهود عن أوصاف رسول الله، فأجابوهم

(١) الكهف ٢٨. الإتيان: ج ١ ص ١٥، وتاريخ القرآن لابي عبد الله الزنجاني: ص ٢٩.

(٢) الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٢٠.

(٣) أسباب النزول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٢٣٠. والدر المنثور: ج ٤ ص ٢٢٠.

(٤) الكهف: ٨٣-١٠١.

(٥) الدر المنثور: ج ٤ ص ٣٤٠.

بأسئلة يوجهونها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن أجاب فهو نبي حقاً.
 روى أبو جعفر الطبري: أن قريشاً بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول- التوراة- وعندهم علم ما ليس عندنا، من علم الأنبياء. فخرجوا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟. سلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه... الخ. والحديث طويل وفي نفس الوقت طريف (١).

مركز تحقيقات كهنوتية ودراسات

وفي الإتيان جاء استثناء قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا» الى آخر السورة (٢) اربع آيات (٣).
 هذا... ولم يبين سند هذا الاستثناء الغريب! ولعله سهو أو جزاف من الكلام، إذ لا شيء في الآيات يصلح دليلاً على مدنيته، ولا ورد في تفسيرها ما يتناسب ونزولها بالمدينة!!

نعم روى في الدر المنثور عن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله، «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...» (٤). لكن لحن

(١) جامع البيان: ٢١٥ ص ١٢٧ وج ١٦ ص ٧. والدر المنثور: ج ٤ ص ٢١٠. ولباب النقول بهامش

الجلالين: ج ١ ص ٢٢٨.

(٢) الكهف: ١٠٧-١١٠.

(٣) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٤) الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٥٥.

الآية وفحواها لا تلتئم وذلك .. وروى الطبرسي عن ابن عباس: لما نزل قوله «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» قالت اليهود، أوتينا التوراة وفيها علم كثير. فأنزل الله «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ...» ولذلك قال الحسن: أراد بالكلمات العلم^(١) لكن هذا لا يدل على كونها نزلت بالمدينة كما مر غير مرة!

١٢- سورة مريم: مكية

قال جلال الدين: استثنى منها آيتان^(٢).

١- آية السجدة: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ- الى قوله-: خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا»^(٣).

ويكذبه: أن هذه الآية نزلت تعقيباً على الآيات التي سبقتها من أول السورة الى هنا، ذكرت أحوال الأنبياء وأمم سالفة بتفصيل، ثم جاء مدحهم جميعاً بصورة إجمالية في هذه الآية، كأنها تلخيص لتلك السمات والأوصاف، وكانت نتيجة عليها، فأما أن نقول بأن جميعها من أول السورة الى هذه الآية مدنية أو كلها مكية، ولا موقع لهذا الاستثناء الغريب، والذي لم يبين المستثنى سنده في ذلك؟!

٢- قوله تعالى: «وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»^(٤). وهذه كسابقها مرتبطة تمام الارتباط بآيات اكتنفها سبقاً ولحقاً، بما لا يدع مجالاً لاستثنائها وحدها.

١٣- سورة طه: مكية

استثنى منها آيتان: الأولى قوله تعالى: «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

(٣) مريم: ٥٨.

(٤) مريم: ٧١.

(١) مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٩٩.

(٢) الإقناع: ج ١ ص ١٥.

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»^(١).

لكن الآية تفريع على آيات سبقتها، مضافاً الى لهجتها الخاصة بآيات
مكية. وورد في تفسيرها ما يؤكد نزولها بمكة^(٢).
الثانية قوله تعالى: «وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
مِنْهُمْ...»^(٣).

قال جلال الدين: لما أخرجه البزار عن أبي رافع، كان بعثه النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) ليستسلف من يهودي طعاماً، فأبى إلا برهن، فحزن
رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ذلك، فنزلت الآية^(٤).
لكن القصة- على فرض صحتها- لا تصلح داعية لنزول هذه الآية بشأنها،
ولا مناسبة بينها وبين فحوى الآية رأساً.



١٤- سورة الأنبياء: مكية

استثني منها قوله تعالى: «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَا»^(٥) ولم يذكروا سند الاستثناء.
لكن السياق مكّي بلا كلام. وجاءت نظيرتها في سورة الرعد: ٤١ أيضاً،
ولهجتها مكية، لولا اتفاق روايات الترتيب على مدنيّتها على ما سبق.

١٥- سورة المؤمنون: مكية

استثني منها قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ - الى قوله - مُبْلِسُونَ»
ثلاث عشرة آية^(٦).

(١) طه: ١٣٠. (٥) الأنبياء: ٤٤. الإتيان: ج ١ ص ١٦.

(٢) تفسير الطبري: ج ١٦ ص ١٦٨. (٦) المؤمنون: ٦٤-٧٧. الإتيان: ج ١ ص ١٦.

(٣) طه: ١٣١.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٦. وراجع تفسير الطبري: ج ١٦ ص ١٦٩.

ولا شاهد لهذا الاستثناء بتاتا. ولعلّ المستثني نظرا إلى روايات فسرت العذاب بما أصيب المشركون يوم بدر أو يوم الفتح. لكنه غفل عن أنّها تفسير لوعده سابق، لاحكاية عن أمر كان. راجع أبا جعفر الطبري وغيره^(١).

١٦- سورة الفرقان: مكية

استثني منها ثلاث آيات: ٦٨ و ٦٩ و ٧٠.

لكن الآيات منسجمة مع قريناتها سبقا ولحوقا تمام الانسجام، بما يستحيل استثناءها لوحدها. وفي تفسير الطبري وغيره ما يؤكد نزولها بمكة فراجع^(٢).

١٧- سورة الشعراء: مكية

استثني منها خمس آيات:

١- قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٣).

حكى ابن غرس: أنّها مدنية^(٤) ولعله لما ورد في تفسيرها من أنّ المراد من علماء بني إسرائيل- هنا- هم: أسد وأسيد وابن يامين وثعلبة وعبدالله بن سلام^(٥). لكن وجه الآية بلا شك مع مشركي قريش، وتوبيخ لاذع بهم. أمّا التفسير الوارد فلا يعني نزول الآية بعد إيمان هؤلاء اليهود، وإنّما هو بيان مصداق من مصاديق الآية تحققت فيما بعد.

وقد تقدّم^(٦) مراجعة المشركين إلى اليهود فيما يخص معرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكانوا يعرفونهم خصائص وسمات كانت موجودة فيه (صلى الله عليه وآله) والآية إنّما تعني ذلك، وإنّ هذا شيء كان يعرفه أهل الكتاب. كما اعترفوا هم قبل هجرته (صلى الله عليه وآله) وإنّما نكروه بعد ذلك طمعاً في حطام الدنيا

(١) تفسير الطبري: ج ١٨ ص ٢٨. (٤) الإتيان: ج ١ ص ١٦.

(٢) تفسير الطبري: ج ١٩ ص ٢٦. (٥) تفسير الطبري: ج ١٩ ص ٦٩. والدر المنثور: ج ٥ ص ٩٥.

(٣) الشعراء: ١٩٧. (٦) تقدم ذلك في الصفحة: ١٩٥.

ولم تكن الآية إيمانهم وإنما عنت معرفتهم. وبذلك لا يصلح التفسير الوارد لتعيين نزول الآية بالمدينة.

٢- قوله تعالى: «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ»^(١) إلى آخر السورة أربع آيات.

حكى استثناء ذلك عن ابن عباس^(٢) وسند الاستثناء ماروي أنها نزلت في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين^(٣).

لكنه معارض بما هو أقوى سنداً وأكثر عدداً: أنها نزلت في مشركي قريش، كان شعراؤهم يهجون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقرأها سفلتهم على ملأ من الناس امتناناً بموقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلت الآية تقريباً بشأنهم وتنديداً بسلوكهم الشنيء وقد جاء الطبرسي باسماء هؤلاء المشركين في تفصيل عريض^(٤). وهكذا رجحه أبو جعفر الطبري^(٥).

مركز تقيت كوتير علوم رسيدي

١٨- سورة القصص: مكة

استثني منها قوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» إلى قوله: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ»^(٦) أربع آيات.

قيل: نزلت في جماعة من أهل الكتاب كانوا قد أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي^(٧).

وقيل: نزلت في أصحاب النجاشي قدموا المدينة وشهدوا وقعة أحد^(٨).

لكن لو صح تفسير الآية بالمذكورين فإنما عنت الاخبار عما سيكون لأعما

(١) الشعراء: ٢٢٤.

(٥) جامع البيان: ج ١٩ ص ٧٨.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٩ و ١٦.

(٦) القصص: ٥٢-٥٥.

(٣) الدر المنثور: ج ٥ ص ٩٩. وتفسير الطبري: ج ١٩ ص ٧٨.

(٧) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٥٨.

(٤) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٠٨.

(٨) الإتيان: ج ١ ص ١٦.

كان! فضلاً عن معارضة هذا التفسير بتفسيرها بجماعة من أهل الكتاب كانوا مسلمين بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل مبعثه، وهم أربعون رجلاً على ما جاء في تفسير الطبرسي وتفسير الطبري وغيرهما فراجع^(١).
ويؤكد ما ذكرنا قوله تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...»^(٢).

هذه الآية مكية وردت بشأن مجادة أهل الكتاب.
وقوله تعالى - أيضاً: «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ...»^(٣). وهي مكية أيضاً بالاتفاق.
وهذه نظيرة الآية المبحوث عنها تماماً، إخبار عما سيكون.

واستثنى منها - أيضاً - قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ...»^(٤).

قيل: نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو مهاجر إلى المدينة، عند وصوله إلى الجحفة^(٥) فالآية على الاصطلاح الثاني^(٦) لامكية ولا مدنية.
لكن الاختيار المشهور هو المصطلح الأول. وعليه فالآية مكية. وقد سبق ذلك.

١٩- سورة العنكبوت: مكية

استثنى من أولها إلى الآية الحادية عشرة، قالوا: نزلت بالمدينة^(٧) قالوا:
نزلت الآيات في أناس من المسلمين تخلفوا عن الهجرة، ثم كتب إليهم أصحاب

(١) مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٥٨. وجامع البيان: ج ٢٠ ص ٥٧. والدر المنثور: ج ٥ ص ١٣٣.

(٥) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٦٨.

(٦) تقدم ذلك في الصفحة: ١٢٩.

(٧) الإقناع: ج ١ ص ١٦.

(٢) العنكبوت: ٤٦.

(٣) العنكبوت: ٤٧.

(٤) القصص: ٨٥.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك، فعمدوا الى المهاجرة فردتهم قريش ووقع بينهم قتال وعنف^(١).

لكن الآية عامة، نزلت في مؤمني مكة وقعوا تحت شدة، وكانت ابتلاء لهم ليعلم الصادق من الكاذب. وهكذا فسرها أبو جعفر الطبري^(٢) وجاءت به الرواية عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)^(٣).

هذا فضلاً عن أن مفتتح السورة لو صح نزولها بالمدينة لأصبحت السورة مدنية، وفق المصطلح المتقدم^(٤) هذا ولم يخالف أحد في مكيتها.

واستثني منها - أيضاً - قوله تعالى: «وَكَايْنِ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٥).

استثناها جلال الدين، لما رواه ابن أبي حاتم - بسند ضعيف - عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، ثم قال (صلى الله عليه وآله) هذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ولم أجده... قال ابن عمر: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: «وَكَايْنِ مِّنْ دَابَّةٍ...»^(٦).

والرواية مطعون في سندها، فضلاً عن اضطراب متنها وعدم معقولية فحواها!

هذا... وقد روي عن مقاتل والكلبي: أنها نزلت في جماعة من المؤمنين المستضعفين، ضاق بهم المقام بمكة قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) ووقعوا في عسر وشدة، فأمروا بالهجرة الى المدينة، قالوا: كيف نخرج الى بلد

(١) أسباب النزول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٣٢.

(٢) جامع البيان: ج ٢٠ ص ٨٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٧٢. (٥) العنكبوت: ٦٠.

(٤) تقدم ذلك في الصفحة: ١٣٢. (٦) الإتيان: ج ١ ص ١٦. والدر المنثور ج ٥ ص ١٤٩.

ليس لنا به دار ولا عقار ولا معيشة! فنزلت الآية: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ» الى قوله: «وَكَايْنِ مِنْ ذَابَّةٍ...» الخ^(١).
والرواية الثانية أوفق بنص الكتاب وأولى بالاعتبار، ومن ثم فهي الصحيحة المقبولة!

٢٠- سورة الروم: مكية

جاء في المصحف الأميري وتاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني والمجمع: استثناء قوله تعالى: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ»^(١).
ولاسند لهذا الاستثناء، فضلا عن ارتباطها الوثيق مع آيات سبقها وآيات لحقتها!



٢١- سورة لقمان: مكية

روي عن ابن عباس: استثناء قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ» الى قوله: «بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ»^(٣) ثلاث آيات.

وذلك لأنه (رضي الله عنه) روى في سبب نزولها: أن أحبار يهود قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة: إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير، فقال (صلى الله عليه وآله): إنها في جنب علم الله قليل، فنزلت الآيات^(٤).
ولكن التعليل إن كان يتناسب مع الآية رقم: ٢٧ فرضاً، فإنه لا يتناسب مع الآيتين بعدها، ولا يصلح داعية لنزولها البتة.

(١) العنكبوت: ٥٦- ٦٠. مجمع البيان: ج ٨ ص ٢٩٠.

(٢) الروم: ١٧. تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني: ص ٣٠. ومجمع البيان: ج ٨ ص ٢٩٣.

(٣) لقمان: ٢٧- ٢٩.

(٤) الدر المنثور: ج ٥ ص ١٦٧. والإتقان: ج ١ ص ١٦.

والصحيح أنَّ الآيات الثلاث، هي كسوابقها ولواحقها منسجمة بعضها مع بعض وهي جميعاً عرض لعظمة ربِّ العالمين، لا يدانيه أحد، ولا يماثله شيء!.... فلا سبب يفصلها عن قريناتها، ومن ثم لا وجه لاستثنائها أصلاً. ولو صحت الرواية المذكورة عن ابن عباس، فلا بدَّ أنه (صلى الله عليه وآله) قرأها عليهم حينما عرضوا عليه ذلك التحدي الغريب! لأنها نزلت حينذاك .

٢٢. سورة السجدة: مكية

استثني منها قوله تعالى: «تَتَحَاقُّ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»^(١).

قال جلال الدين: لما أخرجه البزار وابن مردويه عن بلال، قال: كنا جلوساً وناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلّون بعد المغرب الى العشاء فنزلت^(٢).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

قلت: الآية عامة. وانسجامها مع قريناتها من آيات بادية الوضوح. فضلاً عن عدم التثامها مع فحوى الرواية في شيء.

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: استثناء قوله تعالى: «فَلَا تَغْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»^(٣).

ولعل ذلك نظراً لأنها تتميم للآية السابقة. والأصح أنها كسابقتها عامة.

وروي عن ابن عباس: استثناء قوله تعالى: «أَقَمْنِ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» الى قوله: «نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٤).

(١) السجدة: ١٦.

(٣) السجدة: ١٧.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ١٦. والدر المنثور: ج ٥ ص ١٧٥.

(٤) السجدة: ١٨-١٩.

وذلك لما روي بطرق وأسانيد كثيرة ومعتبرة: أنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) والوليد بن عقبة بن أبي معيط، في مشاجرة جرت بينهما يوم بدر، قال له الوليد: اسكت فإنك صبي وأنا أبسط منك لساناً وأحد منك سنناً وأردّ منك للكتيبة! فقال له علي (عليه السلام) على رسلك فإنك فاسق، وليس كما تقول.

أخرجها أبوالفرج الإصبهاني في كتاب الاغاني، والواحدي في أسباب النزول وابن مردويه. والخطيب البغدادي. وابن عساكر من طرق عن ابن عباس. وأخرجها ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار. وأخرجها ابن أبي حاتم عن السدي وعبدالرحمان بن أبي ليلى. فالؤمن الذي عنته الآية الكريمة هو علي بن أبي طالب والفاسق هو الوليد^(١).

وأخرجها الحافظ الحسكاني باثني عشر طريقاً، ربّما بلغت بذلك حدّ التواتر^(٢).

قلت: سياق الآية عام، وهي مرتبطة مع بقية الآيات، سابقة ولاحقة. يبدو ذلك لأدنى مراجعة الى السورة.

نعم يجوز نزول آية مرة ثانية لمناسبة تستدعي ذلك، الأمر الذي حدث في كثير من آيات سوف ننبه عليها. ويحتمل أن المحاورة المذكورة بلغت النبي (صلى الله عليه وآله) فقرأ الآية الكريمة، تطبيقاً مع المورد، فقد فسق الوليد هذا في آيات أخرى، ونزلت: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا»^(٣) بشأنه الخاص، أخرجه جلال الدين بأسانيد رجالها ثقات^(٤).

(١) راجع الدر المنثور: ج ٥ ص ١٧٨. وتفسير الطبري: ج ٢١ ص ٦٨. وتفسير النيسابوري بهامش

الطبري: ج ٢١ ص ٧٢. ومجمع البيان: ج ٨ ص ٣٣٢.

(٢) شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٤٥-٤٥٣.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٨٠-٨٢. وأخرجه أيضاً أصحاب مجاميع معتبرة فراجع.

٢٣- سورة سبأ: مكية

استثني منها قوله تعالى: «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^(١).

هذه الآية إشارة الى أن أهل العلم الواقعيين يؤمنون بهذا الكتاب إيماناً صادقاً عن علم و يقين، ولا شك أن الأمر كذلك، فالناهون العقلاء وأرباب الفضيلة والكمال، لا يترددون في الإيمان بهذا الكتاب العزيز الذي لا ريب فيه، فور معرفتهم به. وهذا شأن كل حق صريح. وهكذا رجح هذا المعنى العلامة الطبرسي، قال: وهذا أولى، لعمومه... ثم قال: لأنهم يتدبرونه ويتفكرون فيه، فيعلمون بالنظر والاستدلال أنه ليس من قبل البشر^(٢).

لكن أبا جعفر الطبري فسر الآية - ابتداءً - بمسلمي أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه^(٣). ومن ثم زعم بعضهم أن الآية مدنية نزلت بعد إسلام هؤلاء^(٤).

هذا... وأبو جعفر لم يستند في تفسيره ذلك الى نقل مأثور^(٥) وإنما نقل عن قتادة: أنهم أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) السابقين الأولين ممن وجدوا الإسلام حقيقة ناصعة فاحتضنوها عن معرفة و يقين. فنقله يختلف عن رأيه هو!

واستثني منها - أيضاً - قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ - اِلى قوله -: وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ»^(٦) سبع آيات.

(١) سبأ: ٦. (٤) الإتيان: ج ١ ص ١٦.

(٥) وفي مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٧٨: أنه قول الضحاک .

(٦) سبأ: ١٥-٢١.

(٢) مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) جامع البيان: ج ٢٢ ص ٤٤.

يروى عن فروة بن مسيك : أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوسع رجلاً يسأله (صلى الله عليه وآله) عن سبأ: جبل أم أرض، رجل أم امرأة؟ فنزلت الآيات، وكان هذا السؤال بعد مرجعه من غزوة قباثل سبأ، أرجعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه لم يؤمر بذلك^(١).

قال ابن الحصار: وهذا يدل على أن نزول الآيات كان بالمدينة، لأن مهاجرة فروة كانت بعد إسلام ثقيف سنة تسع من الهجرة^(٢).

لكنه قال بعد ذلك: ويحتمل أن يكون قوله: «وأنزل في سبأ ما أنزل» حكاية عما تقدم نزوله قبل الهجرة بمكة، لانزوله حينذاك.

قلت: لو صدقت القصة لابد من حمل قوله في ذلك على الحكاية، اذ بعد جداً نزول آية أو آيات لمجرد سؤال رجل كان جوابه (صلى الله عليه وآله وسلم) كافياً لارضاء حسن استطلاعهم. كما جاء في الرواية. ولم يستدع تفصيلاً تعرضت له الآيات.

على أن ملاحظة عبري بشأن قصة سبأ كما وردت في القرآن تكفي للدلالة على أن الهدف منها عام كسائر القصص الواردة في القرآن تروم توجيه البشرية إلى معالم السير الصحيح، تنبيهها لها على مواضع الخطأ في حياتها الغابرة لتأخذ منها درساً تسير عليه في حياتها الحاضرة.

والصحيح في قصة فروة بن مسيك : أنه سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن قصة سبأ بعد أن قرأها في القرآن، فسأله (صلى الله عليه وآله) عن سبأ أرجل هو أم امرأة، أم هو اسم أرض أم جبل؟ فشرح له النبي (صلى الله عليه وآله) (صلى الله عليه وآله) أنه رجل من العرب كان له من الأولاد كذا وكذا^(٣). وهذا يدل على تأخر السؤال عن نزول الآيات.

(١) مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٨٦. وجامع البيان: ج ٢٢ ص ٥٣. والدر المنثور: ج ٥ ص ٢٣١.

(٢) مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٨٦.

(٣) الاتقان: ج ١ ص ١٦.

وأخيراً فإن الرواية بهذا الشأن عن فروة مضطربة ومتناقضة بعضها مع بعض، بما يجعل الاستناد إليها في الحكم بنزول الآيات بشأنها مستحيلاً.

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان-؟- أن فروة بن مسيك الغطفاني-؟- قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا نبي الله إن سباً قوم كان لهم في الجاهلية غزو. وإنني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام-؟- أفأقاتلهم؟ فقال: ما أمرت فيهم بشيء بعد، فأنزلت هذه الآية: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ...»^(١).

انظر الى هذه الرواية المتفككة سنداً وأسلوباً، وعدم أي مناسبة بين مضمونها ونزول هكذا آيات!! الأمر الذي يجعلنا نطمئن بأنها لم تكن من حياة إنسان نابه يلتفت الى مايقوله من كلام!

وهكذا سائر الروايات الواردة بهذا الشأن، فراجع^(٢).

فان كانت هكذا مناسبات تستدعي نزول قرآن، فأجدر بنا أن نقول: إنه كان ينزل بلامناسبه!!

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

٢٤- سورة فاطر (الملائكة): مكية

قال الحسن: إلا آيتين:

الأولى: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَثْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ...»^(٣).

الثانية قوله: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...»^(٤).
ولعل الأولى لذكر الصلاة فيها...

(١) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٥٥.

(٢) تفسير الطبري. والدر المنثور وغيرهما.

(٣) فاطر: ٢٩.

(٤) فاطر: ٣٢.

والثانية من أجل تعقيبها بقوله: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ». فقد روى عكرمة عن ابن عباس: أن الظالم هو المنافق... (١).

غير أن الصلاة فرضت بمكة... وكان تطبيق الظالم على المنافق لا يستدعي نزول الآية بالمدينة حيث وفور المنافقين، لأنه تطبيق وبيان مصداق من ابن عباس، إن صح الحديث. واللفظ عام لا يتقيد بموارد تطبيقه.

٢٥- سورة يس: مكة

استثنت منها آيتان:

الأولى: قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ» (٢).
أخرج الحاكم والترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة، فشكوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه، فنزلت الآية، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : إن آثاركم تكتب، فلم ينتقلوا (٣).

لكن القصة لا تصلح سبباً لنزول جميع فقرات الآية، لعدم المناسبة! ولعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استشهد بفقرة منها بعدما شكوا إليه بعد منازلهم، حيث أفضل الأعمال أحزها.

الثانية: قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (٤) قال ابن عباس: نزلت بالمدينة بشأن المنافقين (٥).

(١) مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٩٩ و ٤٠٩. (٤) يس: ٤٧.

(٢) يس: ١٢. (٥) الإتيان: ج ١ ص ١٦. ومجمع البيان: ج ٨ ص ٤١٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٨ ص ٤١٨. والإتيان: ج ١ ص ١٦. وتفسير الطبري: ج ٢٢ ص ١٠٠.

لكنها صريحة في خطابها مع الذين كفروا، وقد نص أبو جعفر نزولها بشأن المشركين^(١) وهكذا يشهد بذلك سياق الآية ذاتها.

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: استثناء الآية رقم: ٤٥.

ولعله سهو جاء في اشتباه الرقم. وعلى الفرض فسياقها نفس سياق الآية رقم: ٤٧ والكلام فيها هو الكلام في تلك.

٢٦- سورة الزمر: مكية

استثني منها قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢).

نقل السخاوي في «جمال القراء» عن بعضهم: أنها نزلت بالمدينة^(٣).

لكن الآية بنفسها تشي بأنها مكية، نزلت تحرص المؤمنين المستضعفين على المهاجرة. وهكذا روي عن ابن عباس^(٤).

واستثني - أيضاً - قوله تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...»^(٥).

حكى ابن الجزري عن بعضهم - أيضاً - أنها نزلت بالمدينة^(٦).

لكن لهجة الآية الرنانة الأخاذة بمجامع القلوب، بذاتها شاهدة على أنها مكية، كما أن السياق أيضاً يشهد بذلك، ولا وجه لهذا الاستثناء بتاتاً.

وهكذا استثني منها قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

(٤) مجمع البيان: ج ٨ ص ٤٩٢.

(٥) الزمر: ٢٣.

(٦) الإقناع: ج ١ ص ١٦.

(١) جامع البيان: ج ٢٣ ص ٩.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) الإقناع: ج ١ ص ١٦.

الى قوله:- «وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»^(١) ثلاث آيات.

قيل: نزلن في وحشي قاتل حمزة! روي ذلك عن ابن عباس بسند ضعيف^(٢).

نعم أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس، قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة^(٣) وهكذا فسرها أبو جعفر بعدة طرق^(٤).

قلت: لا يستحق وحشي - وهو وحش في صورة إنس - أن تنزل عليه بالخصوص آية هي ذات صدى عاطفي رقيق، وذات إشارات خفية لا يلزمها إلا ذووا أفهام ناضجة وقرائح متوقدة!

قال العلامة الطبرسي: ولا يصح نزولها بشأن «وحشي» لأن الآية نزلت بمكة، ووحشي أسلم بعدها بسنين كثيرة، ولكن يحتمل أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب إسلامه^(٥).



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

٢٧- سورة المؤمن (غافر): مكية:

استثنت منها ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ»^(٦).

قال الحسن: لأنها تعني بذلك صلاة المغرب وصلاة الفجر، وقد ثبت أن فرض الصلاة نزل بالمدينة^(٧).

قلت: وهذا غريب! لأن الصلاة أول ما فرضت فرضت بمكة، وكان المسلمون يصلّون بها جماعة وفرادى. وتقدم: أن الصلاة هي أول شيء جاء به جبرائيل وعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوضوء والصلاة في بدء بعثته

(٥) مجمع البيان: ج ٨ ص ٥٠٣.

(٦) المؤمن: ٥٥.

(٧) مجمع البيان: ج ٨ ص ٥١٢.

(١) الزمر: ٥٣-٥٥.

(٢) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٦٣.

(٣) نفس المصدر.

(٤) جامع البيان: ج ٢٤ ص ١٠.

(صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١).

وأيضاً فإن صدر الآية: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» دليل على مكيتها، فضلاً عن السياق المناسب!

الثانية والثالثة: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ^(٢). قال جلال الدين: أخرج ابن حميد وابن أبي حاتم بسند صحيح -!- عن أبي العالية، قال: إِنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) فَقَالُوا: الدَّجَالُ مَتَى يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ... وَجَعَلُوا يَعْظُمُونَ مِنْ شَأْنِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَفِيهَا: «لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ» ^(٣).

قلت: نعوذ بالله من سفاسف الكلام، كيف تنزل آية قرآنية في رد مزعومة تافهة تبجح بها يهودي، لتجعل المقايضة بين دَجَل دَجَال وخلق السماوات والأرض؟! 

ولقد أحسن أبو جعفر الطبري ^(٤) فلم يذكر شيئاً من تلكم الأحاديث الفارغة التي ملأ بها جلال الدين السيوطي تفسيره، ونحن ننزه القرآن الكريم منها بتاتاً!

ثم إِنَّ الآية قارنت بين خلق السماوات وخلق الناس، وجعلت الأولى أكبر، وهذا دليل على جحود وقع بشأن خلق الإنسان... الأمر الذي يتنافى مع تلك المزعومة السخيفة...

ومن العجيب أن مثل الطبرسي ^(٥) انخرط مع أمثال السيوطي في هذا

(١) تقدم ذلك في الصفحة: ١٢٥.

(٢) المؤمن: ٥٦-٥٧.

(٣) الدر المنثور: ج ٥ ص ٣٥٣. وأسباب النزول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٦٥.

(٤) جامع البيان: ج ٢٤ ص ٥٠.

(٥) مجمع البيان: ج ٨ ص ٥٢٨.

الفراغ التافه!

٢٨ - سورة الشورى: مكية

استثني منها قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.. الى قوله:-
وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ»^(١) ثلاث آيات.

قيل: نزلن في الأنصار. رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف^(٢).

وقوله: «ولوبسط الله الرزق لعباده.. الى قوله - خبير بصير»^(٣).

قيل: نزلت في أصحاب الصفة، أخرجه الحاكم وصححه^(٤).

قلت: من المستبعد جداً نزول الآيات الأولى في الأنصار، إذ كيف يعقل

نسبة هذا الكلام إليهم: «افترى - يعني محمد - على الله كذباً»؟!!

ثم الرواية تذكر أن الأنصار أساءوا والظن برسول الله (صلى الله عليه وآله)

فحسبوه يقاتل دون أهل بيته خاصة، فنزلت الآية...؟!!

أما الآية الأخيرة فهي عامة، ولو صحت الرواية عن علي (عليه السلام)

فإنما تعني شمولها لهم بعمومها، لأنها نزلت بشأنهم الخاص، إذ ذلك - على هذا

الفرض - قدح لا ذع بأهل الصفة، وحاشا القرآن أن يجرح من عاطفة جماعة من

المؤمنين لمكان فقرهم!!

واستثني - أيضاً - قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ.. الى

قوله:- فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»^(٥).

حكى أبو غرس عن بعضهم: أنهم نزلن بالمدينة^(٦).

(١) الشورى: ٢٤-٢٦. (٢) الشورى: ٢٧. (٣) الشورى: ٣٩-٤١.

(٤) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٦٨. (٥) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٦٨.

(٦) الإتيقان: ج ١ ص ١٦. وزاد في مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٠ الآية رقم ٢٣ و ٣٨ عن الحسن وقتادة، لكنه لم يذكر سند الاستثناء، وهما كسائر آيات السورة ذواتا لهجة مكية والسياق نفس السياق.

غير أن السياق مكّي لا غير، وآيات تقدّمها وآيات تأخرتها مرتبطة بهاتمام الارتباط، ممّا يجعل التفكيك مستحيلاً، وكلّهن نزلن بشأن المؤمنين في مكة أيام كانوا مستضعفين، هذا لا يشكّ فيه من راجع الآيات.

٢٩- سورة الزخرف: مكّة

استثني منها قوله تعالى: «وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَانِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ»^(١).

قال مقاتل: نزلت ببيت المقدس ليلة المعراج^(٢) وقيل: نزلت بالمدينة^(٣). لكن الآية مرتبطة بقريناتها المكتنفة بها ارتباطاً وثيقاً. ونزلت بـ «إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة» فهي مكّة بلا شكّ، نزلت بشأن المشركين. أمّا نزولها في السماء^(٤) أو ببيت المقدس فلا تجعلها مدنيّة، وإنّما هي مكّة باعتبار نزولها قبل الهجرة، وفق الاصطلاح المتقدّم^(٥). وجاء في المصحف الأميري ومقلدته: استثناء آية رقم: ٥٤. ولعله اشتباه في الرقم.

٣٠- سورة الجاثية: مكّة

استثني منها قوله تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ»^(٦).

قال قتادة: نزلت بالمدينة^(٧).

(١) الزخرف: ٤٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ٣٨. والدر المنثور: ج ٦ ص ١٩.

(٣) و(٤) الإثقان: ج ١ ص ١٦.

(٥) تقدم ذلك في الصفحة: ١٢٩.

(٦) الجاثية: ١٤. (٧) مجمع البيان: ج ٩ ص ٧٠. والإثقان: ج ١ ص ١٦.

والصحيح: أنها من آيات الصفح التي نزلت بمكة أيام كان المؤمنون مستضعفين، ومن ثم نسخت فيما بعد، عندما قويت شوكة الإسلام بالمدينة^(١).

٣١- سورة الاحقاف: مكة

استثني منها قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِيدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ»^(٢).

أخرج الطبراني أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبدالله بن سلام^(٣). قلت: ما أغرب ولع المفسرين بكل آية جاء فيها إلماح بإيمان أهل الكتاب فسرعان ما أولوها بعبدالله بن سلام وأضرابه؟!

والصحيح: أنها تشيع بقريش تقاعست عن الإيمان بدين جاء على يد رجل منهم وعلى لغتهم، ثم يؤمن به غيرهم من بني إسرائيل وغيرهم. وإنما خص بنو إسرائيل بالذكر -هنا- لمزيد عناية العرب آنذاك بهم وثقتهم بعلمهم وثقاتهم.

هذا... وقد أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: أنزلت هذه الآية بمكة بشأن المشركين، وهكذا أخرج أبو جعفر الطبري بعدة أسناد^(٤).

واستثني -أيضاً- قوله: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا- الى قوله-: وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٥) خمس آيات. قيل: نزلت الآيات في أبي بكر حيث برّ بوالديه

(١) راجع تفسير الطبري: ج ٢٥ ص ٨٧.

(٢) الاحقاف: ١٠.

(٣) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٧٢. وتفسير الطبري: ج ٢٦ ص ٨. والإتقان: ج ١ ص ١٦.

(٤) جامع البيان: ج ٢٦ ص ٧. والدر المنثور: ج ٦ ص ٣٩.

(٥) الاحقاف: ١٥-١٩.

وفي ابنه عبدالرحمان عندما عقّ والديه، وهما يحاولان إسلامه^(١).

لكن الآيات في كلا الموضعين عامة، بدليل صيغة الجمع تعقيباً على كل من الفقرتين، فالآيات تصوير تفصيلي عن الذي يترّبوالديه والذي يعقّهما بصورة عامة^(٢).

وعلى تقدير نزولها بشأن أبي بكر وابنه عبدالرحمان فلا موجب لعدّها مدنيّة بعد أن كانت تلك القصة بشأنهما - على فرض الصحة - بمكة.

وكذلك لا وجه لاستثناء قوله: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ»^(٣).

بعد أن كانت لهجتها مكّيّة، وسياق لحنها موجّه الى مشركي قريش، نزلت أيام كان المسلمون على ضعف ومن ثمّ نسخت بعدئذ بآية القتال.

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلاميّة

٣٢ - سورة ق: مكّيّة

أخرج الحاكم وغيره: أن قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ»^(٤) نزلت بالمدينة، ردّاً على مزعومة يهوديّة، قالوا: إنّ الله استراح يوم السبت بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام من يوم الأحد الى يوم الجمعة^(٥). وزاد في المجمع عن الحسن الى قوله «وَقَبْلَ الْغُرُوبِ»^(٦).

قلت: أمّا نزولها ردّاً على تلك المزعومة الباطلة فنعم، وأمّا أنها نزلت بالمدينة فلا! وذلك لأنّ العرب - كما سبق مراراً - كانوا على اتصال دائم بأهل الكتاب،

(١) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤١. وتفسير الطبري: ج ٢٦ ص ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ٨٧.

(٣) الاحقاف: ٣٥. الإتيان: ج ١ ص ١٦. (٥) الدر المنثور: ج ٦ ص ١١٠. والإتيان: ج ١ ص ١٦.

(٦) ق: ٣٩.

(٤) ق: ٣٨.

وربما كانوا يأخذون منهم تعاليم أو معارف مما يخص خلق السماوات والأرض، فكانت مشهورة بين العرب المشركين، فهذا الرد - لوصح أنه رد - لا يدل على أنه نزل بالمدينة! فلعل الرواية القائلة بأنها نزلت في اليهود، إنما تعني ما ذكرنا، أي نزلت في تعاليم كانوا بثوها بين العرب.

والشاهد على أن الآية مكية: ما جاء تفريعاً عليها: «فَاضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...» التي هي من آيات الصفح المكية، والتي نسخت فيما بعد.

٣٣- سورة النجم: مكية

استثني منها قوله: «... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى»^(١).

أخرج الواحدي عن ثابت بن الحرث الأنصاري، قال: كانت اليهود تقول - إذا هلك لهم صبي صغير - صديق. فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: كذبوا، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد، فأنزل الله عند ذلك: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ...»^(٢).

قلت لو صححت الرواية فلا دلالة فيها على نزول الآية بالمدينة، فلعل قوله اليهود - وهم يبشّون تعاليمهم الفاسدة بين العرب - بلغت الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو بمكة، فنزلت الآية بها!

لكن الرواية المذكورة لا أساس لها بفحوى الآية رأساً، لأن قوله: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ...» تعليل لقوله: «وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ».

يعني: إن هذا الإنسان مفطور على اقتراف مطالب أرضية سافلة وفقاً لفطرته البشرية المتركة من نزعات ورغبات، والله أعلم بذلك، ومن ثم عهد

(١) النجم: ٣٢.

(٢) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٨٩. والدر المنثور: ج ٦ ص ١٢٨.

على نفسه الغفران، رحمة بهذا الإنسان ورأفة بموقفه الخاص تجاه رغباته ونزغاته.

واستثني - أيضاً - قوله: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى...» الى تمام الآيات التسع^(١).

قيل: نزلت في رجل اتى النبي (صلى الله عليه وآله) عند خروجه الى غزاة، يطلب مركباً وسلاحاً فلم يجد، فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئاً. فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل بذنوبي، فقال: نعم. فنزلت الآيات^(٢).
لكن الآيات لا تنطبق على فحوى القصة في شيء وإنما نزلت في صناديد من صناديد قريش في تفصيل ذكره أبو جعفر الطبري، فراجع^(٣).



٣٤- سورة القمر: مكية

استثني منها ثلاث آيات: الأولى: قوله تعالى: «سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ»^(٤) زعموها نزلت يوم بدر^(٥).

والصحيح: أنها وعد بظفر المسلمين فيما يأتي، فتحقق يوم بدر^(٦).
الثانية والثالثة: قوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ»^(٧).
ولم يذكر المستثني سبباً لاستثنائها! كما لا وجه له بعد ملاحظة وحدة السياق، وذلك الانسجام الوثيق.

(١) النجم: ٣٣-٤١. (٢) جامع البيان: ج ٢٧ ص ٤١-٤٢.

(٢) الدر المنثور: ج ٦ ص ١٢٨. (٤) القمر: ٤٥.

(٥) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٩٠.

(٦) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٩٤. وراجع الإقناع: ج ١ ص ١٧ و ٣٦. وتفسير الطبري: ج ٢٧ ص ٦٥.

(٧) القمر: ٥٤-٥٥.

وجاء في المصحف الأميري: استثناء الآيات رقم: ٤٤ و ٤٥ و ٤٦. ولعله اشتباه في الرقم اثبتوه من غير تحقيق.

٣٥- سورة الواقعة: مكية

استثني منها قوله تعالى: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^(١) ولعله لما رواه ابن مسعود من رؤيا رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقصها على أصحابه ثم قرأ عليهم الآيتين^(٢) وهذه القصة كانت بالمدينة.

لكن قراءته (صلى الله عليه وآله) لا تدل على نزولها حينذاك .

واستثني - أيضاً - قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ. وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ»^(٣).

لما رواه مسلم والحاكم وغيرهما: أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصيبوا بجذب أو نفدت مياههم في سفر من الأسفار، أو في غزوة تبوك ، فشكوا إليه فقام (صلى الله عليه وآله) وصلى ركعتين ثم دعا الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم، فجعل بعض المنافقين يسرّ الى بعضهم: إنما مطرنا بنوء كذا، فنزلت الآيات^(٤).

غير أن الآيات تأبى الانطباق على هذه القصة، وأنها ردّ على ناكري القرآن وحيّاً من الله العزيز الحميد، ولا مساس لها بقضية الأنواء، لافي ظاهر الآيات ولا في فحواها. كما أن انسجام الآيات سبقاً ولحوقاً ذلك الانسجام البديع يجعل من قبول الرواية المذكورة مستحيلاً.

(١) الواقعة: ٣٩-٤٠. الإتقان: ج ١ ص ١٧. (٣) الواقعة: ٧٥-٨٢.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢١٩. (٤) اسباب النزول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ٩٢-٩٣.

٣٦- سورة الملك: مكية

روي عن ابن عباس: أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات (١).

قلت: ليس معنى هذا الكلام: أنها نزلت بمكة غير ثلاث آيات نزلن بغيرها! وذلك لأنه قال: في أهل مكة، ولم يقل: في مكة أو بمكة! بل المعنى: أن هذه السورة نزلت تقريعاً وتشنيعاً بأهل مكة أي المشركين، فكل آياتها تهديد وتوعيد بشأنهم، غير ثلاث آيات تخص المؤمنين: أولها قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...». والثانية قوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ...» والثالثة قوله: «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ...» (٢). فالصحيح - كما في حديث ابن خديج -: أنها نزلت جملة واحدة بمكة (٣).

٣٧- سورة القلم: مكية

حكى السخاوي في جمال القراء: استثناء قوله: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ - إلى قوله -: لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (٤) سبعة عشرة آية. وقوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ - إلى قوله -: فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» (٥) ثلاث آيات. فهذه عشرون آية زعموها نزلت بالمدينة وزاد في المجمع الآية رقم: ٥١ والآية رقم: ٥٢ (٦).

أخرج ابن أبي حاتم وابن جريح: أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً، فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، فنزلت: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ...» الخ (٧).

(١) الدر المنثور: ج ٦ ص ٢٤٦. (٥) القلم: ٤٨ - ٥٠.

(٢) الملك: ١٢ و ١٥ و ٢٩. (٦) الإتيان: ج ١ ص ١٧. ومجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٣٠.

(٣) الدر المنثور: ج ٦ ص ٢٤٦. (٧) الدر المنثور: ج ٦ ص ٢٥٣.

(٤) القلم: ١٧ - ٣٣.

ولكن لامناسبة ظاهرة بين كلام أبي جهل هذا وفحوى الآيات المذكورة، ليكون الداعي لنزولها!

والصحيح: أنها نزلت بشأن المشركين عموماً، انسجاماً مع بقية آيات السورة، وهكذا فسرّها العلامة الطبرسي وأبوجعفر الطبري^(١). وأما قوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...» الخ فهي من آيات الصفح المكية بلاريب، وما ندري ماوجه هذا الاستثناء الغريب؟!

٣٨- سورة المزمل: مكية

استثني منها قوله: «وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» الى قوله: «وَمِهْلُهُمْ قَلِيلًا»^(٢). حكاه الاصبهاني^(٣) لكن الآيتين، تصبير للنبي (صلى الله عليه وآله) تجاه أذى المشركين، وتوعيد بهم، فهما من آيات الصفح المكية، ولاوجه لعهما مدنيتين.

نزلت في مكة

وحكى ابن الغرس استثناء قوله: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ» الى قوله: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٤).

قال جلال الدين: ويردّه ما أخرجه الحاكم: أنّه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس^(٥) وهكذا أخرج عبد بن حميد عن عكرمة، قال: لبث المسلمون بعد نزول: «يَا أَيُّهَا الْمُزْمِلُ. قُمْ اللَّيْلُ...» سنة فشقّ عليهم وتوزمت أقدامهم، حتى نسختها آخر السورة: «فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ»^(٦).

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٣٦. وجامع البيان: ج ٢٩ ص ١٩.

(٤) المزمل: ٢٠.

(٥) الإتيان: ج ١ ص ١٧.

(٢) المزمل: ١٠-١١.

(٦) الدراكنشور: ج ٦ ص ٢٨٠.

(٣) الإتيان: ج ١ ص ١٧.

قلت تمسك القائل بمدينة الآية، بأن الصلاة والزكاة لم تفرضوا بمكة^(١) وهو استدلال غريب، لأن الصلاة هي أولى فريضة فرضت بمكة^(٢) أما الزكاة فليست هي الزكاة المفروضة بحدود وأنصبة مقررة، وإنما هي مطلق التصديق الذي كان واجباً حينذاك، كما في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ»^(٣) وقوله: «الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ»^(٤).
نعم جاءت تفاصيل حدودها وأحكامها بالمدينة، أما أصلها فكانت واجبة بمكة بلا شك.

وليته تمسك بقوله: «وآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» والقتال لم يشرع أصلاً إلا بالمدينة. لكنّه على تقدير أن يراد بالقتال: هو ما يقع فعلياً، لا ما سيفرض وسيقع بعد ذلك! والاحتمال الثاني أوجه، نظراً إلى أنه تعالى في هذه الآية - يذكر أسباب رفع ذلك التكليف الأول الشديد وتبديله إلى تكليف آخر خفيف. ومن تلك الأسباب تشريع القتال بعدئذ، من غير أن يكون هنا دليل صريح على إرادة فعليته حينذاك.

٣٩- سورة المرسلات: مكة

قالوا باستثناء: قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ»^(٥).
قال مقاتل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصلاة، فقالوا: لا ننحنى، فإن ذلك سبة علينا^(٦) وثقيف أسلمت بالمدينة.
لكن وجه الآية وسياقها مع المكذّبين، وهم مشركو العرب، ولا معنى لأن يكون هذا الموضع من السورة خلواً من هذه الآية إلى أواخر سني الهجرة ثم تكتمل. إذ ذلك يخلّ بفصاحة السورة ويخلخل من نظمها المنسجم.

(٤) فصلت: ٧.

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٨٢.

(٥) المرسلات: ٤٨.

(٢) راجع سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٥٩.

(٦) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤١٩.

(٣) المؤمنون:

على أن الركوع هنا بمعنى: الخضوع لله والانقياد التام لأوامره ونواهيه، لا الركوع المصطلح جزء من الصلاة. وهذا هو اختيار أبي جعفر الطبري^(١). كما جاء بهذا المعنى قوله تعالى: «وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ»^(٢) راجع: تفسير شبر في هذا الموضع قال: أو أريد به الخضوع والانقياد للحق. وقال- في سورة المرسلات- بصورة جزمية: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا: سَلِّمُوا وَاخْشَعُوا أَوْ انْقَادُوا^(٣). إذن فلامساس للآية بقضية إسلام ثقيف، بل هي عامة حكاية عن صمود المشركين أمام الحق الصراح.

٤٠- سورة المطففين: مكية

قالوا: نزل صدرها في المدينة أول قدوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليها فقد كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله (عز وجل): وَيُلِّمُ الْمُطَفِّفِينَ- الى تمام الست آيات- فأحسنوا الكيل بعد ذلك^(٤).

وقد تقدّم: أنه من المستبعد جداً مواجهة الرسول (صلى الله عليه وآله) للأنصار كهذا آيات ذوات لهجة عنيفة، في أول لقياء معهم في دارهم التي آووه إليها، وشمروا ساق الجدة لمؤازرته ونصرته، عاهدوه على أنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء كلمة الإسلام.

والصحيح: أنها بأجمعها مكية^(٥).

وكانت هناك استثناءات من سور مكية تركناها خوف الإطالة، ولعدم الاستناد الى حجة مقبولة. كالاستثناء من سورتي الليل والماعون ذكرهما السيوطي في الإتيان.

(١) راجع جامع البيان: ج ٢٩ ص ١٥٠. (٢) البقرة: ٤٣.

(٣) تفسير شبر: ص ٤٦ و ٥٤٥.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٧. والدر المنثور: ج ٦ ص ٣٢٤. ومجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٥٢.

(٥) راجع الصفحة: ١٥٤.

استثناءات من سور مدنية:

تقدم: استبعاد أن تبقى آية غير مسجلة في سورة مكية حتى تنزل سورة مدنية بعد فترة طويلة أم قصيرة، فتسجل فيها. وهكذا استبعده ابن حجر في شرح البخاري وغيره^(١).

ولكن مع ذلك فقد قالوا في كثير من آيات مسجلة في سور مدنية: أنهن مكيات. ونحن نذكرهن تباعاً حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، ونعقبها بما نرتأيه من رأي.

١- سورة البقرة: مدنية

استثني منها ثلاث آيات:

الأولى: قوله تعالى: «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»^(٢).

زعموها نزلت بشأن المشركين أيام كان المسلمون بمكة ضعفاء.

لكن صدر الآية: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...» شاهد نزولها بشأن أهل الكتاب، أوائل هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، ولم تقو شوكة الإسلام بعد، ثم نسخت بقوله: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...» إلى قوله: «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»^(٣) راجع الطبرسي، بشأن نزول الآية ونسخها بآية براءة^(٤).

الثانية: قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هُمْ...»^(٥).

زعموها - أيضاً - نزلت بشأن صمود المشركين تجاه قبول الحق، نظيرة قوله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^(٦).

(١) تقدم ذلك في الصفحة: ١٦٩. (٤) مجمع البيان: ج ١ ص ١٨٤-١٨٥. والدر المنثور: ج ١ ص ١٠٧.

(٥) البقرة: ٢٧٢.

(٢) البقرة: ١٠٩.

(٦) القصص: ٥٦.

(٣) التوبة: ٢٩.

لكن الآية نزلت بشأن إنفاق المسلمين عن الكفار، حيث امتنعوا من ذلك زعماً أنها محرمة عليهم وهم على غير دينهم، فنزلت ^(١).
 الثالثة: قوله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...» ^(٢).
 قيل: هي آخر آية نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمنى في حجة الوداع ^(٣). وعلى الفرض فهي مدنيّة على ما سلف.

٢- سورة النساء: مدنيّة

قيل: إلّا قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...» ^(٤).

وقوله: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...» ^(٥).
 فإنهما نزلتا بمكة...!

ذكر ذلك الطبرسي ولم يذكر حجة ولا القائل بذلك ^(٦).
 ولعلّ الوجه في الآية الأولى ما قيل: إنها نزلت بعد الفتح بمكة، خطاباً مع النبي (صلى الله عليه وآله) برّد مفّتاح الكعبة الى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفّتاح يوم الفتح وأراد أن يدفعه الى العباس عن ابن جريح ^(٧).
 لكن العبرة بمكية الآية نزولها قبل الهجرة كما سبق. على أنّ الآية لا تنطبق على القصّة المزعومة، لأنّ دفع المفّتاح الى النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن برسم أمانة واستيداع! وإلّا فحاشى النبي (صلى الله عليه وآله) أن يخون الأمانات حتى ينبّهه الله بنزول آية! والطبرسي أيضاً رفض هذا التنزيل...
 وأمّا الآية الثانية فلم نعرف السبب ولا احتمالها. وقد ذكر الطبرسي في

(١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٨٥. والدر المنثور: ج ١ ص ٣٥٧.

(٥) النساء: ١٧٦.

(٢) البقرة: ٢٨١.

(٦) مجمع البيان: ج ٣ ص ١.

(٣) الدر المنثور: ج ١ ص ٣٧٠.

(٧) مجمع البيان: ج ٣ ص ٦٣.

(٤) النساء: ٥٨.

سبب نزولها وجوهاً لا تصلح سنداً لهذا الاستثناء^(١). ولهجة الآية تنادي بمدنيّتها، لأنها من آيات الأحكام.

غير أن هذا الاستثناء ينظر الى المصطلح الثاني المتقدم. وأما على المصطلح الأول المشهور: ما نزل بعد الهجرة فهو مدنيّ حتى ولو كان نزوله بمكة. فالآية مدنيّة^(٢).

٣- سورة المائدة: مدنيّة

استثني منها قوله تعالى: «الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٣).

قيل: نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو واقف بعرفات في حجة الوداع^(٤) وهكذا زعمه أبو عبد الله الزنجاني في تاريخ قرآنه^(٥). لكن أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: نزلت الآية بعد أن نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) علماً للأمة يوم غدیر خم، منصرفه عن حجة الوداع، فأنزل الله يومئذ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»^(٦) وهكذا سجّلها ابن واضح اليعقوبي، قال: وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بغدير خم. قال: وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة^(٧) وقد ذكرها الحافظ الحسكاني بعدة طرق^(٨). ثم إن نزول الآية بعرفات أو بغدير خم لا يجعلها مستثناة من المدنيات، وفق المصطلح المشهور المتقدم.

(٥) تاريخ القرآن لابي عبد الله الزنجاني: ص ٢٧.

(٦) تفسير البيان: ج ٣ ص ٤٣٥.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٥.

(٨) شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠.

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٤٩.

(٢) تقدم ذلك في الصفحة: ١٢٩.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٥٧.

٤- سورة الانفال: مدنية

استثني منها قوله: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»^(١).

قالوا: إنها نزلت في قصة دارالندوة اجتمعت فيها قريش للتآمر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفشلت مؤامرتهم بهجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومبيت علي (عليه السلام) على فراشه^(٢).

لكن نزول الآية بشأن تلك القصة لا يستدعي نزولها حينذاك ، ولا سيما بعد ملاحظة أداة ظرف الماضي «إِذْ» في صدر الآية حكاية عن أمر سابق!

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: استثناء الآيات: ٣١ إلى ٣٦. نظراً لأنها نزلت بشأن مشركي قريش: لكنها كالآية المذكورة حكاية لأمر سابق، ولا دليل على نزولها حينذاك . وقوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»^(٣) أيضاً حكاية عن ماض وإخبار عن حال، أي لم يعذبهم الله فيما قبل، بسبب وجودك بين أظهرهم ولا يعذبهم الآن- بعد خروجك- لوجود جماعة من المؤمنين لم يستطيعوا الخروج وهم على عزم الهجرة، فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفار هؤلاء المؤمنين الباقين بين أظهرهم^(٤).

هذا... ونقل جلال الدين عن قتادة أنه قال: نزلت الآية «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...» بمكة. ثم قال: ويردّه ماصح عن ابن عباس أن هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة^(٥) وقد أخرجه في اسباب النزول عن ابن عباس: أن الآية نزلت بعد مقدمه (صلى الله عليه وآله) المدينة^(٦).

(٤) مجمع البيان: ج ٤ ص ٥٣٩.

(١) الانفال: ٣٠.

(٥) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٤ ص ٥٣٧.

(٦) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ١٧٠.

(٣) الانفال: ٣٣.

واستثني أيضاً- قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^(١). وصحح هذا الاستثناء ابن العربي وغيره^(٢) وذلك لما أخرجه أبو محمد من طريق طارق عن عمر بن الخطاب، قال: أسلمت رابع أربعين فنزلت «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». وهكذا روي عن ابن عباس^(٣).

لكن يعارضه ما روي عن الكلبي، قال: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر^(٤) وقال الواقدي: نزلت بالمدينة في بني قريظة وبني النضير^(٥).

هذا... وسياق الآية يشهد بمدنيّتها، نزلت في إبان تشريع القتال، سواء أجمع المشركين أم مع أهل الكتاب. فالآية يسبقها قوله تعالى: «الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ...» «فَإِمَّا تَثَقَفُ النَّفْسُ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ...» «وَلَا يَخْشَوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنْهُمْ لَا يُعْجِزُونَ». «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...» «وَأَنْ جُنُجُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا...». «وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبُكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ...»^(٦).

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ...»^(٧).

انظر الى هذا السياق المنسجم بعضه مع بعض انسجاماً يجعلنا على ثقة من وحدة مترابطة نزلت جملة واحدة.

وأيضاً: لأمعنى لكفاية أربعين رجلاً أسلموا بمكة وهم على ضعف ماداموا فيها. الأمر الذي يؤكد من نزول الآية بالمدينة حيث جعلت تزداد شوكة المؤمنين وتقوى جانبهم مع الأيام والساعات، فكانت فيهم الكفاية والكفاءة.

(١) الأنفال: ٦٤.

(٥) تفسير التبيان: ج ٥ ص ١٥٢.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ١٥.

(٦) الأنفال: ٥٦ و ٥٧ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢.

(٧) الأنفال: ٦٤ و ٦٥.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠.

(٤) مجمع البيان: ج ٤ ص ٥٥٧.

وهكذا فسرها أبو جعفر الطبري، قال: يقول لهم جل ثناؤه: ناهضوا عدوكم فإن الله كافيكُم أمرهم ولا يهولتكم كثرة عددهم وقلة عددكم فإن الله مؤيدكم بنصره. وذكر لهذا المعنى روايات، ولم يتعرض لشيء من روايات نزولها بشأن إسلام عمر بن الخطاب^(١).

٥- سورة براءة: مدنية

استثني منها أربع آيات:

الأولى والثانية: قوله تعالى: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ...» إلى قوله: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»^(٢).
قالوا: نزلت بشأن أبي طالب عندما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله. فقال القرشيان: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فكانا كلما عرض عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلمة الشهادة أعادا كلامهما. فكان آخر كلام أبي طالب: أنه على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذلك: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فنزلت الآية... كما ونزلت «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»^(٣).

وقالوا - أيضاً -: إنها نزلت بشأن والذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يستغفر لأبيه، وهكذا استجاز ربه في زيارة قبر أمه فأجازه، فبداله أن يستغفر لها فنزلت الآية تنهاه! فأرثي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) جامع البيان: ج ١٠ ص ٢٦.

(٢) براءة: ١١٣-١١٤.

(٣) القصص: ٥٦ الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٨٢. وصحيح البخاري: ج ٢ ص ١١٩ وج ٦ ص ٨٧.

أكثر باكياً من يومه ذاك^(١).

أقول: قاتل الله العصبية الجاهلية: إنها نزعاً أموية ممقوتة عمدت الى الخط من كرامة بني هاشم والى تشويه جانب أقرباء النبي (صلى الله عليه وآله) لتجعل من أبيه واهمه مشركين، ويموت أبوطالب كافراً، وهو المحامي الأول والمدافع الوحيد في وقته عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد قال تعالى: «وَالَّذِينَ آوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا»^(٢) ولا شك أن أباطالب كان أول من آواه ونصره ووقف دونه بنفسه ونفيسه. والآية الكريمة شهادة عامة تشملته قطعياً^(٣).

ويكفي دليلاً على إيمانه الصادق، قوله في قصيدته التي يحمي بها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مهتداً قريش أجمع، قال فيها:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة
تقصر عنه سورة المتناول
حدثت بنفسي دونه وحميته
وأظهر ديناً حقه غير باطل^(٤)
فأيده رب العباد بنصره

هذا... وأما نحن الإمامية فإن أصول معتقداتنا تقضي بلزوم طهارة آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) وأمهاتهم، لم يتلوّثوا بدنس شرك قط، فلم يزالوا ينحدرون من صلب شامخ الى رحم طاهر. كما جاء في الزيارة السابعة للإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام): «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشائعة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها».

وفي حديث ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لم يزل الله

(٣) راجع حق اليقين للسيد عبد الله شبرج ١ ص ١٠٠.

(١) جامع البيان: ج ١١ ص ٣١.

(٤) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٩٩.

(٢) الانفال: ٧٤.

ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً...^(١).
 والى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى: «وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»^(٢) أي لم
 تنزل تنتقل من صلب مؤمن موحد الى صلب مؤمن موحد. قال مجاهد: من نبي
 الى نبي حتى اخرجت نبياً^(٣). قال العلامة الطبرسي: وقيل: معناه: وتقلبك
 في اصلاب الموحدين من نبي الى نبي حتى اخرجك نبياً عن ابن عباس في رواية
 عطا وعكرمة. وهو المروي عن أبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر، وأبي
 عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) قالوا: في أصلاب
 النبيين نبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن
 آدم (عليه السلام)^(٤).

والصحيح في سبب نزول الآية: ما ذكره أبو علي الطبرسي: أن المسلمين
 جاؤوا الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلبون إليه الاستغفار لموتاهم
 الذين مضوا على الكفر أو النفاق، قالوا: لا تستغفر لأبائنا الذين ماتوا في
 الجاهلية، فنزلت الآية^(٥).

ومما يدلنا على صحة هذه الرواية وبطلان الرواية الأولى: أن الآية الكريمة
 جاءت بلفظ «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...» فلو صحت تلك الرواية لما كان
 هناك سبب معقول لإرداف غيره (صلى الله عليه وآله) من المؤمنين معه في هذا
 الإنكار الصارم.

وأخيراً فإن هذه الآية والآية رقم: ٨٠ والآية رقم: ٨٤ نزلن جميعاً على نمط
 واحد، والسبب شيء واحد: هو ما كان المؤمنون على رجاء أن يترحم على آبائهم
 وأمهاتهم وأقربائهم الذين ماتوا على الكفر، ملتجئين من النبي (صلى الله عليه وآله)

(٤) مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٠٧.

(٥) مجمع البيان: ج ٥ ص ٧٦.

(١) الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٩٤.

(٢) الشعراء: ٢١٩.

(٣) الدر المنثور: ج ٥ ص ٩٨.

وآله) أن يساعدهم على هذه الأمنية، فنزلت الآية لتقطع أملهم في ذلك إذا كانوا علموا من آبائهم البقاء على الشرك حتى الموت: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^(١). ولتوضح أكثر راجع تفسير الآيتين^(٢).

الثالثة والرابعة: قوله تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^(٣). وهما آخر سورة براءة. قال ابن الغرس إنها مكيتان.

قال جلال الدين: وهذا غريب، كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل^(٤). قلت: لم يثبت نزول الآيتين بمكة، ولا ذكر قائله دليلاً أو سنداً لذلك. فثبت الآية في سورة مدنية - ولا سيما هي آخر السور المدنية - هو بذاته دليل على نزولها بالمدينة، حيث الأصل الأولى في الآيات هو الثبوت الطبيعي تبعاً حسب النزول. مضافاً إلى ما ورد في سبب نزولها: جاءت جهينة تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) - أول قدومه المدينة - عهداً يأتمنون إليه، فنزلت الآيتان^(٥). كما روي أنها آخر الآيات القرآنية نزولاً بالمدينة^(٦).

٦ - سورة الرعد: مدنية

أخرج أبو الشيخ عن قتادة، قال: سورة الرعد مدنية إلا قوله تعالى: «وَلَا

(١) النساء: ٤٨ و ١١٦.

(٢) تفسير الطبري: ج ١ ص ١٣٧ و ١٤١. ومجمع البيان: ج ٥ ص ٥٤ و ٥٦. والدر المنثور: ج ٣ ص ٦٤ و ٦٦.

(٣) براءة: ١٢٨ - ١٢٩. (٥) الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٩٧.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٥. والدر المنثور: ج ٣ ص ٢٩٦. (٦) نفس المصدر ومجمع البيان: ج ٥ ص ٨٦.

يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ...»^(١).

وذكر الطبرسي استثناء قوله: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» - الى آخر الآية - والتي بعدها^(٢).

لكن الآية تشنيع بموقف المشركين المتأرجح وإرعاب لهم، كما هي تبشير بفتح للمسلمين قريب، فهي لأن تكون من تنمة آيات سابقة نزلت في صلح الحديبية^(٣) أرجح. وعن عكرمة: أنها نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) والقارعة هي السرية كانت تدوخهم. والوعد هو الفتح^(٤).

٧- سورة الحج: مدنية

استثني منها قوله: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا...»^(٥).

قال جلال الدين: الى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة^(٦).

قلت: وعلى ذلك فينبغي الانتهاء الى الآية رقم: ٢٢. بل الى الآية رقم:

٢٤ ست آيات، نظراً لانسجام الوثيق بينهما بما لا يمكن التفكيك.

لكن لاسند لهذا الاستثناء، ومن ثم فالقول به غريب. مضافاً الى ماورد متواتراً أنها نزلت بشأن ثلاثة من المؤمنين هم: حمزة بن عبدالمطلب، وعبيدة بن الحارث، وعلي بن أبي طالب، تبارزوا ثلاثة من الكفار، هم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة. قال علي (عليه السلام): أنا أول من يجثو في الخصومة

(١) الرعد: ٣١.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ١٥. ومجمع البيان: ج ٥ ص ٢٧٣.

(٣) راجع مجمع البيان: ج ٦ ص ٢٩٢.

(٤) جامع البيان: ج ١٣ ص ١٠٥.

(٥) الحج: ١٩.

(٦) الإتيان: ج ١ ص ٩.

على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة^(١). فالآية نزلت متأخرة عن وقعة بدر، أو نزلت ببدر^(٢).

واستثني- أيضاً- قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...» الى قوله: «عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ»^(٣) الآيات الأربع.

أخرج ابن المنذر عن قتادة: أنهن مكيات^(٤). قالوا: نزلن بمكة بشأن قصة الغرائيق^(٥).

وقد زيقنا حديث الغرائيق، وأنه حديث مفتعل، وضعته الزنادقة للتشويه على سمعة القرآن ورسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٦).

والآية إشارة الى البدع التي تتاب شرائع الأنبياء على أيدي المحرفين، لكنه تعالى يحفظ دينه على أيدي علماء ربانيين في كل عصر، ينفون بدع المبطلين كما في الحديث الشريف^(٧). وتلك البدع هي فتنة للذين في قلوبهم مرض.

وفي المصحف الأميري وتاريخ الزنجاني: أن الآيات نزلن بين مكة والمدينة! ولم يعرف لهذا القيد سبب معقول أو منقول!

٨- سورة محمد (صلى الله عليه وآله): مدنية

استثني منها قوله: «وَكَايْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ

(١) صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٢٣ و ١٢٤ وصحيح مسلم: ج ٨ ص ٢٤٦.

(٢) الدر المنثور: ج ٤ ص ٣٤٨-٣٤٩. وتفسير الطبري: ج ١٧ ص ٩٩.

(٣) الحج: ٥٢-٥٥.

(٤) الدر المنثور: ج ٤ ص ٣٤٢. وراجع البرهان: ج ١ ص ٢٠٢.

(٥) مجمع البيان: ج ٧ ص ٩٠. وتفسير الطبري: ج ١٧ ص ١٣١. والدر المنثور: ج ٤ ص ٣٦٦.

(٦) تقدم ذلك في صفحة: ٨٤. (٧) سفينة البحار: ج ١ ص ٥٥.

أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَصِيرَ لَهُمْ»^(١).

قال السخاوي في جمال القراء: قيل إِنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لما توجه مهاجراً الى المدينة وقف فنظر الى مكة وبكى، فنزلت تسلياً لحاظه الشريف^(٢).

لكن الآية في سياقها منسجمة مع آيات قبلها وبعدها انسجاماً وكيداً، بحيث لا يدع مجالاً للقول بالتفكيك، فإما أَنَّ الجميع مكية أو الجميع مدنية. وبما أَنَّ السورة تقريع عنيف بالمشركون وإثارة عامة بالمؤمنين، تمهيداً لتشريع القتال، فهي مدنية نزلت بهذا اللحن اللاذع، وجعلت تعدد مساوئ ارتكبتها قريش، وتهدها بقتل ذريع وفشل فطيع إزاء معاندتهم مع الحق. والآية المذكورة أيضاً على نفس النمط. لم تخرج على قريناتها.



٩- سورة الحجرات: مدنية

نسب الى ابن عباس: استثناء قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...»^(٣).

ولعلّه لمكان الخطاب مع «الناس»، على ما زعمه بعضهم أنه من دلائل مكية الخطاب! وقد سبقنا أنه لا دليل في ذلك... بدليل وقوعه في سورة البقرة «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ»^(٤).

١٠- سورة الرحمن: مدنية

استثني منها قوله: «يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»^(٥) ولم يعرف سبب هذا الاستثناء الغريب!

(٤) البقرة: ٢١.

(١) محمد: ١٣.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٢٠، والدر المنثور: ج ٦ ص ٤٨. (٥) الرحمن: ٢٩. الإتيان: ج ١ ص ١٧.

(٣) الحجرات: ١٣. مجمع البيان: ج ٩ ص ١٢٨.

١١- سورة المجادلة: مدنية

استثني منها قوله: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...»^(١).
ولم يعرف السبب أيضاً.

١٢- سورة التحريم: مدنية

قال قتادة: هي الى رأس العشرة مدنية: والباقي مكّي^(٢).
ويرده: أن الآيتين الأخيرتين هما من تنمة المثل الذي ضربه الله، نصحاً
لزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد تناولن عليه. فلو فصلناهما
عن سائر آيات السورة لما بقي لهما موقع بديع.



١٣- سورة الإنسان: مدنية

استثني منها قوله: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...»^(٣). وقيل الى آخر السورة.
قالوا: نزلت في أبي جهل^(٤).

لكن الآية تفريع على آيات سبقت فلا يعقل انفكاكها عنها، على أن الأمر
بالصبر تجاه تعسفات المعاندين أو الجاهلين، هي خصيصة الأنبياء في جميع
أدوار حياتهم التي ملؤها المكفاح والجهاد. ومن ثم قيل: الآية عامة في كل
عاص وفاسق وكافر^(٥).

(١) المجادلة: ٧. الإقنان: ج ١ ص ١٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الإنسان: ٢٤.

(٤) الدر المنثور: ج ٦ ص ٣٠٢. ومجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٠٢ و ٤١٣.

(٥) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤١٣.

وهناك سور أخرى مدنية قالوا فيها باستثناءات غريبة تركناها، حيث طال بنا البحث وفيما ذكرنا كفاية لإثبات أن لا وقع لتلك الاستثناءات إطلاقاً، سواء من سور مكية أم مدنية وكلها مستندة الى حدس أو نقل ضعيف لا مبرر للاستناد إليها البتة.

وبذلك نطوي سجل هذا البحث، والحمد لله أولاً وآخراً.



مركز تحقيقات كچنوير علوم دینی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

معرفة أسباب النزول

- قيمة هذه المعرفة وفائدتها.
- الاهتداء الى معرفة أسباب النزول.
- الفرق بين سبب النزول وشأن النزول.
- معنى قولهم: نزلت الآية في كذا.
- الفرق بين التنزيل والتأويل.
- هل يشترط في ناقل السبب حضوره
المشهد؟
- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد.
- نزل القرآن به «إياك أعني واسمعي
يا جارة».
- القرآن يجري كما تجري الشمس والقمر.
- كيف الاهتداء الى معالم القرآن؟



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

معرفة أسباب النزول

وإذ كان القرآن ينزل نجوماً، وفي فترات متفاصلة بعضها عن بعض، ولمناسبات شتى كانت تستدعي نزول آية أو آيات تعالج شأنها، فقد اصطالحوا على تسمية تلك المناسبات بأسباب النزول أو شأن النزول - على فرق بينهما - وهو علم شريف، وفي نفس الوقت خطير يمس التنزيل في صميم معناه، ويهدي المفسر المسترشد والفقهاء المستنبط إلى حيث سواء السبيل.

واستيفاء هذا البحث يقتضي النظر في مسائل: قيمة هذه المعرفة وفائده في مجال الفقه والتفسير!.. وكيف الاهتداء إلى معرفة أسباب النزول؟.. وهل هناك فرق بين قولهم: سبب النزول، أو شأن النزول؟. والفرق بين التنزيل والتأويل، وكذا ظهر الآية وبطنها في مصطلح السلف!.. وما معنى قولهم: نزلت الآية في كذا؟.. وهل يجب في الناقل الأول للسبب أن يكون حاضر المشهد؟.. وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد!.. وأن القرآن نزل بآياك أعني واسمعي يا جارة.. وأنه يجري كما تجري الشمس والقمر!.. وكيف الاهتداء إلى معالم القرآن؟... وماهي الوسائل المستعملة في هذا السبيل؟... ونحو ذلك من أبحاث عامة وشاملة..

قيمة هذه المعرفة :

لمعرفة شأن النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن الكريم وحل

معضلات التفسير في كلا مجالي الأصول والفروع.. إنها ترفع النقاب عن وجوه كثير من الآيات، نزلت لتعالج مشكلة في وقتها، لكنها في نفس الوقت ذات وجه عامّ تعالج مشاكل الأمة عبر الحياة.. وربما كان الوقوف على الحادثة الأولى والمناسبة الأولى التي استدعت نزولها، من خير الوسائل لكشف الإبهام عن وجه الآية، إذ فيها الإشارة لامحالة الى تلك الواقعة بالذات...

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها.. وجعل السيوطي من فوائد معرفة أسباب النزول، الوقوف على المعنى وإزاحة الإشكال عن وجه الآية.. الأمر الذي لا محيد عنه بعد أن كانت الآية مرتبطة بالحادث المستدعي للنزول وناظرة إليه..

قال القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز...^(١). ولذلك شواهد في التنزيل:

قال تعالى: «إِنَّ الصِّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»^(٢).

فقد أشكل على بعض المفسرين هذا التعبير «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ...» لأنه لرفع الإثم وليس للإلزام، فالآية تكون دالة على جواز السعي بين الصفا والمروة لا الوجوب، مع أنه إجماعي.

لكن إذا ما عرفنا سبب نزولها، لم يبق مجال لهذا الإشكال.

وذلك أن مراسيم الحج والاعتمار كانت معهودة منذ العهد الجاهلي غير أن العرب كانوا قد لوثوا من هذه المشاعر ببدع أبدعوها، من ذلك أنهم كانوا قد وضعوا على الصفا صنماً على صورة رجل يقال له «أساف»، وعلى المروة صنماً آخر على صورة امرأة يقال لها «نائلة»، زعموا أنها زنيا في الكعبة فسخها الله حجرين، فوضعا على الجبلين ليعتبر بهما.. فلما طالت المدة عبدتهما العرب جهلاً

(٢) البقرة: ١٥٨.

(١) البرهان: ج ١ ص ٢٢. والإتقان: ج ١ ص ٨٢.

وسفهاً. فكانوا إذا طافوا بينهما مسحوها تبركاً...

ثم لما جاء الإسلام وكسرت الأصنام، تخرج المسلمون عن الطواف بينهما، زعماً أنه كان من بدع الجاهلية تقرباً إلى الصنمين.. فنزلت الآية لترفع هذه الشبهة عن أذهان المسلمين^(١).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): كان المسلمون يرون أن الصفا والمروة مما ابتدع أهل الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

وروي عنه أيضاً: أن ذلك كان في عمرة القضاء. وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد شرط عليهم أن يرفعوا أصنامهم، فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألوه عن ذلك، وقيل له أن فلاناً لم يطف تحرجاً لما قد أعيدت الأصنام.. فأنزل الله هذه الآية..^(٣)



وقال تعالى: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٤).

قد يزعم زاعم أن لا بأس بتناول الخمرة إذا قوي إيمان الرجل وصلح عمله، فإنه لا يضره شرب المسكر قليلاً.. هكذا كان يزعم عمرو بن معدي كرب كما قيل^(٥). وقيل: هو قدامة بن مظعون^(٦).

سوى أن الآية نزلت فيمن سلفت منه هذه الشنيعة المنكرة ثم تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، فقد عفى الله عما سلف.

(٤) المائة: ٩٣.

(١) راجع أسباب النزول للواحدي: ص ٢٥.

(٥) الإتيان: ج ١ ص ٨٣.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٤٠.

(٦) التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٦٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٧٠ ح ١٣٣.

وقال تعالى: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ
وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(١).

فقد خفي وجه ارتباطها مع صدر الآية «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ
مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ». كما خفي المقصود من هذا الاستنكار على صنيع يبدو
غريباً!

أما إذا راجعنا سبب النزول: «أَنَّ الْخُمْسَ»^(٢) وهي القبائل الست العربية
كانت إذا احترمت امتنعت من الدخول الى الخباء أو البيوت إلا من ظهورها،
فينقبون في مؤخرتها نقباً يدخلون ويخرجون منه... وبذلك يرتفع الإبهام
بكلا جانبيه.

وقال تعالى: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ
عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُطِيعُوا عِذَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ
أَعْمَالِهِمْ...»^(٣).

كانت العرب تدين بحرمة الشهور الأربعة امتداداً لملة إبراهيم (عليه
السلام). لكنهم ربّما كان يشقّ عليهم المكث طول ثلاثة أشهر لا يغزون، أو
ربّما كانت الحرب على ساق فيل أحد الأشهر الحرم، وكان يصعب عليهم ترك
القتال.. ولذلك كانوا ينسئون ذلك الشهر الى وقت آخر ليستمروا في النهب
والغزو وسفك الدماء..

وهكذا كانوا ينسئون بمواسم الحج لتتوافق مع فصل الربيع كل عام، وكان
قد وافق الحج قبل حجة الوداع ذا القعدة، فلما حج النبي (صلى الله عليه وآله) في

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) الخمس - بالضم فسكون - جمع أحس وحساء، بمعنى المتصلّب في دينه ومذهبه، اطلق على ست قبائل
معروفة: قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبني عامر بن صعصعة. مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٨٤.

(٣) التوبة: ٣٧.

القابل، قال في خطبته: «ألاؤن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان...» أراد صلى الله عليه وآله أن الأشهر الحرم رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة، وبطل النسيء...^(١).

٢ - الطريق الى معرفة أسباب النزول

لمعرفة الصحيح من أسباب النزول طرق معهودة تعارف عليها أهل الاصطلاح، من تصحيح الإسناد أو استفاضة النقل أو تواتره، ممّا يقطع معه من صحة الحادثة. لكن هناك وسيلة أخرى لعلها أدق وأوفق للاعتبار وأكثر اطراداً مع ضوابط دراسة التاريخ: أن يكون المأثور من شأن النزول مما يرفع الإبهام عن وجه الآية تماماً ويحلّ مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم. على قيد أن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل الرشيد. الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحة الحديث أياً كان الإسناد. وممّا يجدر التنبيه له في هذا الباب، أنّ الطابع الغالب على أحاديث شأن النزول، هو الضعف والجهالة والإرسال، فضلاً عن الوضع والدس والتزوير... هكذا جاء في وصف الائمة:

قال الإمام بدر الدين الزركشي: يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنه كثير. قال الميموني: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يقول: «ثلاث ليس لها أصول - أو لا أصل لها - المغازي، والملاحم، والتفسير». أي لا أصل لها معتمداً عليه. قال المحققون من أصحابه: يعني أنّ الغالب، انها ليس لها أسانيد صحاح متصلة بالإسناد... وإلا فقد صحّ من ذلك كثير...^(٢).

قال جلال الدين السيوطي: الذي صحّ من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه (أي المتصل الإسناد) في غاية القلّة... وقد ذكر السيوطي في نهاية الكتاب ما لا يبلغ على الثلاثمائة حديث مرفوع، ما بين ضعيف وسقيم ومعضل.. والباقي مرسل لا حجة فيه إطلاقاً..^(١).

الأمر الذي يعود لومه على السلف تساهلهم بأمر ضبط الحوادث، ومن ثم فإنّ رصيدنا اليوم بهذا الشأن ضئيل للغاية، ولا يفي بحاجة التفسير في سوى القليل.

هذا الواحدي عمد الى جمع الشوارد من أسباب النزول، فلم يمكنه التحرّز عن الضعاف والمجاهيل ومالا حجة فيه. مثلاً نراه يروي كثيراً عن ابن عباس عن طريق الكلبي عن أبي صالح.. قال جلال الدين السيوطي: وأوهى طرق التفسير طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. فان انضمّ الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب.. وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدى..^(٢).

وقال -عند قوله تعالى: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا..»^(٣):- أخرج الواحدى والثعلبي من طريق السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي وأصحابه... ثم قال: هذا الإسناد واه جداً، فإنّ السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف..^(٤) وعند قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا..»^(٥) قال: أخرج الواحدى من طريق عبدالغني بن سعيد الثقفي... وهو واه جداً^(٦).

وفي المطبوعة من نسخ أسباب النزول للواحدى تصحيف، ذكر الرواية عن

(١) الإتيان: ج ٤ ص ١٨٠ و ٢١٤-٢٥٧. (٥) البقرة: ٢٦.

(٢) الإتيان: ج ٤ ص ٢٠٩. (٦) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ١١ بالهامش.

(٣) البقرة: ١٤.

(٤) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٩.

عبد العزيز بن سعيد^(١) وليس له ذكر في كتب التراجم..
 وقوله: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...»^(٢) نزلت
 رداً على اليهود في تعييرهم تحويل القبلة- كما تقدم- قال السيوطي: ماورد من
 الروايات بهذا المعنى إسنادها قوي والمعنى يساعده أيضاً فليعتمد...^(٣) قال: وفي
 الآية روايات أخر ضعيفة.. منها ما رواه الواحدي وغيره عن أشعث
 السمان^(٤) قال: وأشعث يضعف في الحديث^(٥) قال الذهبي: أشعث بن سعيد
 أبو الربيع السمان من الضعفاء، وقد تركه الدارقطني وغيره وضعفه أحمد وابن
 معين^(٦).

وهذا جلال الدين السيوطي الناقم على الواحدي اعتماده المراسيل
 والمجاهيل نراه قد تورط المناكير وما خالف العقل والشرع في موارد من اختياراته
 في شأن النزول من كتابه «لباب النقول»..
 مثلاً يروي بشأن نزول قوله تعالى: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ
 وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
 وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
 مُحْسِنُونَ»^(٧).

من طريق البيهقي عن أبي هريرة: أن النبي (صلى الله عليه وآله) وقف على
 حمزة حين استشهد بأحد، وقد مثل به. فقال: لا مثلن بسبعين منهم مكانك.
 فنزل جبرائيل بهذه الآيات^(٨).

قال: وأخرج الترمذي عن أبي ابن كعب، قال أصيب في أحد من الأنصار

(٥) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٢٥.

(٦) المغني للذهبي: ج ١ ص ٩١.

(٧) النحل: ١٢٦-١٢٨.

(٨) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٢١٣.

(١) أسباب النزول للواحدى: ص ١٣.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٢٤.

(٤) أسباب النزول للواحدى: ص ٢٠.

أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، وقد مثلوا بهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربينّ عليهم.. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله هذه الآيات..

هذا مع العلم أنّ سورة النحل مكية، نزلت آياتها كلها بمكة قبل الهجرة. وقد ذكرنا ذلك فيما سبق.

هذا.. وقد أحسّ السيوطي نفسه بالوهن المذكور، ومن ثمّ لجأ الى افتراض نزول الآيات ثلاث مرات: قبل الهجرة، وبعدها بأحد، ثمّ يوم الفتح بمكة... (١).

ويزيد في الطين بلة، وجود أمثال هذه الغرائب في المدونات الحديثة الكبرى أمثال البخاري ومسلم وغيرهما ممّا زعمه القوم أصحّ كتب الحديث، لكنّها رغم هذا الزعم مليئة بهكذا أساطير لا تلتئم مع قدسية الإسلام.

وقد أسبقنا الحديث عن أسطورة الغرائق، وقصة ابن نوفل، ممّا صحّحه القوم، وهي تمسّ كرامة القرآن وقدسيّة مقام النبوة... وإليك نموذجاً آخر:

قال السيوطي: وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف، عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمّه عن أمّها خولة وقد كانت خادماً رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن جرواً دخل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) فدخل تحت السرير فبات، فكث النبي (صلى الله عليه وآله) أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة، ما حدث في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقلت في نفسي لوهيات البيت، فكنته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو. فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) وترتعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة، فأنزل الله: «والضحى» - الى قوله.

(١) الاتقان: ج ١ ص ٩٦. ولباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٢١٤.

فَتَرَضَى^(١).

قال ابن حجر- في شرح البخاري- قصة إبطاء جبرئيل بسبب وجود جرو كلب تحت سريره (صلى الله عليه وآله) ولم يشعر به مشهورة. لكن كونها سبب نزول الآية غريب، بل شاذ مردود...^(٢).

قلت: هذه القصة المزعومة مدنية، والسورة مكية بلا خلاف! غير أن الكنوب تخونه ذاكرته!!

وأخرج الشيخان (البخاري ومسلم) عن المسيّب، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي (صلى الله عليه وآله) وعنده أبوجهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أي عم قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله.. فقال: أبوجهل وعبدالله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لا استغفرن لك ما لم الله عنك.. فنزلت «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ»^(٣).

ويفند هذه المزعومة، بل المكذوبة المفتعلة، أن أبا طالب رحمه الله مات قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان عضداً قوياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أما آية براءة فإنها نزلت في سنة التسع من الهجرة، أي بعد وفاة أبي طالب باثنتي عشرة سنة.. هذا فضلاً عن الدلائل الوفيرة على إسلام أبي طالب، ذكرناها في مجالها المناسب.. ولا يقول بكفره إلا ذوو الأحقاد على الإسلام والمسلمين أحقاد بدر وحنين..!

(١) الضحى: ١-٥. الإتيان: ج ١ ص ٩٢. ولباب النقول بهامش الجلالين ج ٢ ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) فتح الباري: ج ٨ ص ٥٤٥.

(٣) براءة: ١١٣. وصحيح البخاري: ج ٦ ص ٨٧. وج ص ١١٩.

وقد لجأ السيوطي الى افتراض نزول الآية مرتين^(١).
واسبقنا الكلام عن هذه الآية فيما قيل من استثناء آيات مكية من سورة
براءة المدنية.

وأخرج البخاري عن عمر بن الخطاب، قال: لما توفي عبدالله بن أبي سلول،
جاء ابنه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسأله أن يعطيه قبضه يكفن فيه
أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)
ليصلي عليه، قال عمر: فأخذت ثوبه وقلت: تصلي عليه. وقد نهاك ربك
أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنما خيّرني الله فقال
«اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَهُمْ...»^(٢) وسأزيد على السبعين.. قال: إنه منافق. قال: فصلّى عليه رسول
الله (صلى الله عليه وآله) فأنزل الله: «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا
تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ»^(٣).

قال عمر: فعجبت بَعْدُ من جرأتي على رسول الله...^(٤).

قلت: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ»^(٥).

كيف يظنون بنبي الإسلام جهله - والعياذ بالله - بأحكام الإسلام، فيحاولوا
اختلاق منقبة لابن الخطاب، وإن كانت قد تستدعي الحظ من قداسة
رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمنقصة من كرامته. بل سوّلت لهم أنفسهم
امراً، فصبر جميل، والله المستعان على ما يصفون..

أولاً: النبي (صلى الله عليه وآله) معصوم، وكل أفعاله وأقواله وحتى
تقريره، سنة متبعة، ليس لأحد - على الإطلاق - أن يعارضه فيأمره أو ينهيه مما

(٤) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٨٥-٨٦.

(٥) سبأ: ٢٠.

(١) الإقناع: ج ١ ص ٩٥.

(٢) براءة: ٨١.

(٣) براءة: ٨٤.

يرتبط بأمر الشريعة.. إن هذا إلّا فضول وخروج عن الطاعة والاستسلام ومعاكسة صريحة مع قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ»^(١).

ومن ثمّ حاول أئمة النقد والتمحيص إنكار هذه الرواية. وقالوا: هذا وهم من الرواة.. وعلّلوا ذلك بأنّه يستلزم أن يكون عمر قد اجتهد مع وجود النص...^(٢).

وحاول ابن حجر تصحيح الخبر والرد على هؤلاء، لكنه أتى بما يزيد في الطين بلة، وفي الطنبور نغمة.. انظر الى سفاصفه:

يقول: زعم غير هؤلاء أنّ عمر اطلع على نهى خاص في ذلك. وقال القرطبي: لعلّ ذلك وقع في خاطر عمر، فيكون من قبيل الإلهام.. ويحتمل أن يكون فهم ذلك من نهى الاستغفار...

قال ابن حجر: وما قاله القرطبي أقرب.. لأنّه لم يتقدم نهى عن الصلاة على المنافقين... بدليل أنّه قال في آخر الحديث: «فأنزل الله» «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا»؟!؟

وثانياً: كيف علم عمر أنّ الصلاة على المنافق محرّمة في الشريعة، ولم تنزل بتحريمها آية بعدد. كما نبّه عليه ابن حجر- أفهل يجوز أن يُلهم عمر بما لا يعرفه مبلغ الشريعة؟!؟

وقد حاول ابن حجر محاولة أخرى في حل هذه المشكلة الثانية بمازاد وهناً في وهن وابتعاداً عن الحقيقة أكثر.

فقد أخرج عن ابن مردويه: أنّ عمر قال له (صلى الله عليه وآله): أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه! فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): أين؟ قال: قال: «اسْتَغْفِرْلَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْلَهُمْ...».

(٢) ذكره عنهم ابن حجر في فتح الباري: ج ٨ ص ٢٥٢-٢٥٣.

(١) الأحزاب: ٢١.

قال ابن حجر: فكان عمر قد فهم من هذه الآية ما هو الأكثر الأغلب من لسان العرب، من أن «أو» ليست للتخيير، بل للتسوية، في عدم الوصف المذكور..
قال: وفهم عمر أيضاً من قوله تعالى: «سَبْعِينَ مَرَّةً» أنها للمبالغة، وأن العدد المعين لا مفهوم له، بل المراد نفي المغفرة لهم ولو كثرت الاستغفار، فيحصل من ذلك النهي عن الاستغفار، فأطلقه..
وفهم أيضاً أن المقصود الأعظم من الصلاة على الميت طلب المغفرة للميت والشفاعة له، فلذلك استلزم عنده النهي عن الاستغفار ترك الصلاة.. قال:
ولهذه الأمور استنكر على النبي (صلى الله عليه وآله) إرادة الصلاة على عبدالله بن أبي...
قال: هذا تقرير ما صدر عن عمر، مع ما عرف من شدة صلابته في الدين...! (١).

يا للعجب من عقلية ابن حجر، كيف يتصور من عمر عملاقاً في فهم قضايا الدين والوقوف على مزايا اللغة، مما غفل عنه مثل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي هو مبلغ الشريعة وأفصح من نطق بالضاد؟!
أمثل من لا يعرف الأب من القت (٢) ويجهل الكثير من الآداب والسنن (٣) يقوم بتأنيب ناموس الشريعة وصميم العربية الفصحاء؟! إن هذا إلا وهم ناشئ عن عصبية عمياء اعادنا الله منها!

(١) فتح الباري: ج ٨ ص ٢٥٢.

(٢) أخرج الطبري في التفسير: ج ٣٠ ص ٣٨ عن أنس قال: قرأ عمر سورة عبس، فلما أتى على هذه الآية «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا» قال: عرفنا الفاكهة فما الأب؟.. ثم قال: إن هذا هو التكلف!.. وأورده ابن كثير في تفسيره: ج ٤ ص ٤٧٣ وصححه... ثم تعجب من عدم فهم عمر معنى الأب، لأن الكل يعلم أنه من نبات الأرض مما يقتات به البهائم لقوله تعالى بعد ذلك «مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ» فالأب علف الدواب كالقت. (٣) راجع نوادر الأثر في علم عمر: (الغدير: ج ٦ ص ٨٣).

وبعد.. فبإذ قد عرفت قيمة ما أسند من روايات أسباب النزول الواردة في أهم الكتب الحديثية، فكيف بالمقطوع والمرسل والمجهول.. الأمر الذي ينبؤك عن أصالة مالدينا من صحاح الروايات في هذا الباب... وقد صَحَّ كلام الإمام أحمد: ثلاثة ليس لها أصل معتمد: المغازي والملاحم والتفسير.. هذا السيوطي يخرج لقوله تعالى: «فَأَيُّتَمَّا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»^(١) خمسة أوجه: الأول: إنه في تحويل القبلة وارتباب اليهود في ذلك. عن ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. الثاني: أن تصلي حيثما توجهت به راحلتك. أخرجه الحاكم وغيره عن ابن عمر.

الثالث: إنه كان في سفر ليلة ظلماء فصلّى كل رجل على حياله لا يدرون اين وجه القبلة. أخرجه الترمذي من حديث عامر بن ربيعة. وكذا الدارقطني من حديث جابر.

الرابع: لما نزلت «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(٢) قالوا: الى أين؟ فنزلت. أخرجه ابن جرير عن مجاهد.

الخامس: عن قتادة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إن أخطأ لكم قدمات فصلّوا عليه، فقالوا: إنه كان لا يصلي الى القبلة.. فنزلت..

قال السيوطي-تعقيباً على ذلك-: فهذه خمسة أسباب مختلفة، وأضعفها الأخير لإعضاله. ثم ما قبله لإرساله. ثم الثالث لضعف روايته. والثاني صحيح لكنه قال: قد أنزلت في كذا، ولم يصرّح بالسبب. والأول صحيح الإسناد وصرّح فيه بذكر السبب فهو المعتمد..^(٣)

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) الإقنان: ج ١ ص ٩٣.

سبب النزول أو شأن النزول:

ما هو الفارق بين قولهم: «سبب النزول» أو «شأن النزول»؟
إن كانت هناك مشكلة حاضرة، سواء أكانت حادثة أبهم أمرها، أم
مسألة خفي وجه صوابها، أم واقعة ضلّ سبيل مخرجها، فنزلت الآية لتعالج
شأنها وتضع حلاً لمشكلتها، فتلك هي أسباب النزول، أي السبب الداعي
والعلة الموجبة لنزول قرآن بشأنها.

وهذا أخصّ من قولهم: «شأن النزول». لأنّ الشأن أعمّ موردًا من السبب
- في مصطلحهم - بعد أن كان الشأن يعني: الأمر الذي نزل القرآن- آيةً أو سورة-
لتعالج شأنه بياناً وشرحاً أو اعتباراً بموضع اعتباره. كما في أكثرية قصص
الماضين والإخبار عن امم سالفين، أو عن مواقف أنبياء وقديسين، كانت
مشوهة وكادت تمسّ من كرامتهم أو تحط من قدسيّتهم، فنزل القرآن ليعالج
هذا الجانب، ويبين الصحيح من حكاية حالهم والواقع من سيرتهم بما يرفع
الإشكال والإبهام، وينزه ساحة قدس أولياء الله الكرام.
وعليه فالفارق بين السبب والشأن- اصطلاحاً- أنّ الأول يعني مشكلة
حاضرة لحادثة عارضة. والثاني مشكلة أمر واقع، سواء أكانت حاضرة أم
غائبة. وهذا اصطلاح ولا مشاحة فيه..

وقولهم: نزلت في كذا.. أعمّ، قد يراد السبب العارض، وقد يراد شأن أمر
واقع في الغابر.. وأحياناً يراد بيان حكم وتكليف شرعي دائم.. قال
الزركشي: وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أنّ أحدهم إذا قال: نزلت
هذه الآية في كذا.. فإنه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمّن هذا الحكم، لا أنّ
هذا كان السبب في نزولها..^(١)

(١) البرهان: ج ١ ص ٣١-٣٢.

إلا أن السيوطي خصّ أسباب النزول بالنوع الأول، ورفض أن يكون بيان قصة سألقة سبباً لنزول سورة أو آية قرآنية، ومن ثم اعترض على الواحدي- في أسباب النزول- قوله: نزلت سورة الفيل في قصة أصحاب أبرهة الذي جاء لهدم الكعبة..^(١).

قال: والذي يتحرّر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك..^(٢) مع أن الواحدي لم يصريح بالسبب، بل ذكر أنها نزلت في قصة أصحاب الفيل.. ولا وجه لما تضايق السيوطي على نفسه وعلى الآخرين، بعد أن كان المصطلح على دواعي النزول هي المناسبات المقتضية لنزول قرآن، سواء أكانت حادثة واقعة، أم اختلافاً في مسألة شرعية فرعية أو عقائدية، أم قصة غابرة كانت ذات عبرة أو موضع اختلاف، فأراد الله تعالى تحريرها وتهذيبها وتطهير ساحة قدس أوليائه الكرام..

التزيل والتأويل:

سأل الفضيل بن يسار الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن الحديث المعروف «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن»؟ فقال (عليه السلام): «ظهره تنزيله وبطنه تأويله. منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر...»^(٣). وقال (عليه السلام): «ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا

(٣) بصائر الدرجات: ص ١٩٦ ح ٧.

(١) أسباب النزول للواحدي: ص ٢٥٩.

(٢) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ١ ص ٥.

بمثل أعمالهم...»^(١).

ذلك أنّ لآية وجهاً مرتبطاً بالحادثة الواقعة- التي استدعت نزولها- ووجهاً آخر عاماً تكون الآية بذلك دستوراً كلياً يجري عليه المسلمون أدياً، وكما أنّ الآية عاجلت- بوجهها الخاص- مشكلة حاضرة، فإنّها- بوجهها العام- سوف تعالج مشاكل الأمة على مرّ الأيام...

قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): «ولو أنّ الآية نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السماوات والأرض.. ولكل قوم يتلونّها، هم منها من خير أو شرّ»^(٢).

نعم، إنّ الحكمة في نزول آية أو سورة، ليست بالتي تقتصر على معالجة مشاكل حاضرة، وليست دواءً وقتياً لداء عارض وقتي.. إذن تنتفي فائدتها بتبدل الأحوال والأوضاع.. بل القرآن، في جميع آيه وسوره، نزل علاجاً لمشاكل أمة بكاملها في طول الزمان وعرضه.. وإلى ذلك يشير قولهم (عليهم السلام): «نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة»^(٣).

وهذا الوجه العام للآية، هو ناموسها الأكبر، الكامن وراء ذلك الوجه الخاص، وإنّما يلقي بأضوائه على الآفاق من وراء ذلك الستار الظاهري، وتنبعث أنواره من ذلك البطن الكامن وراء هذا الظهر...

وهذا من اختصاص القرآن في بيان مقاصده من الوجهين الخاص والعام، ومن ثمّ فإنّ له تنزيلاً (الذين نزل فيهم) وتأويلاً (الذين عملوا بمثل أعمالهم). وذلك ظهره وهذا بطنه..

غير أنّ الوقوف على تأويل القرآن وفهم بطون الآيات، إنّما هو من

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ ح ٤

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١١ ح ٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ ح ٧.

اختصاص الراسخين في العلم، ممن ثبتوا على الطريقة فسقا هم رهم ماءً غدقاً.. (١).

ومن ثم قال الإمام أبو جعفر - بعد أن تلا الآية -: «نحن نعلمه» أي التأويل (٢) وفي رواية أخرى: «تعرفه الأئمة» (٣).

قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (٤).

هذه الآية نموذج من الآيات ذوات الوجهين، لها تنزيل ولها تأويل، ظهر وبطن، وإنما يعلم سرّها الكامن العام أولوا البصائر في الدين الأئمة المعصومون (عليهم السلام).

هذه الآية تبدو - في ظاهرها - متعارضة مع آيات توجب التوجّه في الصلاة شطر المسجد الحرام (٥)... ولكن مع ملاحظة سبب النزول، وإنّه دفع لشبهة اليهود ورفع لارتبابهم في تحويل القبلة، يتبيّن أن لامعارضة، ويرتفع الإبهام عن وجه الآية... ذلك أنّ الاستقبال في الصلاة والعبادات أمر اعتباري محض، ينوط باعتبار صاحب الشريعة في مصالح يراها مقتضية حسب الأحوال والأوضاع، وليس وجه الله محصوراً في زاوية القدس الشريف أو الكعبة المكرّمة..

وبذلك تنحلّ مشكلة الآية وترتفع إبهامها، وأن ليس ترخيصاً في الاتجاه بسائر الجهات..

هذا.. وقد فهم الأئمة (عليهم السلام) أمراً آخر أيضاً، استخرجوه من باطن الآية، حيث تأويلها المستمر.. وأنها تعني جواز التطوّع بالنوافل الى حيث

(٤) البقرة: ١١٥.

(٥) البقرة: ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠.

(١) من الآية رقم ١٦ من سورة الجن.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٩٦ ح ٧.

(٣) بصائر الدرجات: ص ١٩٦ ح ٨.

توجّهت به راحلتك ... أو اشتبهت القبلة، فتصلي الى أي الجهات شئت ..
هكذا وجدنا صراحة الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)^(١).
قال سيّدنا الطباطبائي (قدس سره): إنك إذا تصفّحت كلمات الأئمة
(عليهم السلام) في عموم القرآن وخصوصه، ومطلقه ومقيّده، لوجدت كثيراً ما،
استفادة حكم من عموم الآية، ثم استفادة حكم آخر مع ملاحظة خصوصها.
فقد يستفاد «الاستحباب» من الآية من وجه عمومها، و«الوجوب» من
وجهها الخاص، وهكذا «الحرمة» و«الكراهة» من الوجهين للآية بذاتها ..

قال: وعلى هذا المقياس تجد اصولاً هي مفاتيح لكثير من مغالقات الآيات،
إنما تجدها في كلماتهم (عليهم السلام) لا غيرهم .. قال: ومن هنا يمكنك أن
تستخرج من لباب كلامهم في المعارف القرآنية قاعدتين أساسيتين:

الأولى: أنّ كلّ عبارة من عبارات الآية الواحدة، فإنها لوحدها تفيد معنى
وتلقي ضوءاً على حكم من أحكام الشريعة .. ثم هي مع العبارة التالية لها، تفيد
حكماً آخر، ومع الثالثة حكماً ثالثاً .. وهكذا دواليك ...

مثلاً قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»^(٢) فقوله:
«قُلِ اللَّهُ» جملة تامة الإفادة ... وهي مع قوله: «ثُمَّ ذَرْهُمْ» أيضاً كلام آخر هو
تام. ومع «فِي خَوْضِهِمْ» .. وكذا مع «يَلْعَبُونَ» كلام ذو فائدة تامة ...
واعتبر نظير ذلك في كلّ آية شئت من آيات القرآن ..

الثانية: أنّ القصتين أو المعنيين إذا اشتركا في جملة أو نحوها، فهما راجعان
الى مرجع واحد ..

قال: وهذا سرّان، تحتها أسرار. والله الهادي ..^(٣)

(١) راجع وسائل الشيعة: باب ٨ و ١٥ من أبواب القبلة ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٣٩ وتفسير العياشي: ج ١

ص ٥٦ - ٥٧.

(٣) تفسير الميزان: ج ١ ص ٢٦٢.

(٢) الانعام: ٩١.

وقوله تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»^(١).
 قيل: نزلت بشأن الجنّ استأذنوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يشهدوا
 مسجده.. وقد كان صعباً عليهم وهم منتشرون في فجاج الأرض.. فنزلت: إن
 كلّ موضع من الأرض فهو مسجد لله يجوز التعبد فيه.. سوى أنّه يجب
 الإخلاص في العبادة في أيّ مكان كانت..^(٢) وهكذا روي عن سعيد بن
 جبير.

هذا إذا أخذت «المساجد» بمعنى «المعابد»: أمكنة العبادة..
 وربّما فُتِرت بمعنى المصدر، وأنّ العبادات بأسرها خاصّة بالله تعالى لا يجوز
 السجود لغيره.. روي ذلك عن الحسن.

وقال جمع من المفسّرين كسعيد بن جبير والزجاج والفراء: إنّها المواضع
 السبعة حالة السجود، وهي لله، إذ هو خالقها والذي أنعم بها على الإنسان.
 فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى^(٣).

وهذا المعنى الأخير أخذ الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد (عليه السلام)
 حينما سأله المعتصم العباسي عن هذه الآية، فقال: هي الأعضاء السبعة التي
 يُسجد عليها...^(٤).

وكان هذا الحادث في قصّة سارق جيء به الى مجلس المعتصم، فاختلف
 الفقهاء الحضور في موضع القطع من يده.. فكان من رأي الإمام (عليه
 السلام) أن يقطع من مفصل الاصابع.. ولمّا سأله المعتصم عن السبب،
 أجاب بأن راحة الكفّ، هي إحدى مواضع السجود السبعة، وأنّ المساجد لله،

(١) الجنّ: ١٨.

(٢) لباب النقول بهامش الجلالين: ج ٢ ص ١٢١.

(٣) وهكذا فسرّها الأئمة من أهل البيت فيما ورد من التفسير المأثور وجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٧٢ وتفسير

البرهان: ج ٤ ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٤) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٧٢.

فلا تقطع^(١).

وهكذا، وهذا الأسلوب البديع استنبط (عليه السلام) من تعبير القرآن دليلاً على حكم شرعي كان حلاً قاطعاً لمشكلة الفقهاء حلاً أبدياً..

وهذا من بطن القرآن وتأويله الساري مع كل زمان. تعرفه الأئمة، إمام كل عصر حسب حاجة ذلك العصر. قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن للقرآن تأويلاً، فنه ما قد جاء ومنه ما لم يجيء فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان»^(٢).

قال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): «ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»^(٣).

وقال الصادق (عليه السلام): «والله، إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي. فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن. فيه بيان كل شيء كما قال تعالى»^(٤).

مركز تحقيق تكملة نهج

هل يجب حضور ناقل السبب؟

ذكر الواحدي أنه لا يحل القول في أسباب النزول، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها..^(٥)

وهذا الإشتراط إنما هو من أجل الإستيثاق بأن ما ينقله حكاية عن حسن مشهود، لأنه من إجتهد أو تخرص بالغيب. ومن ثم من عرفناه صادقاً في

(١) وسائل الشيعة: باب ٤ من أبواب حد السرقة ج ١٨ ص ٤٩٠ ح ٥.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٩٥ ح ٥.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٢٨ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٢٢٩ ح ٤. والآية من سورة النحل: ٨٩ «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّنًا يَكُلُّ

شَيْءًا».

(٥) أسباب النزول للواحدي: ص ٤.

لهجته، ثقةً في إخباره، حذراً واعياً يتجنب الحدس والتخمين، ولا يخبر إلا عن علم، ولا يروي إلا عن يقين.. فإن مثله مصدق ولو كان غائب المشهد.. ومن ثم نعتمد قول خيار الصحابة.. ولولم يصرح بحضوره المشهد، وكذا إخبار التابعين لهم بإحسان، ومن بعدهم من أئمة صادقين.. ولنفس السبب نعتمد أقوال أئمتنا المعصومين بشأن تفسير القرآن، تنزيهه وتأويله، لأنهم أعرف الخلق بعلوم القرآن ظاهره وباطنه، سوى أن المهم هو العلم بصحة الإسناد إليهم أو تواتر النقل وقليل ما هو..

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد:

هذه قاعدة اصولية مطردة في جميع أحكام الشريعة المقدسة، فما يصدر من منابع الوحي والرسالة بشأن بيان أحكام الله وتكاليفه للعباد، ليس يختص مورداً دون مورد، ولم يأت الشرع لمعالجة حوادث معاصرة، وإنما هو شرع للجميع.. الأمر الذي دعا بالفقهاء إلى إلغاء الخصوصيات الموردية والأخذ بإطلاق الحكم، إن لفظياً أو مقامياً، حسب المصطلح.

هذا بالنسبة إلى كافة أحكام الشريعة، سنة وكتاباً، وإن كان في الكتاب أكد. وقد عرفت صريح الروايات بهذا العموم في آيات القرآن. فكل ما في القرآن من أحكام وتكاليف واردة في الآيات الكريمة، فإنما ينظر إليها الفقهاء من الوجه العام، ولا يابهون بخصوص المورد إطلاقاً.

نعم هناك بعض الخطابات مع فئات معهودة، صدرت على نحو القضية الخارجية^(١)، فإنها لا تعم بلفظها، وإن كانت قد تعم بملاكها، إذا كان قد أحرز يقيناً.. وفي القرآن منه كثير..

(١) من مصطلح علم الميزان (المنطق) وهو عبارة عن معهودة الموضوع في القضية، كقولك: أكرم من في المسجد أو في المدرسة، تريد من هو في مسجد البلد أو مدرسته في الحال الحاضر. وليس في كل الأزمان وكل المساجد والمدارس على الإطلاق.

قال تعالى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَِّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ...»^(١).

نزلت الآية بشأن المؤمنين بعد منصرفهم من وقعة «أُحُد» وقد أصابهم القرع الشديد.. وكان أبوسفیان حاول الكرة وتندم على انصرافه عن القتال.. وبلغ الخبر للمسلمين، وكان الذي أشاع الخبر هو نعيم بن مسعود الأشجعي، كما في الحديث عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام^(٢). وقيل: الركب الذي دسه أبوسفیان للإرجاف بالمؤمنين. وقيل: هم المنافقون بالمدينة.

لكن المؤمنين الصادقين صمدوا على الثبات والإيمان وعزموا على مجابهة العدو بكل مجهودهم، وانتدبهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قصداً لإرهاب المشركين، وفي مقدمة المنتدبين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). والشاهد في قوله تعالى: «قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» إشارة إلى أناس معهودين أو فرد معهود. والمقصود من «الناس» الذين جمعوهم، هم أصحاب أبي سفيان.. نعم مجموعة هذه الحادثة تفيدنا مسألة الثبات على الإيمان وأن لانهاب عدواً ولا تجمع الناس ضد الحق مادام الله ناصرنا وكافلنا، نعم المولى ونعم النصير.

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٣).

إنما يعني الذين كفروا على عهده (صلى الله عليه وآله) وعاندوا وأصرّوا على اللجاج، بعد وضوح الحق وسطوع البرهان. وليس مطلق الكفار على مرّ

(٣) البقرة: ٦-٧.

(١) آل عمران: ١٧٢-١٧٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٤١.

الزمان. وهذا تتييس للنبي (صلى الله عليه وآله) فلا تذهب نفسه عليهم حسرات.

قال العلامة الطباطبائي (قدس سره): ولا يبعد أن يكون المراد هم الكفار من صناديد قريش وكبراء مكة الذين عاندوا ولجوا في أمر الدين ولم يألوا جهداً في ذلك. إذ لا يمكن استطراد هذا التعبير في حق جميع الكفار، وإلا لانسد باب الهداية.. فالأشبه أن يكون المراد من «الَّذِينَ كَفَرُوا» هاهنا وفي سائر الموارد من كلامه تعالى هم كفار مكة في أول البعثة، إلا أن تقوم قرينة على خلافه.. نظير ما سيأتي أن المراد من قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا» فيما اطلق في القرآن من غير قرينة على إرادة الإطلاق، هم السابقون الأولون من المؤمنين. خصوا بهذا الخطاب تشریفاً^(١).

وهكذا قال (رحمه الله) في تفسير سورة «الكافرون»: هؤلاء قوم معهودون لا كل كافر. ويدل عليه أمره (صلى الله عليه وآله) أن يخاطبهم ببراءته من دينهم وامتناعهم من دينه^(٢).

وبذلك تنحل مشكلة كثير من الآيات جاءت بهذا التعبير وأشباهه. نعم هذا الحكم يسري فيمن شابه أولئك في العناد واللجاج مع الحق بعد الوضوح.

نزل القرآن بآئك أعني واسمعي يا جارة:

هكذا روى أبوالنضر محمد بن مسعود العياشي باسناده عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فيما رواه عنه عبد الله بن بكير. قال: «نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة»^(٣). وهذا مثل يضرب لمن يخاطب

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ ح ٤.

(١) تفسير الميزان: ج ١ ص ٥٠.

(٢) تفسير الميزان: ج ٢ ص ٥٢٦.

شخصاً أو يتكلم عن أمر، وهو يريد غيره، على سبيل الكناية أو التعريض.
وروى بإسناده عن ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما عاتب الله نبيه فهو يعني به من قد مضى في القرآن. مثل قوله: «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً»^(١) عني بذلك غيره (صلى الله عليه وآله)»^(٢).

قوله: «من قد مضى في القرآن» أي مضى ذكره إشارة أو تلويحاً وربما نصاً... والأكثر أن يراد أمته (صلى الله عليه وآله) بالعتاب، ولا سيما المؤمنون صدر الإسلام، كانوا على قلق واضطراب في مواضعهم مع الكفار..

وهذا المعنى ورد قولهم (عليهم السلام) فيما رواه محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: يا محمد إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخير فنحن هم. وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء متن مضى فهم عدونا..^(٣)

لأن القرآن يجري أوله على آخره مادامت السماوات والأرض. ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر^(٤).. قال (عليه السلام): ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم^(٥).

كيف الاهتداء الى معالم القرآن؟

ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وربما بطون^(٦)، هي حقائقها الراهنة، السارية الجارية مع مختلف الأحوال ومتقلبات الأزمان، يعرفها الراسخون في العلم، الذين ثبتوا على الطريقة فسقاها ربهم شراباً غدقاً..

(٤) المصدر: ص ١٠ ح ٧.

(١) الاسراء: ٧٤.

(٥) المصدر: ص ١١ ح ٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٠ ح ٥.

(٦) راجع تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٣ ح ٣.

وخير وسيلة لفتح مغالق القرآن هو اللجوء الى أبواب (رحمة الله) ومنايع فيضه القدسي، أهل بيت الوحي، الذين هم أدرى بما في البيت. فإن بيدهم مقاليد هذه المغالق ومفاتيح هذه الأبواب...

فإنهم عدل القرآن وأحد الثقلين الذين أوصى بهما الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وفي كلماتهم الكثير من الإرشادات الى معالم القرآن وفهم حقائقه الناصعة، مما لا تجده في كلام غيرهم على الإطلاق.. من ذلك ماورد بشأن قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا»^(١).

وقوله- في آية اخرى-: «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا»^(٢).

وهذا تهديد ووعيد بالهلاك والدمار، ان لم يرضخوا لنا موسى الشريعة الغراء.. ولكن كيف هذا التهديد، وم كان هذا الوعيد؟

وقد فسرها جلّ المفسرين بغلبة الإسلام والتضاييق على بلاد الكفر والإلحاد، قال الثعالبي: إنا نأتي أرض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم، فما يؤمنهم أن نمكنك منهم أيضاً^(٣) وهكذا رجّحه ابن كثير قال: وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية، كقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى»^(٤). وهذا اختيار ابن جرير^(٥).

وقد ذهب ابن كثير وغيره حتى سيد قطب الى أن السورة مكية، ولم يذكر أحد استثناء هذه الآية منها. وسورة الأنبياء مكية بلا خلاف ولم يذكروا سنداً

(٤) الاحقاف: ٢٧

(١) الرعد: ٤١.

(٥) تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٥٢٠-٥٢١.

(٢) الأنبياء: ٤٤.

(٣) تفسير الثعالبي: ج ٢ ص ٢٧٤.

لاستثناء الآية منها .. الأمر الذي لا يلتزم مع هذا الاختيار في معنى الآية ..
ثم الآية صريحة في نقصان أطراف الأرض، ولم يعهد اختصاص اسم
الأرض بمكة المكرمة ..

نعم، فتح هذا المغلاق في وجه الآية، وفسرها تفسيراً جلياً، ماجاء في كلام
الإمام الصادق (عليه السلام) فيما رواه ابن بابويه الصدوق، قال: سئل
الصادق (عليه السلام) عن هذه الآية، فقال: «فقد العلماء»^(١).

وذلك: أن الأرض، يراد بها المعمورة منها في أكثر الأحيان، كما في قوله
تعالى: «أَوْيُنْفُوا مِنْ الْأَرْضِ»^(٢). وقد فهم منه الفقهاء - في حدّ المحاربين - نفهم
من عمارة الأرض، فلا يدخلوا بلداً ولا يحلّوا دياراً إلا أخرجوا ..

وإذا كانت عمارة الأرض، هي حصيلة جهود العلماء والاختصاصيين من
أهل العلم، فعفوك أن خرابها بفقد العلماء وذهاب الخيار من الصلحاء، فعند
ذلك تفسد البلاد وتهلك العباد .. والروايات بهذا المعنى كثيرة عن الأئمة ..^(٣).
وقد تنبّه لذلك بعض الأقدمين، فيما روي عن ابن عباس: تخرب قرية
ويكون العمران في ناحية. والنقصان نقصان أهلها وبركتها .. وقال الشعبي:
تنقص الأنفس والثمرات. وفي رواية عن ابن عباس أيضاً: خرابها بموت علمائها
وفقهاؤها وأهل الخير منها. قال مجاهد: هوموت العلماء^(٤).

قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ..»^(٥).

وقوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ»^(٦).

(١) تفسير البرهان: ج ٢ ص ٣٠٢ ح ٥. (٤) مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٠٠ وتفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٥٢٠.

(٢) المائدة: ٣٣. (٥) الاعراف: ٩٦.

(٣) تفسير البرهان: ج ٢ ص ٣٠١-٣٠٢. (٦) البقرة: ٣٤.

فقد أشكل على المفسرين وجه هذا السجود والأمر به، ولا تجوز العبادة لغير الله. ! ومن ثم اختلفوا هل أنه كان بوضع الجباه على الأرض، وأنهم جعلوا آدم قبله يسجدون لله تعالى؟

نعم ورد الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان لآدم سجود طاعة، والله سجود عبادة..^(١) وهو كناية عن قيامهم بمصالح الإنسان عبر الحياة، فإن قوى الطبيعة بأسرها مسخرة لهذا الإنسان خاضعة تحت إرادته... والسجود هو الخضوع التام. قال الشاعر: ترى الأكمل فيها سجداً للحوافر. أي التلال مذكّلة لحوافر الخيول^(٢)

وهذا نظير قوله تعالى - بشأن يوسف واخوته -: «وَاخْرُؤْا لَهُ سُجْدًا»^(٣) أي وقعوا على الأرض خضوعاً له.. على وجه...

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ»^(٤). فلولا الامتناعية دلت على أن الهم من يوسف لم يقع.. سوى أن الذي منعه وعصمه من هم المعصية ماذا كان؟ فقل: إنه رأى صورة أبيه عاضاً على إصبعه. وقيل غير ذلك.. مما يتنافى وعصمة مقام النبوة.. والصحيح ما هدانا إليه الأئمة الراشدون: أنه الإيمان الصادق الذي هو منشأ العصمة في أنبياء الله (عليهم السلام). بدليل تعقيبه بقوله: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» إشارة الى مقام عصمة الأنبياء^(٥).

(١) عيون الاخبار: ج ١ ص ٢٦٣ قطعة من ح ٢٢. وبحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٠ ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٠.

(٣) يوسف: ٢٤ و ١٠٠.

(٥) راجع تفسير الميزان: ج ١١ ص ١٤١ و ١٨١.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تاریخ القرآن



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١- تأليف القرآن

- نظم كلماته.
- تأليف آياته.
- ترتيب سورته.
- تمحيص الرأي المعارض.
- جمع علي بن أبي طالب (عليه السلام).
- وصف هذا الجمع.
- جمع زيد بن ثابت.
- منهج زيد في جمع القرآن.
- شكوك واعتراضات.
- مصاحف أخرى للصحابة.
- وصف مصحف ابن مسعود.
- وصف مصحف أبي بن كعب.
- جدول يقارن بين مصاحف السلف.

١- تأليف القرآن

تأليف القرآن في شكله الحاضر، في نظم آياته وترتيب سورته، وكذلك في تشكيله وتنقيطه وتفصيله الى أجزاء ومقاطع، لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة الوحي الأولى، فقد مرت عليه أدوار وأطوار، ابتدأت بالعهد الرسالي، وانتهت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثم الى عهد الخليل ابن أحمد النحوي الذي أكمل تشكيله بالوضع الموجود.

وهو بحث أشبه بمعالجة قضية تاريخية مذيّلة، عن أحوال وأوضاع مرت على هذا الكتاب السماوي الخالد. غير أنّ مهمتنا الآن هي العناية بدراسة القرآن من زاوية جمعه وتأليفه مصحفاً بين دفتين، والبحث عن الفترة التي حصل فيها هذا الجمع والتأليف، وعن العوامل التي لعبت هذا الدور الخطير. ومن ثم سنفصل الكلام عن القرآن في عهده الأول الذي لم يتجاوز نصف قرن، ثم نوجز الكلام في أحوال مرت عليه في أدوار متأخرة. والبحث الحاضر يكتمل في ثلاث مراحل أساسية:

أولاً: نظم كلمات القرآن بصورة جمل وتراكيب كلامية ضمن الآيات.

ثانياً: تأليف الآيات ضمن السور قصيرة أم طويلة.

ثالثاً: ترتيب السور بين دفتين على صورة مصحف كامل.

ومجمل القول في ذلك: أنّ نظم الكلمات والجمل والتعابير، كلّها كانت بفعله تعالى، لم يحدث فيها أيّ تغيير أو تبديل، لا بزيادة ولا بنقص ولا بتغيير

موضعي أصلاً.. «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد...»^(١).

وكذا ترتيب الآيات ضمن السور، واكتماها على أعداد متفاوتة من الآيات شيء حصل على عهده (صلى الله عليه وآله) وبأمره الخاص ليس لرأي سواه مدخل فيه ولم تمسه يد سوء أبداً.. «إنا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون...»^(٢).

نعم بقي ترتيب السور أمراً مؤجلاً إلى ما بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) حيث انقطاع الوحي وعدم ترقب نزول سورة أخرى أو آيات.. وإليك التفصيل:

نظم كلماته:

لا شك أن العامل في نظم كلمات القرآن وصياغتها جملاً وتراكيب كلامية بديعة، هو الوحي السماوي المعجز، لم يتدخل فيه أي يد بشرية إطلاقاً. كما ولم يحدث في هذا النظم الكلمي أي تغيير أو تحريف عبر العصور: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون» إذ في ذلك يتجسد سر ذلك الإعجاز الخالد، الذي لا يزال يتحدث به القرآن الكريم. ولمزيد التوضيح نعرض ما يلي:

أولاً: إسناد الكلام إلى متكلم خاص يستدعي أن يكون هو العامل في تنظيم كلماته وتنسيق أسلوبه التعبيري الخاص. أمّا إذا كان هو منتقياً كلمات مفردة وجاء آخر فنظمها في أسلوب كلامي خاص، فإن هذا الكلام ينسب إلى الثاني لا الأول. وهكذا القرآن المجيد هو كلام الله العزيز الحميد، فلا بد أن يكون الوحي هو العامل الوحيد في تنظيم كلماته جملاً وتراكيب كلامية بديعة، أمّا نفس الكلمات من غير اعتبار التركيب والتأليف فكان العرب يتداولونها ليل نهار، إنَّما الإعجاز في نظمها جاء من قبل وحي السماء.

ثانياً: كان القسط الأوفر من إعجاز القرآن كامناً وراء هذا النظم البديع وفي أسلوبه هذا التعبيري الرائع، من تناسب نغمي مُرن، وتناسق شعري عجيب، وقد تحدّى القرآن فصحاء العرب وأرباب البيان- بصورة عامة- لو يأتون بمثل هذا القرآن، ولا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(١) فلجوزنا- محالاً- إمكان تدخل يد بشرية في نظم القرآن، كان بمعنى إبطال ذاك التحدي الصارخ. ومن ثم كان ما ينسب الى ابن مسعود: جواز تبديل العهن بالصوف في الآية الكريمة^(٢) أو قراءة أبي بكر: «وجاءت سكرة الحق بالموت»^(٣) مكذوباً أو هو اعتبار شخصي لا يتسم بالقرآنية في شيء.

ثالثاً: اتفاق كلمة الأمة في جميع أدوار التاريخ على أن النظم الموجود والأسلوب القائم في جمل وتراكيب الآيات الكريمة هو من صنع الوحي السماوي لا غيره. الأمر الذي التزم به جميع الطوائف الإسلامية، على مختلف نزعاتهم وآرائهم في سائر المواضيع. ومن ثم لم يتردد أحد من علماء الأدب والبيان في آية قرآنية جاءت مخالفة لقواعد رسموها، في أخذ الآية حجة قاطعة على تلك القاعدة وتأويلها الى ما يلتئم وتركيب الآية. وذلك علماً منهم بأن النظم الموجود في الآية وحي لا يتسرّب إليه خطأ البتة، وإنما الخطأ في فهمهم هم وفيما استنبطوه من قواعد مرسومة.

مثال ذلك قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ»^(٤) فزعموا أن الحال لا تتقدّم على صاحبها المجرور بحرف، والآية جاءت مخالفة لهذه القاعدة. ومن ثم وقع بينهم جدال عريض ودار بينهم كلام في صحة تلك القاعدة وسقمها^(٥) ولجأ ابن مالك أخيراً الى نبذ القاعدة بحجة أنها مخالفة للآية، قال:

(١) الاسراء: من الآية ٨٨.

(٢) القارة: ٥. راجع ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن: ص ١٩.

(٣) ق: ١٩. راجع تفسير الطبري: ج ٢٦ ص ١٠٠.

(٤) سبأ: ٢٨. (٥) راجع خالد الأزهرى في شرح التوضيح. والكشاف للزمخشري.

وسبق حال ما بحرف جر قد أبوا ولا أمنعه فقدورد

تأليف الآيات:

وأما تأليف الآيات ضمن كل سورة، على الترتيب الموجود، فهذا قد تحقق في الأكثر الساحق.. وفق ترتيب نزولها: كانت السورة تبتدأ بسم الله الرحمن الرحيم فتسجل الآيات التي تنزل بعدها من نفس هذه السورة، واحدة تلو أخرى تدريجياً حسب النزول، حتى تنزل بسملة أخرى، فيعرف أن السورة قد انتهت وابتدأت سورة أخرى.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء لأخرى»^(١).

قال ابن عباس: «كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرف فصل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم، فيعرف أن السورة قد ختمت وابتدأت سورة أخرى»^(٢).

كان كتبة الوحي يعرفون بوجوب تسجيل الآيات ضمن السورة التي نزلت بسملتها، حسب ترتيب نزوله واحدة تلو أخرى كما تنزل، من غير حاجة إلى تصريح خاص بشأن كل آية آية.

هكذا ترتبت آيات السور وفق ترتيب نزولها، على عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهذا ما نسميه «الترتيب الطبيعي» وهو العامل الأول الأساس للترتيب الموجود بين الآيات في الأكثرية الغالبة، سوى ما شذ على خلاف هذا الترتيب.

والمعروف أن مصحف علي (عليه السلام) وضع على دقة كاملة من هذا

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩ ح ٥.

(٢) مستدرک الحاكم: ج ١ ص ٢٣١. وتاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٧.

الترتيب الطبيعي للنزول. الأمر الذي تخلفت عنه مصاحف سائر الصحابة، على ما سنشير.

روى جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال إذا قام قائم آل محمد (صلى الله عليه وآله) ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن، على ما أنزل الله جلّ جلاله فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف التأليف^(١) أي التأليف الحاضر في ترتيب سورة وبعض آيه، كما نبّه..

وهناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وذلك بنص من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعيينه الخاص: كان يأمر - أحياناً - بثبت آية في موضع خاص من سورة سابقة كانت قد ختمت من قبل. ولا شك أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرى المناسبة القريبة بين هذه الآية النازلة والآيات التي سبق نزولها، فيأمر بثبتها معها بإذن الله تعالى.

وهذا جانب استثنائي للخروج عن ترتيب النزول، كان بحاجة إلى تصريح خاص: روى أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ شخص ببصره، ثم صوّبه. ثم قال: أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...» فجعلت في سورة النحل بين آيات الاستشهاد وآيات العهد. وروى أن آخر آية نزلت قوله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» فأشار جبرئيل أن توضع بين آيتي الربا والدين من سورة البقرة^(٢). وعن ابن عباس والسدي: أنها آخر ما نزلت من القرآن. قال جبرئيل: ضعها في رأس الثمانين والمائتين^(٣)، وعن ابن عباس أيضاً: قال: كان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٣٩ ح ٨٥ عن إرشاد المفيد: ص ٣٦٥.

(٢) الاقنآن: ج ١ ص ٦٢. (٣) مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٩٤.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا^(١).
هذا مما لا خلاف فيه، كما صرح بذلك أبو جعفر بن الزبير^(٢).

وربما كانت السورة تفتح، وقبل أن تكتمل تفتح سورة أخرى وتكتمل هذه الأخيرة قبل أن تكتمل الأولى. وذلك كان بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) وبإشارته.. كما في سورة البقرة هي أولى سورة ابتداء نزولها بالمدينة بعد الهجرة.. لكتها استمر نزولها سنوات حتى إلى ما بعد سنة الست.. إذ فيها الكثير من آيات نزلت في هذه الفترات المتأخرة، منها آية «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»^(٣)... أنها نزلت عندما تخرج المسلمون من السعي بين الصفا والمروة لكان أساء ونائلة عليهما، وكان المشركون وضعوها على الجبلين يطوفون بهما ويلمسونها.. فنزلت الآية دفعاً لتوهم الحظر.. الأمر الذي يستدعي نزولها بعد صلح الحديبية في عمرة القضاء^(٤) وهو عام الست من الهجرة.. أو لعل النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بوضع الآية في هذا الموضع من السورة.. والله العالم.

وهكذا نزلت آيات الحج في نفس العام وثبتت في هذه السورة بالذات!

(١) أخرجه الترمذي بطريق حسن، والحاكم بطريق صحيح-راجع البرهان: ج ١ ص ٢٤١ وراجع تاريخ

اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٦.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) الإتيان: ج ١ ص ٦٠.

(٤) روي ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) راجع تفسير العياشي: ج ١ ص ٧٠ ح ١٣٣ وراجع

أيضاً تفسير الطبري: ج ٢ ص ١٢٣.

كما نجد آيات ثبتت في مواضع من السور، لا تلتئم وتاريخ نزولها، فهل كان ذلك بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) الخاص، أو لسبب آخر لانعرفه؟ الأمر الذي نجهله حتى الآن...

• من ذلك ما نجده في سورة الممتحنة: تبتدئ هذه السورة بآيات (١-٩) نزلت في العام الثامن بعد الهجرة، بشأن حاطب بن أبي بلتعة، كان قد كاتب قريشاً يخبرهم بتأهب النبي (صلى الله عليه وآله) لغزو مكة، وكان النبي يحاول الإخفاء.

وتتعلق هذه الآيات آيتان نزلتا بشأن سبيعة الأسلمية عام الست من الهجرة، كانت قد أتت النبي (صلى الله عليه وآله) مسلمة مهاجرة، تاركة زوجها الكافر، فجاء في طلبها، فاستعصمت بالنبي (صلى الله عليه وآله). وصادف مجيؤه صلح الحديبية، كان النبي (صلى الله عليه وآله) عاهد قريشاً أن يرده عليهم كل من يأتيه من مكة، فأخذ الزوج في محاجة النبي (صلى الله عليه وآله) قائلاً: اردد عليّ امرأتى على ما شرطت لنا وهذه طينة الكتاب لم تجف، فتخرج النبي (صلى الله عليه وآله) في أمرها، فنزلت الآيتان.

وبعد هاتين الآيتين آيات نزلت بشأن مبايعة النساء عام الفتح وهي سنة التسع من الهجرة!

وأما الآية الأخيرة من السورة فإنها ترتبط مع آيات الصدر تماماً. ومن ثم قالوا: إن دراسة هذه السورة تعطينا خروجاً على النظم الطبيعي للآيات، من غير ما سبب معروف^(١).

• ومن ذلك أيضاً ما نجده في سورة البقرة فيما يخص آيات الإمتاع والاعتداد، كان التشريع الأول في المرأة المتوفى عنها زوجها أن تعتد حولا كاملاً ولا تخرج من بيت زوجها وكان ميراثها هو الإنفاق عليها ذلك الحول

فقط، والآية التي نزلت بهذا الشأن هي قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ»^(١). ثم نسخ هذا التشريع بآية الاعتداد: أربعة أشهر وعشراً من نفس السورة^(٢). وبآية المواريث^(٣).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): نسختها - أي آية الامتاع - آية «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً» ونسختها آية المواريث^(٤) هذا وطبيعة النسخ تستدعي تأخر الناسخ عن المنسوخ، في حين تقدمه عليه بست آيات!

• وكذلك قوله تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...». قيل: إنها آخر آية نزلت على رسول (صلى الله عليه وآله) ولم يعش بعدها سوى بضعة أيام أو بضعة أسابيع. والآية مثبتة في سورة البقرة في حين أنها أول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة، ونزلت بعدها نيف وعشرون سورة، وروي أن جبرئيل (عليه السلام) هو الذي أشار على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يضعها موضعها من البقرة. وقد تقدم ذلك.

• وآية الإكمال: «الْيَوْمَ يَتِمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً»^(٥). قال ابن عباس: لم ينزل بعدها فريضة. وكذا قال السدي والجبائي والبلخي^(٦) وروي عن الامامين الصادقين (عليهما السلام) أيضاً^(٧).

قال ابن عساكر والخطيب: إنها نزلت في غدير خم عند منصرفه (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع بعدما نصب علياً (عليه السلام) بالولاية. فنزل بها

(١) البقرة: ٢٤٠. (٦) الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٥٧ - ص ٢٥٩. ومجمع البيان: ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) البقرة: ٢٣٤. (٧) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٥٩.

(٣) النساء: ١٢.

(٤) تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٣٢ ح ١. ومستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٠.

(٥) المائدة: ٣.

جبرئيل (عليه السلام). وفي عبارة السدي لم ينزل بعدها حلال ولا حرام^(١). هذا وهي مثبتة في سورة المائدة برقم ٣. وآيات الاحكام بعدها كثيرة: كآية تحليل الطيبات والصيد برقم ٤. وآية طعام أهل الكتاب برقم ٥. وآية الوضوء برقم ٦. وآية السارق برقم ٣٨. وآية الإيمان برقم ٨٩. وآية الخمر برقم ٩٠. وآية تحريم الصيد برقم ٩٥. وآية تحريم ما حللّه المشركون برقم ١٠٣. وآية الإشهاد على الوصيّة برقم ١٠٧. كلّ ذلك أحكام تشريعيّة سجلت بعد آية الإكمال في حين أنّها نزلت قبلها قطعاً. فلا بدّ هناك من مناسبة لإحكام مثل هذه الآية بين آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وإن كنّا نجهلها في ظاهر الأمر.

وينبغي أن لا نتغافل جانب «أصالة السياق» في الآيات فإنّها محفوظة حسب طبيعتها الأوليّة، بمعنى أن الأصل الأوليّ هو البناء على أن الترتيب القائم هو ترتيب النزول، إلّا إذا ثبت خلافه بدليل، ولم يثبت إلّا نادراً... ولأنّ ما ثبت قليلاً خلاف موضع الأصلي، فإنّما كان بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) وبإرشاده الخاصّ، فلا بدّ من مناسبة ملحوظة في ذلك، وكفى بذلك في حكمة السياق..

وسنتعرّض لهذا الجانب بتفصيل عند الكلام عن سياق الآيات في فصل «الإعجاز البياني» إن شاء الله تعالى.

ترتيب السورة

وأما جمع السور وترتيبها بصورة مصحف مؤلف بين دفتين، فهذا قد حصل بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله):^(٢) انقضى العهد النبويّ والقرآن منشور على

(١) الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) قال السيد الطباطبائي: «ان القرآن لم يكن مؤلفاً في زمن النبي -ص- ولم يكن منه إلا سور وآيات متفرقة في أيدي الناس» (الميزان ج ٣ ص ٧٨-٧٩).

العصب واللخاف^(١) والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وبعض الحرير والقراطيس وفي صدور الرجال.

كانت السور مكتملة على عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتبة آياتها وأسمائها، غير أن جمعها بين دفتين لم يكن حصل بعد. نظراً لترقب نزول قرآن على عهده (صلى الله عليه وآله) فإدام لم ينقطع الوحي لم يصح تأليف السور مصحفاً إلا بعد الاكتمال وانقطاع الوحي، الأمر الذي لم يكن يتحقق إلا بانقضاء عهد النبوة واكتمال الوحي.

قال جلال الدين السيوطي: «كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور»^(٢). وقال الإمام الصادق (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا علي! القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه^(٣).

وأول من قام بجمع القرآن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة، وبوصية منه (صلى الله عليه وآله) هو الامام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) ثم قام بجمعه زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر. كما قام بجمعه كل من ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وغيرهم، حتى انتهى الأمر إلى دور عثمان، فقام بتوحيد المصاحف وإرسال نسخ موحدة إلى أطراف البلاد، وحمل الناس على قراءتها وترك ما سواها. على ما سذكر.

كان جمع علي (عليه السلام) وفق ترتيب النزول: المكيّ مقدّم على المدنيّ. والمنسوخ مقدّم على الناسخ. مع الإشارة إلى مواقع نزولها ومناسبات النزول. قال الكلبي: لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قعد علي بن أبي طالب

(١) العصب: جريدة النخل إذا كشط خوصها. واللخف: حجارة بيض رقاق. والأديم: الجلد المدبوغ.

(٢) الإقنان: ج ١ ص ٥٧. ومناهل العرفان: ج ١ ص ٢٤٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٤٨ ج ٧ عن تفسير علي بن إبراهيم.

(عليه السلام) في بيته فجمعه على ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير^(١) وقال عكرمة: لواجتمعت الإنس والجن على أن يآلفوه كتأليف علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما استطاعوا^(٢).

وأما جمع غيره من الصحابة فكان على ترتيب آخر: قدموا السور الطوال على القصار، فقد اثبتوا السبع الطوال (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس) قبل المئين (الأنفال^(٣)، براءة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الاسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات) ثم المثاني (هي التي تقل آياتها عن المائة وهي عشرون سورة تقريباً) ثم الحواميم (السور التي افتتحت بحم) ثم المفصلات (ذوات الآيات القصار) لكثرة فواصلها. وهي السور الأخيرة في القرآن.

وهذا يقرب نوعاً ما من الترتيب الموجود الآن على ماسياتي.

نعم لم يكن جمع زيد مرتباً ولا منتظماً كمصحف، وإنما كان الاهتمام في ذلك الوقت على جمع القرآن عن الضياع، وضبط آياته وسوره حذراً عن التلف بموت حامله، فدونت في صحف وجعلت في إضيارة، وودعت عند أبي بكر مدة حياته، ثم عند عمر بن الخطاب حتى توفاه الله، فصارت عند ابنته حفصة، وهي النسخة التي أخذها عثمان لمقابلة المصاحف عليها، ثم رده عليها، وكانت عندها إلى أن ماتت، فاستلها مروان من ورثتها حينما كان والياً على المدينة من قبل معاوية، فأمر بها فشقت. وسنذكر كل ذلك بتفصيل.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ج ١ ص ٤.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٥٧.

(٣) هذا في مصحف أبي بن كعب. لكتها في مصحف ابن مسعود من المثاني، لأنها تقل من المائة، آياتها: ٧٥. راجع القائمة الآتية.

تمحيص الرأي المعارض:

ما قدّمناه هو المعروف عن رواية الآثار، وعند الباحثين عن شؤون القرآن، منذ الصدر الأوّل فإلى يومنا هذا، ويوشك أن يتفق عليه كلمة أرباب السير والتواريخ ولكن مع ذلك نجد من ينكر ذلك التفصيل في جمع القرآن، ويرى أن القرآن بنظمه القائم وترتيبه الحاضر كان قد حصل في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله).

وقد ذهب الى هذا الرأي جماعة من علماء السلف كالقاضي وابن الأنباري والكرماني والطبري^(١)، ووافقهم علم الهدى السيد المرتضى (قدس سره) قال: كان القرآن على عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن. واستدلّ على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيّنت جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي (صلى الله عليه وآله) ويتلى عليه. *مركز تحقيقات كهنوت علوم حسني*

وإن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) عدّة ختمات. وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث^(٢).

لكن حفظ القرآن هو بمعنى: حفظ جميع سوره التي اكتملت آياتها، سواء أكان بين السور ترتيب أم لا. وهكذا ختم القرآن هو بمعنى: قراءة جميع سوره من غير لحاظ ترتيب خاصّ بينها. أو الحفظ كان بمعنى الاحتفاظ على جميع القرآن النازل لحدّ ذلك والتحفظ عليه دون الضياع والتفرقة، الأمر الذي لا يدلّ على وجود ترتيب خاصّ كان بين سوره كما هو الآن.

هذا. وقد ذهب الى ترجيح هذا الرأي أيضاً، سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ١٥.

(١) الإتيان: ج ١ ص ٦٢.

(دام ظله) نظراً الى الأمور التالية:

أولاً: أحاديث جمع القرآن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسها متناقضة، تتضارب مع بعضها البعض، ففي بعضها تحديد زمن الجمع بعهد أبي بكر، وفي آخر بعهد عمر وفي ثالث بعهد عثمان. كما أن البعض ينص على أن أول من جمع القرآن هو زيد بن ثابت. وآخر ينص على أنه أبو بكر، وفي ثالث أنه عمر.. الى أمثال ذلك من تناقضات ظاهرة.

ثانياً: معارضتها بأحاديث دلت على أن القرآن كان قد جمع على عهده (صلى الله عليه وآله) منها حديث الشعبي، قال: جمع القرآن على عهده (صلى الله عليه وآله) ستة أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد. وفي حديث أنس أنهم أربعة: أبي، ومعاذ، وزيد، وأبو زيد. وأمثال ذلك.

ثالثاً: منافاتها مع آيات التحدي، التي هي دالة على اكتمال سور القرآن وتسايز بعضها عن بعض. ومتنافية أيضاً مع إطلاق لفظ الكتاب على القرآن في لسانه (صلى الله عليه وآله وسلم) الظاهر في كونه مؤلفاً كتاباً بمجموعتين دفتين.

رابعاً: مخالفة ذلك مع حكم العقل بوجوب اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله) بجمعه وضبطه عن الضياع والإهمال.

خامساً: مخالفته مع إجماع المسلمين، حيث يعتبرون النص القرآني متواتراً عن النبي نفسه (صلى الله عليه وآله) في حين أن بعض هذه الروايات تشير الى اكتفاء الجامعين بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشهادة رجلين أو رجل واحد!

سادساً: استلزام ذلك تحريفاً في نصوص الكتاب العزيز، حيث طبيعة الجمع المتأخر تستدعي وقوع نقص أو زيادة في القرآن. وهذا مخالف لضرورة الدين^(١).

(١) راجع البيان في تفسير القرآن: ص ٢٥٧-٢٧٨.

وزاد بعضهم: ان في المناسبة الموجودة بين كل سورة مع سابقتها ولاحقتها لدليلاً على ان نظمها وترتيبها كان بأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) اذ لا يعرف المناسبة بهذا الشكل المبدع البالغ حد الإعجاز غيره (صلى الله عليه وآله).

لكن يجب ان يعلم: ان قضية جمع القرآن حدث من احداث التاريخ، وليست مسألة عقلانية قابلة للبحث والجدل فيها. وعليه فيجب مراجعة النصوص التاريخية المستندة، من غير ان يكون مجال لتجوال الفكر فيها على أية حال!

وفد سبق اتفاق كلمة المؤرخين ونصوص ارباب السير واخبار الامم، ووافقهم اصحاب الحديث طراً، على ان ترتيب السور شيء حصل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولم يكن بالترتيب الذي نزلت عليه السور. وبعد.. فلا نرى اي مناقضة بين روايات جمع القرآن، اذ لا شك ان عمر هو الذي اشار على ابي بكر بجمع القرآن، وهذا الأخير امر زيداً ان يتصدى القضية من قبله، فيصح اسناد الجمع الأول الى كل من الثلاثة بهذا الاعتبار.

نعم نسبة الجمع الى عثمان كانت باعتبار توحيده للمصاحف ونسخها في صورة موحدة. وأما نسبة توحيد المصاحف الى عمر فهو من اشتباه الراوي قطعاً. لأن الذي فعل ذلك هو عثمان بإجماع المؤرخين.

وحديث ستة أو أربعة جمعوا القرآن على عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) فعناه: الحفظ عن ظهر القلب، حفظوا جميع الآيات النازلة لحد ذلك الوقت، أما الدلالة على وجود نظم كان بين سورة فلا.

وأما حديث التحدي فكان بنفس الآيات والسور، وكل آية أو سورة قرآن، ولم يكن التحدي يوماً ما بالترتيب القائم بين السور، كي يتوجه الاستدلال المذكور!

على أن المتحدّي وقع في سور مكيّة أيضاً^(١)، ولم يجمع القرآن قبل الهجرة قطعياً.

واهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن القرآن، شيء لا ينكر، ومن ثم كان حريصاً على ثبت الآيات ضمن سورها فور نزولها، وقد حصل النظم بين آيات كلّ سورة في حياته (صلى الله عليه وآله) أمّا الجمع بين السور وترتيبها كمصحف موحد، فلم يحصل حينذاك، نظراً لترقب نزول قرآن عليه، فلم ينقطع الوحي لا يصحّ جمع القرآن بين دفتين ككتاب. ومن ثمّ لمّا أيقن بانقطاع الوحي بوفاة (صلى الله عليه وآله)، أوصى إلى علي (عليه السلام) بجمعه.

ومعنى تواتر النص القرآني: هو القطع بكونه قرآناً، الأمر الذي كان يحصل بأخبار جماعة وشهادة آخرين بأنّه قرآن ولاسيّما من الصحابة الأوّلين، الأمر الذي كان قد التزمه زيد في الجمع الأوّل كما يأتي. وليس التواتر هنا بمعناه المصطلح عند المتأخّرين.

وأما استلزام تأخّر الجمع تحريفاً في كتاب الله، فهو احتمال مجرّد لا سند له بعد معرفتنا بضبط الجامعين وقرب عهدهم بنزول الآيات وشدة احتياطهم على الوحي بما لا يدع مجالاً لتسرّب احتمال زيادة أو نقصان.

وأخيراً فإنّ قولة البعض الأخيرة، فهي لا تعدو خيالاً فارغاً إذ لا مناسبة ذاتيّة بين كلّ سورة وسابقتها أو تاليها، سوى ما زعمه بعض المفسّرين المتكلّفين، وهو تمحل باطل بعد إجماع الأمة على أنّ ترتيب السور كان على خلاف ترتيب النزول بلا شك. وقد تقدّم حديث الفساطيط المضروبة لتعليم القرآن على خلاف الترتيب المألوف^(٢).

(١) يونس: ٣٨. وهود: ١٣. والاسراء: ٨٨. وهنّ مكيات.

(٢) إرشاد المفيد: ص ٣٦٥ ط نجف. وبحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٣٩ ح ٨٥.

وقد يتراءى لبعض الباحثين الجّدّد، أن التعبير بلفظ «المصحف» الوارد في أحاديث الرسول وعلى لسانه - صلى الله عليه وآله - ليصلح شاهداً على وقوع الجمع وتنسيق السور مع بعضها، في ذلك العهد، إذ لو لم يكن هناك تدوين وجمع، بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن، لما صحّ هذا التعبير ولا كان ثمة مبرّر لاطلاق لفظ «مصحف» أو «مصحف» على القرآن^(١).

لكن لا موضع لهذا الاستشهاد، بعد أن كان «المصحف» اسماً لمجموعة صحائف مكتوبة انضم بعضها إلى بعض، وربما ربطت بخيط ونحوه، أو وضعت في ملفّة أو إضبارة وما شاكل، حفظاً لها عن التفرق والضياع، سواء أكان بينها تنسيق ونظم، ليصح إطلاق التدوين عليها، أم لم يكن.

قال ابن دريد: والصُّحف، واحدتها صحيفة، وهي القطعة من آدم أبيض أو رقّ يكتب فيه. وتجمع صحائف، وربما جمعوا الصحيفة صحافاً... والمصحف - بكسر الميم - لغة تميمية، لأنه صحفٌ جُمعت، فأخرجوه مخرج مفعّل ممّا يتعاطى باليد. وأهل نجد يقولون: المصحف - بضم الميم - لغة علوية، كأنهم قالوا: أٌصحف فهو مصحف إذا جمع بعضه إلى بعض^(٢).

وقال الخليل: وسُمّي المصحف مصحفاً، لأنه أٌصحف، أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين^(٣).

وكانت السورة القرآنية تكتمل وتكتب آياتها منظمة ومرتبّة حسب النزول، حتى تنزل سورة أخرى بنزول بسمليتها. وكانت تكتب في ورقة من قرطاس أو قطعة من أديم أورق، وتحفظ برأسها. وهكذا كل سورة سورة. ومن طبيعة الحال أن هذه السور المكتملة كانت تحتفظ وتجمع في مكان. في نحو ملفّة أو إضبارة ونحو ذلك. ولكن من غير أن يجعل بينها ترتيب أو تنظم بتقديم الطوال على القصار على غرار

(١) حقائق هامة: ص ٨٢.

(٢) جوهرة اللغة: ج ٢ ص ١٦٢.

(٣) العين: ج ٣ ص ١٢٠.

تنظيمها الحاضر. وذلك لأن القرآن لما ينته نزوله. وكان يترتب نزول سور وآيات، مادام الوحي القرآني لم ينقطع، والرسول - صلى الله عليه وآله - على قيد الحياة. إذن فمجموعة السور النازلة في كل عام ولحدّ ذلك الحين، وكانت مكتوبة على صحائف، كانت تُحفظ في وعاء، وربما كانت متعددة لدى الصحابة، كلُّ له مجموعة منها في بيته وبذلك صَحَّ إطلاق لفظ «المصحف» على كلّ من تلك المجموعات، بهذا الاعتبار لا غير.

وبذلك تعرف ترادف لفظي القرآن والمصحف، غير أن الأول كان باعتبار اللفظ المقروء، وكان الثاني باعتبار اللفظ المكتوب على صحيفة. فكما أن القرآن يطلق على قليله وكثيره، ومن غير دلالة على تنسيق سوره ذلك الحين، فكذلك لفظ المصحف من غير فرق.

ومن ثمّ نجد تبديل لفظ المصحف بالقرآن في نفس الروايات التي استشهد بها المستدلّ. وقد اعترف بذلك (١). هذا على فرض صحة اسناد الروايات التي جاء فيها لفظ «المصحف» مسنداً له إلى النبي - صلى الله عليه وآله - ولم يكن من تعبير الراوي، نقلاً بالمعنى حسب متفاهم عهده المتأخر، والأرجح أنه كذلك نقل بالمعنى لا بالنص! إذاً لا يملك معارضونا دليلاً يثبينا عن الذي عزمنا عليه من تفصيل حديث الجمع (٢)، وإليك :

جمع علي بن أبي طالب (عليه السلام):

أول من تصدّى لجمع القرآن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة، وبوصية منه (٣) هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) قعد في بيته مشغلاً بجمع القرآن وترتيبه على منازل، مع شروح وتفسير لمواضع مبهمّة من الآيات، وبيان

(١) الحقائق: ص ٨٥. (٢) وقد عرفت كلام الطباطبائي ص ٢٨٠ رقم ٢.

(٣) راجع تفسير القمي: ص ٧٤٥. وبحار الأنوار ج ٩٢ ص ٤٨٥ و ص ٥٢ ح ١٨.

أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتى أكمله على هذا اللفظ البديع.
قال ابن النديم- بسند يذكره: إن علياً (عليه السلام) رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقسم أن لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن. فجلس في بيته ثلاثة أيام^(١) حتى جمع القرآن. فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قبله^(٢) وكان هذا المصحف عند آل جعفر.
قال: ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني (رحمه الله) مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن^(٣).
وهكذا روى أحمد بن فارس عن السدي عن عبد خير عن علي (عليه السلام)^(٤).

وروى محمد بن سيرين عن عكرمة، قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته يجمع القرآن. قال: قلت لعكرمة: هل كان تأليف غيره كما انزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يألفوه هذا التأليف ما استطاعوه.

قال ابن سيرين: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه^(٥).

(١) ولعله سهو من الراوي: لأن الصحيح أنه (عليه السلام) أكمل جمع القرآن لمدة ستة أشهر، كان لا يرتدي خلالها إلا الصلاة. المناقب: ج ٢ ص ٤٠.

(٢) قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي، ووجهه علي بعد موت رسول الله بستة أشهر. نفس المصدر.

(٣) الفهرست: ص ٤٧-٤٨.

(٤) في كتابه «الصاحبي» ص ١٦٩. هامش تأويل مشكل القرآن: ص ٢٧٥ ط ٢.

(٥) الإتيقان: ج ١ ص ٥٧. وراجع الطبقات: ج ٢ ص ١٠١. والاستيعاب بهامش الاصابة: ج ٢ ص ٢٥٣.

قال ابن جزى الكلبي: كان القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال فلما توفي جمعه علي بن أبي طالب على ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد^(١).

قال الإمام الباقر (عليه السلام): ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب. وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي بن أبي طالب^(٢).

قال الشيخ المفيد في المسائل السروية: وقد جمع أمير المؤمنين (عليه السلام) القرآن المنزل من أوله إلى آخره، وآلفه بحسب ما وجب تأليفه، فقدم المكي على المدني والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شيء منه في حقه^(٣).

وقال العلامة البلاغي: من المعلوم عند الشيعة أن علياً أمير المؤمنين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يرتد برداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه. وأخرج ابن سعد وابن عبد البر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين، قال: ثبت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر، فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: آليت يميني أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن. قال: فزعموا أنه كتبه على تنزيله. قال محمد: فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم^(٤).

قال ابن حجر: وقد ورد أن علياً جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخرجه ابن أبي داود^(٥).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ج ١ ص ٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٨٨ ح ٢٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) آلاء الرحمن: ج ١ ص ١٨ بالهامش. وراجع الطبقات: ج ٢ ص ١٠١ والاستيعاب بهامش الإصابة:

ج ٢ ص ٢٥٣.

(٥) الإقنان: ج ١ ص ٧١-٧٢.

قال ابن شهر آشوب: ومن عجب أمره في هذا الباب أنه لا شيء من العلوم إلا وأهله يجعلون علماً قدوة، فصار قوله قبلة في الشريعة. فنه سمع القرآن. ذكر الشيرازي في نزول القرآن عن ابن عباس قال: ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعده علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: فجمع الله القرآن في قلب علي، وجمعه علي بعد موت رسول الله بستة أشهر...

قال: وفي أخبار أبي رافع: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في مرضه الذي توفي فيه - لعل: يا علي هذا كتاب الله خذ به إليك، فجمعه علي في ثوب ومضى إلى منزله، فلما قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جلس علي فألفه كما أنزل الله، وكان به عالماً.

قال: وحدثني أبو العلاء العطار، والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن علي بن رباح: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه.

وروى أبونعيم في الحلية والخطيب في الأربعين بالإسناد عن السدي، عن عبدخير، عن علي (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقسمت أن لا أضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن.

قال: وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام: أنه (عليه السلام) آلى على نفسه أن لا يضع ردائه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع مع الالة. فقالوا: لإمر ما جاء أبو الحسن، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنني مخلف فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي. وهذا الكتاب، وأنا العترة. فقام إليه الثاني وقال له: إن يكن عندك

قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما. فحمل (عليه السلام) الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجة.

وفي خبر طويل عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنه حمله وولّى راجعاً نحو حجرته، وهو يقول: «فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ» (١).

وصف مصحف علي (عليه السلام):

امتاز مصحفه (عليه السلام) أولاً: بترتيبه الموضوع على ترتيب النزول، الأول فالأول في دقة فائقة.

ثانياً: إثبات نصوص الكتاب كما هي من غير تحوير أو تغيير أو أن تشذ منه كلمة أو آية.

ثالثاً: إثبات قراءته كما قرأه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرفاً بحرف.

رابعاً: اشتماله على توضيحات - على الهامش طبعاً - وبيان المناسبة التي استدعت نزول الآية، والمكان الذي نزلت فيه، والساعة التي نزلت فيها، والأشخاص الذين نزلت فيهم.

خامساً: اشتماله على الجوانب العامة من الآيات بحيث لا تخص زماناً ولا مكاناً ولا شخصاً خاصاً. فهي تجري كما تجري الشمس والقمر. وهذا هو المقصود من التأويل في قوله (عليه السلام): ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل (٢).

فالتنزيل هي المناسبة الوقتية التي استدعت النزول. والتأويل هو بيان

(١) المناقب: ج ٢ ص ٤٠-٤١. آل عمران: ١٨٧. وراجع بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٥١-٥٢ ح ١٨.

(٢) آلاء الرحمن: ج ١ ص ٢٥٧.

المجرى العام.

كان مصحف علي (عليه السلام) مشتملاً على كل هذه الدقائق التي أخذها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غير أن ينسى منها شيئاً أو يشبهه عليه شيء.

قال (عليه السلام): ما نزلت آية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي. وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فأنسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي مادعا^(١).

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قدم أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة، صلى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم سُبْح اسم ربك الأعلى، فقال المنافقون: لا والله ما يحسن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن، ولو أحسن أن يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السورة! قال: فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) فقال: ويلهم إني لأعرف ناسخه من منسوخه ومحكمه، من متشابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه، والله ما من حرف نزل على محمد (صلى الله عليه وآله) إلا آتني أعرف فيمن أنزل وفي أي يوم وفي أي موضع. ويلهم أما يقرأون: «إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى»^(٢) والله عندي، ورثتهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أنهي رسول الله (صلى الله عليه وآله) من إبراهيم وموسى (عليهما السلام) ويلهم والله أنا الذي أنزل الله في: «وَتَعْنِيهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ»^(٣) فإنما كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيخبرنا بالوحي فاعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟^(٤)

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ١٦ ح ١٤.

(٢) الأعلى: ١٨-١٩.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٤ ح ١.

هذا ... ولليعقوبي وصف غريب عن مصحف علي (عليه السلام): يجرّؤه سبعة أجزاء كلّ جزء يحتوي على ستّ عشرة أو خمس عشرة سورة، لتكون مجموع السور مائة وإحدى عشرة سورة!! وكلّ جزء لابدّ أن تبلغ آياته ثمانمائة وستاً وثمانين آية، فيكون مجموع آيات المصحف ستة آلاف واثنين ومائتي آية! ويجعل مبدأ الجزء الأوّل: سورة البقرة ثم سورة يوسف ثم العنكبوت، وينتهي الى سورة الأعلى والبيّنة. ويسمّيه جزء البقرة.

ويجعل مبدأ الجزء الثاني: آل عمران ثم هود والحج، وينتهي الى سورة الفيل وقريش. ويسمّيه جزء آل عمران.

ويجعل مبدأ الجزء الثالث: سورة النساء، وآخره النمل. ويسمّيه جزء النساء.

ومبدأ الجزء الرابع: المائدة وآخره الكافرون. ومبدأ الجزء الخامس: الأنعام، ومنتهاه التكاثّر. ومبدأ الجزء السادس: الأعراف، ومنتهاه النصر. ومبدأ الجزء السابع: الأنفال وآخره الناس.

وهكذا يوزّع السور الطوال على مبادئ الأجزاء السبع ويتدرّج الى القصار ويسمي كلّ جزء باسم السورة التي بدأ بها^(١).

وهذا الوصف يخالف تماماً وصف الآخرين: إنّه كان مرتباً حسب النزول. قال جلال الدين: كان أوّل مصحف علي (عليه السلام) سورة اقرأ ثم سورة المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير... وهكذا الى آخر ترتيب السور حسب نزولها^(٢) ومن ثم فهذا الوصف مخالف لإجماع أرباب السير والتاريخ.

ومن الغريب أنّه جعل الم تنزيل والسجدة سورتين. وحّم والمؤمن سورتين. وطس والنحل سورتين. وطسم والشعراء سورتين. في حين أنّ كلّاً منها سورة

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١١٣.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٦٢.

واحدة. وعبر عن سورة الأنبياء بسورة اقتربت، في حين أنها تبتدئ بقوله تعالى: «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ».

وهذه الغفلة من مثل أحمد بن الواضح الكاتب الإخباري غريبة جداً!

أمد مصحف علي (عليه السلام):

روى سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) قال: لما رأى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) غدر الناس به لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه. وكان في المصحف والشظاظ والاشار والرقاع^(١).

وبعث القوم إليه ليباع فاعتذر باشتغاله بجمع القرآن، فسكتوا عنه أياماً حتى جمعه في ثوب واحد وختمه ثم خرج إلى الناس - وفي رواية اليعقوبي: حملة على جمل وأتى به إلى القوم^(٢) - وهم مجتمعون حول أبي بكر في المسجد، وخاطبهم قائلاً: إنني لم أزل منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مشغولاً بفسله وتجهيزه، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد ولم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها، وليس منه آية وقد أقرأتها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلمني تأويلها. إن تقولوا غداً إننا كنا عن هذا غافلين!

فقام إليه رجل من كبار القوم - وفي رواية أبي ذر: فنظر فيه فلان وإذا فيه أشياء^(٣) - فقال: يا علي، اردده فلا حاجة لنا فيه، ما أغنانا بما معنا من القرآن،

(١) المصحف: جمع صحيفة، وهي الورقة من كتاب أوقراطاس. والشظاظ: خشبة محددة، يجمع على أشظة. والأشار خشبة أو صفحة أو عظمة مرققة مصقولة والرقاع: جمع رقعة، وهي القطعة من الورق يكتب عليه.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١١٣.

(٣) احتجاج الطبرسي: ص ٨٢.

عَمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلَام) بَيْتَهُ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ عَلِي (عَلَيْهِ السَّلَام): أَمَا وَاللَّهِ مَا تَرَوْنَهُ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا أَبَدًا، إِنَّمَا كَانَ عَلِيٌّ أَنْ أَخْبَرَكُمْ حِينَ جُمِعَتْهُ لَتَقْرَأُوهُ^(٢).

وَقَدْ تَقَدَّمَ كَلَامُ ابْنِ النَّدِيمِ: كَانَ مَصْحَفُ عَلِيٍّ يَتَوَارَثُهُ بَنُو الْحَسَنِ^(٣) وَالصَّحِيفُ عِنْدَنَا: أَنَّ مَصْحَفَهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَتَوَارَثُهُ أَوْصِيَاؤُهُ الْإِثْمَةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ لَا يَرُونَهُ لِأَحَدٍ^(٤).

وَفِي عَهْدِ عُثْمَانَ حَيْثُ اخْتَلَفَتِ الْمَصَاحِفُ وَأَثَارَتْ ضَجَّةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، سَأَلَ طَلْحَةَ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) لِيُخْرِجَ لِلنَّاسِ مَصْحَفَهُ الَّذِي جُمِعَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَتَى بِهِ إِلَى الْقَوْمِ فَرَفَضُوهُ. قَالَ: وَمَا يَنْعُكَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - أَنْ تَخْرُجَ كِتَابَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ؟! فَكَفَّ (عَلَيْهِ السَّلَام) عَنِ الْجَوَابِ أَوَّلًا، فَكَّرَ طَلْحَةُ السُّؤَالَ، فَقَالَ: لَا أُرَاكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَجَبْتَنِي عَمَّا سَأَلْتُكَ مِنْ أَمْرِ الْقُرْآنِ أَلَا تَظْهَرُهُ لِلنَّاسِ؟

قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام): يَا طَلْحَةُ عَمْدًا كَفَفْتَ عَنِ جَوَابِكَ. فَأَخْبَرَنِي عَمَّا كَتَبَهُ الْقَوْمُ أَقْرَأْنِ كُلَّهُ أَمْ فِيهِ مَا لَيْسَ بِقُرْآنٍ؟ قَالَ طَلْحَةُ: بَلْ قُرْآنٌ كُلَّهُ. قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام): إِنْ أَخَذْتُمْ بِمَا فِيهِ نَجُوتُمْ مِنَ النَّارِ وَدَخَلْتُمْ الْجَنَّةَ.. قَالَ طَلْحَةُ: حَسْبِي أَمَّا إِذَا كَانَ قُرْآنًا فَحَسْبِي^(٥).

هَكَذَا حَرَصَ الْإِمَامُ وَأَوْصِيَاؤُهُ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) عَلَى حِفْظِ وَحْدَةِ الْإِثْمَةِ فَلَا تَخْتَلِفُ بَعْدَ اجْتِمَاعِهَا عَلَى مَا هُوَ قُرْآنٌ كُلَّهُ.

(١) كِتَابُ سَلِيمِ بْنِ قَيْسٍ: ص ٧٢.

(٢) تَقْسِيرُ الصَّافِي: ج ١ ص ٢٥.

(٣) الْفَهْرَسْتُ: ص ٤٨.

(٤) بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج ٩٢ ص ٤٢ ح ١.

(٥) سَلِيمُ بْنُ قَيْسٍ: ص ١١٠. وَبَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج ٩٢ ص ٤٢ ح ١.

جمع زيد بن ثابت:

كان ذاك الرفض القاسي لمصحف علي (عليه السلام) يستدعي التفكير في القيام بمهمة جمع القرآن مهما كلف الأمر، بعد أن أحسّ الناس بضرورة جمع القرآن في مكان، ولا سيما كانت وصية نبيّهم (صلى الله عليه وآله) بجمعه لئلا يضيع، كما ضيّعت اليهود توراتهم^(١).

هذا والقرآن هو المرجع الأوّل للتشريع الإسلامي، والأساس الركين لبناية صرح الحياة الاجتماعية في كافة شؤونها المختلفة آنذاك، ولا يصحّ أن يبقى مفترقاً على العصب واللعاف أوفي صدور الرجال، ولا سيما وقد استحر القتل بكثير من حامله، ويوشك أن يذهب القرآن بذهاب حامله، فقد قتل منهم سبعون في واقعة اليمامة، وفي رواية: أربع مائة^(٢).

وهذه الفكرة أبداها عمر بن الخطاب، واقترح على أبي بكر - وهو وليّ المسلمين يوم ذاك - أن ينتدب لذلك من تتوفر فيه شرائط القيام بهذه المهمة الخطيرة، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت، وهو شاب حدث فيه مرونة حداثة السن، وله سابقة كتابة الوحي أيضاً. فقد ملك الجدارة الذاتية من غير أن يخشى منه على جوانب الخلافة الفتية في شيء، كما كان يخشى من غيره من كبار الصحابة، وفيهم شيء من المناعة والجموح وعدم الانقياد التام لميول السلطة واتجاهاتها آنذاك.

قال زيد: أرسل اليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، وعمر جالس عنده. قال: إنّ هذا - وأشار إلى عمر - أتاني وقال: إنّ القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء

(١) تفسير القمي: ص ٧٤٥.

(٢) فتح الباري: ج ٧ ص ٤٤٧. وفي تفسير الطبري: ج ٣ ص ٢٩٦. قتل من المهاجرين والأنصار من قسبة المدينة يومئذ ثلثمائة وستون ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ثلثمائة ومن التابعين ثلثمائة، وفي كتاب أبي بكر إلى خالد: ص ٣٠٠: دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يحفظ بعد...

القرآن، وأخاف أن يستحربهم القتل في سائر المواطن فيذهب كثير من القرآن، وأشار عليّ بجمع القرآن. فقلت لعمر كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: هو والله خير. فلم يزل يراجعني عمر حتى شرح الله صدرني لذلك، ورأيت الذي رأى عمر!

قال زيد: قال لي أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتتبع القرآن واجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من مكانه لم يكن أثقل عليّ مما كلفوني به قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فلم يزل أبو بكر وعمر يلحان عليّ حتى شرح الله صدرني للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

قال زيد: فقممت اتتبع القرآن أجمعه من العصب والخفاف وصدور الرجال... (١).

مركز تحقيق المخطوطات العربية

منهج زيد:

قام زيد بتنفيذ الفكرة، فجمع القرآن من العصب والخفاف والأدم والقراطيس، وكانت متفرقة على أيدي الصحابة أو في صدورهم، وعاونه على ذلك جماعة.

وأول عمل قام به: أن وجه نداء عاماً إلى ملأ الناس: «من كان تلقى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من القرآن فليأت به». وألف لجنة من خمسة وعشرين عضواً. كما جاء في رواية اليعقوبي (٢). وكان عمر يشرف عليهم بنفسه.

(١) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٥. ومصاحف السجستاني: ص ٦. والكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٦.

وج ٢ ص ٢٤٧. والبرهان: ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١١٣.

وكان اجتماعهم على باب المسجد يومئذ، والناس يأتونهم بأي القرآن وسوره، كل حسب ماعنده من القرآن.

وكانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتى يأتي بشاهدين يشهدان بصحة ماعنده من قرآن. سوى خزيمة بن ثابت، أتى بالآيتين آخر سورة براءة، فقبلوهما منه من غير استشهاد، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) اعتبر شهادته وحده شهادتين^(١).

قال زيد: ووجدت آخر سورة براءة مع [أبي] خزيمة الأنصاري لم أجده مع أحد غيره^(٢) وسنتكلم عما جاء بين المعقوفتين.

ومن غريب الأمر: أن عمر جاء بآية الرجم وزعمها من القرآن: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله» لكنه واجه بالرفض، ولم تقبل منه، لأنه لم يستطع أن يقيم على ذلك شاهدين^(٣) وبقي أثر ذلك في نفس عمر، فكان يقول - أيام خلافته -: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبها بيدي - يعني آية الرجم^(٤). *مركز تحقيق كتب التراث الإسلامي*

ثم أن زيدا لم ينظم سور القرآن ولم يرتبهن كمصحف، وإنما جمع القرآن في صحف، أي اودع الآيات والسور في صحف وجعلها في ملف، فكان جمعاً عن التفرقة والضياع، ومن ثم لم يسمّ جمعه مصحفاً.

قال المحاسبي: كان القرآن مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق فيها القرآن منتشراً، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء^(٥).

(١) راجع اسد الغابة: ج ٢ ص ١١٤. ومصاحف السجستاني: ص ٦-٩.

(٢) الإقنان: ج ١ ص ٥٨.

(٣) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٢٦١. والبرهان: ج ٢ ص ٣٥. والإقنان: ج ٢ ص ٢٦.

(٥) الإقنان: ج ١ ص ٥٩.

وقال ابن حجر: والفرق بين الصحف (التي جاءت في رواية جمع زيد) والمصحف: أنَّ المصحف هي الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكانت سوراً مفترقة، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة، لكن لم يرتب بعضها إثر بعض، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفاً^(١).

وقال أحمد أمين: وفي عهد أبي بكر أمر بجمع القرآن، لكن لا في مصحف واحد، بل جمعت الصحف المختلفة التي فيها آيات القرآن وسوره، وأودعت الصحف الكثيرة التي فيها القرآن عند أبي بكر^(٢).

وقال الزرقاني: صحف أبي بكر كانت مرتبة الآيات دون السور^(٣).

وهذه الصحف أودعت عند أبي بكر، فكانت عنده مدة حياته، ثم صارت عند عمر، وبعده كانت عند ابنته حفصة، وفي أيام توحيد المصاحف استعارها عثمان منها ليقابل بها النسخ، ثم ردها إليها، فلما توفيت أخذها مروان. يوم كان والياً على المدينة من قبل معاوية من ورثتها وأمر بها فشقت^(٤).

جاء في نص البخاري: ووجدت آخر سورة براءة مع أبي خزيمة... ومن ثم يتساءل البعض: من هو أبو خزيمة؟

قال القسطلاني: هو: ابن أوس بن يزيد بن حزام، المشهور بكنيته من غير أن يعرف اسمه^(٥).

واحتمل ابن حجر: أنه الحرث بن خزيمة، كما جاء في رواية أبي داود^(٦). والصحيح أنه من زيادة الراوي أو الناسخ خطأ، وإنما هو خزيمة من غير إضافة الأب إليه. بدليل أن زيدا قبل شهادته مكان شهادتين. وليس في

(٤) ارشاد الباري: ج ٧ ص ٤٤٩.

(٥) فتح الباري: ج ٧ ص ٤٤٧.

(٦) فتح الباري: ج ٩ ص ١٢.

(١) فتح الباري: ج ٩ ص ١٦.

(٢) فجر الاسلام: ص ١٩٥.

(٣) مناهل العرفان: ج ١ ص ٢٥٤.

الصحابة من يتسم بهذه السمة الخاصة سواء^(١) وهكذا جزم الإمام بدر الدين الزركشي أنه خزيمة الذي جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهادته بشهادة رجلين^(٢) ومن ثم أدرجه في النص هكذا بلا إضافة الأب^(٣).

أو يقال: إن أبا خزيمة هو خزيمة بن ثابت، كان يقال له: أبوخزيمة أيضاً، كما جاء في نص ابن اشتة: أبوخزيمة بن ثابت^(٤).

وفي سائر الروايات - غير رواية البخاري - خزيمة بن ثابت، بلا إضافة الأب^(٥)، ومن ثم رجحنا خطأ النسخة.

وسؤال آخر: ماذا كان يعني بالشاهدين في جعلهما شرط قبول النص القرآني؟ كما جاء في نص ابن داود بإسناد معتبر، وتلقته أئمة الفن بالقبول^(٦).

قال ابن حجر: وكأن المراء بالشاهدين: الحفظ والكتابة^(٧). وقال السخاوي: شاهدان يشهدان على أن ذلك المكتوب كُتب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو المراد: أنهما يشهدان بصحة قراءتها، وأنها من الوجوه التي نزل بها القرآن.

قال أبوشامة: وكأن الغرض من ذلك أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا من مجرد الحفظ.

قال جلال الدين: أو المراد: أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي (صلى الله عليه وآله) عام وفاته، وكانت هي القراءة الأخيرة التي اتفق عليها الصحابة ويقرؤها الناس اليوم^(٨).

قلت: المراد: أن شاهدين عدلين - أحدهما الذي أتى بالآية وعدل آخر -

(١) راجع الطبقات: ج ٤ ص ٩٠.

(٢) البرهان: ج ١ ص ٢٣٤.

(٣) البرهان: ج ١ ص ٢٣٩.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ٥٨.

(٥) راجع الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٩٦.

(٦) راجع الإتيان: ج ١ ص ٥٨.

(٧) فتح الباري: ج ٩ ص ١٢.

(٨) راجع الإتيان: ج ١ ص ٥٠ و ٥٨.

يشهدان بسماعهما قرآناً من النبي (صلى الله عليه وآله) بدليل قبول شهادة خزيمة بن ثابت الذي جاء بآخر سورة براءة، مكان شهادة رجلين. وهكذا جاء في نص ابن اشته، أخرجه في المصاحف عن الليث بن سعد، قال: وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وأن آخر سورة براءة لم يجدها إلا مع أبي خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، فقال: اكتبوها، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب. وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنه كان وحده^(١).

شكوك واعتراضات:

يقول بلاشير: لماذا اختار أبو بكر لهذه المهمة الخطيرة مثل زيد وهو شاب حدث لم يتجاوز العشرين، في حين وجود ذوي الكفاءات من كبار الصحابة؟ ولنفرض عكورة المورد حالت دون اللجوء الى شخصيّة كبيرة مثل علي بن أبي طالب فلماذا أغفلوا سائر فضلاء الصحابة ممن لهم سابقة وعهد قديم بنزول القرآن وصحبة الرسول؟ وهل أن واقعة اليمامة أطاحت بجميع قراء الصحابة القدامى، ولم يبق سوى زيد وهو حديث العهد بالقراءة وبالقرآن؟ الأمر الذي يثير شكوكنا في القضية ولانكاد نصدق بأن زيدا هو الذي جمع القرآن.

اضف الى ذلك أن التاريخ لم يحدّد بالضبط بدء قيامه بهذا العمل، ومتى انتهى منه؟ فلو صحّ أنه قام بجمع القرآن بعد واقعة اليمامة، لكان بقي من عمر أبي بكر خمسة عشر شهراً، وهذه فترة تضيق بإنجاز هكذا عمل خطير، الذي يتطلب جهوداً واسعة لجمع المصادر والالتقاء مع رجال كانت عندهم آيات أو سور وكانوا قد انتشروا في البلاد، فإن هذا وذاك يتطلبان وقتاً أوسع وأعواناً كثيرين، ممّا لا يمكن إنجازها في تلك المدة القصيرة.

هذا والرواية تقول: إن زيدا جمع القرآن في صحف وأودعها عند أبي بكر، ثم صارت عند عمر ثم ورثها ابنته حفصة.!

فإذا كانت الغاية من جمع القرآن هي ملاحظة المصلحة العامة كما ينبئ على ذلك أن ورثة أبي بكر لم يختصوا بتلك الصحف، وإنما انتقلت إلى عمر، الخليفة بعده، فلماذا خصصها عمر بابنته حفصة ولم يجعلها في متناول المسلمين عاماً؟ كما أنه لم يصار إلى الصحف وديعة اختصاصية عند أبي بكر من غير أن تجعل في مكان هو معرض عام؟

وهكذا اعترض المستشرق شفالي على قضية جمع زيد للقرآن. والذي يستنتجه بلاشير من شكوكه هذه: أن كبار الصحابة هم الذين قاموا بجمع القرآن بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورتبوه ورتبوا سورة، الأمر الذي كانت وظيفة الخلافة الإسلامية أن تقوم به ولكنها غفلت عنه. وربما أدت هذه الغفلة إلى الطعن في القائمين بأعضادها. ومن ثم أوعزت إلى شاب حدث لا يهتموه أن ينسخ عن بعض مصاحف الصحابة مصحفاً يمتاز به الخليفة أيضاً أما أصل القيام بجمع القرآن فلا^(١).

قلت: إذا كانت شرائط إنجاز عمل - مهما كان ضخماً - متوفرة، وفي المتناول القريب، فإن إنجازه يتحقق في أقرب وقت ممكن. ولا سيما إذا كان العمل فورياً يحاول المتصدون إنجازه في أقرب فرصة ممكنة. وهكذا كانت قضية جمع القرآن في الصدر الأول..

أما المصادر الأولية فكانت متوفرة في نفس المدينة، محفوظة على أيدي الصحابة الأمناء، وكان حملة القرآن وحفظته موجودين لا يفارقون مسجد سيدهم

(١) مترجم وملخص عن مجلة «خواندنيها» الفارسية في سنتها الثامنة العدد: ٤٤ بتاريخ ١٣ بهمن ١٣٢٦ هـ ش طهران.

الذي ارتحل من بينهم في عهد قريب -ليل نهار- والاتصال بهم سهل التناول. لاسيما وسور القرآن كانت مكتملة، وبقي جمعها في مكان، لا أكثر. إذن فقد كانت الأسباب مؤاتية والظروف مساعدة. أضف إليها: أن السلطة -وبيدها القدرة- إذا حاولت إنجاز هكذا عمل منتهى الأسباب، فإنه لا يستدعي طولاً في مدة العمل بعد توفر هذه الشروط.

هذا وزيد لم يعمل سوى جمع القرآن في مكان وحفظه عن الضياع والانبثاث ولم يعمل فيه نظماً ولا ترتيباً ولا أي عمل فكري آخر، فإنّ هكذا عملاً بسيطاً لا يتطلب جهوداً طويلة ولا فراغاً واسعاً.

نعم كانت الغاية من ذلك هي مراعاة المصلحة العامة: حفظ القرآن عن الضياع، الأمر الذي تحقق بإيداع الصحف المشتملة على تمام القرآن في مكان أمين ولم يكن يومذاك احتياج إلى مراجعة تلك الصحف بعد أن كان حفظ القرآن وحاملوه منتشرين بين أظهر الناس بكثرة، والناس يومذاك حافظون لجل آيات ترتبط والحياة المعيشية والسياسية وما أشبه.

هذا.. وفي أواخر عهد عمر أصبحت نسخ المصاحف المحتوية على جميع آي القرآن وسوره كثيرة، ومجموعة على أيدي كبار الصحابة الموثوق بهم رأى أن الحاجة العامة إلى تلك الصحف المودعة عنده هبطت إلى درجة نازلة جداً، ومن ثم تملكها هو، ولم تعد حاجة إليها سوى في دور توحيد المصاحف على عهد عثمان.

جدارة زيد:

وأما قضية اختيار مثل زيد هكذا عمل خطير..

فقال الزرقاني: إنّ أبا بكر رأى بنور الله أن يتدب لتحقيق هذا العمل رجلاً من خيرة رجالات الصحابة، هو زيد بن ثابت، لأنه اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان من حفاظ

القرآن. ومن كتاب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله). وشهد العرضة الأخيرة للقرآن. وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله. وشدة ورعه. وعظم أمانته وكمال خلقه. واستقامة دينه^(١).

تلك نعوت ثمانية عددها الزرقاني، زعمها متوفرة في زيد وحده، لم تجتمع جميعاً في غيره من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) الموجودين آنذاك!..
(١) هذا ما لا نكاد نصدقه بتاتاً!..

(٢) إنا نعلم: أن الذين جمعوا القرآن كله وحفظوه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد كان أمر الناس بالرجوع إليهم واستقراء القرآن منهم. على ما جاء في صحيح البخاري وغيره. أربعة، ليس فيهم زيد، هم: عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب. ومعاذ بن جبل. وسالم مولى خديفة^(٢).

وكانوا على وفرة من سائر النعوت التي ذكرها الزرقاني، فلماذا لم يختار أبو بكر واحداً من هؤلاء؟!

أما الذي شهد العرضة الأخيرة فهو ابن مسعود، ولم يكن زيدا!.. قال ابن عباس كان القرآن يعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل رمضان مرة إلا العام الذي قبض فيه، فإنه عرض عليه مرتين، وقد حضره عبدالله بن مسعود، فشهد ما نسخ وبذل^(٣).

هذا وسابقة ابن مسعود بالقرآن وبعناية الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي

(١) مناهل الفرقان: ج ١ ص ٢٤٣.

(١) صحيح البخاري: ج ٥ ص ٣٤ وج ٦ ص ٢٢٩.

وجاء في حديث أنس: لم يجمع القرآن على عهده (صلى الله عليه وآله) غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٣٠، لكنه زعم زعمه أنس ومن ثم رد عليه أئمة النقد والتحصيل. راجع فتح الباري: ج ٩ ص ٤٢. والإتقان: ج ١ ص ٧١.

وإذا كان زيد ممن جمع القرآن على عهده (صلى الله عليه وآله) فلماذا استعظم ذلك عند ما اقترح عليه أبو بكر أن يقوم بجمع القرآن؟!

(٣) الطبقات: ج ٢ ص ٣٤٢.

كان يعلمه القرآن من فيه معروفة^(١).

وكان أبي بن كعب أقرأ أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وقد أمره الله أن يعرض القرآن كله على أبي^(٢) وكان معروفاً بسيد القراء^(٣).

وكذلك معاذ بن جبل الذي قال الرسول (صلى الله عليه وآله) في حقه: هو إمام العلماء رتوة - أي اعتلاء - وخلفه في أهل مكة يفقههم ويقرهم القرآن^(٤).

الأمر الذي يجعل من زيد معوزاً كفاءة سائر الصحابة الكبار! كما أن قضية كتابته للوحي كانت عند فقد الآخرين - قال ابن عبد البر: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا لم يكن أبي بن كعب حاضراً دعى زيدا ليكتب له^(٥) هذا... ولم يأت الزرقاني لما ذكره من نعوت خاصة بمستند!

نعم، كان الذي يختص به زيد دون سائر رجالات الأصحاب هو: امتياز بصفة جاءت الإشارة إليها في نص البخاري: «إنك شاب عاقل! - لا تنتهمك».! كان ذائزعة متلئة مع أهداف السلطة القائمة، وقد أبدى ذلك يوم السقيفة، وقف موقف المدافع الحاد دون المهاجرين، وهو أنصاري قائل: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان من المهاجرين وكنّا أنصاره وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره... فانبسط وجه أبي بكر لهذا الكلام المبتكر وجزاه خيراً: قال: جزاكم الله خيراً من حيي يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم - يعني زيدا - والله لو قلتم غير هذا ماصالحناكم... وقال له يوماً: أنت عندنا كلنا أمين...^(٦).

(١) راجع صحيح البخاري: ج ٥ ص ٣٥ وج ٦ ص ٢٢٩ و ٢٣٠. والطبقات: ج ٢ ص ٣٥٥. ومستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٢) راجع صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٣٠. والطبقات: ج ٢ ص ٣٤١.

(٣) تهذيب التهذيب: ج ١ ص ١٨٧.

(٤) راجع الطبقات: ج ٢ ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٥) الاستيعاب بهامش الاصابة: ج ١ ص ٢٩ واسد الغابة: ج ١ ص ٥٠.

(٦) تهذيب ابن عساكر: ج ٥ ص ٢٤٤ و ٤٤٦ وج ٦ ص ١٣٢.

ولم ينس له ابوبكر هذا الموقف الخطير، ومن ثم انتدبه لجمع القرآن، معتمداً عليه كل الاعتماد، من غير أن يتهمه في عقله الذي كان يعرف اتجاه الرياح من اين تهب!

نعم كان على وفرة من الذكاء، وكان عند مقدم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة ابن أحد عشرة سنة فاستخدمه النبي لكتابة رسائله بالعبرية وقراءتها بعد أن كلّفه تعلّم العبريّة والخط في مدارس «ماسلة» اليهودية آنذاك^(١).

وتولّى كتابة المصاحف على عهد عثمان أيضاً في نفر من أغلّة قريش، سعيد بن العاصي وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمان بن الحارث^(٢).

مصاحف أخرى:

في الفترة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قامت جماعة من كبار الصحابة بتأليف القرآن وجمع سورة بين دفتين، كل ينظم وترتيب خاص، وكان يسمّى مصحفاً.

يقال: أول من جمع القرآن في مصحف، أي رتبّ سورة ككتاب منظم، هو سالم مولى حذيفة. فائتمروا فيما يسمّونه؟ فقال بعضهم: سمّوه السفر. فقال سالم: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه. فقال: رأيت مثله في الحبشة يسمّى المصحف. فاجتمع رأيهم على أن يسمّوه المصحف. أخرجه ابن أشته في كتاب المصاحف^(٣).

وهكذا قام بجمع القرآن ابن مسعود. وأبي بن كعب. وابوموسى الأشعري، وكان سمّى مصحفه: لباب القلوب^(٤). والمقداد بن الأسود. ومعاذ بن جبل.

(١) صحيح البخارى: ج ٦ ص ٢٢٦.

(١) الطبقات: ج ٢ ص ١١٥-١١٧.

(٣) الإتيقان: ج ١ ص ٥٨. وراجع المصاحف للسجستاني: ص ١١-١٤.

(٤) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥.

ويبدو من حديث العراقي الذي جاء الى عائشة يطلب إليها أن تريحه مصحفها أن لها أيضاً مصحف كان يخصها. روى البخاري عن ابن ماهد، قال: أتني عند عائشة إذ جاءها عراقي فسألها عن مسائل: منها: أنه طلب أن تريحه مصحفها، قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك. قالت: لم؟ قال: لعلني أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف. أي غير مرتب ولا منظم، ولا اختلاف الناس في نظم آيه وعددها^(١). قالت: وما يضرّك آيه قرأت... إلى أن قال: فأخرجت له مصحفاً وأملت عليه آي السور^(٢) أي عدد آيها.

وحاز بعض هذه المصاحف مقاماً رفيعاً في المجتمع الإسلامي آنذاك، فكان أهل الكوفة يقرأون على مصحف عبدالله بن مسعود وأهل البصرة يقرأون على مصحف أبي موسى الأشعري. وأهل الشام على مصحف أبي بن كعب. وأهل دمشق خاصة على مصحف المقداد بن الأسود. وفي رواية الكامل: أن أهل حمص كانوا على قراءة المقداد^(٣).

مركز تحقيق كويت علوم إسلامي

أمد هذه المصاحف:

كان أمد هذه المصاحف قصيراً جداً انتهى بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان. فذهبت مصاحف الصحابة عرضة التمزيق والحرق. قال أنس بن مالك: أرسل عثمان إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق^(٤). نعم حظيت بعض هذه المصاحف عمراً أطول، كالصحف التي كانت

(١) احتمله ابن حجر في فتح الباري: ج ٩ ص ٣٦.

(٢) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٨.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥. وراجع صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٥. والمصاحف للسجستاني: ص ١١-١٤. والبرهان: ج ١ ص ٢٣٩-٢٤٣.

(٤) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٦.

عند حفصة، طلبها عثمان ليقابل بها نسخ المصحف فأبت أن تدفعها إليه حتى عاهدها ليردنها عليها^(١) ومن ثم ردها وبقيت عندها حتى توفيت، فأمرها مروان فشقت.

ويبدو من رواية أبي بكر بن أبي داود: أن ولد أبي بن كعب كانوا قد احتفظوا بنسخة من مصحف أبيهم بعيداً عن آخرين قال: قدم اناس من العراق يريدون محمد بن أبي، فطلبوا إليه أن يخرج لهم مصحف أبيه! فقال: قد قبضه عثمان، فآلخوا عليه ولكن من غير جدوى، الأمر الذي كان يدل على مبلغ خوفه من الحكم القائم، فلم يخرجهم للعراقيين^(٢).

وفي رواية الطبري: أن ابن عباس دفع مصحفاً الى أبي ثابت، ووصفه بأنه على قراءة أبي بن كعب. وبقي الى أن انتقل الى نصير بن أبي الأشعث الأسدي الكوفي فاتاه يحيى بن عيسى الفاخوري يوماً وقرأ فيه: «فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى»^(٣) الأمر الذي يدل على أن هذا المصحف عاش حتى أواخر القرن الثاني، لأن يحيى بن عيسى توفي عام ٢٠١^(٤).

قال الفضل بن شاذان: أخبرنا الثقة من أصحابنا، قال: كان تأليف السور في قراءة أبي بن كعب بالبصرة في قرية يقال لها «قرية الأنصار» على رأس فرسخين عند محمد بن عبد الملك الأنصاري (توفي سنة ١٥٠). أخرج إلينا مصحفاً قال: هو مصحف أبي. رويناه عن آبائنا، فنظرت فيه فاستخرجت أوائل السور وخواتيم الرسل وعدد الآي..^(٥)

وجاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام) قول الصادق (عليه السلام): أما نحن فنقرأ على قراءة أبي- أي ابن كعب^(٦).

(٤) تهذيب التهذيب: ج ١١ ص ٢٦٣.

(٥) الفهرست لابن القديم: ص ٢٩.

(١) المصاحف للسجستاني: ص ٩.

(٢) المصاحف للسجستاني: ص ٢٥.

(٣) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٩.

(٦) وسائل الشيعة: باب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة ج ١٧ ص ١١ ح ٤.

أما ابن مسعود فامتنع أن يدفع مصحفه الى رسول الخليفة، وظلّ محتفظاً به في صرامة بالغة أدت الى مشاجرة عنيفة جرت بينه وبين عثمان، كان فيها إبعاده عن عمله وأخيراً حتفه.

عندما جاء رسول الخليفة الى الكوفة لأخذ المصاحف، قام ابن مسعود خطيباً قائلاً: أيها الناس إنني غالّ مصحفي، ومن استطاع أن يغلّ مصحفاً فليغلل، فإنه من غلّ يأت يوم القيامة بما غلّ ونعم الغلّ المصحف^(١).

وهكذا كان يحرض الناس على مخالفة الحكم القائم، الأمر الذي جرّ عليه الويلات، فأشخصه الخليفة الى المدينة وجرى بينهما كلام عنيف انتهى الى ضربه وكسر أضلاعه وإخراجه من المسجد بصورة مزرية.

روى الواقدي بإسناده وغيره: أن ابن مسعود لما استقدم المدينة دخلها ليلاً، وكانت ليلة جمعة، فلما علم عثمان، بدخوله، قال: أيها الناس إنه قد طرّكم الليلة دويبة، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح.

قال ابن مسعود: لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين...

وصاحت عائشة: يا عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! فقال عثمان: اسكتي.

ثم قال لعبدالله بن زمعة بن الأسود: أخرجه إخراجاً عنيفاً! فأخذه ابن زمعة، فاحتمله حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلاعه. فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان.

قال الراوي: فكأنني أنظر الى حموشة ساقى عبدالله بن مسعود، ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان، حتى أخرج من المسجد، وهو يقول: أنشدك الله

(١) المصاحف للسجستاني: ص ١٥.

الا تخرجني من مسجد خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ^(١).

قيل: واعتلّ ابن مسعود فأثاه عثمان يعبده، فقال له: ما كلام بلغني عنك؟ قال: ذكرت الذي فعلته بي، إنك أمرت بي فوطئ جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر، ومنعتني عطائي، قال عثمان: فإنني أقيدك من نفسي، فافعل بي مثل الذي فعل بك... وهذا عطاؤك فخذ: قال ابن مسعود: منعتني وأنا محتاج إليه، وتعطيني وأنا غني عنه! لا حاجة لي به... فأقام ابن مسعود مغاضبا لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمار بن ياسر في ستر من عثمان. وهكذا لمّامات المقداد صلى عليه عمار بوصية منه، فاشتد غضب عثمان على عمار. وقال: ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليا! ^(٢).

هذا... ورغم ذلك كله فقد بقي مصحفه متداولاً إلى أيام متأخرة: يقول ابن النديم (٢٩٧-٣٨٥هـ): رأيت عدة مصاحف ذكر نسخها أنها مصحف عبدالله بن مسعود، وقد كتب بعضها منذ مائتي سنة ^(٣). وهكذا يبدو من الزمخشري: أن هذا المصحف كان معروفاً حتى القرن السادس، لأنه يقول: وفي مصحف ابن مسعود كذا... وظاهر هذه العبارة أنه هو وجدها في نفس المصحف، لأنه منقول إليه ^(٤).

وصف عام عن مصاحف الصحابة:

كان الطابع العام الذي كانت المصاحف آنذاك تتسم به: هو تقديم السور الطوال على القصار نوعاً ما في ترتيب منهجي خاص:

(١) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ٣ ص ٤٣-٤٤.

(٢) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٦٠.

(٣) الفهرست: ص ٤٦.

(٤) راجع الكشف: ج ٢ ص ٤١٠ وج ٤ ص ٤٩٠.

١- ابتداء من السبع الطوال: البقرة، آل عمران، النساء، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس^(١).

٢- ثم المثني، وهي السور تربو آياتها على المائة، وهي ما تقرب من اثني عشرة سورة.

٣- ثم المثاني، وهي السور لا تبلغ آياتها المائة، وهي ما تقرب من عشرين سورة. وسميت مثاني لأنها ثني أي تكرر قراءتها أكثر مما تقرأ غيرها من الطوال والمثني.

٤- ثم الحواميم، وهي السور بدأت بـ «حم»: سبع سور.

٥- ثم الممتحنات، وهي تقرب من عشرين سورة.

٦- ثم المفصلات، تبتدئ من سورة الرحمن إلى آخر القرآن.

وسميت بذلك لقرب فواصلها وكثرة فصولها.

هذا هو الطابع العام لمصاحف الصحابة، والنظر في الأكثر إلى مصحف ابن مسعود. وإن كانت المصاحف تختلف مع بعضها في تقديم بعض السور على بعض وتأخيرها عنها، أو يزيد عدد سور بعضها على بعض. على تفصيل يأتي.

وصف مصحف ابن مسعود:

كان تأليف مصحف عبدالله بن مسعود وفق الترتيب التالي^(٢):

١- السبع الطوال: البقرة، النساء، آل عمران، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس.

(١) تلك السبع الطوال في مصاحف الصحابة، غير أن عثمان عمد إلى تقديم سورة الأنفال فزعمها مع

سورة براءة سورة واحدة جعلهما من السبع الطوال. وميأتي الكلام في ذلك راجع الإتيان: ج ١

ص ٦٠. ومستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) على ما جاء في نص ابن اشتة (الإتيان: ج ١ ص ٦٤) وأكملنا ما سقط منه على نص ابن النديم

(الفهرست: ص ٤٦) وأرمرنا له بعلامة (ن).

٢- المئين: براءة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات.

٣- المثاني: الأحزاب، الحج، القصص، النمل، النور، الأنفال، مريم، العنكبوت، الروم، يس، الفرقان، الحجر، الرعد، سبأ، فاطر، إبراهيم، ص، محمد (صلى الله عليه وآله)، لقمان، الزمر.

٤- الحواميم: المؤمن، الزخرف، فصلت، الشورى، الأحقاف، الجاثية، الدخان.

٥- الممتحنات: الفتح، الحديد(ن)، الحشر، السجدة، ق(ن)، الطلاق، القلم، الحجرات، الملك، التغابن، المنافقون، الجمعة، الصف، الجن، نوح، المجادلة، الممتحنة، التحريم.

٦- المفصلات: الرحمن، النجم، الطور، الذاريات، القمر، الحاقة(ن)، الواقعة، النازعات، المعارج، المذثر، المزمل، المطففين، عبس، الإنسان، المرسلات، القيامة، النبأ، التكويد، الانفطار، الغاشية، الأعلى، الليل، الفجر، البروج، الانشقاق، العلق، البلد، الضحى، الطارق، العاديات، الماعون، القارعة، البيئ، الشمس، التين، الهزلة، الفيل، قريش، التكاثر، القدر، الزلزال، العصر، النصر، الكوثر، الكافرون، المسد، التوحيد، الانشراح.

تلك مائة واحد عشر سورة. بإسقاط سورة الفاتحة وسورتي المعوذتين. على ما سنده.

جهة أخرى- اختص بها مصحف ابن مسعود:- إسقاطه سورة الفاتحة، لا اعتقاداً أنها ليست من القرآن، بل لأن الثبت في المصحف كان قيداً للسور دون الضياع، وهذه السورة (الفاتحة) مأمونة عن الضياع بذاتها، لا يزال المسلمون يقرأونها كل يوم عشر مرات أو أكثر. ذكره ابن قتيبة فيما يأتي. أو لعله رآها عدلاً للقرآن في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي

وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»^(١). والسبع المثاني هي سورة الفاتحة.

وعلى أي تقدير فقد اتفق أئمة الفن على خلق مصحفه من سورة الحمد، نقل ذلك ابن النديم عن الفضل بن شاذان، وقال: إنه أحد الأئمة في القرآن والروايات. ومن ثم يرجح ما ذكره الفضل على ما شهد به نفسه^(٢).

وقال جلال الدين السيوطي: وأما إسقاطه الفاتحة فقد أخرجه أبو عبيد بسند صحيح^(٣) وكان قد ذكر الرواية قبل ذلك^(٤).

وقال ابن قتيبة: وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لجهله بأنها من القرآن، كيف وهو أشد الصحابة عناية بالقرآن. ولم يزل يسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يؤم بها، ويقول: لا صلاة إلا بسورة الحمد، وهي السبع المثاني وأم الكتاب. لكنه ذهب فيما يظن أهل النظر (المحققون) إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين (الذقتين) مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون على سورة الحمد، لقصرها ولأنها تثني في كل صلاة، ولوجوب تعلمها على كل مسلم. فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف، ترك كتابتها، وهو يعلم أنها من القرآن^(٥).

جهة ثالثة: إسقاطه سورتي المعوذتين (الفلق والناس)، اعتقاداً منه أنها عوذة يتعوذ بها لدفع العين أو السحر، كما ورد أن النبي (صلى الله عليه وآله) تعوذ بهما من سحر اليهود، وقال: ما تعوذ متعوذ بأفضل من «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ...» و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...»^(٦).

وقد صحح الإسناد إلى ابن مسعود: أنه كان يحكّ المعوذتين من المصاحف، ويقول: لا تخطوا بالقرآن ما ليس منه، إنها ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبي

(١) الحجر: ٨٧.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ٦٥.

(٢) الفهرست: ص ٤٦.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ص ٤٨ - ٤٩ - ط ٢.

(٣) الإتيان: ج ١ ص ٨٠.

(٦) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤١٦ - ٤١٧.

(صلى الله عليه وآله) أن يتعوّذ بهما.. وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما في صلاته^(١). هذا.. وقد أنكر بعضهم صحة هذه النسبة الى ابن مسعود، كالرازي وابن حزم- فيما نقل عنها ابن حجر- وردّ عليها بصحة إسناد الرواية قال: والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل. بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل^(٢).

وأخذ الباقلاني في بيان هذا التأويل، قال: لم ينكر ابن مسعود كونها من القرآن، وإنما أنكر إثباتها في المصحف، فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً إلا أن كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أذن في كتابته فيه. وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك، فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونها قرآناً...

قال ابن حجر: وهذا تأويل حسن، إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك، حيث جاء فيها: ويقول إنها ليستا من كتاب الله. نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف، فيتمشى التأويل المذكور^(٣). قلت هذا التأويل الأخير أيضاً لا يلتئم مع قوله: «لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه»^(٤).

(ملحوظة): قديزعم البعض أن ما نسب الى ابن مسعود يناقض القول بتواتر النص القرآني!

لكن غير خفي: أن ابن مسعود لم ينكر كونها وحياً- بالمعنى العام- وإنما أنكر كونها وحياً قرآنياً- بسمة كونها من كتاب الله- فالافتراق على أن المعوذتين وحى من الله حاصل من الجميع، وإنما الاختلاف جاء في توصيفهما

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٥٧١. والدر المنثور: ج ٦ ص ٤١٦.

(٢) فتح الباري: ج ٨ ص ٥٧١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) الدر المنثور: ج ٦ ص ٤١٦-٤١٧.

الخاص: هل هما من كتاب الله (القرآن) أم لا؟. وهذا لا يضر بعد الاتفاق المذكور.

جهة رابعة: قال صاحب الإقناع: كانت البسملة ثابتة لبراءة في مصحف ابن مسعود. قال: ولا يؤخذ بهذا^(١).

ويعني بكلامه الأخير: أن ابن مسعود كانت له مخالفات شاذة، نبذها الصحابة والتابعون. ولعلها كانت اجتهادات شخصية خطأه الآخرون عليها. كمذهبه في التطبيق^(٢). قال ابن حزم: والتطبيق في الصلاة لا يجوز، لأنه منسوخ. وكان ابن مسعود يفعله، وكان يضرب الأيدي على تركه. وكذلك كان أصحابه يفعلونه. وفي ذلك قال ابن مسعود- فيما روينا عنه-: علمنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصلاة فكبر. فلما أراد أن يركع طبق يديه بين ركبتيه وركع. فبلغ ذلك سعد بن أبي وقاص، فقال: صدق أخى، قد كنا نفعل هذا، ثم أمرنا بهذا، أي الإمساك بالركب^(٣).

قال الإمام الرازي- بشأن مخالفات ابن مسعود-: يجب علينا إحسان الظن به، وأن نقول: إنه رجع عن هذه المذاهب^(٤).

جهة خامسة: اختلاف قراءته مع النص المشهور في كثير من الآي. وهذا الاختلاف كان يرجع الى تبديل كلمة الى مرادفتها في النص وكان ذلك غالباً لغرض الإيضاح والإفهام.

والمعروف من مذهب ابن مسعود: توسيعه في قراءة ألفاظ القرآن، فكان

(١) الإتقان: ج ١ ص ٦٥.

(٢) هو: تطبيق بطن الكفين إحداهما على الأخرى وجعلهما بين الركبتين حالة الركوع.

(٣) المحلى: ج ٣ ص ٢٧٤. وراجع لسان العرب: مادة طبق.

(٤) التفسير الكبير: ج ١ ص ٢١٣.

يجوز أن تبدل كلمة الى اخرى مرادفتها، إذا كانت الثانية أوضح ولا تغير شيئاً من المعنى الأصلي.

قال: لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون، فاقروا كما علمتم - أي كيفما علمكم القارئ الأستاذ - فهو كقولكم: هلم وتعال^(١).

وكان يعلم رجلاً أعجمياً القرآن، فقال: «إن شجرة الزقوم طعام الأثيم». فكان يقول الرجل: طعام اليتيم، ولم يستطع أن يقول: الأثيم. فقال له ابن مسعود: قل: طعام الفاجر. ثم قال ابن مسعود: إنه ليس من الخطأ في القرآن أن يقرأ مكان «العليم» «الحكيم». بل أن يضع آية الرحمة مكان آية العذاب^(٢).

ومن هذا القبيل ما رواه الطبري: كان ابن مسعود يقول: الياس هو إدريس، فقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين. وقرأ: سلام على إدراسين^(٣).

وذكر ابن قتيبة: أن ابن مسعود كان يقرأ: «وتكون الجبال كالصوف المنفوش»^(٤) بدل «العهن المنفوش» لأن العهن هو الصوف، وهذا أوضح وأنس للإفهام.

هذا.. ومن ثم تعود بعض المفسرين القدامى، إذا أشكل عليهم فهم كلمة غريبة في النص القرآني، أن يراجعوا قراءة ابن مسعود في ذلك، فلا بد أنه أبدلها بكلمة أخرى مرادفة لها أوضح وأبين للمقصود الأصلي.

قال مجاهد: كنا لاندري ما الزخرف، حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود: أو

(١) معجم الادباء لياقوت الحموي: ج ٤ ص ١٩٣ رقم: ٣٣ في ترجمة أحمد بن محمد بن يزداد بن رستم ط دارالمأمون. وفي طبعة مرجليوث: رقم ٢٤ ج ٢ ص ٦٠. وراجع - أيضاً - النشر في القراءات المشرقة: ج ١ ص ٢١. والإتقان: ج ١ ص ٤٧.

(٢) التفسير الكبير: ج ١ ص ٢١٣

(٣) الصافات: ١٢٣ و ١٣٠، جلمع البيان: ج ٢٣ ص ٩٦.

(٤) القارعة: ٥. تأويل مشكل القرآن: ص ٢٤.

يكون لك بيت من ذهب^(١).

وفسر الزمخشري اليدين في قوله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» باليمينين، لأن ابن مسعود قرأ: فاقطعوا أيماهما^(٢).

وذكر الغزالي من آداب البيع: إقامة لسان الميزان، فإن النقصان والرجحان يظهر بميله، واستشهد بقراءة ابن مسعود: وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان، قال: لأن القسط في القراءة المشهورة إنما يقوم بلسان الميزان^(٣).

وفي بعض طبقات إحياء العلوم صححوه وفق النص المشهور، ففاتهم غرض استشهاد المؤلف.

وهكذا قرأ: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صِمْتَاً - فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً»^(٤) بدل «صوماً» لأن الصوم المندور كان صوم صمت.

وقرأ: «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْهَلُونَا - نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ»^(٥) بدل «انظرونا» لأن المقصود هو الإمهال.

وقرأ: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا زُرْقَةً وَاحِدَةً»^(٦) بدل «صيحة واحدة».

قال العلامة الطبرسي: هو من زرق الطير: إذا صاح. وكأن ابن مسعود استعمل هنا صياح الديك تنبيهاً على أن البعث بما فيه من عظيم القدرة واستثارة الموق من القبور، سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر. فهو كقوله تعالى: «مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً»^(٧).

(ملحوظة): قد يأخذ البعض من هذا الاختلاف في قراءة النص القرآني ذريعة للطعن عليه، كما جاء في كلام المستشرق الألماني العلامة نولدكه، في كتابه: مذاهب التفسير الإسلامي، الذي وضعه لهذا الغرض.

(١) الاسراء: ٩٣ تفسير الطبري: ج ١٥ ص ١٦٣. (٥) الحديد: ١٣. الإتيان: ج ١ ص ٤٧.

(٢) المائدة: ٣٨. الكشف: ج ١ ص ٤٥٩. (٦) يس: ٢٩ و ٥٣.

(٣) الرحمان: ٩. إحياء العلوم: ج ٢ ص ٧٧. (٧) لقمان: ٢٨. مجمع البيان: ج ٨ ص ٤٢١.

(٤) مريم: ٢٦. تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ٣٤٠.

لكنها محاولة فاشلة بعد أن علمنا أن الاختلاف كان في مجرد القراءة خارج النص الثابت في المصحف. فالتص القرآني شيء لم يختلف فيه اثنان، وهو المثبت في المصحف الشريف منذ العهد الأول الإسلامي حتى العصر الحاضر، ومن ثم لم يمسوه حتى لإصلاح أخطائه الإملائية. تحفظاً على نص الوحي يبق بلا تحوير.

نعم جاءت قضية مراعاة جانب التسهيل على الأمة، من بعض السلف، لتجاوز القراءة بأي نحو كانت، مادامت تؤدي نفس المعنى الأصلي من غير تحريف فيه. الأمر الذي يكون خارج النص المثبت قطعياً.

ومن ثم أجاز ابن مسعود: أن ينطق ذلك الأعجمي بدل طعام الأثيم بطعام الفاجر^(١). فاستبدل من النص الصعب التلفظ بالنسبة إليه، لفظاً أسهل... لكنه لم يثبتته في المصحف كتص قرآني. ولم يكن ذلك منه تجويز التبديل في نص الوحي.. حاشاه!

وهكذا كان تجويز عائشة لذلك العراقي: وما يضرّك أيّه قرأت^(٢). توسعة في مقام القراءة فقط، لا توسعة في ثبت النص القرآني الذي هو وحي السماء، في المصحف، ولا شك أن مصحفها كان ذا ثبت واحد قطعاً.

جهة سادسة: ربّما كان ابن مسعود يزيد في لفظ النص زيادات تفسيرية كانت أشبه بتعليقات إيضاحية أدرجت ضمن النص الأصلي. وهذا أيضاً كان مبدئياً على مذهبه: التوسعة في اللفظ، لغرض الإيضاح، مع التحفظ على نفس المعنى الأصيل.

وهكذا اعتبر أئمة الفن هذه الزيادات في قراءة ابن مسعود تفسيرات، ولم يعتبروها نصاً قرآنياً منسوباً إلى ابن مسعود، ليكون اختلاف بين السلف في

(١) تقدم ذلك في صفحة: ٣١٥.

(٢) راجع صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٨

نصّ الوحي ..!

نعم كانت هذه التوسعة من ابن مسعود محاباة غير مستحسنة بالنصّ القرآني، ربّما كانت تؤدّي بالنصّ الأصلي وتجعله عرضة للتحريف والتغيير، الأمر الذي كان يتنافى تماماً مع تلك الحيلة والحذر على نصّ القرآن النازل من السماء. وقد تمسك بعض الأغبياء بذلك وجعله دليلاً على جواز إدخال ما ليس من القرآن في القرآن إذا كان الغرض هو التفسير والإيضاح^(١) لكثرة تفريع على أصل باطل.

وعلى أي تقدير فقد نسب الى ابن مسعود زيادات جاءت في قراءته، نذكر منها مايلي، والزيادة هي التي بين معقوفتين:

قرأ: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً [فاختلفوا] فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ»^(٢).

وهذه الزيادة ترفع إلهاماً كان في وجه الآية: هل كانت بعثة الأنبياء سبباً للاختلاف، أم كلن العكس؟ وذيل الآية يعين هذا الأخير. وجاءت الزيادة توضح هذا الجانب أكثر.

وقرأ: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ [وهو أب لهم] وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»^(٣) فجاءت الزيادة انسجماً مع ذيل الآية، وتوضيحاً لسبب ولايته (صلى الله عليه وآله) على المؤمنين.

وقرأ: «وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ وَالنَّصِّ: بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ [لما جئكم من الآيات] وَأَطِيعُوا [فما أدعوكم إليه]»^(٤).

وقرأ: «وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ [وهو قاعد] فَضَحِكْتُ»^(٥).

(١) راجع الزرقاني على الموطأ: ج ١ ص ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢١٣. الكشاف: ج ١ ص ٢٥٥.

(٣) الأحزاب: ٦. الكشاف: ج ٢ ص ٥٢٣.

(٤) آل عمران: ٥٠. الكشاف: ج ١ ص ٣٦٥.

(٥) هود: ٧١. الكشاف: ج ٢ ص ٤١٠.

وقرأ: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا اللَّهُ - والنَّص: إِلَّا هُوَ - رَابِعُهُمْ [ولا أربعة إلا الله خامسهم] وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا اللَّهُ - والنَّص: إِلَّا هُوَ - سَادِسُهُمْ [ولا أقل - والنَّص: وَلَا أَذْنَى - مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا اللَّهُ - والنَّص: إِلَّا هُوَ - مَعَهُمْ] [إذا نتجوا]»^(١).

وقرأ: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً [انثى] وَلِي نَعَجَةٌ [انثى]»^(٢).
 وقرأ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [ورحطك منهم المخلصين]»^(٣).

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال: كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ] وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^(٤).
 والظاهر: أنه أراد تفسير الآية، وأنها كانت على عهده (صلى الله عليه وآله) هكذا تفسر.

وقرأ: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ» - بضم التاء -^(٥) والقراءة المشهورة هي بالفتح.

وأنكر ذلك شريح وقال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجِبُ إِلَّا مَا يَعْجِبُ مِنْ لَا عِلْمَ لَهُ. قَالَ الْأَعْمَشُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ. فَقَالَ: إِنَّ شَرِيحًا كَانَ مَعْجِبًا بِرَأْيِهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَرَأَ «بَلْ عَجِبْتُ» بِالضَّمِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ شَرِيحٍ. وَإِضَافَةُ الْعَجِبِ إِلَى اللَّهِ وَرَدَ الْخَبَرُ بِهِ كَقَوْلِهِ: عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ شَابٍ لَيْسَ لَهُ صَبُوءٌ. وَعَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلَٰكُمْ وَقَنُوطُكُمْ. وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهَيْنِ: عَجِبَ مِمَّا

(١) المجادلة: ٧. الكشاف: ج ٤ ص ٤٩٠.

(٢) ص: ٢٣. الكشاف: ج ٤ ص ٨٥. وتأويل مشكل القرآن: ص ٢٩ و ٧٣.

(٣) الشعراء: ٢١٤. مجمع البيان: ج ٧ ص ٢٠٦. وبحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٦٤.

(٤) المائدة: ٦٧. دار المعارف: ج ٤ ص ١٥٥.

(٥) الصافات: ١٢. الكشاف: ج ٤ ص ٣٨. وتفسير الطبري: ج ٢٣ ص ٢٩.

يرضى. ومعناه: الاستحسان والخبر عن تمام الرضا. وعجب ممّا يكره، ومعناه: الإنكار له والذم^(١). والإلّ- بكسر الهمزة وتشديد اللام: شدة اليأس أو رفع الصوت بالبكاء على إثره. وصحّحنا الحديث على نهاية ابن الأثير.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف يجوز العجب على الله وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام. والثاني: أن يتخیّل العجب ويفرض. وقد جاء في الحديث: «عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم»^(٢).

وقد أوردنا هذا البحث هنا كنموذج هو دليل على مبلغ اهتمام المفسرين واعتناء الأئمة بقراءات ابن مسعود الرجل العظيم.



ومن غريب قراءته النقص أيضاً. قرأ: «وَالذِّكْرَ وَالْأُنْثَى»^(٣) بدل «وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى». *مركز تقيت كينيز علوم سدي*

روى البخاري في صحيحه: قال: قدم أصحاب عبدالله إلى الشام، وفيهم علقمة. فجاءهم أبو الدرداء وقال: أيكم يقرأ على قراءة عبدالله؟ قالوا: كلنا. قال: فأيتكم يحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة. قال: كيف سمعته يقرأ «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى...»؟ قال علقمة: «وَالذِّكْرَ وَالْأُنْثَى» قال أبو الدرداء: أشهد أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ «وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى» والله لا أتابعهم^(٤).

وأسند الزمخشري هذه القراءة إلى النبي (صلى الله عليه وآله)^(٥).

وفي رواية الأعمش عن ابن مسعود: أنه قرأ: «حم سق» بلاعين. وهكذا

(٤) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢١١ وج ٥ ص ٣٥.

(٥) الكشف: ج ٤ ص ٧٦١.

(١) مجمع البيان: ج ٨ ص ٤٤٠.

(٢) الكشف: ج ٤ ص ٣٧.

(٣) الليل: ٣.

قرأ ابن عباس أيضاً^(١).

وصف مصحف أبي بن كعب:

كان ترتيب مصحف أبي قريباً من مصحف ابن مسعود، غير أنه قَدَّم سورة الأنفال، وجعلها بعد سورة يونس وقبل سورة براءة. وقَدَّم سورة مريم والشعراء والحج على سورة يوسف. وهكذا ممَّا سيتبيَّن في الجدول الآتي. وقد اشتمل مصحفه على مائة وخمس عشرة سورة. جعل سورتي الفيل وقريش سورة واحدة. وزاد سورتي الخلع والحفد، وسنذكرهما. وكان مصحفه مفتوحاً بسورة الحمد، ومختتماً بالمعوذتين، كمصحفنا اليوم^(٢).

جهة أخرى: اشتمال مصحفه على دعاءي القنوت، باعتبارهما سورتين فيما زعم. أمَّا الخلع فهي: «بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير. ولا نكفرك. ونخلع ونتبرك من يفجرك». وأمَّا الحفد فهي: «بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد. وإليك نسعى ونحفد. نخشى عذابك ونرجو رحمتك. إنَّ عذابك بالكفار ملحق»^(٣).

جهة ثالثة: كان قد ترك البسملة بين سورتي الفيل وقريش، باعتبارهما سورة واحدة^(٤) وقد ورد في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً: أنَّهما سورة واحدة، ولكن مع فصل البسملة بينهما. فإذا قرأ المصلي: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ» يجب أن يقرأ معها: «لَا يَلَا فِي قُرَيْشٍ». فهما سورة واحدة قراءة ولكنهما سورتان ثبثاً، على عكس ما في مصحف أبي.

روى العياشي عن أبي العباس عن أحدهما (الإمام الباقر والإمام الصادق

(٣) الإتيان: ج ١ ص ٦٥.

(٤) نفس المصدر.

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢١.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٦٤ و ٦٥.

عليها السلام) قال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ، وَلَإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ، سورة واحدة^(١).

وهكذا روينا بشأن سورتي الضحى والانشراح: أنهما سورة واحدة^(٢). وقد أفتى بذلك علماءنا الأعلام. قال المحقق الحلي (قدس سره): روى أصحابنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة: وكذا الفيل ولإيلاف. ولا يجوز إفراد إحداهما عن صاحبتها في كل ركعة^(٣).

وفي مجمع البيان: روى أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه^(٤). جهة رابعة: كان افتتح سورة الزمر في مصحفه بـ «حم». فيكون عدد الحواميم عنده ثمانية. أخرجه ابن اشته في كتاب المصاحف، قال: ثم الزمر أولها حم^(٥).

جهة خامسة: اختلاف قراءته مع النص المشهور على نحو اختلاف قراءة ابن مسعود، وإليك نماذج من قراءاته الشاذة:

قرأ: «قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ هَذَا مِنْ رَبِّنَا» بدل «مَنْ بَعَثَنَا»^(٦). وقرأ: «كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَرَوْا فِيهِ». وقرأ - أيضاً -: «سَعَوْا فِيهِ» بدل «مَشَوْا فِيهِ»^(٧).

وقرأ: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ (متتابعات) فِي الْحَجِّ»^(٨). نظراً لأنه يجب التتابع فيها، فأوضحها بهذه الزيادة!

وقرأ: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ (إلى أجل مسمى) فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ»

(١) و(٢) راجع وسائل الشريعة: باب ١٠ من أبواب القراءة في الصلاة ج ٤ ص ٧٤٤ ح ٦ وج ٤ ص ٧٤٣ ح ٣.

(٣) راجع جواهر الكلام: ج ١٠ ص ٢٠.

(٤) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٤٤.

(٥) الإتيان: ج ١ ص ٦٤.

(٦) يس: ٥٢. مجمع البيان: ج ٨ ص ٤٢٨.

(٧) البقرة: ٢٠. الإتيان: ج ١ ص ٤٧.

(٨) البقرة: ١٩٦. الكشاف: ج ١ ص ٢٤٢.

فَرِيضَةً»^(١) للتنصيص على إنها متعة النكاح.
 وقرأ: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا (من نفسي فكيف أظهركم عليها)»^(٢). شرح وتفسير للآية.
 وقرأ: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ (ولو حيتم كما هو لفسد المسجد الحرام) فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ»^(٣).

وفيما يلي جدول يقارن بين مصاحف السلف وترتيب مصحفنا اليوم.
 أخذناه من نصّ ابن اشتة^(٤) وأكملنا سقطاته على نصّ ابن النديم. وأرمزنا له بعلامة (ن) واعتمد هذا الأخير على رواية الفضل بن شاذان، اعتماداً يرجّحه على ما شاهدته بنفسه. قال: رأيت عدة مصاحف ذكرنا نسخها أنّها مصحف عبد الله بن مسعود، ليس فيها مصحفان متفقان. وأكثرها في رقّ كثير النسخ. وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب. والفضل بن شاذان أحد الأئمة في القرآن والروايات، فلذلك ذكرنا ماقاله دون ما شهدناه^(٥).

(١) النساء: ٢٤. جامع البيان: ج ٥ ص ٩.

(٢) طه: ١٥. تأويل مشكل القرآن: ص ٢٥.

(٣) الفتح: ٢٦. عبقات الأنوار. طبعة الهند. مجلد حديث مدينة العلم: ص ٥١٨.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ٦٤.

(٥) الفهرست: ص ٤٦.

جدول يقارن بين ثلاثة مصاحف

رقم السورة	مصحف ابن مسعود	مصحف أبي	المصحف الحاضر
١		الفاتحة	الفاتحة
٢	البقرة	البقرة	البقرة
٣	النساء	النساء	آل عمران
٤	آل عمران	آل عمران	النساء
٥	الأعراف	الأنعام	المائدة
٦	الأنعام	الأعراف	الأنعام
٧	المائدة	المائدة	الأعراف
٨	يونس	يونس	الأنفال
٩	براءة	الأنفال	التوبة
١٠	النحل	براءة	يونس
١١	هود	هود	هود
١٢	يوسف	مريم	يوسف
١٣	الكهف	الشعراء	الرعد
١٤	الإسراء	الحج	إبراهيم
١٥	الأنبياء	يوسف	الحجر
١٦	طه	الكهف	النحل

المؤمنون	النحل	الإسراء	۱۷
الشعراء	الأحزاب	الكهف	۱۸
الصافات	الإسراء	مريم	۱۹
الأحزاب	الزمر (أولها حم)	طه	۲۰
الحج	طه	الأنبياء	۲۱
القصص	الأنبياء	الحج	۲۲
النمل	النور	المؤمنون	۲۳
النور	المؤمنون	النور	۲۴
الأنفال	سبأ	الفرقان	۲۵
مريم	العنكبوت	الشعراء	۲۶
العنكبوت	المؤمن (غافر)	النمل	۲۷
الروم	الرعد	القصص	۲۸
يس	القصص	العنكبوت	۲۹
الفرقان	النمل	الروم	۳۰
الحجر	الصافات	لقمان	۳۱
الرعد	ص	السجدة	۳۲
سبأ	يس	الأحزاب	۳۳
فاطر	الحجر	سبأ	۳۴
إبراهيم	الشورى	فاطر	۳۵
ص	الروم	يس	۳۶
محمد	الزخرف (ن)	الصافات	۳۷
لقمان	فصلت (ن)	ص	۳۸
الزمر	إبراهيم (ن)	الزمر	۳۹
المؤمن	فاطر (ن)	غافر	۴۰

٤١	الزخرف	الحديد (١)	فصلت
٤٢	فصلت	الفتح	الشورى
٤٣	الشورى	محمد	الزخرف
٤٤	الأحقاف	المجادلة	الدخان
٤٥	الجاثية	الملك	الجاثية
٤٦	الدخان	الفرقان (ن)	الأحقاف
٤٧	الفتح	السجدة	محمد
٤٨	الحديد (ن)	نوح	الفتح
٤٩	الحشر	الأحقاف	الحجرات
٥٠	السجدة	ق	ق
٥١	ق (ن)	الرحمن	الذاريات
٥٢	الطلاق	الواقعة	الطور
٥٣	القلم (٢)	الجن	النجم
٥٤	الحجرات	النجم	القمر
٥٥	الملك	المعارج	الرحمن
٥٦	التغابن	المزمل	الواقعة
٥٧	المنافقون	المدثر	الحديد
٥٨	الجمعة	القمر	المجادلة
٥٩	الصف	الدخان	الحشر
٦٠	الجن	لقمان	المتحنة
٦١	نوح	الجاثية	الصف

الجمعة	الطور	المجادلة	٦٢
المنافقون	الذاريات	المتحنة	٦٣
التغابن	القلم	التحريم	٦٤
الطلاق	الحاقة	الرحمن	٦٥
التحريم	الحشر	النجم	٦٦
الملك	المتحنة	الطور (١)	٦٧
القلم	المرسلات	الذاريات	٦٨
الحاقة	النبا	القمر	٦٩
المعارج	الدهر (ن)	الحاقة (ن)	٧٠
نوح	القيامة	الواقعة	٧١
الجن	التكوير	النازعات	٧٢
المزمل	الطلاق	المعارج	٧٣
المدثر	النازعات	المدثر	٧٤
القيامة	التغابن	المزمل	٧٥
الإنسان	عبس (٢)	المطففين	٧٦
المرسلات	المطففين	عبس	٧٧
النبا	الانشقاق	الدهر	٧٨
النازعات	التين	المرسلات (٣)	٧٩
عبس	العلق	القيامة	٨٠
التكوير	الحجرات	النبا	٨١

(١) جعلها ابن النديم بعد سورة الذاريات.

(٢) جعلها ابن النديم بعد سورة الغاشية.

(٣) جعلها ابن النديم بعد سورة القيامة.

٨٢	التكوير	المنافقون	الانفطار
٨٣	الانفطار	الجمعة	المطففين
٨٤	الغاشية	التحريم	الانشقاق
٨٥	الأعلى	الفجر	البروج
٨٦	الليل	البلد	الطارق
٨٧	الفجر	الليل	الأعلى
٨٨	البروج	الانفطار	الغاشية
٨٩	الانشقاق	الشمس	الفجر
٩٠	العلق	البروج (ن)	البلد
٩١	البلد	الطارق	الشمس
٩٢	الضحى	الأعلى	الليل
٩٣	الطارق	الغاشية	الضحى
٩٤	العاديات	الصف (١)	الشرح
٩٥	الماعون	البيّنة	التين
٩٦	القارعة	الضحى	العلق
٩٧	البيّنة	الانشراح	القدر
٩٨	الشمس	القارعة	البيّنة
٩٩	التين	التكاثر	الزلزلة
١٠٠	الهمزة	العصر	العاديات
١٠١	الفيل	الخلع	القارعة
١٠٢	قريش	الحفد	التكاثر
١٠٣	التكاثر	الهمزة	العصر

الهمزة	الزلزلة	القدر	١٠٤
الفيل	العاديات	الزلزلة	١٠٥
قريش	الفيل	العصر	١٠٦
الماعون	قريش (١)	النصر	١٠٧
الكوثر	الماعون	الكوثر	١٠٨
الكافرون	الكوثر	الكافرون	١٠٩
النصر	القدر	المسد	١١٠
المسد	الكافرون	التوحيد	١١١
الإخلاص	النصر	الانشراح (٢)	١١٢
الفلق	المسد	...	١١٣
الناس	التوحيد	...	١١٤
...	الفلق	...	١١٥
...	الناس (٣)	...	١١٦

(١) جعلها ابن النديم بعد سورة الضحى.

(٢) جعلها ابن النديم بعد سورة المسد.

(٣) تلك مائة وست عشرة سورة. لكن بما أن سورتي الفيل وقريش في مصحف أبي واحدة فمجموع سورة



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٢- توحيد المصاحف

- اختلاف المصاحف.
- نماذج من اختلاف العامة.
- عثمان يأتمر صحابة الرسول.
- عقد لجنة توحيد المصاحف.
- موقف الصحابة تجاه المشروع.
- عماد تأسيس اللجنة.
- منجزات المشروع المصاحفي.
- عدد المصاحف العثمانية.
- تعريف عام بهذه المصاحف.

١- الترتيب

- ٢- النقط والتشكيل.
- تحسينات متأخرة.
- ٣- مخالفات في رسم الخط.
- ٤- اختلاف المصاحف

٢- توحيد المصاحف

سبق أن الفترة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كانت فترة جمع القرآن، فقد اهتم كبار الصحابة بتأليف سور القرآن وجمع آياته، حسب ما اوتوا من علم وكفاءة، كل في مصحف يخصه. وآخرون أعوزتهم الكفاءة فلجأوا الى غيرهم ليستسخوا لهم مصاحف أو يجمعوا لهم آيات وسوراً في صحف. وهكذا أخذت نسخ المصاحف تتزايد، اطراداً مع اتساع رقعة الإسلام. كان المسلمون وهم في كثرة مطردة، ومنتشرون في أطراف البلاد المترامية، قد أحسوا بحاجتهم القريبة الى نسخ من كتاب الله، حيث كان الدستور السماوي الوحيد الذي كان المسلمون ينظمون عليه معالم حياتهم العامة في جميع جوانبها، فهو مصدرهم في الأحكام والتشريعات والتنظيمات.

وقد أحرز بعض هذه المصاحف في العالم الإسلامي آنذاك مقاماً رفيعاً حسب انتسابه الى جامعته. كمصحف عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل. كان مرجع أهل الكوفة وهوبلد العلم ومعهد الدراسات الإسلامية العليا. ومصحف أبي بن كعب في الأقطار الشامية. ومصحف أبي موسى الأشعري في البصرة. ومصحف المقداد بن الأسود في دمشق... وهكذا.

اختلاف المصاحف:

ولما كان جامعوا المصاحف متعددين ومتباعدين، ومختلفين بحسب الكفاءة

والمقدرة والاستعداد، وكانت كل نسخة منها تشتمل على ما جمعه صاحبها، وما جمعه واحد لا يتفق تماماً مع ما جمعه آخرون.. كانت طبيعة الحال تقضي باختلاف في تأليف تلكم المصاحف، اسلوباً وترتيباً وقراءة وغيرها. وقد تقدم حديث ما بين مصاحف السلف من اختلاف.

وهذا الاختلاف في المصاحف وفي القراءات، كان بلا شك يستدعي اختلافاً بين الناس، عندما تجمعهم ندوة أو مناسبة، على مختلف نزعاتهم واتجاهاتهم يومذاك. فربما كان المسلمون يجتمعون في غزوة أو احتفال، وهم من أقطار متباعدة، فيقع بينهم نزاع وجدل، وإنكار أحدهم على الآخر، فيما يتعصبون له من مذهب أو عقيدة أو رأي.

نماذج من اختلاف العاقة:

وفيما يلي عرض موجز عن نماذج من اختلاف العاقة على المصاحف فيما تعصبوا له من قراءات أصحابها:

١- في غزو مرج أرمينية: بعدما قفل حذيفة راجعاً من غزو الباب (مرج أرمينية- أذربيجان) قال لسعيد بن العاص، وكان بصحبته: لقد رأيت في سفري هذا أمراً، لئن ترك ليختلفن في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً! قال سعيد: وما ذاك؟ قال: رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على ابن مسعود. وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وإنهم قرأوا على أبي موسى الأشعري، ويسمون مصحفه «لباب القلوب».

فلما وصل ركب حذيفة وسعيد إلى الكوفة، أخبر حذيفة الناس، بذلك، وحذّرهم ما يخاف. فوافقه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكثير من التابعين.

وقال له أصحاب ابن مسعود: ماتنكر، ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟!

فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا، فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين -يعني عثمان- ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك.

فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام، وتفرق الناس. وغضب حذيفة وسار إلى عثمان... (١).

٢- في مسجد الكوفة: عن يزيد النخعي، قال: إني لفي المسجد -مسجد الكوفة- زمن الوليد بن عقبة -وكان والياً على الكوفة من قبل عثمان- في حلقة فيها حذيفة بن اليمان. وليس إذ ذاك حجة ولا جلاوزة -أي لم يكن للمسجد آنذاك سدة وحفظة- إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى، فليأت الزاوية التي عند باب كندة. ومن كان يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود، فليأت الزاوية التي عند دار عبدالله. واختلفا في آية من سورة البقرة، قرأ هذا: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ». وقرأ هذا: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ»!

فغضب حذيفة واحمرت عيناه، ثم قام ففرز قيضه في حجزته وهو في المسجد، فقال أما أن يركب إلى أمير المؤمنين وأما أن أركب. فهكذا كان من قبلكم...

وفي رواية أبي الشعثاء: فقال حذيفة: قراءة ابن أم عبد! وقراءة أبي موسى الأشعري! والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين، لأمرنه بجعلها قراءة واحدة.. فغضب عبدالله، فقال كلمة شديدة فسكت حذيفة...

وفي رواية ثالثة: قال حذيفة: يقول أهل الكوفة: قراءة عبدالله! ويقول

أهل البصرة: قراءة أبي موسى! والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لأمرته بغرق هذه المصاحف! فقال له عبدالله: أما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في غير ماء يعني سقر^(١). وروى ابن حجر: أن ابن مسعود قال لحذيفة: بلغني عنك كذا، قال: نعم، كرهت أن يقال قراءة فلان وقراءة فلان، فيختلفون كما يختلف أهل الكتاب^(٢).

٣- في نفس المدينة: أخرج ابن اشته عن أنس بن مالك، قال: اختلفوا في القرآن على عهد عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل - أحد اصحاب المصاحف - والمعلم يعلم قراءة الرجل - آخر من أصحاب المصاحف - فكان الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين، فجعل يكفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه، فن نأى عني كان أشد تكذيباً ولحناً...^(٣).

وعن محمد بن سيرين، قال: كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرت بما تقول! فرفع ذلك الى عثمان فتعاطم في نفسه، فجمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار...^(٤).

وعن بكير الأشج قال: إن أناساً بالعراق كان يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها، قال - أي السائل -: ألا أني أكفر بهذه القراءة. ففشا ذلك في الناس، فتكلم بعضهم مع عثمان في ذلك^(٥).

وهكذا وقعت حوادث حول اختلاف قراءة القرآن كانت تنذر بسوء ووقوع فتن ربما لا تحمد عقباها، لولا تداركها من قبل رجال نابهين أمثال حذيفة بن اليمان وأضرابه، رضوان الله عليهم.

(١) المصاحف للسجستاني: ص ١١ - ١٤. (٢) فتح الباري ج ٩ ص ١٥.

(٣) الإتيان: ج ١ ص ٥٩. والمصاحف للسجستاني: ص ٢١.

(٤) الطبقات: ج ٣ ق ٢ ص ٦٢. والمصاحف للسجستاني: ص ٢٥.

(٥) فتح الباري: ج ٩ ص ١٦.

قدوم حذيفة المدينة:

عندما رجع حذيفة من غزو أرمينية، ناقماً اختلاف الناس في القرآن، استشار من كان بالكوفة من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن معالجة القضية قبل تفاقم الأمر. فكان رأيهم حمل عثمان على أن يقوم بتوحيد نسخ المصاحف، وإلجاء الناس على قراءة واحدة، فاتفقت كلمة الصحابة على صواب هذا الرأي^(١)، سوى عبدالله بن مسعود. ومن ثم أزمع في الأمر وسار إلى المدينة يستحث عثمان على إدراك أمة محمد (صلى الله عليه وآله) قبل تفرقها، قال: يا أمير المؤمنين، أنا النذير العريان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى! قال عثمان: وماذا لك؟ قال: غزت مرج أرمينية فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق. وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود. ويأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً!^(٢)

عثمان يأتمر الصحابة:

تلك حوادث وأضرابها كانت وخيمة المآل، دعت بعثمان أن يهتم بالأمر ويقوم بساعد الجدة، لولا أن تهيبته القضية وهي فاجئة مباغتة، لم يسبقه إليها غيره ممن تقدمه. مضافاً إلى ما كان يراه من صعوبة العمل في مرحلة تنفيذه، حيث انتشر نسخ المصاحف في البلاد، ومن ورائها رجال من كبار الصحابة لا يستهان بشأنهم في المجتمع الإسلامي آنذاك، فربما يقومون بحمايتها والدفاع عنها فيشكلون عرقلة عويصة تسد وجه الطريق!

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥.

(٢) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٥. والمصاحف للسجستاني: ص ١٩ - ٢٠. والكامل في التاريخ: ج ٣

ومن ثم جمع أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من كان حاضراً بالمدينة، واستشارهم في الأمر. فلم يكن منهم سوى اتفاقهم على ضرورة القيام به مهما كلف الأمر. قال ابن الأثير: فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة^(١).

لجنة توحيد المصاحف:

وأخيراً ازمع عثمان على تنفيذ الفكرة، فوجه - أولاً - ندائه الى عامة الصحابة: يا أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً^(٢). ثم ندب نفراً يختصونه، وهم أربعة: زيد بن ثابت، وهو أنصاري. وسعيد بن العاص. وعبدالله بن الزبير. وعبدالرحمان بن الحارث بن هشام، وهم قرشيون.. وهؤلاء الأربعة أعضاء أولية، انعقدت بهم لجنة توحيد المصاحف^(٣). وكانت لزيد سمة رئاسة على الآخرين. كما يظهر من تنقرا بن مسعود واستنكاره استثمار زيد لهذا المنصب. قال: يا معشر المسلمين، أأعزل عن نسخ المصاحف ويتولاها رجل - والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر- يريد زيد بن ثابت^(٤).

وكان عثمان هو يتعاهدهم بنفسه^(٥).

لكن هؤلاء الأربعة لم يستطيعوا القيام بصميم الأمر، وكانت تعوزهم الكفاءة لهكذا عمل خطير. ومن ثم استعانوا بأبي بن كعب. ومالك بن أبي عامر. وكثير بن افلج. وأنس بن مالك. وعبدالله بن عباس. ومصعب بن

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥.

(٢) الإتيان: ج ١ ص ٥٩ عن مصاحف ابن اشته. وراجع المصاحف للسجستاني: ص ٢١.

(٣) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٦.

(٤) فتح الباري: ج ٩ ص ١٧. والمصاحف للسجستاني: ص ١٥.

(٥) المصاحف للسجستاني: ص ٢٥.

سعد^(١) وعبدالله بن فطيمة^(٢) الى تمام الاثنى عشر على ما جاء في رواية ابن سيرين وابن سعد وغيرهما^(٣).

وفي هذا الدور كانت الرئاسة مع أبي بن كعب، فكان هو يملئ عليهم ويكتب الآخرون. قال أبو العالية: إنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي بن كعب. فكان رجال يكتبون يملئ عليهم أبي بن كعب^(٤).

قال ابن حجر: وكأن ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد، حيث سأل عثمان: من أكتب الناس؟ قالوا: زيد. ثم قال: فأبي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد. فقال: فليمل سعيد وليكتب زيد^(٥).

قال: ثم احتاجوا الى من يساعدهم في الكتابة بحسب الحاجة الى عدد المصاحف التي ترسل الى الآفاق، فأضافوا الى زيد من ذكره، ثم استظهروا بأبي ابن كعب في الإملاء^(٦).



موقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفي:

سبق أن حذيفة بن اليمان كان أول من فكر في توحيد المصاحف وحلف لياتين الخليفة وليأمره بجعلها قراءة واحدة^(٧) كما استشاره من كان بالكوفة من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) فوافقوه على ما عزم، سوى ابن مسعود^(٨).

-
- (١) ارشاد الساري: ج ٧ ص ٤٤٩. (٢) المصدر: ص ٢٥. وراجع الطبقات: ج ٣ ص ٦٢.
 (٣) المصاحف للسجستاني: ص ٣٣. (٤) المصاحف للسجستاني: ص ٣٠.
 (٥) فتح الباري: ج ٩ ص ١٦. جاء ذلك في رواية مصعب بن سعد. لكن في نسخة ما تضمنته الرواية من فحوى، كلام ونقاش!
 (٦) نفس المصدر. وراجع الطبقات: ج ٣ ص ٦٢. وتهذيب التهذيب: ج ١ ص ١٨٧.
 (٧) فتح الباري: ج ٩ ص ١٥.
 (٨) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥.

وجمع عثمان من كان بالمدينة من الصحابة فأتهمهم في ذلك فهبوا جميعاً يوافقون فكرة توحيد المصاحف، قال ابن الأثير: فجمع الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة^(١).

وهكذا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أبدى رأيه موافقاً للمشروع ذاتياً. أخرج ابن أبي داود عن سويد بن غفلة، قال: قال علي (عليه السلام): فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا. استشارنا في أمر القراءات، وقال: بلغني أن بعضهم يقول: قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً. قلنا: فما ذرايت؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت^(٢).

وفي رواية أخرى قال: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل^(٣) وأخرج ابن أبي داود- أيضاً- عن سويد بن غفلة، قال: قال علي (عليه السلام) - حين حرق عثمان لمصاحف -: لو لم يصنعه هو لصنعت^(٤).

مكتبة جامعة الإمام محمد سعود

وكان (عليه السلام) - بعدما تولى الخلافة - أحرص الناس على الالتزام بالمرسوم المصحفي - حتى ولو كانت فيه أخطاء إملائية - حفظاً على كتاب الله من أن تمسه يد التحريف فيما بعد باسم الإصلاح. قال (عليه السلام) بهذا الصدد:

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥.

(٢) المصاحف للسجستاني: ص ٢٢ قال جلال الدين: والسند صحيح والإتقان: ج ١ ص ٥٩. ونقل السيد ابن طاووس في سعد السعود: ص ٢٧٨ ط نجف من كتاب اختلاف المصاحف لأبي جعفر محمد بن منصور، رواية محمد بن زيد بن مروان: أن القرآن جمعه زيد بن ثابت على عهد أبي بكر، ثم عاد عثمان فجمع المصحف برأي مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام. ونقله أبو عبد الله الزنجاني أيضاً في تاريخ القرآن: ص ٤٥. ونقل في ص ٤٦ ما يقرب ذلك من مقدمة تفسير الشهرستاني أيضاً.

(٣) النشر: ج ١ ص ٨. والمصاحف للسجستاني: ص ٢٣.

(٤) المصاحف للسجستاني: ص ١٢.

لا يهاج القرآن بعد اليوم (١).

ذكروا: أنه قرأ رجل بمسمع الإمام: «وَطَلَّحَ مَنْضُودٍ» (٢) فجعل الإمام يترنم في نفسه: ماشأن الطلح؟ إنما هو طلع - كما في قوله تعالى: «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» (٣) - ولم يكن ذلك اعتراضاً من الإمام على القارئ، ولادعوة الى تغيير الكلمة، بل كان مجرد حديث نفس ترنم به الإمام (عليه السلام).

ولكن اناساً سمعوا كلامه فهبوا يسألونه: ألا تغيره؟ فانبرى الإمام (عليه السلام) مستغرباً هذا الطلب، وقال كلمته الحاسمة الخالدة، «إِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَهِاجُ الْيَوْمَ وَلَا يَحُولُ».

وهكذا سار على منهجه (عليه السلام) الأئمة من ولده:

قرأ رجل عند الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس! فقال له الإمام: مه مه، كف عن هذه القراءة واقرأ كما يقرأ الناس.

وقال (عليه السلام) في جواب من سألته عن الترتيل في القرآن: اقرأوا كما علمتم (٤).

ومن ثم وقع إجماع أصحابنا الإمامية على أن ما بأيدينا هو قرآن كله (٥) لم تمسه يد تحريف أصلاً. وأن القراءة المشهورة هي القراءة الصحيحة، التي تجوز القراءة بها في الصلاة. وغيرها من أحكام أجروها على النص الموجود، واعتبروه هو القرآن الذي أوحى الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعتبروا شيئاً سواه.

(١) تفسير الطبري: ج ١٧ ص ٩٣. ومجمع البيان: ج ٩ ص ٢١٨.

(٢) الواقعة: ٢٩. وقد احتار المفسرون في توجيه معنى الطلح هنا.

(٣) ق: ١٠.

(٤) وسائل الشيعة: باب ٧٤ من أبواب القراءة في الصلاة ج ٤ ص ٨٢١ ح ٣.

(٥) راجع: حديث طلحة مع الإمام - بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٤١ - ٤٢ ح ١.

وأما ابن مسعود فلا أظنّ مخالفته كانت جوهرية، وإنما أغضبه انتداب أشخاص غير أكفاء لهكذا مشروع جليل كان أمثاله جديرين بالانتداب له. كان يقول: إن رجالاً لم يؤذن لهم قد تصرفوا في القرآن من تلقاء أنفسهم^(١). ومن ثم أبى إباء شديداً أن يدفع مصحفه الى رسول الخليفة. قال أبو ميسرة أتاني رجل وأنا أصلي فقال: أراك تصلي وقد امر بكتاب الله أن يمزق كل ممزق! فتجوزت في صلاتي وكنت أجلس. فدخلت الدار ولم أجلس. ورقيت فلم أجلس. فإذا أنا بالأشعري، وحذيفة وابن مسعود يتناولان. وحذيفة يقول لابن مسعود: ادفع إليهم المصحف. قال: والله لا أدفعه إليهم. أقرأني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بضعا وسبعين سورة ثم أدفعه إليهم؟! والله لا أدفعه إليهم^(٢).



عام تأسيس المشروع:

قال ابن حجر: كانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين، في السنة الثالثة أو الثانية^(٣) من خلافة عثمان. قال: وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً^(٤). وعدّها ابن الأثير. وتبعه بعض من تأخّر عنه من غير تحقيق. من حوادث سنة ثلاثين قال: وفي هذه السنة غزا حذيفة الباب ممدداً لعبد الرحمن بن ربيعة

(١) الطبقات: ج ٣ ص ٢٧٠.

(٢) مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٣) هذا التردد ينظر الى الاختلاف في اليوم الذي بويع فيه لعثمان، فقيل: في العشر الأخير من ذي الحجة عام ٢٣. وعليه فعام تأسيس اللجنة يقع في صدر السنة الثالثة من خلافته. وقيل: في العشر الاول من محرم عام ٢٤. وعليه فيكون تأسيس اللجنة واقعاً في مؤخرة السنة الثانية. راجع تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٠٤. أو ج ٤ ص ٢٤٢ طبعة دارالمعارف.

(٤) فتح الباري: ج ٩ ص ١٥.

وفيها رأى حذيفة اختلافاً كثيراً بين الناس في القرآن، فلما رجع أشار على عثمان بجمع القرآن ففعل (١).

وأظن ابن الأثير متوهماً في هذا التحديد:

أولاً: كانت غزوة آذربيجان وأرمينية سنة ٢٤ في رواية أبي مخنف، ذكرها الطبري. غزاها الوليد بن عقبة، لأنهم حبسوا ماصالحوا عليه حذيفة اليمان عندما غزاهم سنة ٢٢ أيام عمر بن الخطاب (٢).

وقال ابن حجر: أرمينية فتحت في خلافة عثمان، وكان أمير العسكر من أهل العراق: سلمان بن ربيعة الباهلي. وكان عثمان قد أمر أهل الشام وأهل العراق أن يجتمعوا على ذلك، وكان أمير أهل الشام في ذلك العسكر: حبيب بن سلمة الفهري وكان حذيفة من جملة من غزا معهم، وكان هو على أهل المدائن، وهو من جملة أعمال العراق... ثم قال: سنة خمس وعشرين هو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه، أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط، على الكوفة من قبل عثمان (٣).

ثانياً: كانت الغزوة التي غزاها عبدالرحمان بن ربيعة، هي في سنة اثنتين وعشرين. وكان الذي بصحبته حذيفة بن أسيد الغفاري، لا حذيفة بن اليمان العنسي (٤).

ثالثاً: في سنة ثلاثين عيّن سعيد حاكماً على الكوفة مكان الوليد، وفي نفس الوقت تهيأ لغزو طبرستان. وصحبه في الغزو ابن الزبير وابن عباس والحذيفة (٥). ولم يرجع سعيد إلى المدينة حتى سنة ٣٤ وفي السنة التالية كان

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٥٥. والفتوحات الإسلامية (زيني دحلان): ج ١ ص ١٧٥.

(٢) تاريخ الطبري - طبعة دارالمعارف -: ج ٤ ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) فتح الباري: ج ٩ ص ١٣-١٤.

(٤) تاريخ الطبري طبعة دارالمعارف: ج ٤ ص ١٥٥. (٥) المصدر: ص ٢٦٩-٢٧١.

مقتل عثمان^(١).

كل ذلك لا يلتزم وكون سعيد عضواً ثانياً للجنة إذا كانت تأسست عام ٣٠ وهكذا ابن الزبير وابن عباس على ما تقدم.

رابعاً: ذكر الذهبي فيمن توفي عام ثلاثين «إبي بن كعب». قال: وقال الواقدي: هو أثبت الأقاويل عندنا^(٢) مع العلم أن أياً كان مملياً على الأعضاء، وكان مرجعهم الأعلى في النسخ والمقابلة. خامساً: في حديث يزيد النخعي الأنف: إنني لفي المسجد زمن الوليد... الخ^(٣).

الأمر الذي يدل على وقوع القصة قبل سنة ثلاثين. وفي لفظ ابن حجر: أنه كان في بدء ولاية الوليد على الكوفة^(٤) ولا بد أنه كذلك، إذ كان تعين الوليد على الكوفة في مفتتح سنة ٢٦. وفي رواية سيف: أنها كانت سنة ٢٥^(٥). سادساً: وربما هو أقوى دليل: روى ابن أبي داود، عن مصعب بن سعد، قال: خطب عثمان - بدء قيامه بجمع القرآن - فقال: إنها قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن! عزمت على من عنده شيء من القرآن سماعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما اتاني به...^(٦).

هذه الخطبة تحدد بالضبط بدء تأسيس المشروع المصاحفي، وأنه كان عام ٢٥ بعد الهجرة.

وأخيراً فابن الأثير متفرد عن الطبري في سرد قضية حذيفة، ضمن حوادث سنة ثلاثين. ولا سيما والتفصيل الذي أتى عليه في تاريخه، جاء في صورة لانكاد نصدقها مأخوذة عن مستند تاريخي، وأغلب الظن أنها مجموعة

(١) المصدر: ص ٣٣٠ و ٣٦٥.

(٢) ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ٨٤. وراجع الطبقات: ج ٣ ص ٦٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٥١.

(٤) تقدم ذلك في الصفحة: ٣٣٣.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٤.

(٦) فتح الباري: ج ٩ ص ١٣-١٤.

روايات منضمة بعضها الى بعض زعمها مقترنة، فأوردها ضمن حوادث تلك السنة!!

ملحوظة: لا يعتمد الطبري نفسه على التحديدات الزمنية التي يذكرها هو قيدا للحوادث، فهو يتردد أحيانا في حادثة، بين وقوعها سنة ١٨ أو سنة ٢١، كواقعة نهاوند^(١) - مثلاً - فلا بد إذن لمعرفة تاريخ كل حادثة من البحث عن ملابساتها والتحقيق عن مناشئها وأسبابها، دون الاعتماد السريع على ما يذكره المؤرخون من توقيت.

منجزات المشروع:

اجتازت اللجنة المصاحفية في عملها ثلاث مراحل أساسية:

١- جمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن، من أطراف البلاد الإسلامية وإمحاءها.

٢- البحث عن مستندات ومنايع صحيحة لغرض النسخ عليها مصاحف متحدة وبتّها بين المسلمين.

٣- مقابلة هذه المصاحف الموحدة، لغرض التأكد من صحتها أولاً، وعدم وجود اختلاف بينها ثانياً.

وأخيراً إلزام المسلمين كافة على قراءتها ومنع غيرها من قراءات. واللجنة - وإن اجتازت هذه المراحل - ولكنها في شيء من التساهل وإهمال جانب الدقة الكاملة، ولا سيما في المرحلة الثالثة التي كانت بحاجة شديدة الى اهتمام أكثر.

ففي مرحلة جمع المصاحف وإمحاءها فقد أرسل عثمان الى كل افق من يجمع المصاحف أو الصحف التي فيها قرآن وأمرها أن تحرق^(٢).

(١) يصرّح الطبري: بتريده بشأن واقعة نهاوند: ج ٤ ص ١١٤ حوادث سنة ٢١.

(٢) صحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٦.

قال اليعقوبي: وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت، ثم سلقها بالماء الحار والخل. وقيل: أحرقها. فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك، خلا مصحف ابن مسعود، فامتنع أن يدفع مصحفه الى عبدالله بن عامر. فكتب إليه عثمان أن اشخصه. فدخل ابن مسعود المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنه قد قدمت عليكم دابة سوء. فكلم ابن مسعود بكلام غليظ. فأمر به عثمان فجزّ برجله حتى كسر له ضلعان: فتكلّمت عائشة وقالت قولاً كثيراً^(١).

وفي المرحلة الثانية، كان عثمان في بدء الأمر زعمها هينة، ومن ثم اختارها جماعة غير أكفاء، ثم لجأ أخيراً الى جماعة آخرين وفيهم الأكفاء مثل سيد القراء^(٢) الصحابي الكبير أبي بن كعب. كما وأرسل الى الربعة التي كانت في بيت حفصة، وهي الصحف التي جمع فيها القرآن أيام أبي بكر. فطلبها لتكون سنداً وثيقاً للمقابلة عليها والاستنساخ منها. فأبّت حفصة لأول أمرها أن تدفعها إليه، ولعلها خافت أن تأخذ مصيرها الى الحرق والتفريق كسائر المصاحف! حتى عاهدها عثمان ليردّها فبعثت بها إليه^(٣).

وهكذا وجّه نداء عاماً الى كافة المسلمين: عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أتاني به^(٤). فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسيب فيه القرآن. وربما كانوا ينتظرون أناساً كانوا أحدثهم بالعرضة الأخيرة، حتى يأتوهم بالقرآن. قال ابن سيرين: كانوا إذا تدارؤا في شيء أي اختلفوا في آية- أخره قال بعضهم: ولعلهم كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة.

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ج ١ ص ١٨٧ والطبقات: ج ٣ ص ٦٢.

(٣) المصاحف للسجستاني: ص ٩. وصحيح البخاري: ج ٦ ص ٢٢٦.

(٤) المصاحف للسجستاني: ص ٢٤.

فيكتبونها على قوله (١).

وقال أنس بن مالك: كنت فيمن أُملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولعله يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يحجى الرجل أو يرسل إليه (٢).

هذا... وربما كان أبي بن كعب يُملي عليهم القرآن فيكتبونه، أو يرسلون إليه فيصطحح لهم ما اشتبهت عليهم قراءتها.

جاء في حديث أبي العالصة: أنهم جمعوا القرآن من مصحف أبي. فكان رجال يكتبون يُملي عليهم أبي بن كعب (٣).

وقال عبدالله بن هانئ البربري - مولى عثمان -: كنت عند عثمان، وهم يعرضون المصاحف - أي يقابلون النسخ مع بعضها البعض - فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها: «لم يتسن» وفيها: «لا تبديل للخلق الله»، وفيها: «فامهل الكافرين» فدعا أبي بدواة فحى اللامين وكتب «لخلق الله». ومعى «فأمهل». وكتب «فهل» وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء (٤).

أما المرحلة الثالثة فكان التساهل فيها أوضح، حسب ما أودعت في المصحف العثماني من أخطاء ومناقضات إملائية بما لا يستهان بها، كما ولم تتحد نسخ المصاحف مع بعضها البعض، فكان بين المصاحف المرسلة إلى الآفاق اختلاف. الأمر الذي يؤخذ على أعضاء اللجنة، ولا سيما عثمان نفسه، الذي عثر على تلك الأخطاء وأهملها تساهلاً بالأمر!

يحدثنا ابن أبي داود عن بعض أهل الشام، كان يقول: مصحفنا ومصحف

(٣) المصدر: ص ٣٠.

(١) المصدر: ص ٢٥.

(٤) الإتقان: ج ١ ص ١٨٣.

(٢) المصدر: ص ٢١.

أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة. لأن عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراءة أهل الكوفة على حرف عبدالله. فبعث إليهم بالمصحف قبل أن يعرض. أي قبل مقابلته على سائر النسخ. وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث بهما^(١).

وهو تسريع في إرسال المصحف الى قطر كبير قبل مقابلته بدقة. كما وأن وجود اختلاف بين مصاحف الأمصار. على ما يحدثنا ابن أبي داود أيضاً^(٢). لدليل على مدى الإهمال الذي سمحوا به في ناحية المقابلة والإتقان من صحة النسخ.

وجانب أفضح من هذا التساهل الغريب: ما روى ابن أبي داود. أيضاً: أنهم عندما فرغوا من نسخ المصاحف أتوا به الى عثمان، فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجلمتم. أرى فيه شيئاً من لحن! - لكن - ستقيمه العرب بالسنتها؟ ثم قال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا! ^(٣).

قلت: ما هذا الإيتكال الغريب، والفرصة في قدرته! ألم يكن كتاب الله العزيز الحميد جديراً بالاهتمام به ليكون خلواً من كل خطأ أو لحن؟! ثم ما هذا التمتي الكاذب، وفي استطاعته بدء الأمر أن يختار مملياً من هذيل وكتبة من ثقيف، وهو يعلم أن فيهم الجدارة والكفاءة، الأمر الذي كان يعوزه من انتدبهم من بطانته حينذاك!!

نعم كانت مغبة هذا التساهل أن حصلت اختلافات في القراءة فيما بعد، وكان كراً على ما قرأوا منه. وسنفصل كل ذلك في فصول قادمة.

عدد المصاحف العثمانية:

اختلف المؤرخون في عدد المصاحف الموحدة التي أرسلت الى الآفاق. قال ابن

(١) المصاحف للسجستاني: ص ٣٥.

(٣) المصدر: ص ٣٢-٣٣.

(٢) المصدر: ص ٣٩-٤٩. وسنذكره في فصل قادم.

أبي داود: كانت ستة حسب الأمصار المهمة ذوات المركزية الخاصة: مكة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن. وحسب السابعة. وكانت تسمى الأم أول الإمام. بالمدينة^(١) وزاد اليعقوبي: مصر والجزيرة^(٢).

إذاً فعدد المصاحف التي نسختها لجنة توحيد المصاحف هي تسعة، واحدة هي الأم أول الإمام، كانت بالمدينة والبقية أرسلت الى مراكز البلاد الإسلامية آنذاك.

وكان المصحف المبعوث الى كل قطر يحتفظ عليه في مركز القطر، يستنسخ عليه ويرجع إليه عند اختلاف القراءة. ويكون هو حجة، والقراءة التي توافقها تكون هي الرسمية، وكل نسخة أو قراءة تخالفها تعد غير رسمية وممنوعة يعاقب عليها.

أما مصحف المدينة (الإمام) فكان مرجعاً للجميع بصورة عامة، حتى إذا كان اختلاف بين مصاحف الأمصار، فإن الحجة هو المصحف الإمام بالمدينة، فيجب أن يصحح عليه. *بزرگ محقق کتب نور علی*

وروي: أن عثمان بعث مع كل مصحف قارئاً يقرئ الناس على قراءة ذلك المصحف. فبعث مع المصحف المكي - مثلاً - عبدالله بن السائب. ومع المصحف الشامي المغيرة بن شهاب. ومع المصحف الكوفي أبا عبدالرحمان السلمي. ومع المصحف البصري عامر بن عبدالقيس.. وهكذا. وكان قارئ المدينة والمقرئ من قبل الخليفة هوزيد بن ثابت^(٣).

هذا.. وكانت شدة الاهتمام بهذه المصاحف والتحفظ عليها من قبل السلطات، وشدة حرص الناس على محافظتها ودراستها، تستدعي بقاءها مع الخلود. غير أن تطورات حصلت عليها فيما بعد: تنقيط وتشكيل وتحزيب وأخيراً

(٣) مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٩٦-٣٩٧.

(١) المصاحف للسجستاني: ص ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٦٠.

تغيير الخط من الكوفي البدائي الذي كتبت به المصاحف على عهد عثمان، الى الكوفي المعروف، وبعده الى خط النسخ العربي الجميل وخطوط أخرى تداولت فيما بعد. كل ذلك جعل من المصاحف العثمانية الأولى على مدرج النسيان، فأُمست مهجورة ولم يعد لها أثر في الوجود.

هذا... وذكر ياقوت الحموي (توفي سنة ٦٢٦هـ) أنَّ في جامع دمشق مصحف عثمان بن عفان. قالوا: إنه خطه بيده^(١).

وهذا المصحف رآه ابن فضل الله العمري (توفي سنة ٧٤٩هـ). قال: وإلى الجانب الأيسر من جامع دمشق المصحف العثماني بخط عثمان بن عفان^(٢). ولم يحفظ لعثمان أنه خط مصحفاً بيده، فلعله مصحف الشام بقي لذلك العهد.

وهذا المصحف يذكره ابن كثير (توفي سنة ٧٧٤هـ) من غير أن ينسبه إلى خط عثمان. قال: وأما المصاحف العثمانية فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة. وقد كان قديماً بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود سنة ٥١٨هـ. وقد رأيت كتاباً ضخماً بخط حسن مبین قوي، بجبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل^(٣).

وقال الرحالة ابن بطوطة (توفي سنة ٧٧٩هـ): وفي الركن الشرقي من المسجد ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه عثمان بن عفان إلى الشام، وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم. وهناك يحلف الناس غرماءهم ومن ادعوا عليه شيئاً^(٤).

(٣) فضائل القرآن لابن كثير: ص ٤٩.

(١) معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٦٩.

(٤) رحلة ابن بطوطة: ج ١ ص ٥٤.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ج ١ ص ١٩٥.

ويقال، إنَّ هذا المصحف بقي في مسجد دمشق حتى احترق فيه سنة ١٣١٠هـ^(١).

قال الدكتور صبحي صالح: وقد ذكر لي زميلي الأستاذ الدكتور يوسف العش: أنَّ القاضي عبدالمحسن الاسطواني أخبره بأنَّه قد رأى المصحف الشامي قبل احتراقه، وكان محفوظاً بالمقصورة وله بيت خشب^(٢).

قال الأستاذ الزرقاني: ليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها.

أمَّا المصاحف الأثرية التي تحتويها خزائن الكتب المصرية، ويقال عنها: إنها مصاحف عثمانية، فإننا نشك كثيراً في صحة هذه النسبة، لأنَّ بها زركشة ونقوشاً موضوعة كعلامات للفصل بين السور، ولبیان أعشار القرآن. ومعلوم أنَّ المصاحف العثمانية كانت خالية من كلِّ هذا ومن النقط والشكل.

نعم في خزانة المشهد الحسيني مصحف منسوب إلى عثمان، مكتوب بالخط الكوفي القديم، مع تجويف حروفه وسعة حجمه جداً. ورسمه يوافق رسم المصحف المدني أو الشامي، حيث رسم فيه كلمة «من يرتدد» من سورة المائدة بدالين مع الفك، فأكبر الظنَّ أنَّ هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها^(٣).

وهكذا نسب إلى خط الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مصحف بعض أوراقه محفوظة بالخزانة العلوية في النجف الأشرف. بخط كوفي قديم، كتب على آخره: كتبه علي بن أبوطالب في سنة أربعين من الهجرة. قال الأستاذ أبو عبد الله الزنجاني: ورأيت في شهر ذي الحجة سنة ١٣٥٣هـ في دار الكتب

(٣) مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٩٧-٣٩٨.

(١) انظر خطط الشام: ج ٥ ص ٢٧٩.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ص ٨٩ بالهامش.

العلوية في النجف مصحفاً بالخط الكوفي كتب على آخره: كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة ولتشابه «أبي» و «أبو» في رسم الخط الكوفي قد يظن من لاخبرة له أنه كتب علي بن أبوطالب بالواو^(١).

وفي خزانة الآثار بالمسجد الحسيني بالقاهرة أيضاً مصحف يقال: أن علي بن أبي طالب كتبه بخطه، وهو مكتوب بخط كوفي قديم. قال الأستاذ الزرقاني. من الجائز أن يكون كاتبه علياً، أو يكون قد أمر بكتابه في الكوفة^(٢).

ويذكر ابن بطوطة: أن في مسجد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالبصرة، المصحف الكريم الذي كان عثمان يقرأ فيه لما قتل. وأثر تغير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٣) وهو غريب!

وروى السهودي عن محررين ثابت، قال: بلغني أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، فلما استخلف المهدي (العباسي) بعث بمصحف إلى المدينة، فهو الذي يقرأ فيه اليوم، وعزل مصحف الحجاج، فهو في الصندوق الذي دون المنبر.

وقال ابن زبالة: حدثني مالك بن أنس أن الحجاج أرسل إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف كبير، وكان هذا المصحف في صندوق، عن يمين الاسطوانة التي عملت علماً لمقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان فجعلت في صندوق ونحى عنها مصحف الحجاج.

قال السهودي: ولا ذكر لهذا المصحف الموجود اليوم بالقبة التي بوسط

(١) تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني: ص ٤٦. (٣) رحلة ابن بطوطة: ج ١ ص ١١٦.

(٢) مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٩٨.

المسجد المنسوب لعثمان في كلام أحد من متتلمي المؤرخين.
وفي كلام ابن النجار- وهو أول من ترجم مصاحف المساجد-: أنَّ
المصاحف الأولية قد دثرت على طول الزمان وتفرقت أوراقها فلم تبق لها باقية
بعد ذلك^(١).

تعريف عام بالمصاحف العثمانية:

كانت المصاحف العثمانية- بصورة عامة- ذات ترتيب خاص يقرب من
ترتيب مصاحف الصحابة في أصل المنهج الذي سارت عليه بتقديم الطوال على
القصار، مع اختلاف يسير.
وكانت خالية عن كل علامة تشير إلى إعجام الحرف أو تشكيله. أو إلى
تجزئته من أحزاب وأعشار وأخماس...
وكانت مليئة بأخطاء إملائية ومناقضات في رسم الخط، ويرجع السبب
إلى بداءة الخط الذي كان يعرفه الصحابة آنذاك.
تلك أوصاف عامة جرت عليها تلك المصاحف نفصلها فيما يلي:

١- الترتيب:

تقدم الكلام عن ترتيب المصحف العثماني، هو الترتيب الحاضر في
المصحف الكريم، وهو الترتيب الذي جرت عليه مصاحف الصحابة حينذاك ،
ولا سيما مصحف أبي بن كعب. لكنه خالفها في موارد يسيرة:
من ذلك: أنَّ الصحابة كانوا يعدّون سورة يونس من السبع الطوال،
فكانت هي السورة السابعة^(٢) أو الثامنة^(٣) في ترتيب مصحفهم.

(٣) في مصحف أبي بن كعب.

(١) راجع وفاء الوفاء: ج ٢ ص ٦٦٧-٦٦٨.

(٢) في مصحف ابن مسعود.

لكن عثمان عمد الى سورة الأنفال فجعلها هي وسورة براءة سابعة السبع الطوال، زعمهما سورة واحدة وأخر سورة يونس الى سورالمئين.

الأمرالذي أثار ابن عباس^(١) ليعترض على عثمان، قائلاً: ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال، وهي من المثاني^(٢) وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم^(٣) ووضعتموهما في السبع الطوال؟!!

قال عثمان: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً. وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتم بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال. كذا في نسخة من نسخة

قال الحاكم: والحديث صحيح على شرط الشيخين^(٤).

وهذا يدل على اجتهاد الصحابة في ترتيب المصحف. فكان عثمان يعرف أن آيات من سور ربما كان يتأخر نزولها، فيأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أن توضع موضعها من السورة المتقدمة. فزعم عثمان أن سورة براءة هي من تنمة سورة الأنفال^(٥) لتشابه ما بينهما في السياق العام: تعنيف بيناوئي الإسلام من

(١) سبق أن عضويته في لجنة توحيد المصاحف كانت متأخرة.

(٢) لعله ينظر الى مصحف ابن مسعود الذي جعلها من المثاني. أمّا في مصحف أبي بن كعب فهي من المئين.

(٣) أيضاً ينظر الى مصحف ابن مسعود الذي أثبت فيه البسمة لسورة براءة.

(٤) مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٢٢١ و ٣٣٠.

(٥) وهكذا روى العياشي: ج ٢ ص ٧٣ ح ٣ بسنده عن أحدهما (عليهما السلام) قال: الأنفال وسورة

كافرين ومنافقين. وتحريض بالمؤمنين على الثبات والكفاح لتثبيت كلمة الله في الأرض. وحيث لم يرد نقل بشأنها فقرن بينهما وجعلها سورة واحدة هي سابعة الطوال.

ولعله لم يتنبه أن سورة براءة نزلت نقمة بالكافرين، ومن ثم لم تنزل معها التسمية التي هي رحمة، حيث لا يتناسب بدء نقمة برحمة. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): البسمة أمان، وبراءة نزلت بالسيف^(١).

وهكذا اختلافات يسيرة جاءت في المصحف العثماني مع بقية المصاحف، لا في أصول منهج الترتيب العام، بل في سور كل نوع من التنويع المتقدم. وكان الجدول السابق^(٢) كفل بيان هذا الاختلاف.

٢- النقط والتشكيل:

كانت المصاحف العثمانية خلواً عن كل علامة مائزة بين الحروف المعجمة والحروف المهملة، وفق طبيعة الخط الذي كان دارجاً عند العرب آنذاك. فلا تمييز بين الباء والتاء، ولا بين الياء والشاء. ولا بين الجيم والحاء والحاء. وهكذا كان مجرداً عن الحركة والإعراب... وكان على القارئ بنفسه أن يميز بينهما عند القراءة حسب ما يبدو له من قرائن. كما كان عليه أن يعرف هو بنفسه وزن الكلمة وكيفية إعرابها أيضاً.

ومن ثم كانت قراءة القرآن في الصدر الأول موقوفة على مجرد السماع

براءة واحدة.

وهناك اختلاف بين العلماء في أنها سورة واحدة أم اثنتان؟ راجع مجمع البيان: ج ٥ ص ٢. وربما كان يرجح القول بأنها سورة واحدة ماورد: إنها كان يعرف انقضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء للآخرى. تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩ ح ٥.

(١) مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٣٣٠. والإتقان: ج ١ ص ٦٥. ومجمع البيان: ج ٥ ص ٢.

(٢) تقدم ذلك في الصفحة: ٣٢١-٣٣٢.

والنقل فحسب. ولولا الإسماع والإقراء كانت القراءة في نفس المصحف الشريف ممتعة تقريباً.

مثلاً: لم تكن كلمة «تبلو» تفترق في المصحف عن كلمة «نبلو» أو «نتلو» أو «تتلو» أو «يتلو»... وكذا كلمة «يعلمه» لم تكن تتميز عن كلمة «تعلمه» أو «نعلمه» أو «بعلمه»..

وهكذا قوله: «لتكون لمن خلفك آية» ربّما قرأه بعضهم: «لمن خلقك». وفيما يلي أمثلة واقعية، اختلفت القراءة فيها، مغبة خلوّ المصاحف من النقط: «نُنشَرُها»-«ننشرها»-«تنشرها»^(١).

«يُعَلِّمُهُ»-«نعلمه»^(٢).

«تَبْلُو»-«تتلو»^(٣).

«نُنَجِّيكَ»-«ننحيك»^(٤).



«لَنُبَوِّئَنَّهُمْ»-«لنثوينهم»-«لنبوينهم»^(٥).

«نُجَازِي»-«يجازي»^(٦).

«فَتَبَيَّنُوا»-«فتثبتوا»^(٧).

الى غيرها من أمثلة وهي كثيرة.

هذا... وخلوّ المصاحف الأولية من علائم فارقة، كان عمدة السبب في اختلاف القراءات فيما بعد. إذ كان الاعتماد على الحفظ والسماع، وبطول الزمان

(١) البقرة: ٢٥٩. راجع مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٦٨.

(٢) آل عمران: ٤٨. راجع مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٤٤.

(٣) يونس: ٣٠. راجع مجمع البيان: ج ٥ ص ١٠٥.

(٤) يونس: ٩٢. راجع مجمع البيان: ج ٥ ص ١٣٠.

(٥) العنكبوت: ٥٨. راجع مجمع البيان: ج ٨ ص ٢٩٠.

(٦) سبأ: ١٧. راجع مجمع البيان: ج ٨ ص ٣٨٤.

(٧) الحجرات: ٦. راجع مجمع البيان: ج ٣ ص ٩٤ وج ٩ ص ١٣١.

ربما كان يحصل اشتباه في النقل أو خلط في السماع، مادام الإنسان هو عرضة للنسيان، والاشتباه حليفه مهما دقق في الحفظ، لولم يقيده بالكتابة. ومن ثم قيل: ما حفظ فزوما كتب قر.

أضف الى ذلك تخلخل الأمم غير العربية في الجزيرة وتضخم جانبهم مطرداً مع التوسعة في القطر الإسلامي العريض. فكان على أعضاء المشروع المصاحفي في وقته أن يفكروا في مستقبل الأمة الإسلامية، ويضعوا علاجاً لما يحتمل الخلل في قراءة القرآن قبل وقوعه. ولكن أتى وروح الإهمال والتساهل كان مسيطراً تماماً على المسؤولين آنذاك.

هذا.. وقد أغرب ابن الجزري، فزعم أن المسؤولين آنذاك تركوا وضع العلام عن عمد وعن قصد، لحكمة! قال: وذلك ليحتمل الخط ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي (صلى الله عليه وآله) إذ كان الاعتماد على الحفظ والسماع لا على مجرد الخط^(١).

ووافق الزرقاني على هذا التبرير المفضوح، قال: كانوا يرسمونه بصورة واحدة خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال^(٢).

لكن لا مجال لهذا التبرير بعد أن نعلم أن الخط عند العرب حينذاك كان بذاته خالياً عن كل علامة ماثرة. وكان العرب هم في بداءة معرفتهم بالخط والكتابة، فلم يكونوا يعرفون من شؤون الإعجام والتشكيل وسائر العلام شيئاً، لحدّ ذلك الوقت.

نشأة الخط العربي:

ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على معرفتهم بالكتابة، إلا قبيل الإسلام. والسبب في ذلك أن العرب كان قد غلب على طباعهم البداوة،

(٢) مناهل العرفان: ج ١ ص ٢٥١.

(١) النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٧.

فكانوا في ترحال وارتحال أو حروب وغارات، وكانت تصرفهم عن التفكير في شؤون الصناعات، والكتابة من الصناعات الحضريّة.

لكن بعض العرب ممّن رحلوا الى الشام والعراق في تجارة أو سفارة، جعلوا يتخلّقون بأخلاق تلكم الأمم المتحضّرة. فاقتبسوا منهم الكتابة والخط على سبيل الاستعارة، فعادوا وبعضهم يكتب بالخط النبطي أو الخط السرياني. وظلّ الخطان معروفين عند العرب الى ما بعد الفتح الإسلامي.

وقد تخلف عن الخط النبطي الخط النسخي - وهو المعروف اليوم - وتخلّف عن الخط السرياني الخط الكوفي. وكان يسمّى الخط الحيري، نسبة الى الحيرة - مدينة عربية قديمة بجوار الكوفة اليوم - لأنّ هذا التحوّل حصل فيها. ثم بعد بناء الكوفة وانتقال الحضارة العربيّة إليها، تحوّل اسم هذا الخط الى الخط الكوفي. وظلّ هذا الخط هو المعروف والمتداول بين العرب في فترة طويلة.

والخط النبطي - المتحوّل الى الخط النسخي - تعلّمته العرب من حوران، أثناء تجارتهم الى الشام. أمّا الخط الحيري أو الكوفي فقد تعلّموه من العراق. فكانوا يستخدمون القلمين جميعاً: الأوّل في المراسلات والكتابات الاعتيادية والثاني للكتابات ذوات الشأن كالقرآن والحديث.

ودليلاً على تخلف الخط الكوفي عن السريانيّة: أنّهم كتبوا في القرآن «الكتب» بدل «الكتاب»، و«الرحمن» بدل «الرحمان». وتلك قاعدة مطردة في الخط السرياني، يحذفون الألفات الممدودة في أثناء الكلمة.

جاء الإسلام والخط غير معروف عند العرب الحجازيين، فلم يكن يعرف الكتابة إلّا بضعة عشر رجلاً، واستخدمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكتابة الوحي. لكنّه جعل يحرض المسلمين على تعلّم الخط حتى نموا وكثروا.

وقد بقي الخطان: النسخ والكوفي، هما المعروفين بين المسلمين، يعملون في تطويرهما وتحسينهما، حتى نبغ ابن مقلة في مفتتح القرن الرابع الهجري، وأدخل في خط النسخ تحسينات فائقة. وهكذا بلغ الخط النسخي العربي ذروته في

الكمال على نحو ما هو عليه الآن.

وظل الخط الكوفي، على عكس ازدهار الخط النسخي وتقدمه، يتدهور الى أن هجر تماماً، وكتبت المصاحف بعدئذ بالخط النسخي الجميل. وقد كانت تكتب بالخط الكوفي نحو قرنين أو أكثر^(١).

أول من نقط المصحف:

كان الخط عندما اقتبسته العرب من السريان والأنباط، خالياً من النقط، ولا تزال الخطوط السريانية بلانقط الى اليوم. وهكذا جرت عليه العرب يكتبون بلانقط حتى منتصف القرن الأول، وبعده بقليل جعل الخط العربي ينتقل الى دوره الجديد، دور تشكيل الخط وتنقيطه، وسيأتي الكلام عن التشكيل.

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (٧٥-٨٦هـ) تعرف الناس على نقط الحروف المعجمة وامتيازها عن الحروف المهملة. وذلك على يد يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، تلميذ أبي الأسود الدؤلي^(٢).

والسبب في ذلك: أن الموالي في هذا العهد قد كثروا، وازدحم القطر الإسلامي بأجانب عن اللغة العربية، وكان منهم العلماء والقراء، والعربية

(١) راجع دائرة معارف القرن العشرين، لفريد وجدي: ج ٣ ص ٦٢١. وتاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان: ج ٣ ص ٥٨-٦٠. والمقدمة لابن خلدون: ص ٤١٧-٤٢١. وأصل الخط العربي، لخليل يحيى نامي، المجلد الثالث. والخط العربي الإسلامي، لتركبي عطية: ص ٢٢. وانتشار الخط العربي، لعبد الفتاح عبادة: ص ١٣-١٥. ومصور الخط العربي لناجي المصنف: ص ٣٣٨. وتاريخ الخط العربي، لمحمد طاهر الكردي: ص ٥٤.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين: ج ٣ ص ٧٢٢. ومناهل العرفان: ج ١ ص ٣٩٩-٤١٠. وتاريخ القرآن: ص ٦٨.

ليست لغتهم، فكان لابد أن يقع في تلفظهم لحن، ومن ثم كثر التصحيف في القراءات، وهال المسلمين ذلك.

حكى أبو أحمد العسكري^(١) أن الناس غيروا يقرأون في مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففرع الحجاج بن يوسف إلى كتابه وسأهم أن يضعوا لهذه الحروف المشبهة علامات. فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها...^(٢).

وقال الأستاذ الزرقاني: أول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذا أبي الأسود الدؤلي^(٣).

أول من شكل المصحف:

وهكذا كان الخط العربي آنذاك مجرداً عن التشكيل (علامات حركة الكلمة وإعرابها) وبطبيعة الحال كان المصحف الشريف خلواً عن كل علامة تشير إلى حركة الكلمة أو إعرابها.

بيد أن القرآن في الصدر الأول كان محفوظاً في صدور الرجال ومأموناً عليه من الخطأ واللعن، بسبب أن العرب كانت تقرأه صحيحاً حسب سليقتها الفطرية التي كانت محفوظة لحدّ ذلك الوقت. أضف إلى ذلك شدة عنايتهم بالأخذ والتلقي عن مشايخ كانوا قريبي العهد بعصر النبوة. فقد توفرت الدواعي على حفظه وضبطه صحيحاً حينذاك.

أما وبعد منتصف القرن الأول حيث كثّر الدخلاء وهم أجانب عن اللغة فإن السليقة كانت تعوزهم، فكانوا بأمس حاجة إلى وضع علامات ودلالات

(٣) مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٩٩.

(١) في كتاب التصحيف: ص ١٣.

(٢) ابن خلكان: ج ٢ ص ٣٢ في ترجمة الحجاج.

تؤمن عليهم الخطأ واللعن.

مثلاً: لفظة «كتب» كانت العرب تعرف بسليقتها الذاتية، أنها في قوله تعالى: «كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ»^(١) تقرأ مبنياً للفاعل، وفي قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»^(٢) مبنياً للمفعول. أما الرجل الأعجمي فكان يشتبه عليه قراءتها معلومة أو مجهولة.

كما أن أبا أسود سمع قارئاً يقرأ: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ»^(٣) - بكسر اللام - فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل الى هذا، فرجع الى زياد بن أبيه - وكان والياً على الكوفة (٥٠ - ٥٣ هـ) وكان قد طلب إليه أن يصنع شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه أبو الأسود، حتى سمع بنفسه هذا اللحن في كلام الله - فعند ذلك عزم على إنجاز ماطلبه زياد^(٤) فقال: أفعل ما أمر به الأمير، فليبلغ لي كاتباً مجيداً يفعل ما أقول. فأتوه بكاتب من عبد قيس فلم يرضه، فأتوه بآخر وكان واعياً فاستحسنه.

قال أبو الأسود للكاتب: إذا رأيته قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه من أعلاه. وإن ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف^(٥) وفي لفظ ابن عياض: زيادة قوله: فإذا أتبت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين ففعل^(٦).

وظل الناس بعد ذلك يستعملون هذه النقط علاماً للحركات، غير أنهم

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) البقرة: ١٨٣.

(٣) التوبة: ٣.

(٤) يقال: إن زياداً هو الذي دبر هذه الطريقة ليجهريها أبو الأسود على قبول ماطلبه منه. فأوصر الى رجل من أتباعه أن يقعد في طريق أبي الأسود ويتمدد اللحن في القراءة (تركي عطية: الخط العربي الإسلامي: ص ٢٦) و (يوسف أحمد: الخط الكوفي: ص ٢٣).

(٥) الفهرست: ص ٤٦ الفن الأول من المقالة الثانية.

(٦) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر: ص ٥٢.

في الأغلب- كانوا يكتبونها بلون غير لون خط المصحف. والأكثر يكتبونها بلون أحمر.

والظاهر أن تبديل النقط السود الى نقط ملونة حدث بعد وضع الإعجام على يد نصر بن عاصم الأنف، للفرق بين النقطة التي هي علامة الحركة، والتي هي علامة الإعجام.

قال جرجي زيدان: وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية، وجدوه في جامع عمرو بن العاص بجوار القاهرة، وهو من أقدم مصاحف العالم، ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة من فوق الحرف فتحة وتحتها كسرة وبين يديها ضمة، كما وصفها أبو الأسود^(١).

وقد جرى بالأندلس استعمال أربعة ألوان للمصاحف هي: اللون الأسود، للحروف. واللون الأحمر، للشكل بطريقة النقط. واللون الأصفر، للهمزات. واللون الأخضر، لألفات الوصل^(٢) *بزرقيته كغيره من رسله*

تحسينات متأخرة:

قال جلال الدين: كان الشكل في الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمّة على آخره والكسرة تحت أوله. وعليه مشى الداني. والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذي أخرجه الخليل بن أحمد الفراهيدي^(٣) فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضمّ واو صغيرة فوقه، والتنوين زيادة مثلها... قال: وأول من

(١) تاريخ التمدن الإسلامي: ج ٣ ص ٦١.

(٢) الخط العربي الإسلامي (تركي عطية): ص ٢٧. نقلاً عن عثمان بن سعيد الداني في كتابه «المقنع». وتاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني: ص ٦٨.

(٣) هو أول من صنف النقط ورسمه في كتاب وذكره عله (المحكم: ٩).

وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام الخليل أيضاً^(١).

وهكذا كلّمها امتدّ الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بالقرآن وتيسير رسمه من طور الى طور، حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري، بلغ الرسم ذروته في الجودة والحسن، وأصبح الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، حتى جعلوا لسكون الحرف رأس خاء، ومعناها: أن الحرف المسكّن أخفّ من الحرف المتحرّك . أو برأس ميم، ومعناه: أن الحرف مسكّن فلا تحرّكه . وعلامة التشديد ثلاث سنابات، ومعناها: شدّ الحرف شديداً ووضعوا لألفات الوصل رأس صاد، ومعناه: صل هذا الحرف .. وهكذا لطفت صناعة رسم الخطّ لطفاً، ورقت حاشيته تهذيباً حسناً وظرفاً^(٢).

وأما وضع الأعشار والأخماس وغيرهما من علائم التحزيب والتجزئة، فقليل: إنّ المأمون العباسي هو الذي أمر بذلك .

وقيل: إن الحجاج فعل ذلك، قال أحمد بن الحسين: بعث الحجاج الى قرّاء البصرة فجمعهم واختار منهم جماعة، وقال: عدّوا حروف القرآن، فجعلوا يعدّونها أربعة أشهر، وإذا هي: ٧٧٤٣٩ كلمة. و٣٢٣٠١٥ حرفاً. وفي رواية: ٣٤٠٧٤٠ حرفاً. وينتصف القرآن على الفاء من قوله: «وَلْيَتَلَطَّفْ»^(٣). وعدد آياته- في قول علي (عليه السلام): ٦٢١٨ آية. وفي رواية (٦٢٣٦).

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزئته الى ثلاثين جزءاً تسهيلاً لقراءته في المدارس وغيرها.

وأطول سورة في القرآن هي البقرة، وأقصرها الكوثر.

وأطول آية في القرآن آية الدين^(٤) تحتوي على ١٢٨ كلمة وهي ٥٤٠ حرفاً.

(١) الإتيان: ج ٢ ص ١٧١. وكتاب النقط لأبي عمرو الداني: ص ١٣٣.

(٢) المصباح لسلامة بن عياض (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٥٢).

(٣) الكهف: ١٩.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

وأقصر آية «وَالضُّحَىٰ» ثم «وَالْفَجْر». حروفها: ٥ لفظاً و٦ رسماً.
وأطول كلمة في القرآن: «فَأَسْقَيْنَا كَمُوءَ»^(١) أحد عشر حرفاً لفظاً
ورسماً^(٢).

وأخرج أحمد في مسنده عن أوس بن حذيفة، قال: كنت في الوفد الذين
أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا أسلموا من ثقيف من بني مالك فأنزلنا
في قبة له، فكان يختلف إلينا بين بيوته وبين المسجد، فإذا صلى العشاء
الآخرة انصرف إلينا يحدثنا مالتى من قومه بمكة وبعد المهاجرة إلى المدينة.
فكث عتاً ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء قال: قلنا: ما أمكثك
عتاً يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: طرأ عتني حزب من القرآن،
فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
والله حين أصبحنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ست سور وخمس سور
وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من
سورة ق حتى تحتم^(٣).

والظاهر أن الجملة الأخيرة هي من كلام أوس نفسه، تفريعاً على ما ذكره
أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن القرآن لم يؤلف حينذاك
مصحفاً بين دفتين. وإنما كانت السور مكتملة، فكانوا يقسمون السور إلى أعداد
متساوية لتسهيل قراءتها حسب تقسيم الأيام أو الأوقات.

٣. مخالفات في رسم الخط:

لا شك أن الخط وضع ليعبر عن المعنى بنفس اللفظ الذي ينطق به، فالكتابة
في الحقيقة قيد للفظ المعبر عن المعنى المقصود. وعليه فيجب أن تكون الكتابة

(١) الحجر: ٢٢.

(٢) راجع البرهان: ج ١ ص ٢٤٩-٢٥٢.

(٣) مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٤٣.

مطابقة للفظ المنطوق به تماماً، ليكون الخط مقياساً للفظ من غير زيادة عليه أو نقصان.

غير أن أساليب الإنشاء والكتابة تختلف عن هذه القاعدة بكثير. ولكن لا بأس بذلك مادام الاصطلاح العام جارياً عليه، فلا يستب اشتباهاً أو التباساً في المراد.

هذا... ورسم الخط في المصحف الشريف تختلف حتى عن المصطلح العام ففيه الكثير من الأخطاء الإملائية وتناقضات في رسم الكلمات، بحيث إذا لم يكن سماع وتواتر في قراءة القرآن، ولا يزال المسلمون يتوارثونها جيلاً بعد جيل، في دقة وعناية بالغة، لولا ذلك لأصبح قراءة كثير من كلمات القرآن، قراءة صحيحة، مستحيلة.

ويرجع السبب - كما تقدم - إلى عدم اضطلاع العرب بفنون الخط وأساليب الكتابة ذلك العهد. بل ولم يكونوا يعرفون الكتابة غير عدد قليل، خطأ بدائياً رديئاً للغاية. كما يبدو على خطوط باقية من الصدر الأول^(١).

كما يبدو أن الذين انتدبهم عثمان لكتابة المصحف كانوا غاية في رداءة الخط وجهلاء بأساليب الكتابة، حتى ولو كانت بدائية آنذاك.

يحدثنا ابن أبي داود - كما سبق -: أنهم بعدما أكملوا نسخ المصاحف، رفعوا إلى عثمان مصحفاً فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحق ستقيمه العرب بألسنتها. ثم قال: أما لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا^(٢).

يبدو من هذه الرواية أن عثمان كان يعلم من هذيل معرفتها بأسلوب الإنشاء ذلك الوقت، ومن ثقيف حسن كتابتها وجودة خطها. الأمر الذي

(١) راجع مقدمة ابن خلدون: ص ٤١٩ - ٤٣٨.

(٢) المصاحف، للسجستاني: ص ٣٢ - ٣٣.

فقده في المصحف الذي رفع إليه. ومن ثم يؤخذ عليه انتدابه الأول الذي تم من غير دقة ولا عناية!

وروى الثعلبي في تفسيره - عند قوله تعالى: «إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَسَاحِرَٰنِ»^(١) - أنَّ عثمان قال: إنَّ في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتها. فقليل له: إلا تغيره؟ - أي ألا تصححه؟ - فقال (عن تكاسل أو تساهل): دعوه فإنَّه لا يحلَّ حراماً ولا يحرم حلالاً^(٢).

هذا... ولا بن روزبهان - هنا - محاولة فاشلة. قال: وأما عدم تصحيح لفظ القرآن، لأنَّه كان يجب عليه (على عثمان) متابعة صورة الخط، وهكذا كان مكتوباً في المصاحف، ولم يكن له التغيير جائزاً، فتركه لأنَّه لغة بعض العرب!^(٣)

ماندري ماذا يعني بقوله: كان مكتوباً في المصاحف، أي مصاحف؟ وكيف يجمع بين قوله هذا وقوله أخيراً: لأنَّه لغة بعض العرب؟! وعلى أيّ تقدير فإنَّ تساهل المسؤولين، ذلك العهد، أعقب على الأمة - مع الأبد - مكابدة أخطاء ومناقضات جاءت في المصحف الشريف، من غير أن تجرأ العرب أو غيرهم على اقامتها عبر العصور.

نعم لم يمسوا القرآن بيد إصلاح بعد ذلك قط لحكمة، هي خشية أن يقع القرآن عرضة تحريف أهل الباطل بعدئذ بحجة إصلاح خطئه أو إقامة أوده، فيصبح كتاب الله معرضاً خصباً لتلاعب أيدي المغرضين من أهل الأهواء. وقد قال علي (عليه السلام) كلمته الخالدة: إنَّ القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول^(٤) فأصبحت مرسوماً قانونياً التزم به المسلمون مع الأبد.

(١) طه: ٦٣.

(٣) المصدر: ص ١٩٧.

(٢) دلائل الصدق للمظفر ج ٣ ص ١٩٦.

(٤) تفسير الطبري: ج ١٧ ص ٩٣.

(ملحوظة): ليس وجود أخطاء إملائية في رسم المصحف الشريف بالذي يمس كرامة القرآن:

أولاً: القرآن- في واقع- هو الذي يقرأ، لا الذي يكتب. فلتكن الكتابة بأي أسلوب، فإنها لا تضر شيئاً مادامت القراءة باقية على سلامتها الأولى التي كانت تقرأ على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته الأكرمين. ولا شك أن المسلمين احتفظوا على نص القرآن بلفظه المقروء صحيحاً، منذ الصدر الأول فالى الآن، وسيبقى مع الخلود في تواتر قطعي.

ثانياً: تخطئة الكتابة هي استنكار على الكتابة الأوائل: جهلهم أو تساهلهم، وليست قدحاً في نفس الكتاب، الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»^(١).

ثالثاً: أن وجود أخطاء ظلت باقية لم تبدل، يفيد المسلمين في ناحية احتجاجهم بها على سلامة كتابهم من التحريف عبر القرون. إذ أن أخطاء إملائية لا شأن لها، وكان جديراً أن تمتد إليها يد الإصلاح، ومع ذلك بقيت سليمة عن التغيير، تكريماً بمقام السلف فيما كتبوه، فأجدر بنص الكتاب العزيز أن يبقى بعيداً عن احتمال التحريف والتبديل رأساً. وقلنا- آنفاً-: إن الحكمة في الإبقاء على تلكم الأخطاء كانت هي الحذر على نفس الكتاب: أن لا تمسه يد سوء بحجة الإصلاح، ومن ثم أصبحت سداً منيعاً دون أطماع المغرضين، وبذلك بقي كتاب الله يشق طريقه الى الأبدية بسلام.

(ملحوظة أخرى): بأيدينا آثار- رويت بأسانيد، حكم أرباب النقد والتمحيص بصحتها- تنسب الى كثير من الصحابة والتابعين اعتقادهم بخطأ رسم المصحف العثماني، وعدم ثقتهم بالكتابة الأولى، فيما كانوا يتشككون في

ثبت آية أو كلمة هل كانت كما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ وهذا يبدو غريباً للغاية!

نعم ان دلت فإنما تدلّ على أن الثقة بالرسم القائم من قبل الكتاب الذين انتدبهم عثمان، كانت قد زالت عند الصحابة والتابعين، إذ وجدوهم غير أكفاء لهكذا مشروع جلل. وقد أخذوا من لحن المرسوم دليلاً على قصورهم في الأمر، ومن ثم لم يثقوا بالرسم الموجود.

هذا غاية ماتدلّ عليه تلك الآثار، أما المحتوى فلانكاد نصدقه على أي تقدير. وفيما يلي نماذج من ذلك:

١- روى ابن أبي داود وأبو عبيد بسندهما الى عروة بن الزبير، قال: سألت عائشة عن لحن القرآن في ثلاث آيات: «إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَآئِنِ»^(١). و«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ»^(٢). و«لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»^(٣)!

فقلت: يا ابن اختي، هذا عمل الكتاب، أخطأوا في الكتابه^(٤).

قال جلال الدين السيوطي: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين^(٥).

٢- روى أحمد بن حنبل بسنده الى أبي خلف مولى بني جهم: أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة في سقيفة زمزم، ليس في المسجد ظلّ غيرها، فرحبت

(١) طه: ٦٣. والقاعدة تقتضي نصب اسم إن. وعن أبي عمرو: إني لأستحي أن أقرأ «إن هذان

لساحران». ! التفسير الكبير: ج ٢٢ ص ٧٤.

(٢) المائدة: ٦٩: ومقتضى القاعدة هو النصب لأنه عطف على اسم إن.

(٣) النساء: ١٦٢. ويجب الرفع، لأنه عطف على مرفوع.

(٤) المصاحف للسجستاني: ص ٣٤. وفضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام. والانتصار للباقلاني:

ص ١٨٤. وتأويل مشكل القرآن: ص ٢٥-٢٦.

(٥) الإتقان: ج ١ ص ١٨٢-١٨٤.

بعبيد بن عمير، وقالت: ما جاء بك؟ قال: جئت أن أسألك عن آية في كتاب الله، كيف كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأها؟ فقالت: آية آية؟ فقال: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا - أَوْ يَأْتُونَ مَا أُتُوا»^(١)؟ فقالت: أيتها أحب إليك؟ قال: والذي نفسي بيده لاحداهما أحب إلي من الدنيا جميعاً! قالت: أيتها؟ قال: «يَأْتُونَ مَا أُتُوا»! قالت: أشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقرأها، وكذلك انزلت، ولكن الهجاء حرف^(٢).

٣- روى أبو جعفر الطبري والحاكم النيسابوري - وصححه^(٣) - عن ابن عباس، قال في قوله تعالى «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا»^(٤): هي من خطأ الكاتب. وإنما هي: حتى تستأذنوا وتسلموا...^(٥).

٤- وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس، قال: أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم «ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه»^(٦) فالتصقت إحدى الواوين بالصاد، فقرأ الناس «وَقَضَى رَبُّكَ» - ولم يكن المصحف منقوفاً آنذاك - قال: ولونزلت على القضاء ما أشرك به أحد^(٧).

(١) المؤمنون: ٦٠. أي ممدوداً مزيداً فيه أو مقصوراً مجرداً؟

(٢) مسند أحمد: ج ٦ ص ٩٥. والشابت في المصحف هو المد، ماضياً مزيداً فيه. والمعنى يختلف على القراءة: فعل المد: يعطون الشيء وهم يخشون أن لا يقبل منهم عند الله. وعلى القصر: يعملون العمل وهم يخافون الله. راجع مجمع البيان: ج ٧ ص ١١٠.

(٣) الإتيان: ج ١ ص ١٨٥.

(٤) النور: ٢٧.

(٥) جامع البيان: ج ١٨ ص ٨٧.

(٦) الاسراء: ٢٣.

(٧) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٠.

وفي لفظ ابن اشته: استمد الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد^(١).
 ٥- وأخرج ابن المنذر وسعيد بن منصور عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً- والقراءة المشهورة: وَضِيَاءً»^(٢) ثم قال: خذوا- أو انزعوا- هذه الواو من هنا، واجعلوها هاهنا: في أول قوله تعالى: «وَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ»^(٣) لأنه زعمها عطفاً على الموصول قبلها!^(٤) قال ابن حجر: هو إسناد جيد^(٥).

٦- أخرج أبو جعفر الطبري وابن الأثير عن ابن عباس، كان يقرأ: «أَفَلَمْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ تَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً». فقليل له: إنها في المصحف «أَفَلَمْ يَتَّبِعِ»^(٦) فقال: الكاتب كتبها وهو ناعس.
 وفي لفظ الطبري: كتب الكاتب، الأخرى- أي القراءة المشهورة- وهو ناعس. قال ذلك بصورة جزم^(٧).

قال ابن حجر: هذا حديث رواه الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح، كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس^(٨).

وقد بالغ الزمخشري في الإنكار على صحة الأثر^(٩). فقال ابن حجر في رده: هذا إنكار من لا علم به بالرجال.. وتكذيب المنقول بعد صحته ليس من

(١) الإتيان: ج ١ ص ١٨٥.

(٢) الانبياء: ٤٨.

(٣) آل عمران: ١٧٣. والآية غير مصدرة بالواو في القراءة المشهورة.

(٤) الإتيان: ج ١ ص ١٨٥. والدر المنثور: ج ٤ ص ٣٢٠.

(٥) فتح الباري: ج ٨ ص ٢٨٣.

(٦) الرعد: ٣١.

(٧) جامع البيان: ج ١٣ ص ١٠٤. والإتيان: ج ١ ص ١٨٥.

(٨) فتح الباري: ج ٨ ص ٢٨٢.

(٩) الكشف: ج ٢ ص ٥٣٠-٥٣١.

دأب أهل التحصيل، فلينظر في تأويله بما يليق به.

٧- وعن الضحاك أنه قال: كيف تقرأ هذا الحرف...؟ قال: «وَقَضَى رَبُّكَ»؟ قال: ليس كذلك نقرأها نحن ولا ابن عباس، إنما هي: وَوَصَّى رَبُّكَ، وكذلك كانت تقرأ وتكتب. فاستمد كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد ثم قرأ: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ»^(١). ولو كانت قضى من الرب لم يستطع أحد ردّ قضائه. ولكنه وصية أوصى بها العباد^(٢).

٨- أخرج ابن أبي داود عن سعيد بن جبير، قال: في القرآن أربعة أحرف لحن: «الصَّابِتُونَ»^(٣). «وَالْمُقِيمِينَ»^(٤). «فَأَصْلَقَ وَأَكُنْ مِنْ الصَّالِحِينَ»^(٥). «إِنْ هَٰذَا لَسَاجِرَانِ»^(٦)^(٧).

٩- أخرج ابن أبي داود أيضاً عن أبي خالد، قال: قلت لأبان بن عثمان: كيف صارت «وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ». وما بين يديها وما خلفها رفع؟ قال: من قبل الكاتب. كتب ما قبلها. ثم سأل المملي ما أكتب؟ قال: اكتب المقيمين الصلاة. فكتب ما قيل له^(٨).

١٠- أخرج الطبري عن قيس بن سعد؛ قال: قرأ رجل عند علي (عليه

(١) النساء: ١٣١.

(٢) الإتقان: ج ١ ص ١٨٥.

(٣) المائدة: ٦٩. والقاعدة: النصب.

(٤) النساء: ١٦٢. والقاعدة: الرفع.

(٥) المنافقون: ١٠. والقاعدة: نصب «واكون».

(٦) طه: ٦٣. والقياس: النصب.

(٨) نفس المصدر.

(٧) المصاحف للسجستاني: ص ٣٣-٣٤.

السلام) «وَطَلَّجَ مَنْضُودٌ»^(١). فقال (عليه السلام): ما شأن الطلح، إنما هو «وطلع منضود» ثم قرأ: «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ»^(٢) فقلنا: أولاً نحوها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول^(٣).

تلك نماذج عشرة عرضناها، أردنا بذلك لازم مدلولاتها: وهو عدم ثقة السلف بالكتابة الأولى، فلم يطمأنوا الى ما أثبتوه أن تكون هي القراءة الصحيحة الثابتة. فلو كانوا عرفوا فيهم الكفاءة والالتقان لما ترددوا في صحة ما أثبتوه... هذا غاية ما تدلنا عليه تلك الآثار، أما نفس المحتوى وصحة ما تضمنته من تبديل نص المصحف الشريف، فهذا شيء لانكاد نصدقه البتة. لأنه هو التحريف الذي أجمعت الأمة الإسلامية على عدم تسريبه الى كتاب الله العزيز الحميد: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاحِظُونَ»^(٤). فلا بد من الأخذ في تأويلها الى وجه معقول أو رفضها رأساً^(٥).

وأجاب ابن اشتة عن هذه الآثار بأن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهي الفراءات السبع، كلها مأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). فيما زعموا. فالوارد في هذه الروايات يكون المقصود: أن الكتابة الأوائل أخطأوا في القراءة التي وقع اختيارهم عليها، فكان ينبغي أن يختاروا للثبوت في المصحف تلك القراءة التي رجحها أصحاب هذه الروايات كعائشة وابن عباس والضحاك وسعيد بن جبيرة وأبان بن عثمان وعلي (عليه السلام).

وجنح ابن الأنباري الى تضعيف إسناد الروايات. فوقف جلال الدين السيوطي في وجهه: أنها روايات صحيحة الإسناد، بشهادة أئمة الفن، كابن

(٣) جامع البيان: ج ٢٧ ص ١٠٤.

(١) الواقعة: ٢٩.

(٤) الحجر: ٩.

(٢) ق: ١٠.

(٥) وسوف نوفي البحث في تفنيده هكذا مزاعم مهزولة تجاه عظمة القرآن الضخمة الفخمة، عند الكلام حول صيانة القرآن من التحريف، إن شاء الله.

حجر والحاكم وغيرهما، فالجواب الأول أولى^(١).
هذا... وأما الأخطاء الإملائية الموجودة في الرسم العثماني، فشيء لا يمكن إنكاره
الأمر الذي يدلّ دلالة قطعية على ضعف مقدرة السلف في ناحية الإملاء
وأصول الكتابة الصحيحة، ومن ثمّ ذلك اللحن والتناقض في رسم الكلمات.
وفيما يلي نماذج من اللحن الواقع في الرسم العثماني.

نماذج من مخالفات الرسم:

وربما نرسم جدولاً يستوعب الأخطاء الواقعة في الرسم العثماني مستقصاة،
ونشير هنا - الآن - إلى أهم أخطاء وقعت فيه كنماذج بارزة:

١- «وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» البقرة: ١٦٤. والصحيح: وَاخْتِلَافِ
اللَّيْلِ...

٢- «عَلَّمَ الْغُيُوبَ» المائدة: ١٠٩. والصحيح: عَلَّامٌ...

٣- «يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ» الأنعام: ٥. والصحيح: أَنْبَاءٌ...

٤- «وَيَتَوَنَّنَ عَنْهُ» الأنعام: ٢٦. والصحيح: يَتَأَوَّنَ عَنْهُ.

٥- «بِالْغَدَاةِ» الأنعام: ٥٢. والصحيح: بِالْغَدَاةِ. والواو زائدة في الرسم

بلا سبب معروف.

٦- «فِيكُمْ شُرَكَاءُ» الأنعام: ٩٤. والصحيح: شُرَكَاءُ.

٧- «مَا نَشَأُ» هود: ٨٧. والصحيح: مَا نَشَأُ.

٨- «إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ» يوسف: ٨٧. والصحيح: لَا يَأْتِيَنَّكَ.

٩- «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ» إبراهيم: ٩. والصحيح: نَبَأٌ...

١٠- «فَقَالَ الضُّعَفَاءُ» إبراهيم: ٢١. والصحيح: الضُّعَفَاءُ.

١١- «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ» الكهف: ٢٣. والصحيح: لِشَيْءٍ.

- ١٢- «لَوْ شِئْتُ لَتَّخَذْتُ» الكهف: ٧٧. والصحيح: لَا تَتَّخَذْتُ.
- ١٣- «قَالَ يَبْنَومُ» طه: ٩٤. والصحيح: يَا ابْنَ أُمِّ.
- ١٤- «أَوْ لَا اذْبَحْتَهُ» النمل: ٢١. والصحيح: لَا ذُبَحْتَهُ. وقد زيدت ألف في الرسم بلا سبب معقول.
- ١٥- «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُو» النمل: ٢٩. والصحيح: الْمَلَأُ.
- ١٦- «شَفَعُوا» الروم: ١٣. والصحيح: شَفَعَاءُ.
- ١٧- «لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» الصافات: ١٠٦. والصحيح: الْبَلَاءُ.
- ١٨- «وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ» ص: ١٣. والصحيح: الْأَيْكَةِ.
- ١٩- «وَجَاءَ بِالتَّيِّبِينَ» الزمر: ٦٩. والصحيح: وَجِيءَ.
- ٢٠- «وَمَا دَعُوا الْكَافِرِينَ» غافر: ٥٠. والصحيح: وَمَا دُعَاءُ...
- تلك نماذج عشرون كان اللحن فيها عجيباً جداً، ولا سيما إذا علمنا أن المصاحف آنذاك مجردة عن كل علامة تشير إلى إعجام الحرف أو إلى حركة الكلمة أو هجاها الصحيح. مثلاً: من أين يعرف قارئ المصحف أن «لتخذت» مشددة التاء، وأي فرق بينها وبين «لتخذت» مخففة بلام تأكيد؟ أو كيف يعرف أن ألف «لا اذبحنه» زائدة لا تقرأ؟ أو أن إحدى الياءين زائدة في قوله: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ»^(١)؟ وكذلك لا يدري في «نشوا» - بلا علامة - أن الواو زائدة، والألف ممدودة والهمزة تلفظ بعد الألف. إذ ليس في اللفظ ما يشير إلى ذلك بتاتا وهكذا...

مناقضات في الرسم العثماني:

والشيء الأغرب وجود مناقضات في رسم المصحف، بينا الكلمة مثبتة في موضع برسم خاص، وإذا هي بذاتها مرسومة في موضع آخر بما يخالفها، الأمر الذي يثير

(١) الذاريات: ٤٧.

العجب، ويبعث على الاعتقاد بأن الكتابة الأوائل كانوا أبعد شيء عن معرفة
اصول الكتابة أو الإتقان من وحدة الرسم على الأقل. !
وإليك نموذجاً من ذلك التناقض الغريب:

(الكلمة برسمه الملحون) (الكلمة برسمها الصحيح)

- ١- لَوِشْتُ لَتَّخَذْتُ. الكهف: ٧٧ إذا لَا تَخْذُوكَ. الاسراء: ٧٣
- ٢- أصحاب لَيْكَةِ الشعراء: ١٧٦ اوص: ١٣ أصحاب الأيكة. الحجر: ٧٨ وق: ١٤
- ٣- فَقَالَ الضُّعَفَاءُ. ابراهيم: ٢١ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ. التوبة: ٩١
- ٤- فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً. يونس: ٤٩ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً. الاعراف: ٣٤
- ٥- وَمَادُّعُوا الْكَافِرِينَ. غافر: ٥٠ وَمَادُّعَاءُ الْكَافِرِينَ. الرعد: ١٤
- ٦- لَيْسَ بِظُلَمٍ لِلْعَبِيدِ. الحج: ١٠ لَيْسَ بِظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ. آل عمران: ١٨٢
- ٧- ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ. الفرقان: ٩ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ. الاسراء: ٤٨
- ٨- وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ. الشورى: ٢٤ يَمْنَحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ^(١). الرعد: ٣٩
- ٩- فَأَخِيكُمُ ثُمَّ يَمِيتُكُمُ. البقرة: ٢٨ أَخِيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ. الحج: ٦٦
- ١٠- إِي لَفْهَمُ رَحْلَةٍ. قريش: ٢ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ^(٢). قريش: ١
- ١١- قَالَ يَبْنُومُ. طه: ٩٤ قَالَ ابْنُ أُمٍّ. الاعراف: ١٥٠
- ١٢- فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ. هود: ٨٧ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ. الحج: ٥.
- ١٣- وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ. إبراهيم: ٣٤ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ. النحل: ١٨
- ١٤- فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ. فاطر: ٤٣ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ. الفتح: ٢٣
- ١٥- عَلَى بَيْتٍ مِنْهُ. فاطر: ٤٠ عَلَى بَيْتٍ مِنْ رَبِّهِ. محمد: ١٤
- ١٦- لَدَا الْبَابِ. يوسف: ٢٥ لَدَى الْحَتَّاجِ. غافر: ١٨
- ١٧- طَغَا الْمَاءُ. الحاقة: ١١ إِنَّهُ طَغَى. النازعات: ١٧

(١) وإن كان ثبت الألف بعد الواو أيضاً خطأ، لأنه مفرد.

(٢) وإن كان حذف الألف أيضاً خطأ.

١٨- وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ ءِ: الْكَهْف: ٢٣ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ءِ: الْكَهْف: ٤٥

١٩- فَقَالَ الْمَلَأُ: الْمُؤْمِنُونَ: ٢٤ وَقَالَ الْمَلَأُ: الْمُؤْمِنُونَ: ٣٣

٢٠- آيَةُ الثَّقَلَانِ: الرَّحْمَانُ: ٣١ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ: يَس: ٥٩

تلك - أيضاً - أمثلة عشرون اخترناها من التناقض الموجود في الرسم العثماني. وربما تزداد غرابتك - أيها القارئ - إذا ما لاحظت التناقض في إملاء سورة واحدة، كالمثال رقم: ١٨ سورة الكهف. ورقم: ١٩ سورة المؤمنون، كما رسموا «بسطة» في البقرة: ٢٤٧ بالسين، وفي الأعراف: ٦٩ بالصاد. وكذلك «يبسط» في الرعد: ٢٦ بالسين، وفي البقرة: ٢٤٥ بالصاد. وهذا أيضاً من التناقض في سورة واحدة.. الى غير ذلك وهو كثير.

غلو فاحش:

قد يغلو بعض المتزمتين بالرسم القديم، فيزعمونه توقيفياً كان بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) الخاص، ولم يكن للكتابة الأوائل دخل في رسمه بالهيئة الموجودة. وإن وراء هذه المخالفات الإملائية سرّاً خفياً وحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله:

نقل ابن المبارك عن شيخه عبدالعزيز الدبّاغ أنه قال: «رسم القرآن سرّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة. وهو صادر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي أمر الكتاب أن يكتبوه على هذه الهيئة، فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي (صلى الله عليه وآله)».

ثم قال: «ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم المصحف، ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المدونة بزيادة الألف ونقصانها. لأنها أسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سرّ من أسرار الله، خصّ الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية.

وكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه أيضاً معجز.

وكيف تهدي العقول الى سرّ زيادة الألف في «مائة» دون «فئة». والى سرّ زيادة الياء في «باييد» و«باييكم»!
 أم كيف تتوصّل الى سرّ زيادة الألف في «سعوا» في سورة الحج، ونقصانها من «سعو» في سورة سبأ!
 والى سرّ زيادتها في «عتوا» حيث كان. ونقصانها من «عتو» في سورة الفرقان!

والى سرّ زيادتها في «آمنوا» وإسقاطها من «بأو. جاؤ. تبوّؤ. فأو» بالبقرة! ثم يقول: وكيف تتوصّل الى حذف بعض التاءات وربطها في بعض! فكلّ ذلك لأسرار إلهيّة وأغراض نبويّة. وإنّما خفيت على الناس لأنّها أسرار باطنيّة لا تدرك إلّا بالفتح الربّاني. فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإنّ لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتمّون الى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهيّة التي أُشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف»^(١)

هذا وقد كشف بعضهم عن هذا السرّ الخفيّ، وأبدى تمحّلات غريبة، فزعم أنّ زيادة الألف في «لااذبحنه» إنّما كانت للدلالة على أنّ الذبح لم يقع. وأنّ زيادة الياء في «والسّماء بنيناها بأييد» للإيماء الى تعظيم قوة الله التي بنى بها السّماء، وأنّها لا تشبّها قوّة، على حدّ القاعدة المشهورة: زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني^(٢).

وقد أوضح في ذلك وأسهب أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء (توفي سنة: ٧٢١هـ) في كتابه «عنوان الدليل في مرسوم التنزيل»، وبين أنّ هذه

(١) مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٧٥-٣٧٦ نقلاً عن ابن المبارك في كتابه «الابريز».

(٢) مقمّة (ابن خلدون): ص ٤١٩. ومناهل العرفان: ج ١ ص ٣٦٧.

الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف وأحوال معاني كلماته، من حكم خفية وأسرار بهية، منها: التنبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات. والخط إنما يرسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي... ونذكر فيما يلي مقتطفات من كلامه تدلّك على مبلغ غلوه بشأن الرسم وتكلفه في الاختلاق الباهت:

- ١- زيدت الألف في «لا اذبحنه» تنبيهاً على أن الذبح أشد من العذاب الذي ذكر في صدر الآية «لَا تُعَذِّبُهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْلاً اذْبَحَنَّهُ»^(١).
- ٢- زيدت الألف في «يرجوا» و«يدعوا» للدلالة على أن الفعل أثقل من الاسم، لتحمله ضمير الفاعل. ومن ثم لما استخفوا بالفعل حذفوا منه الألف وإن كان جمعاً، كقوله: «سَعَوْفِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ»^(٢). فإنه سعي باطل لا يصح له ثبوت في الوجود.
- ٣- زيدت الألف بعد الهمزة من قوله: «كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ»^(٣) تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون، ومن ثم لم تزد بعد قوله: «كَانَهُمْ لَوْلُؤٌ»^(٤) للإجمال وخفاء التفصيل.
- ٤- زيدت الألف في «وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ»^(٥). دليلاً على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء.
- ٥- زيدت الألف في «مائة» دون «فئة»، لأنه اسم يشتمل على كثرة مفصلة بمرتين: آحاد وعشرات.
- ٦- زيدت الواو في «سَأُورِيكُمْ آيَاتِي»^(٦) للدلالة على الوجود في أعظم رتبة العيان.

(١) الفل: ٢١.

(٢) الفجر: ٢٣.

(٣) الأنبياء: ٣٧.

(٤) الفل: ٢١.

(٥) سبأ: ٥.

(٦) الواقعة: ٢٣.

٧- زیدت الياء في «بأييدٍ»^(١). فرقاً بينها وبين «الأيدي» الذي هو جمع اليد. وأنَّ القوّة التي بنى الله بها السماء هي أحقّ بالثبوت في الوجود من الأيدي. فزیدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في دراك الملكوتي في الوجود.

٨- سقطت الواو من «سَدْعُ الزَّبَانِيَّة»^(٢). لأنّ فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوّة البطش.

٩- سقطت الواو من «وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ»^(٣). للدلالة على أنّه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير.

١٠- كتبت «بسطة» في البقرة: ٢٤٧ بالسين. وفي الأعراف: ٦٩ بالصاد، لأنها بالسين: السعة الجزئية وبالصاد السعة الكلية^(٤).



قال الدكتور صبحي صالح: لا ريب أنّ هذا غلوّ في تقديس الرسم العثماني، وتكلّف في الفهم ما بعده تكلّف. فليس من المنطق في شيء أن يكون أمر الرسم توقيفياً، ولا أن يكون له من الأسرار ما لفواتح السور، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة التي تواترت قرآنيّتها في أوائل السور، وإنّما اصطلاح الكتبة على هذا اصطلاحاً في زمن عثمان، ووافقهم الخليفة على هذا الاصطلاح^(٥).

وقال العلامة ابن خلدون: ولا تلتفتن في ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين، من أنّ الصحابة كانوا محكمين لصناعة الخط، وأنّ ما يتخيّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل، بل لكلّها وجه.

يقولون في مثل زيادة الألف في لا اذبحنه: أنّه تنبيه على أنّ الذبح لم يقع،

(٤) راجع البرهان: ج ١ ص ٣٨٠-٤٣٠.

(٥) مباحث في علوم القرآن: ص ٢٧٧.

(١) الذاريات: ٤٧.

(٢) العلق: ١٨.

(٣) الإسراء: ١١.

وفي زيادة الياء في بأييد: أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية. وأمثال ذلك ممّالاً لأصل له الآ التحكم المحض^(١).

قال ابن الخطيب: لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء، لاميّتهم وبدأوتهم، وبعدهم عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع، غير محكمة الصنع، فجاءت الكتبة الأولى مزيجاً من أخطاء فاحشة ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم^(٢).

هذا... وقد أغرب محمد طاهر الكردي- وهو يستطلع القرن الخامس عشر الهجري- فتراجع القهقراء وأخذ في الغلو الفاحش بشأن الرسم العثماني القديم! قال- بعد استعراض جملة من أخطاء الرسم العثماني والتناقض الموجود فيه بصورة غريبة-: «بقي علينا أن نعرف لماذا لم يكتب الكتبة الأولى المصحف على قواعد الكتابة الصحيحة، ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة؟» «هذا سؤال يجب أن يوجه إلى الذين كتبوه بأمر عثمان، وأنى يكون ذلك وقد دفنهم التراب؟ ومن هنا يقول العلماء: إنّ رسم المصحف سرّ من الأسرار لا يطلع عليه أحد...»!

قال: «ولا تتوهمنّ عليهم السهو أو الخطأ أو الجهل باصول الكتابة، إنّ هذا وهم باطل... ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ الصحابة كانوا يعرفون قواعد الإملاء والكتابة حق المعرفة. ونستدلّ على قولنا هذا استدلالاً فنياً بثلاثة أمور:

الأول: إنّ العلامة الألوسي قال في تفسيره روح المعاني: الظاهر أنّ الصحابة كانوا متقنين رسم الخط، عارفين بقواعد الكتابة، غير أنّهم خالفوا القواعد في بعض المواضع عن قصد، لحكمة...!! (ولعله يريد تمحلات

(٢) الفرقان (لابن الخطيب): ص ٥٧.

(١) مقدمة (ابن خلدون): ص ٤١٩ و ٤٣٨.

المراكشي الآنفه).

قال: فالآلوسي - وهو العالم المتبحر وصاحب التفسير الكبير - لا يقول هذا إلا بعد النظر والتحقيق، وإن لم يذكر شواهد تؤيد قوله (!!!)

الثاني: إنهم كانوا يرسلون الملوك والأمراء فلا بد من إتقان كتابتهم.

الثالث: إنه قدم على نشر الكتابة في الجزيرة الى عهد عثمان أكثر من ربع قرن، فهل يعقل أن الصحابة لم يتقنوا الكتابة في هذه الفترة الطويلة...^(١).

قلت: ويكفينا جواباً عن سفاشفه ما ذكره العلامة ابن خلدون: ولا تلتفتن الى ما يزعمه بعض المغفلين...^(٢).

وقد أسهب ابن الخطيب في الرد على هذه المزعومة إفاضحة، وأتى بالكلام مستوفى. نقتطف منه ما يلي.

قال: قال الجعبري في سياق كلامه عن هجاء المصحف: «وأعظم فوائده أنه حجاب يمنع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه»^(٣).

قال: وبمثل هذا الهراء ينطق أحد أئمة القراء. وبمثل هذا الكلام يحتاج القائلون بوجوب الهجاء القديم. مع أن هذا القول واضح البطلان بادي الخسران.

وفي القرآن آيات كثيرة تخاطب أهل الكتاب وتدعوهم الى الإيمان فكيف عن تلاوته يحجبون؟!!

ثم قال: ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل، صحيح العرفان ما ذكره الصباغ: «إن فوائده هذا الرسم كثيرة وأسراره شتى، منها عدم الاهتداء الى تلاوته على حقه إلا بموقف، شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه».

(١) تاريخ القرآن. محمد طاهر الكردي: ص ١٠١ - ١٢٠.

(٢) تقدم ذلك في الصفحة: ٣٧٨.

(٣) راجع مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٦٦ فإنه أيضاً أتى بسفاشف زعمها فوائده مترتبة على الرسم العثماني القديم!

فقال: يا للدهية الدهياء، لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات واللوغارتمات والطلسمات والاصطرلابات وضرب الرمل والتنجيم وما شاكل ذلك من العلوم يزعمون نفاستها لما تحتويه من أسرار لا تنال إلا بجهد جهيد وتلقّ طویل الأمد.

هذا.. وقد قال تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ»^(١). وأنتم تقولون أنه أبعدهم منه وأضلّهم عنه! فما أكبر هذا الزعم! وما أعظم هذه الفرية! قال: ولو تساءلنا: هل وضع رسم المصحف ليقرأ أو ليكون رمزاً ويظلّ طلسمًا، يتناقله القراء وحدهم، ويلقّنونه لمن يريدون تلقينه، ممّن يتزلف إليهم بماله ونفسه ويمنعونه ممّن يرون منعه ممّن لم يرزق جاهاً ولا مالاً! قال: ولقد رأيت بعيني وسمعت بأذني، كثيراً من ذوي الثقافات والادب يلحنون في قراءة القرآن، لعدم أنسهم بهذا الرسم الغريب وعدم معرفتهم بأساليب القراءة على وجهها المأثور^(٢).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات الإسلامية

لرأي الحاسم:

هكذا يرجّح ابن الخطيب تصحيح رسم المصحف الى ما يعرفه جمهور الناس واستقرّ عليه اصطلاح أرباب الثقافة اليوم.

وهذا رأي جمهور المحققين، ذهبوا الى جواز تبديل الرسم القديم الى الرسم الحاضر بعد أن لم يكن رسم السلف عن توقيف، وإنما هو اصطلاح منهم أو كانت الكتابة في بداءة أمرها غير متقنة، أمّا مع تقدّم أساليب الكتابة وفيها من التوضيح ما يجعل امر القراءة سهلاً على الجميع، فلا بدّ من تغيير ذاك الرسم الى المصطلح الحاضر الذي يعرفه كافة الأوساط وليكون القرآن في متناول عامة الناس، وفي ذلك تحقيق للغرض الذي نزل لأجله هذا الكتاب الخالد ليكون

(٢) الفرقان (لابن الخطيب): ص ٦٣-٨٦.

(١) القمر: ١٧.

هدى للناس جميعاً مع الأبد.

وهذا الصدد يقول القاضي محمد بن الطيب أبوبكر الباقلاني (توفي سنة ٤٠٣ هـ) في كتابه «الانتصار»: وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطا المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف. وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه، أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحدّ محدود لا يجوز تجاوزه. ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدلّ عليه. ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلّت عليه القياسات الشرعية.

بل السنة دلّت على جواز رسمه بأي وجه سهل، لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً، ولأنهى أحداً عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيده وينقص ليعلمه بأن ذلك اصطلاح وأنّ الناس لا يخفى عليهم الحال. ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثّة، وجاز أن يكتب بين ذلك.

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة وكان الناس قد أجازوا ذلك، وأجازوا أن يكتب كلّ واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى، من غير تأثيم ولا تناكر، علم أنّه لم يؤخذ في ذلك على الناس حدّ محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والأذان.

والسبب في ذلك أنّ الخطوط إنّما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكلّ رسم دالّ على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صخته وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت.

وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه ان يقيم الحجّة على دعواه وأنّى له ذلك؟ ... انتهى. هذا ماخصّه الشيخ عبدالعظيم الزرقاني من كلام القاضي أبي بكر الباقلاني، لكنّه تابعه بالردّ عليه من وجوه ونقول لا يخفى وهنّها وضعفها تجاه هذا التحقيق المنيع^(١).

ومن ثم قال الدكتور صبحي صالح- تعقيباً على هذا الكلام:- وإنّ رأي القاضي أبي بكر لجدير أن يؤخذ به، وحجّته ظاهرة، ونظيره بعيد، فهو لم يخلط بين عاطفة الإجلال للسلف وبين التماس البرهان على قضية دينيّة تتعلّق برسم كتاب الله. وأمّا الذين ذهبوا الى أن الرسم القرآنيّ توقيفيّ أزليّ فقد احتكموا في ذلك الى عواطفهم، واستسلموا استسلاماً شعريّاً صوفيّاً الى مذاويقهم ومواجيدهم، والأذواق نسبيّة لا دخل لها في الدين، ولا يستتبط منها حقيقة شرعيّة^(٢).



مركز تحقيقات علوم القرآن

(١) راجع مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٧٣-٣٧٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ص ٢٧٩.

سبعة آلاف مخالفة في رسم الخط!

قد يستغرب الباحث إذا ما عثر على نيف وسبعة آلاف مخالفة في الرسم العثماني القديم، ويعده رقماً كبيراً إذا ما قاسه الى عدد آي القرآن، وهي نيف وستة آلاف آية..! لكن الحقيقة تشهد بذاتها على صحة هذا الرقم الضخم، وإليك عدد ما في كل سورة من مخالفة جاءت في الرسم القديم:

٦٠	إبراهيم:	٤	الفاتحة:
٧٥	الحجر:	٤٨٠	البقرة:
١٥٩	النحل:	٣٣	آل عمران:
١٤٢	الاسراء:	٢٩٢	النساء:
١١٦	الكهف:	٢٢٥	المائدة:
٩٢	مريم:	٢٣٨	الأنعام:
١١٤	طه:	٣٠٣	الأعراف:
١٧٠	الانبياء:	٦٨	الأنفال:
١٠٤	الحج:	٢١٨	براءة:
١٢٥	المؤمنون:	١٣٦	يونس:
١٣٦	النور:	١٣٦	هود:
٧٨	الفرقان:	١٥٣	يوسف:
١١٠	الشعراء:	٧٢	الرعد:

الذاريات:	٣٤	النمل:	١٠٧
الطور:	٢٧	القصص:	١٣٩
النجم:	٣٠	العنكبوت:	١٠٨
القمر:	٢٥	الروم:	٨٠
الرحمان:	٣٠	لقمان:	٤٨
الواقعة:	٤٥	السجدة:	٤١
الحديد:	٥٨	الأحزاب:	١٤٤
المجادلة:	٤٥	سبا:	٧٣
الحشر:	٥٨	فاطر:	٥٢
المتحنة:	٣٥	يس:	٧٤
الصف:	٢٧	الصافات:	١٠٦
الجمعة:	٢١	ص:	٧٠
المنافقون:	١٨	الزمر:	١٠٠
التغابن:	١٧	غافر:	١١٥
الطلاق:	٢٤	فصلت:	٧٤
التحريم:	٣٢	الشورى:	٦٧
الملك:	٢٠	الزخرف:	٩٠
القلم:	٤٢	الدخان:	٣٧
الحاقة:	٢١	الجاثية:	٥٣
المعارج:	٢٤	الأحقاف:	٥٨
نوح:	١٦	محمد:	٥٣
الجن:	٢٠	الفتح:	٣٧
المزمل:	١٢	الحجرات:	٣٠
المدثر:	١٦	ق:	٢٦



مركز بحوث وتفسير علوم القرآن

٦	التيّن:	١٢	القيامة:
٤	العلق:	٢١	الإنسان:
٤	القدر:	١٨	المرسلات:
٩	البيّنة:	٢٢	النساء:
٢	الزلزلة:	٣٣	النازعات:
٤	العاديات:	٥	عبس:
٤	القارعة:	٦	التكوير:
٢	التكاثر:	٦	الانفطار:
٣	العصر:	١١	المطففين:
١	الهمزة:	٧	الانشقاق:
١	الفيل:	١١	البروج:
٣	غريش:	٥	الطارق:
١	الماعون:	٣	الأعلى:
١	الكوثر:	٦	الغاشية:
٣	الكافرون:	١١	الفجر:
...	النصر:	٨	البلد:
...	المسد:	١٧	الشمس:
...	الإخلاص:	٣	الليل:
١	الفلق:	٦	الضحى:
١	الناس:	...	الشرح:

تلك ستة آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعون مخالفة (٦٧٧٧) جاءت في رسم المصحف العثماني، موزعة على السور.

وإذا أضفنا إلى هذا العدد، حذف الألف من «بسم» و«الرحمن» في البسمة، وهي مكررة في القرآن (١١٤) مرة، فيرتفع الرقم إلى (٧٠٠٥).

هذا مع غرض النظر عن حذف الألف من لفظ الجلالة، وهو مكرّر في القرآن (٢٥٥٠) مرة. وفي البسملة (١١٤) مرة. فيبلغ عدد مخالفة الرسم القديم الى تسعة آلاف وستمئة وتسع وستين (٩٦٦٩). وهو عدد كبير هائل. وللعثور على مواضع هذه المخالفات، بدقة وتفصيل، راجع: البرهان للزركشي: ج ١ ص ٣٨٠-٤٣١ والمصحف الميسر، تنظيم الأستاذ عبد الجليل عيسى، شيخ كلية أصول الدين بالجامع الأزهر. غير أنّ هذا الأخير اشتبه في مواضع، منها: ص ٧٧٥ رقم ٥، زعم «وء اتوا» لحنا فصّححه على «واوتوا». وص ٧٩٤ رقم ١، صحح «المؤدة» على «المودة»!

وقد لخص جلال الدين هذه المخالفات في قواعد ستة استوفى فيها جميع ما في الرسم العثماني من مخالفات املائية. ذكرها في الإتيان: ج ٢ ص ١٦٦-١٧٠. ونقلها الزرقاني برمتها في مناهل العرفان: ج ١ ص ٣٦٢-٣٦٦.



وإليك الآن جدولاً تفصيلياً يقارن بين رسم الكلمة في إملائها القديم، ورسمها بالإملاء المعاصر. ما عدا حذف الألفات في مثل «الرحمن» و«العلمين» و«الصرط» وهي كثيرة في المصحف، جاءت موافقة للخط الكوفي القديم المنحدر من خط السريان، كانوا يكتبون الكلم بلا ألف. وكذلك لم نتعرض لكلمات جاءت فيها الواو أو الياء بدلاً عن الألف كالصلوة والزكوة^(١) والتورية وهدين، لكثرتها وتكررها.

كما ولم نذكر من الكلمة المتكررة سوى التي جاءت في أولى آية، وتركنا ذكرها في آيات وسور تالية، وأرمزنا لذلك بعلامة «ك».

ونبدأ بالكلمة على إملائها القديم، ثم نقابلها بإملائها المعاصر، مرتبة حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.

(١) كانت لغة قريش تميل بهذه الالفات نحو الواو، ومن ثم كتبوها كذلك.

جدول تفصيلي

يقارن بين رسم الكلمة بأملاؤها القديم ورسمها بالإملاء المعاصر

رقم الآية	(من سورة البقرة)	
٣٣	يَا آدَمُ (١)	يا آدم
٤٠	إِسْرَءِيلَ «ك»	إسرائيل
٧١	الْأَن «ك» (٢)	الآن
٨٧	عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	عيسى بن مريم
٩٠	بِئْسَ مَا «ك»	بئسما
١٦٤	الَّيْلَ «ك»	الليل
٢٢٦	فَأَوَّوْا	فاؤا
٢٤٠	فِي مَا «ك»	فيما
٢٧٥	الرَّبُّوْا «ك»	الربا
٢٨٢	تَسْمَوْا (٣)	تساموا
	(سورة آل عمران)	
٣٥	امْرَأَتَ «ك»	امراة
٧٥	الْأَمِينِ (٤)	الأميين
٧٩	رَبَّنِى (٥)	ربانيين
١٤٤	أَفَايِنَ «ك»	أفاين
١٥٣	تَلَوْنَ (٦)	تلون

(٤) و(٥) برسم ياء كوفية صغيرة فوق الياء.

(٦) برسم واو صغيرة فوق الواو.

(١) برسم همزة فوق الألف.

(٢) برسم همزة أمام اللام.

(٣) برسم همزة فوق الميم.

رقم الآية	(سورة النساء)	
١٦	الذان	الذان
٢٣	التي «ك»	اللاقي
٢٥	فمن ما «ك»	فمّا
٧٨	فقال هؤلاء «ك»	فما هؤلاء
	(سورة المائدة)	
١٨	ابنوا	أبناء
٢٩	جزوا «ك»	جزاء
٣١	سوءة	سواة
	(سورة الانعام)	
٥	انبوا «ك»	أنباء
٣٤	نباءى	نبأ
٥٢	بالغدوة (١)	بالغداة
٩٤	شركوا «ك»	شركاء
١١٥	كلمت «ك»	كلمة
١٤٤	اما «ك»	ام ما
	(سورة الأعراف)	
٦	فلنسلن (٢)	فلنسألن
٢٠	ماورى (٣)	ماووري
٥٦	رحمت «ك»	رحمة

(١) يرسم ألف صغيرة فوق الواو.

(٢) يرسم همزة فوق السين.

(٣) يرسم واو صغيرة فوق الواو.

رقم الآية		
٦٩	بصطة (١)	بسطه
١٠٥	أن لا	ألا
١٢٧	نستحيى	نستحيي
	(سورة الأنفال)	
٣٨	سنت	سنة
	(سورة التوبة)	
٤٧	ولا اوضعوا	ولا وضعوا
	(سورة يونس)	
١٥	تلقاءى	تلقاء
٣٤	يبدؤا	يبدأ
٣٥	أمن	أم من
	(سورة هود)	
٨٦	بقيت	بقية
٨٧	مانشوا	مانشاء
٩٧	وملاءيه	وملاه
	(سورة يوسف)	
٢٥	لدا	لدى
٨٧	تأيسوا (٢)	تأسوا
٨٧	يأيس (٣)	يأس
١٠١	ولى	ولي
١١٠	استيس (٤)	استياس

رقم الآية

	(سورة الرعد)	
يمحو	يمحوا	٣٩
	(سورة ابراهيم)	
نبأ	نبؤا	٩
الضعفاء	الضعفوا	٢١
	(سورة الحجر)	
المستهزئين	المستهزئين	٩٥
	(سورة النحل)	
فسألوا	فسلوا ^(١)	٤٣
يتفياً	يتفيؤا	٤٨
رأى	رءا «ك»	٨٦
وايتاء	وايتاءى	٩٠
	(سورة الاسراء)	
يدعو	يدع	١١
	(سورة الكهف)	
لشيء	لشأى	٢٣
لكن	لکنا	٣٨
أن لن	ألن	٤٨
أرأيت	أرءيت	٦٣
لاتخذت	لتخذت	٧٧

(١) برسم همزة قبل اللام.

يرجو	يرجوا «ك»	١١٠
	(سورة مريم)	
يا أخت	يا أخت	٢٨
يا أبت	يا أبت	٤٤
يا إبراهيم	يا إبراهيم	٤٦
	(سورة طه)	
اتوكأ	اتوكوا	١٨
يا ابن أم	يبنؤم	٩٤
لا تظماً	لا تظموا	١١٩
سوءاتها	سوءتها (١)	١٢١
آناء	آناعى	١٣٠
	(سورة الأنبياء)	
سأريكم	سأوريكم «ك»	٣٧
	(سورة المؤمنون)	
الملا	الملؤا «ك»	٢٤
كلما	كل ما «ك»	٤٤
	(سورة النور)	
ويدراً	ويدروا	٨
جأوا	جاءو «ك»	١٣
عمن	عن من	٤٣
	(سورة الفرقان)	
وعتوا	وعتو	٢١

رقم الآية		
٣٨	وَتَمُودَا «ك»	وَتَمُود
٤٩	لَنَحْيِي (١)	لَنَحْيِي
	(سورة الشعراء)	
٩٢	أَيْنَ مَا	أَيْنَا
٩٤	الْغَاوُونَ «ك»	الْغَاوُونَ
	(سورة النمل)	
٢١	لَا أَذْبَحْنَهُ	لَا أَذْبَحْنَهُ
٦٤	يَبْدُؤَا «ك»	يَبْدَأُ
٩٢	أَتْلُوا	أَتْلُوا
	(سورة القصص)	
٣	نَتْلُوا	نَتْلُوا
٤	يَسْتَحْيِي «ك»	يَسْتَحْيِي
٩	قَرَّتْ	قَرَّة
	(سورة الروم)	
١٣	شَفَعُوا	شَفَعَاء
١٦	لِقَاءِ	لِقَاء
٢٤	فِيحْيِي	فِيحْيِي
٣٠	فَطَرَتْ	فَطْرَة
٣٩	لِيَرْبُوا «ك»	لِيَرْبُوا
	(سورة الاحزاب)	
٣٧	لَكِي لَا	لَكِي لَا

رقم الآية	(سورة سبأ)	
٥	سعو	سعوا
	(سورة غافر)	
١٥	التلاق	التلاقي
٣٢	التناد	التنادي
	(سورة فصلت)	
٢٩	الَّذِينَ (١)	اللَّذِينَ
	(سورة الشورى)	
٢٤	ويمح	ويمحو
٣٠	ويعفوا «ك»	ويعفو
٣٢	الجوار	الجواري
٤٠	جزوا	جزاء
٥١	وراءى	وراء
	(سورة الدخان)	
٤٣	شجرت	شجرة
	(سورة الذاريات)	
١٣	يوم هم	يومهم
٤٧	باييد	بأيد
	(سورة القمر)	
٦	يدع	يدعو
٦	الداع	الداعي
	(سورة المجادلة)	
٩	معصيت	معصية

رقم الآية	(سورة الممتحنة)	
٤	برءوا (١)	برءاء
	(سورة التحريم)	
١١	امرات	امراة
١٢	بكلمت (٢)	بكلمات
	(سورة القلم)	
٦	بايكم	بأيكم
	(سورة التكويد)	
٨	الموءدة (٣)	الموءدة
	(سورة الانشقاق)	
١١	يدعوا	يدعو
	(سورة الغاشية)	
٢٢	بمصيطر (٤)	بمسيطر
	(سورة الفجر)	
٤	يسر	يسري
٢٣	وجايء	وجيء
	(سورة قريش)	
٢	إلفهم (٥)	إيلافهم

(١) برسم ألف صغيرة فوق الهمز.

(٢) برسم ألف صغيرة فوق الميم.

(٣) برسم واو صغيرة بعد الهمز.

(٤) برسم سين صغيرة تحت الصاد.

(٥) برسم ياء كوفية صغيرة ومنفصلة بعد الهمز.

٤- اختلاف المصاحف:

كانت الغاية من إرسال المصاحف الى الآفاق، هي رعاية جانب وحدة الكلمة لئلا تختلف، وليجتمع المسلمون على قراءة واحدة ونبذ ماسواها. فكان يجب أن تكون هذه المصاحف مستنسخة على نمط واحد، وأن تكون موحدة من جميع الوجوه. ومن ثم كان يجب على أعضاء المشروع أن يتحققوا من وحدتها ويقابلوا النسخ مع بعضها في دقة كاملة.

غير أن الواقعية بدت بوجه آخر، وجاءت المصاحف يختلف مع بعضها البعض. كان المصحف المدني يختلف عن المصحف المكي، والمصحف المكي يختلف عن الشامي، وهذا عن البصري، والكوفي وهكذا. الأمر الذي يدل بوضوح أن اللجنة تساهلت في أمر المقابلة - أيضاً - فلم يأخذوا بالدقة الكاملة في جانب توحيد المصاحف المرسله الى الآفاق.

وصار هذا الاختلاف في المصاحف، من أهم أسباب نشوء الاختلاف القرآني فيما بعد، وفتح باب جديد لاختلاف القراءات في حياة المسلمين. كان قاري كل مصر ومقرئها يلتزم - طبعاً - بقراءة ما في مصحفهم من نص. وكان عليه أيضاً أن يختار نوع الحرف والشكل حسب ما يبدو له من ظاهر الكلمة المثبتة في المصحف بلانقط ولا تشكيل. ومن ثم كانت السلائق والمذاويق، وكذلك الأنظار والأفهام تختلف في هذا الاختيار.

أما الرواية والسماع عن الشيخ، فهي لا تنضبط تماماً وفي جميع الوجوه إذا لم تكن مثبتة في سجل أو في نص المصحف ذاته. فلا بد أن يقع فيها خلط أو اشتباه من جانب النقل أو السماع، ولا سيما إذا طالت الفترة بين الشيخ الأول والقارئ الأخير.

ومن ثم ظهرت قراءة مكة. وقراءة المدينة. وقراءة البصرة. وقراءة الكوفة وقراءة الشام. وهكذا... الأمر الذي كان كراً على ما فروا منه!

وزعم الزرقاني: أنَّ هذا الاختلاف في النص كان عن عمد منهم وعن قصد، لحكمة تحمّل اللفظ كلّ قراءة ممكنة. قال: وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها، لأنّ عثمان قصد اشتغالها على الأحرف السبعة. فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه نحو «فتبينوا» و«ننشرها». أمّا الكلمات التي لا تحتمل أكثر من قراءة، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم وفي بعض آخر برسم آخر، كوصي بالتضعيف وأوصى بالهمز. وكذلك «تحتها الأنهار» في مصحف و«من تحتها الأنهار» بزيادة «من» في مصحف آخر...! (١).

قلت: هذا تعليل عليل، بعد أن كان الغرض من نسخ المصاحف وتوحيدها هو رفع الاختلاف في القراءات. كان أحدهم يقول: قرائتنا خير من قراءتكم. فلئلا يقع مثل هذا الجدل المبرر تأسيس المشروع المصاحفي باتفاق من آراء الصحابة. أمّا وبعد أن أنجزت اللجنة مهمتها وإذا بدواعي الاختلاف: الاختلاف في القراءة ذاتها، موجودة.

أمّا قضية الأحرف السبعة المفسرة إلى القراءات السبع، فحديث مشتبّه ربّما بلغ تفسيره إلى أربعين معنى (٢). وأوهن المعاني هو تفسيره بالقراءات، إذ لم يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرأ القرآن على سبعة وجوه. كما أن لاختلاف القراء في قراءاتهم عللاً وأسباباً تخصهم هم، وقد فصلها أبو محمد مكّي بن أبي طالب في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» فراجع. وسوف نتكلم عن حديث الأحرف السبع في فصل قادم والمختار هو إرادة اللهجات المختلفة في التعبير والأداء فحسب.

هذا... وأمّا الأستاذ الأبياري فإنه يرى أن هذا الاختلاف إنّما كان بين

(١) مناهل العرفان: ج ١ ص ٢٥١.

(٢) راجع الإتيان: ج ١ ص ٤٥.

مصاحف سبقت مصحف عثمان. وجاء هذا الأخير ليرفع تلكم الاختلافات^(١).

لكنها نظرة تخالف النص القائل بأن الاختلاف كان في نفس مصاحف عثمان^(٢).

وعلى أية حال فإن الاختلاف بين المصاحف المبعوثة الى الآفاق، شي، واقع، ويؤسف عليه، وكانت البذرة الاولى التي انبثق منها اختلاف القراءات فيما بعد.

وفما يلي عرض نموذجي عن اختلاف مصاحف الآفاق، اعتمدنا فيه على نص ابن أبي داود في كتابه «المصاحف» (ص: ٣٩ الى ٤٩).

(ملحوظة): مصحفنا اليوم يتوافق - أكثرية - مع مصحف الكوفة، سوى مواضع نرمرز إليها في الجدول التالي بعلامة^(٥).

غير أن مصحف البصرة كان أدق من سائر المصاحف - كما أشار إليه حديث الشامي الأنف^(٣) - قدلنا على ذلك، الآية: ٨٧ من سورة المؤمنون: أنها في مصحف البصرة: «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ اللَّهُ». وهي في مصحف الكوفة وغيرها: «سَيَقُولُونَ: لله».

وكذلك الآية: ٨٩ من نفس السورة، والآية: ٣٣ من سورة فاطر، مثبتة في مصحف البصرة: «مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤٍ». وفي غيره «وَلَوْلُؤًا».

وهكذا الآية: ١٦ من سورة الإنسان في مصحف البصرة: «قَوَارِيرًا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ». وفي غيره «قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ»... الى غير ذلك.

واليك جدولاً نموذجياً يعين مواضع الاختلاف من مصاحف الآفاق: الشام، الكوفة، البصرة، مكة. أهم البلاد التي ارسلت إليها المصاحف، ومقارنتها مع المصحف الإمام «مصحف المدينة».

(١) تاريخ القرآن إبراهيم الأبياري: ص ٩٩.

(٢) راجع المصاحف للسجستاني: ص ٣٩.

(٣) تقدم ذلك في الصفحة: ٣٤٥-٣٤٦.

جدول نموذجي يعين مواضع الاختلاف من مصاحف الافاق

مصحف مكة	مصحف البصرة	مصحف الكوفة	مصحف الشام	مصحف المدينة	الاية	السورة
مصحف مكة	ونظرا ...	ونظرا	ظها	ظها انتنوا شه ولدا	١١٦	البقرة
	ووقى ...	ووقى	ولوقى	وأرصى بها ابراهيم	١٣٢	ع
	وسارحوا ...	وسارحوا	سارحوا	سارحوا الى متفرقة من دهم	١٣٣	آل عمران
	... والبر	والبر	والبر	بأثروا بالبينات والبر	١٨٤	ع
	... الا قليل	الا قليل	ملقطوه الا قليلا	.	٢٦	النساء
	فمنوا به ورسله	فمنوا به ورسله	.	.	١٧١	ع
	وقول ...	وقول	يقول	يقول الذين آمنوا	٥٣	الاحقاف
	من يرتد	من يرتد	من يرتد	من يرتد	٥٤	د
	ولقد الآخرة	ولقد الآخرة	ولقد الآخرة	.	٣٧	الأنعام
	لئن انجبتا	لئن انجبتا	.	لئن انجبتا	٩٣	د
نموي من نسخها الأندلس	... فذكرون	فذكرون	فذكرون	فذكرون	٣	الاعراف
	وما كنا ...	وما كنا	ما كنا	ما كنا لنهتدي	٤٣	د
	ونظرا ...	ونظرا	ظها	ظها لللا	٧٥	د
	واذا انجبتا كم	واذا انجبتا كم	واذا انجبتا كم	واذا انجبتا كم	٤١	د
	ثم كيدون	ثم كيدون	ثم كيدوني	ثم كيدوني	١٩٥	د
	ما كلن لتي	ما كلن لتي	ما كلن لتي	.	٢٧	الانفال
	تبري نسخها الأندلس	والذين	الذين	الذين انتنوا مسجدا ضرا	١٠٠	التوبة
	والذين ...	والذين	الذين	الذين انتنوا مسجدا ضرا	١٠٧	د
	هو الذي يسيء كم	هو الذي يسيء كم	هو الذي يسيء كم	هو الذي يسيء كم	٢٢	يونس
	وسيلم الكفار	وسيلم الكفار	.	وسيلم الكفار	٤٢	الزمر
مصحف مكة	قل سبيلان دهي	قل سبيلان دهي	قل سبيلان دهي	قل سبيلان دهي	٩٣	الاسراء
	... منها	... منها	... منها	لا يجدن خيرا منها	٣٦	الكهف
مصحف مكة	... منها	... منها	... منها	ظها ما كنفي	٩٥	د

جدول نهون جي يعين موضح الاختلاف من مصاحف الافاق

التوراة.	الآية	مصحف اللدنية	مصحف الشام	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف مكة
الانبياء	٤	قل ربني يعلم	...	قل ربني يعلم	قل ربني يعلم	قل ربني يعلم
و	١١٢	...	...	قل رب احكم	قل رب احكم	قل رب احكم
المؤمنون	٨٧	قل من رب السموات... سيقولون هـ	سيقولون هـ	سيقولون هـ	سيقولون هـ	سيقولون هـ
و	٨٩	قل من يده ملكوت... سيقولون هـ	سيقولون هـ	سيقولون هـ	سيقولون هـ	سيقولون هـ
و	١١٢	قل كم انبتم	...	قل كم انبتم	قل كم انبتم	قل كم انبتم
الغبراء	٢١٧	فتوكل على العزيز	فتوكل	وتوكل	وتوكل هـ	وتوكل هـ
فاطر	٣٣	من ذهب ولؤلؤا	...	ولا لؤلؤا	ولا لؤلؤا	ولا لؤلؤا
يس	٣٥	وما علمته	...	وما علمت هـ	وما علمت هـ	وما علمت هـ
طاهر	٢١	كانوا هم اعدائكم	كانوا هم اعدائكم	هم	هم	هم
و	٢٩	وان يظهروا في الارض	وان يظهروا في الارض	انهم	انهم	انهم
الشورى	٣٠	يما كتبنا ايديكم	يما كتبنا ايديكم	يما كتبنا ايديكم	يما كتبنا ايديكم	يما كتبنا ايديكم
الزخرف	٩٨	باعدني	باعدني	باعد	باعد	باعد
و	٧٩	ما تنصوبه الا انفس	ما تنصوبه الا انفس	ما تنصوبه الا انفس هـ	ما تنصوبه الا انفس	ما تنصوبه الا انفس
الاحقاف	١٥	بولدي به حسنا	...	بولدي به احسانا	بولدي به احسانا	بولدي به احسانا
محمد ﷺ	١٨	ان ناتيهم بقية	...	...	ان ناتيهم	ان ناتيهم
الرحمن	٩٢	والطيب لنا المصنف	والطيب ذا المصنف	والطيب ذو المصنف	والطيب ذو المصنف	والطيب ذو المصنف
و	٧٨	تبارك اسم ربك ذو الجلال	...	ذو الجلال	ذو الجلال	ذو الجلال
الحديد	١٠	وكل وعد الله لطفي	وكل	وكل هـ	وكل هـ	وكل هـ
و	٧٤	لن الله للذي الجيد	ان الله للذي	...	...	...
الحج	٢٠	قل انما ادعوا ربني	...	...	...	...
الانعام	١٩	قواريرا، قواريرا من	...	قواريرا اذعو ربني	قواريرا اذعو ربني	قواريرا اذعو ربني
التقصي	١٥	قلا يطاق عقابا	قلا يطاق	ولا يطاق	ولا يطاق	ولا يطاق

انت عظيم

القرآن في أطوار الإنافة والتجويد

لم يزل القرآن - منذ الصدر الأول - في طور التجويد والتحسين، لاسيما في ناحية كتابته وتجميل خطه من جميل الى أجل. وقد أسهم الخطاطون الكبار في تجويد خط المصاحف وتحسين كتابتها.

وأول من تنوّق في كتابة المصاحف وتجويد خطها، هو خالد بن أبي الهياج - صاحب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - (ت ح ١٠٠ هـ) وكان مشهوراً بجمال خطه وإنافة ذوقه. ويقال إنَّ سعداً - مولى الوليد وحاجبه - اختاره لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) فكان هو الذي خط قبلة المسجد النبوي بالمدينة بالذهب من سورة الشمس الى آخر القرآن. وكان قد جدد بناءه وأوسع عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة من قبل الوليد وبأمر منه، وفرغ من بنائه سنة ٩٠^(١).

وطلب إليه عمر بن عبد العزيز أن يكتب له مصحفاً على هذا المثال، فكتب له مصحفاً تنوّق فيه، فأقبل عمر يقلّبه ويستحسنه، ولكنه استكثر من ثمنه فردّه عليه. والظاهر أنَّ ذلك كان أيام خلافته (٩٩ - ١٠١) التي كان قد تزهد فيها.

قال محمد بن إسحاق - ابن النديم -: رأيت مصحفاً بخط خالد بن أبي

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٣ ص ٣٠ و ٣٦.

الهيّاج، صاحب علي (عليه السلام) وكان في مجموعة خطوط أثرية عند محمد بن الحسين المعروف بابن أبي بعرة، ثم صار إلى أبي عبدالله بن حاني رحمه الله^(١).

وقد ظلّ الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفي، حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ثم حلّ محله خط النسخ الجميل في أوائل القرن الرابع، على يد الخطاط الشهير محمد بن علي بن الحسين بن مقلّة (٢٧٢-٣٢٨).

قيل: إنّهُ أول من كتب خط الثلث والنسخ، وأول من هندس الحروف. إذ كان بارعاً في علم الهندسة. ووضع قواعدها وأصول رسمها. واتفق الباحثون أنّ الفضل الأكبر في تطوير وتحسين الخط العربي الإسلامي وتنويعه يرجع إلى هذا الخطاط الماهر، الذي لم تنجب الأمة الإسلامية لحد الآن خطاطاً بارعاً مثله.

وقد نسب عدد من المخطوطات الأثرية إليه، كالمصحف الموجود في متحف هرة بإفغانستان. ويقال: إنّهُ كتب القرآن مرتين^(٢).

وقد بلغ خط النسخ العربي ذروته في الجودة والحسن في القرن السابع على يد الخطاط المستعصمي ياقوت بن عبدالله الموصلي (ت ٦٨٩) كتب سبع مصاحف بخطه الرائع الذي كان يجيده إجابة تامّة، ويكتب بأنواعه المختلفة حتى صار مثلاً يقتدى به^(٣).

وهكذا صارت المصاحف تكتب على أسلوب خط ياقوت حتى القرن الحادي عشر، ومنذ مفتتح القرن الثاني عشر اهتم الأتراك العثمانيون عنايتهم بالخط العربي الإسلامي لاسيّما بعد فتح سلطان سليم مصر وزوال حكم

(١) الفهرست: الفن الأول من المقالة الأولى ص ٩. والفن الأول من المقالة الثانية ص ٤٦.

(٢) الخط العربي الإسلامي: ص ١٥٥. والخطاط البغدادي: ص ١٦.

(٣) المصدر: ص ١٧١ ومصور الخط العربي ناجي المصروف: ص ٩٢.

الممالك عنها، فجعل الخط العربي يتطور على أيدي الخطاطين الفرس الذين استخدمهم العثمانيون في امبراطوريتهم.

وقد نقل السلطان سليم جميع الخطاطين والرسميين والفتانين الى عاصمته، وأضافوا للخط العربي أنواعاً جديدة، لازالت تستعمل في الكتابات الدارجة، كالخط الرقعي والخط الديواني والخط الطغرائي والخط الإسلامبولي وغيرها.

ومن الخطاطين العثمانيين الذين ذاع صيتهم: الحافظ عثمان (ت ١١١٠). والسيد عبدالله أفندي (ت ١١٤٤). والأستاذ راسم (ت ١١٦٩). وأبو بكر ممتاز بك مصطفى أفندي الذي اخترع خط الرقعة، وهو أسهل الخطوط العربية وأبسطها استعمالاً، وقد وضع قواعده وكتب به لأول مرة، في عهد السلطان عبد المجيد خان سنة ١٢٨٠هـ^(١).

أما طباعة المصحف الشريف فقد مرت - ككتابته خطأ - بأطوار التجويد والتحسين. فلأول مرة ظهر القرآن مطبوعاً في البندقية في حدود سنة ٩٥٠هـ = ١٥٣٠م. لكن السلطات الكنسية أصدرت أمراً بإعدامه حال ظهوره.

ثم قام «هنلكمان» بطبع القرآن في مدينة «هانبورغ» - ألمانيا - سنة ١١٠٤هـ = ١٦٩٤م ثم تلاه «مراكي» بطبعه في «بادو» سنة ١١٠٨هـ = ١٦٩٨م.

وقام مولاي عثمان بطبع القرآن طبعة إسلامية خالصة، في مدينة «سانت بترسبورغ» - روسيا - سنة ١٢٠٠هـ = ١٧٨٧م. وظهر مثلها في «قازان».

وقام «فلوجل» بطبعته الخاصة للقرآن في مدينة «لينزبورغ» سنة ١٢٥٢هـ = ١٨٣٤م. فتلقاها الاوروبيون بحماسة منقطعة النظر، بسبب إملائها السهل. ولكنها - كسائر الطباعات الأوروبية - لم تنجح في العالم الإسلامي.

وأول دولة إسلامية قامت بطبع القرآن، فكان نصيبها النجاح، هي

(١) الخط العربي الإسلامي : ص ١٢٣.

إيران^(١). طبعت طبعتين حجريتين جميلتين ومنقحتين في حجم كبير، مع ترجمة موضوعة تحت كل سطر من القرآن، ومفهرستين بعدة فهارس. إحداهما كانت في طهران سنة ١٢٤٣هـ = ١٨٢٨م والأخرى في تبريز ١٢٤٨هـ = ١٨٣٣م. وظهرت في الهند. في هذا العهد. أيضاً عدة طبعات.

ثم عنت الأستانة - تركيا العثمانية - ابتداء من سنة ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧م بطبع القرآن طبعات أنيقة ومنقحة جداً.

وقامت روسيا الملكية عام ١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م بطبع قرآن كتب بخط كوفي قديم، في حجم كبير، يظن أنه أحد المصاحف العثمانية الأولى، خال عن النقط والتشكيل، سقطت من أوله ورقات، وناقص من آخره أيضاً. يبتدى من قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ»^(٢) وينتهي الى قوله: «وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ»^(٣) عثروا عليه في سمرقند، فامتلكته المكتبة الملكية في بترسبورغ. ثم تولى معهد الآثار في طشقند طبعه طبعة فتوغرافية على نفس الرسم والحجم في خمسين نسخة، وأهداها الى أهم جامعات البلاد الاسلامية. ومنها نسخة في مكتبة جامعة طهران، مسجلة برقم المطبوعات: DSS / ١٤٤٠٣.

وأخيراً قامت مصر بطبعة ممتازة للمصحف الشريف سنة ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م، تحت إشراف مشيخة الأزهر. وبإقرار لجنة عينتها وزارة الأوقاف. وقد تلقى العالم الإسلامي هذه الطبعة بالقبول، وجرت عليها سائر الطبعات. كما ظهرت في العراق سنة ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م طبعة بارزة أنيقة للقرن.

(١) الدكتور صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن: ص ٩٩. وينقل عن المستشرق «بلاشير» معلومات هامة بهذا الصدد، اعتمدناها في هذا العرض.

(٢) البقرة: ٨.

(٣) الزخرف: ٤.

وهكذا اهتمت الأئمة الإسلامية في مختلف الأقطار بطبع هذا الكتاب ونشره
على أحسن أسلوب وأجل طراز. ولا تزال.

والحمد لله أولاً وآخراً حمداً لا نهاية له ولا زوال

قم المقدسة - محمد هادي معرفة

شوال المكرم ١٣٩٦ هـ



مركز تحقيقات کتب ویراث علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفهارس

- ١- فهرس الآيات.
- ٢- فهرس الأحاديث.
- ٣- فهرس الأعلام.
- ٤- فهرس الأشعار.
- ٥- فهرس الفرق والمذاهب.
- ٦- فهرس البلدان والأماكن.
- ٧- فهرس الجماعات والقبائل.
- ٨- فهرس مواضع الكتاب.



مركز تحقيقات کتب ویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

٦	إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون	٢٦٢
٧	ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة	٢٦٢
	ولهم عذاب عظيم	
٨	ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين \	٤٠٦
١٤	وإذا قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٢٤٦
٢٠	كلماء أضاء لهم مشوا فيه	٣٢٤
٢١	يا أيها الناس اعبدوا ربكم	١٣٢-٢٣٥
٢٦	إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما...	٢٤٦
٣٤	وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر	٢٦٦
٤٣	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين	٢٢٣
٩٧	فانه نزله على قلبك	٣٠
١٠٩	فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره	٢٢٤
١١٥	ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم	٢٥٣-٢٤٧-٢٥٧
١٥٦	إنا لله وإنا إليه راجعون	٣٢
١٥٨	إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر	
	فلا جناح عليه أن يطوف بهما	٢٤٢-٢٧٧-١٣٢

٣٧٤	واختلاف الليل والنهار	١٦٤
١٣٢	يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً	١٦٨
٣٦٢	كتب عليكم الصيام	١٨٣
١٢٣-١٠٨	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	١٨٥
	وليس البربان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر	١٨٩
٢٤٤	من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون	
	وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله	١٩٠
١٨٦	لا يحب المعتدين	
١٨٦	فان قاتلوكم فاقتلوهم	١٩١
٣٢٤	فصيام ثلاثة أيام في الحج	١٩٦
	كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين	٢١٣
	ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه	٣٢٠
٢٧٩	يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً	٢٣٤
	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن	٢٤٠
٢٧٩	متاعاً الى الحول غير إخراج	
٣٥٧	ننشرها	٢٥٩
٢٢٤	ليس عليك هدام	٢٧٢
٢٢٥	واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله	٢٨١

(٣) سورة آل عمران

٣٥٧	يُعَلِّمُهُ	٤٨
٣٢٠	وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون	٥٠
	الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع	١٧٢
٢٦٢	للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم	

١٧٣	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
٢٦٢-٣٧١	إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
٣٧٦	ليس بظلامٍ للعبيد
٢٩٢	فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون

(٤) سورة النساء

١٣٣	يا أيها الناس اتقوا ربكم
٣٢٤	فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضةً
٢٣٢	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
٢٢٥-١٤٧	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
٩١-٧٥	إن كيد الشيطان كان ضعيفاً
٢٣٢	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
٣٧٢	ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله
١٣٣	إن يشأ يذهبكم أيها الناس
١٧٥	إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً
١٦٢	لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل
٣٧٢-٣٦٩	إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة
١٦٣	إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من
	بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط
٢٩	وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً
١٦٤	ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك
٢٩	وكلم الله موسى تكليماً
١٦٥	رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
٣٠	الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً

١٦٦	لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً	٣٠
١٦٧	إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً	٣٠
١٧٦	يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة	٢٢٥

(٥) سورة المائدة

٣	اليوم يشئ الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً	٢٢٦-٢٧٩-١٢٨
٣٣	أو ينفوا من الأرض	٢٦٦
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما	٣١٨
٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس	٣٢١
٦٩	إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون	٣٦٩-٣٧٢
٩٣	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات	٢٤٣
١٠٩	علام الغيوب	٣٧٤

(٦) سورة الأنعام

٥	يأتيهم أنباء	٣٧٤
٢٠	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	١٧١
٢٣	ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين	١٧٢
٢٦	ينأون عنه	٣٧٤
٥٢	بالغداة	٣٧٤

٣٦٢	٥٤	كتب ربكم على نفسه الرحمة
	٩١	وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ
٢٥٨-١٧٢		من شيء... قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
١٧٤	٩٣	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ
٣٧٤	٩٤	فيكم شركاء
	١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم
٢٨		الى بعض زخرف القول
	١١٤	أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً
١٧٦		والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق
٢٨	١٢١	وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم
	١٤١	وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات... كلوا
١٧٧		من ثمره إذا أثمروا اتوا حقه يوم حصاده
١٧٧	١٥١	قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم
١٧٧	١٥٢	ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن
١٧٧	١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

(٧) سورة الأعراف

٣٧٦	٣٤	لا يستأخرون ساعة
١٢٠	٥٢	ولقد جنناهم بكتاب فصلناه على علم
	٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ
٢٦٦		من السماء والأرض
٣٧٦	١٥٠	قال ابن أم
١٧٩	١٦٣	وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر

(٨) سورة الأنفال

٢٨	إذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا	١٢
	وإذ يمكركم الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك	٣٠
١٧٠-٢٢٧	ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين	
	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم	٣٣
٢٢٧	وهم يستغفرون	
١٠٥	وما أنزلنا على عبدنا يوم التقي الجمعان	٤١
٢٢٨	الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم	٥٦
٢٢٨	فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم	٥٧
٢٢٨	ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون	٥٩
٢٢٨	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل	٦٠
٢٢٨	وإن جنحوا للسلم فاجنح لها	٦١
٢٢٨	وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره	٦٢
٢٢٨	يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين	٦٤
٢٢٨	يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال	٦٥
٢٣٠	والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً	٧٤

(٩) سورة التوبة

٣٦٢	أن الله بريء من المشركين ورسوله	٣
	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله... من الذين أوتوا الكتاب حتى	٢٩
٢٢٤	يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون	
	إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً	٣٧
٢٤٤	ويحرمونه عاماً لبوا طؤوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله	

٨٠	استغفرهم أو لا تستغفرهم إن تستغفرهم سبعين مرة
٢٥٠	فلن يغفر الله لهم
٨٤	ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره
٩١	ليس على الضعفاء
١١٣	ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي
٢٢٩	إن إبراهيم لأواه حلیم
١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
٢٣٢	بالمؤمنين رؤوف رحيم
١٢٩	فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
٢٣٢	



(١٠) سورة يونس

٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس
	وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن
٥١-٢٩	هذا الساحر مبين
٣٠	تبلى
٤٠	ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين
٩٢	نُنَجِّيك
٩٤	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون
١٨٠	الكتاب من قبلك
٩٥	ولا تكونن من الذين كذبوا
٩٦	إن الذين حققت عليهم كلمة ربك

(١١) سورة هود

١٢٠	١	كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
	١٢	فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك أن يقولوا
١٨٠		لولا أنزل عليه كنزاً أو جاء معه ملك
	١٧	أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله
		كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به
١٨١		من الأحزاب فالنار موعده
٣٢٠	٧١	وامراته قائمة فضحكت
٣٧٤	٨٧	ما نشأ
	١١٤	وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات
١٨١		يُذهبن السيئات

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

(١٢) سورة يوسف

٢٩	٣	نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن
١٨٢	٧	لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين
٢٦٧	٢٤	ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
٣٧٤	٨٧	إنه لا يباؤس

(١٣) سورة الرعد

٣٧٦	١٤	وما دعاء الكافرين
	٣٠	كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أُمم لتتلوا
		عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمان قل هو ربي لا اله
١٣١		إلا هو عليه توكلت واليه متاب

٣١	أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً
٣٩	ولا يزال الذين كفروا تُصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله
٤١	يمحو الله ما يشاء
٢٣٣-٣٧١	أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها
٣٧٦	
٢٦٥	

(١٤) سورة إبراهيم

٩	ألم يأتكم نبي
٢١	فقال الضعفاء
٢٢	وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي
٢٨	ألم تروا إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم
١٨٢	دار البوار
٢٩	جهنم يصلونها وبش القرار
١٨٢	

(١٥) سورة الحجر

٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
٢٢	فأسقينا كموه
٢٤	ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
٧٨	أصحاب الأيكة
٨٧	ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم
٩٠	كما أنزلنا على المقتسمين
٩١	الذين جعلوا القرآن عضين
٩٤	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
١٠٩	

(١٦) سورة النحل

٣٧٦	وإن تعدوا نعمة الله	١٨
١٨٤	والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا ...	٤١
١٧٦-١٧٤-١٨٠	فستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	٤٣
١٧٧	بالبينات والزبر	٤٤
	وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر	٦٨
٢٧	ومما يعرشون	
٢٧	ثم كُلِّي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللاً	٦٩
١٨٥	ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ...	٩٥
١٨٥	بأحسن ما كانوا يعملون	٩٦
١٧٥	ولكن من شرح بالكفر صدراً	١٠٦
	أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي	١٢٥
١٨٦	هي أحسن	
	وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير	١٢٦
١٨٧-٢٤٧	للصابرين	
	واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما	١٢٧
٢٤٧-١٨٧	يمكرون	
٢٤٧	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون	١٢٨

(١٧) سورة الإسراء

٣٨٠	ويدع الإنسان بالشر	١١
٣٧٠	وفضئ ربك أن لا تعبدوا إلا إياه	٢٣
١٨٧	وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً	٢٦

٣٢	ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً	١٨٩
٣٣	ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق	١٨٩
٤٨	ضربوا لك الأمثال	٣٧٦
٥٧	أولئك الذين يدعون يبتغون إلى رههم الوسيلة أبهم أقرب	١٨٩
٦٠	وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن	١٥٨-١٥٨-١٩٠
٦٥	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا	٨٥-١٦٧
٧٣	وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تأخذوك خليلًا	١٩٠-٨٧
٧٤	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا	١٩٠-٨٧
٧٥	إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرًا	٢٦٤-١٩٠-٨٧
٧٦	وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا	١٩١
٧٧	سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا تحويلاً	١٩١
٧٨	اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً	١٩١
٧٩	ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً	١٩١
٨٠	وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطان نصيرًا	١٩١
٨١	وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً	١٩١

٨٥	ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً	١٩٢
٨٨	قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً	٢٧٤-١٩٣
٩٠	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً	١٩٣
٩٣	أو يكون لك بيت من زخرف	٣١٨
١٠٦	قرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً	١٢٠
١٠٧	قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً	١٩٣

(١٨) سورة الكهف

٤	وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً	١٩٤
١٩	وليتلطف	٣٦٤
٢٣	ولا تقولن لشيء	٣٧٤
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي	١٩٥
٤٥	وكان الله على كل شيء	٣٧٧
٧٧	لوشئت لا تأخذت	٣٧٥
٨٣	ويسألونك عن ذي القرنين	١٩٥
١٠١	لا يستطيعون سمعاً	١٩٥

(١٩) سورة مريم

١١	فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا	٢٥
٢٦	إني نذرت للرحمان صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً	٣١٨
٥٨	أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية	

١٩٧	آدم... خروا مسجداً وبكياً	
١٩٧	وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً	٧١

(٢٠) سورة طه

٧٤	نودي يا موسى	١١
٧٤	إني أنا ربك	١٢
١٥٢-٣٢٥	إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى	١٥
٣٦٩-٣٦٧	إن هذان لساحران	٦٣
٣٧٢-		
٣٧٥	قال يا ابن أم	٩٤
	ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني	١١٤
٨٤-٦٣	علماً	
١٢٣-		
١٩٧	فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها	١٣٠
١٩٨	ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم	١٣١

(٢١) سورة الأنبياء

٧٤	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق	١٨
٣٧٩	سأوريكم آياتي	٣٧
٢٦٥-١٩٨	افلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها	٤٤
٣٧١	ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً	٤٨

(٢٢) سورة الحج

٣٧٦	في الأرحام ما نشاء	
-----	--------------------	--

٢٣٣	هذان خصمان اختصموا	١٩
	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى	٥٢
	ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم	
٢٣٤-٨٧	يحكم الله آياته والله عليم حكيم	
٢٣٤	عذاب يوم عقيم	٥٥
٣٧٦	أحياكم ثم يميتكم	٦٦

(٢٣) سورة المؤمنون

٢٢٢	والذين هم للزكاة فاعلون	٤
١٧٤-٣٣	ولقد خلقنا الانسان من سلالَةٍ من طين	١٢
٣٣	ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين	١٣
	ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا	١٤
	المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً	
٣٣	آخر فتبارك الله أحسن الخالقين	
٣٧٧	وقال الملأ	٣٣
٣٧٠	والذين يؤتون ما آتوا	٦٠
١٩٨	حتى إذا أخذنا مترفيهم	٦٤

(٢٤) سورة النور

	لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على	٢٧
٣٧٠	أهلها	

(٢٥) سورة الفرقان

١٦٧	وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً	٨
-----	---	---

١٦٧	٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا
	٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك
١١٣-١٢٢		لنشبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً

(٢٦) سورة الشعراء

٦٣	١٩٢	وإنه لتنزيل رب العالمين
٦٣-٦٠-٣٠	١٩٣	نزل به الروح الأمين
٦٠-٦٣-٣١	١٩٤	على قلبك لتكون من المنذرين
٦٣	١٩٥	بلسان عربي مبين
١٩٩	١٩٧	أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل
٣٢١	٢١٤	وانذر عشيرتك الأقربين
٢٣١	٢١٩	وتقلبك في الساجدين
٢٠٠	٢٢٤	والشعراء يتبعهم الغاؤون

(٢٧) سورة النمل

٧٤	٩	يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم
٧٤	١٠	يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون
٣٧٥-٣٨٩	٢١	لأعذبه عذاباً شديداً أولاً ذبحته
٣٧٥	٢٩	يا أيها الملأ

(٢٨) سورة القصص

	٧	وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فآلقه
٢٧		في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين
٢٠٠	٥٢	الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون

٢٠٠	سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين	٥٥
٢٢٩-٢٢٤	إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء	٥٦
٢٠١-١٣٠	إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد	٨٥

(٢٩) سورة العنكبوت

٢٩	اتل ما أوحى إليك من الكتاب	٤٥
	ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم	٤٦
١٧٢-٢٠١	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به	٤٧
١٧٢-٢٠١	يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون	٥٦
٢٠٣	لنُبَوِّئَنَّهُمْ	٥٨
٣٥٧	وكأين من دابةٍ لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم	٦٠
٢٠٣-٢٠٢	وهو السميع العليم	

(٣٠) سورة الروم

٥	شفعاء	١٣
٢٠٣	فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون	١٧
	الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير	٥٤
٣٩		

(٣١) سورة لقمان

	ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عده من بعده سبعة أبحر	٢٧
٢٠٣		

٣١٨	٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة
٢٠٣	٢٩	بما تعملون خير

(٣٢) سورة السجدة

٣٣	٧	وبدأ خلق الإنسان من طين
٣٣	٨	ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين
٣٣	٩	ثم سواه ونفخ فيه من روحه
	١٦	تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما
٢٠٤		رزقناهم ينفقون
٢٠٤	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين
٢٠٤	١٨	أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً
٢٠٤	١٩	نُزلاً بما كانوا يعملون

مركز تقيت كميتر علوم رسدي

(٣٣) سورة الاحزاب

	٦	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
٣٢٠		وازواجه امهاتهم
	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا
٢٥١		الله واليوم الآخر
	٢٣	رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
١٢١		ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً

(٣٤) سورة سبأ

٣٧٩	٥	سعو في آياتنا معاجزين
	٦	ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق

٢٠٦	ويهدي الى صراط العزيز الحميد	
٢٠٦	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية	١٥
٣٥٧	نُجَازِي	١٧
٢٥٠	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه	٢٠
٢٠٦	وربك على كل شيء حفيظ	٢١
	حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا	٢٣
٦٨	الحق وهو العليّ الكبير	
٢٧٤	وما أرسلناك إلا كافة للناس	٢٨

(٣٥) سورة فاطر

٢٠٨	إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم	٢٩
٢٠٨	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا	٣٢

(٣٦) سورة يس

	إنّا نحن نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُل	١٢
٢٠٩	شيءٍ وَّ احْصِيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ	
٣١٨	إن كانت إلا صيحة واحدة	٢٩
	وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا	٤٧
٢٠٩	للذين آمنوا أن نعطهم من لؤي شاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلالٍ مبينٍ	
٣٢٤	قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا	٥٢
٣١٨	إن كانت إلا صيحة واحدة	٥٣
٣٧٧	أيها المجرمون	٥٩

(٣٧) سورة الصافات

٩٤	لا يسمعون الى الملاّ الأعلى ويقذفون من كل جانب	٨
٣٢١	بل عجبت ويسخرون	١٢
٣٧٥	لهو البلاء المبين	١٠٦
٣١٧	وإن الياس لمن المرسلين	١٢٣
٣١٧	سلام على آل ياسين	١٣٠
٧٥	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين	١٧١
٧٥	إنهم لهم المنصورون	١٧٢
٧٥	وإن جئناهم الغالبون	١٧٣



(٣٨) سورة ص

٣٧٥	وأصحاب الأيكة	١٣
٣٢١	إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة	٢٣

(٣٩) سورة الزمر

٣١٠	قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب	١٠
٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم	٢٣
٢١٠	قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم	٥٣
٢١١	وأنتم لا تشعرون	٥٥
٣٧٥	وجيء بالنبئين	٦٩

(٤٠) سورة غافر

٣٧٦	لدى الحناجر	١٨
٣٧٥	وما دُعَاءُ الكافرين	٥٠
٧٤	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا	٥١
٢١١	وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار	٥٥
٢١٢	إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم ...	٥٦
٢١٢	ولكن أكثر الناس لا يعلمون	٥٧
٢٥٣	ادعوني أستجب لكم	٦٠

(٤١) سورة فصلت

٢٢٢	الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالأخرة هم كافرون	٧
٢٧	وأوحى في كل سماء أمرها	١٢
	لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من	٤٢
٢٧٣-٨٩	حكيم حميد	

٣٦٨-

(٤٢) سورة الشورى

	وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى	٧
٢٩	ومن حولها	
٢١٣	أم يقولون افترى على الله كذباً	٢٤
٢١٣	والكافرون لهم عذاب شديد	٢٦
٢١٣	ولو بسط الله الرزق لعباده ... خبير بصير	٢٧
٢١٣	والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون	٣٩

٢١٣	٤١	فاولئك ما عليهم من سبيل
	٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب
٣٠		او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم
	٥٢	من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الأيمان ولكن
		جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك
٥٥		لتهدي الى صراط مستقيم

(٤٣) سورة الزخرف

٤٠٦	٤	وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم
	٤٥	واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون
٢١٤		الرحمان آلهة يعبدون

(٤٤) سورة الدخان

١٠٨	٣	إنا أنزلناه في ليلة مباركة
-----	---	----------------------------

(٤٥) سورة الجاثية

٢١٤	١٤	قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله
-----	----	--

(٤٦) سورة الاحقاف

	١٠	قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد في بني
٢١٥		اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
٢١٥	١٥	ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً
٢١٥	١٩	وهم لا يظلمون
٢٦٥	٢٧	ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى

٣٥ واصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ٢١٦

(٤٧) سورة محمد

١٣ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك
أهلكناهم فلا ناصرهم ٢٣٤

١٤ على بينة من ربه ٣٧٦

(٤٨) سورة الفتح

٢٣ ولن تجد لسنة الله ٣٧٦

٢٦ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية

فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ٣٢٥

٢٧ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام

إن شاء الله. ٥٨

(٤٩) سورة الحجرات

٦ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ٢٠٥-٣٥٧

١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وإنثى ٢٣٥

(٥٠) سورة ق

١٠ لها طلع نضيد ٣٧٣-٣٤٢

١٤ أصحاب الأيكة ٣٧٦

١٩ وجاءت سكرة الموت بالحق ٢٧٤

٣٨ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام

وما مسنا من لغوب ٢١٦

٢١٦	وقبل الغروب	٣٩
-----	-------------	----

(٥١) سورة الذاريات

٣٧٥	والسمااء بنيناها بأيد	٤٧
-----	-----------------------	----

(٥٢) سورة الطور

٣٧٩	كانهم لؤلؤ	٢٤
٧٣	واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم	٤٨

(٥٣) سورة النجم

٩١	والنجم إذا هوى	١
٩١	ماضل صاحبكم وماغوى	٢
٩١-٨٥-٦٠	وماينطق عن الهوى	٣
٩١-٨٥-٦٠	إن هو إلا وحي يوحى	٤
٩١-٨٥-٦٠	علمه شديد القوى	٥
٦٠	ذومرة فاستوى	٦
٦٠	وهو بالأفق الأعلى	٧
٦٠	ثم دنا فتدلى	٨
٦٠	فكان قاب قوسين أو أدنى	٩
٦٠	فأوحى الى عبده ما أوحى	١٠
٦٠	ما كذب الفؤاد ما رأى	١١
٦٠	أفتمارونه على ما يرى	١٢
٦٠	ولقد رءاه نزلة أخرى	١٣
٦٠	عند سدرة المنتهى	١٤

٦٠	عندها جنة المأوى	١٥
٦٠	إذ يغشى السدرة ما يغشى	١٦
٦٠	ما زأغ البصر وما طغى	١٧
٨٦	أفرأيتم اللات والعزى	١٩
٨٦	ومناة الثالثة الأخرى	٢٠
	إن هي إلا أسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل	٢٣
٩٤	الله بها من سلطان	
٩٥	وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً	٢٦
	هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة	٣٢
٢١٧	في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى	
٢١٨	أفرأيت الذي تولى	٣٣

مركز تحقيقات مركز علوم إسلامي
(٥٤) سورة القمر

٣٨٣	ولقد يسرنا القرآن للذكر	١٧
٢١٨	سيهزم الجمع ويولون الدبر	٤٥
٢١٨	إن المتقين في جنات ونهر	٥٤
٢١٨	في مقعد صدق عند مليك مقتدر	٥٥

(٥٥) سورة الرحمن

٣١٨	وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان	٩
٢٣٥	يسأله من في السماوات والأرض ...	٢٩

(٥٦) سورة الواقعة

٣٧٩	كأمثال اللؤلؤ	٢٣
-----	---------------	----

٣٧٣-٣٤٢	وطلح منضُود	٢٩
٢١٩	ثلة من الأولين	٣٩
٢١٩	وثلة من الآخرين	٤٠
٢١٩	فلا أقسم بمواقع النجوم	٧٥
٢١٩	وإنه لقسم لو تعلمون عظيم	٧٦
٢١٩-١٢٠	إنه لقرآن كريم	٧٧
٢١٩-١٢٠	في كتاب مكنون	٧٨
٢١٩-١٢٠	لا يمسّه إلا المطهرون	٧٩
٢١٩	تنزيل من رب العالمين	٨٠
٢١٩	أفبهذا الحديث أنتم مدهنون	٨١
٢١٩	وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون	٨٢



(٥٧) سورة الحديد

١٥٢	إن كنتم مؤمنين	٨
	يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انصرونا	١٣
٣١٨	نقتبس من نوركم	
	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ...	١٦
١٥٢	فقت قلوبهم وكثير منهم فاسقون	

(٥٨) سورة المجادلة

	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله	١
١٢١	والله يسمع تحاوركما	
	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم	٧
٢٣٦-٣٢١	ولا أدنى من ذلك	

٢١ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ٩١

(٥٩) سورة الحشر

٧ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ١٨٨

(٦٢) سورة الجمعة

١١ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ١٢١

(٦٣) سورة المنافقون

١٠ فأصدّق وأكن من الصالحين ٣٧٢

(٦٧) سورة الملك

١٢ إن الذين يخشون ربهم... ٢٢٠
١٥ هو الذي جعل لكم الأرض ٢٢٠
٢٩ قل هو الرحمن آمنا به... ٢٢٠

(٦٨) سورة القلم

١٧ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ٢٢٠
٣٣ لو كانوا يعلمون ٢٢٠
٤٨ فاصبر لحكم ربك ٢٢٠
٥٠ فجعله من الصالحين ٢٢٠

(٦٩) سورة الحاقة

٢٩٣	وتعيا أذن واعية	١٢
٨٥-٧٤	ولوتقول علينا بعض الأقاويل	٤٤
٨٥-٧٤	لأخذنا منه باليمين	٤٥
٧٤	ثم لقطعنا منه الوتين	٤٦

(٧٢) سورة الجن

٢٥٩	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً	١٨
	إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه	٢٧
١٠٣	ومن خلفه رصداً	



(٧٣) سورة المزمل

٦٤	إننا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً	٥
٢٢١	واصبر على ما يقولون	١٠
٢٢١	ومهلهم قليلاً	١١
٢٢١	إن ربك يعلم أنك تقوم... إن الله غفور رحيم	٢٠

(٧٥) سورة القيامة

٨٤-٦٣	لا تحرك به لسانك لتعجل به	١٦
٨٤-٦٣	إن علينا جمعه وقرآنه	١٧
٨٤-٦٣	فاذا قرأناه فاتبع قرآنه	١٨
٨٤-٦٣	ثم إن علينا بيانه	١٩

(٧٦) سورة الانسان

٢٣٦	فاصبر لحكم ربك	٢٤
-----	---------------------	----

(٧٧) سورة المرسلات

٢٢٢	واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون	٤٨
-----	-------------------------------	----

(٧٩) سورة النازعات

٣٧٦	انه طغى	١٧
-----	---------	----

(٨١) سورة التكويد

٦٠	انه لقول رسول كريم	١٩
٦٠	ذي قوة عند ذي العرش مكين	٢٠
٦١	مطاع ثم أمين	٢١
٦١	وما صاحبكم بمجنون	٢٢
٦١	ولقد رآه بالأفق المبين	٢٣

(٨٧) سورة الأعلى

٨٤-٦٩-٦٣	سنقرئك فلا تنسى	٦
٢٩٣	إن هذا لفي الصحف الأولى	١٨
٢٩٣	صحف إبراهيم وموسى	١٩

(٨٩) سورة الفجر

٣٧٩	وجاء يومئذ بجهنم	٢٣
-----	------------------	----

(٩٢) سورة الليل

٣٢٢	وما خلق الذكر والأنثى	٣
-----	-----------------------	---

(٩٣) سورة الضحى

٢٤٨	والضحى	١
٢٤٩	فترضى	٥

(٩٦) سورة العلق

٣٨٠	سنذع الزبانية	١٨
-----	---------------	----

(٩٧) سورة القدر

١٠٨	إنا أنزلناه في ليلة القدر	١
-----	---------------------------	---

(١٠١) سورة القارعة

٣١٧	وتكون الجبال كالعهن المنفوش	٥
-----	-----------------------------	---

(١٠٦) سورة قريش

٣٧٦	لأعيلف قريش	١
-----	-------------	---

(١١٤) سورة الناس

٢٨	من شر الوسواس الخناس	٤
٢٨	الذي يوسوس في صدور الناس	٥
٢٨	من الجنة والناس	٦

فهرس الأحاديث

(أ)

٧٥	أبى الله أن يعرف باطلا حقاً	الصادق (ع):
٦٧	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس	النبي (ص):
٦٨	إذا أراد الله أن يوحى بأمر	النبي (ص):
٦٢	إذا رأيتم دحية الكلبي عندي	النبي (ص):
٢٧٦	إذا قام قائم آل محمد (ص) ضرب فساطيط	الباقر (ع):
١٥٨	أريت بني أمية على منابر الأرض	النبي (ص):
٦٧	أسمع صلاصلا ثم اسكت عند ذلك	النبي (ص):
١٨٧	أقرأت القرآن	زين العابدين (ع):
٣٤٢	اقرأوا كما علمتم	الامام علي (ع):
١٣١	اكتب بسم الله الرحمن الرحيم	النبي (ص):
٣٢٤	ألم تركيب فعل ربك وإلا يلاف قريش سورة واحدة	الباقر والصادق (ع):
١٢٨	أما أن نفسي نعت إليّ	النبي (ص):
٣٠٩	أما نحن فنقرأ على قراءة أبي	الصادق (ع):
١٨٥	أما والله لا مثلن بسبعين	النبي (ص):
٢٩٦	أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً	الامام علي (ع):
٢٣٣	أنا أول من يجثو في الخصومة	الامام علي (ع):

- النبي (ص): إن آثاركم تكتب ٢٠٩
- النبي (ص): إن أخاكلم قد مات فصلوا عليه ٢٥٣
- الصادق (ع): إن الله خلق خلقاً وخلق روحاً ٣٣
- الصادق (ع): إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً ٧٥
- العسكري (ع): إن الله وجد قلب محمد (ص) ٧٧
- الصادق (ع): إن جبرائيل كان إذا أتى النبي (ص) ٦٤-٦١
- الصادق (ع): إن ذلك في عمرة القضاء ٢٤٣
- النبي (ص): إن روح القدس نفث في روعي ٦٣
- الامام علي (ع): إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول ٣٧٣-٣٦٧-٣٤٢
- الصادق (ع): إن للقرآن تأويلاً فإنه ما قد جاء ٢٦٠
- الصادق (ع): أنزل الفرقان في ليلة القدر. ١١٨
- الصادق (ع): أنزل القرآن في ثلاث وعشرين من رمضان ١١٨
- النبي (ص): أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان ١١٧
- النبي (ص): أنزلت عليّ آنفاً سورة ١٦٢-٥٨
- عنهم عليهم السلام: أنه (ع) آلى على نفسه أن لا يضع رداءه على عاتقه ٢٩١
- النبي (ص): أنه أتاني آت على صورتك ٨٧
- الصادق (ع): أنه حملة وولتي راجعاً نحو حجرته ٢٩٢
- النبي (ص): أنه رجل من العرب كان له من الأولاد ٢٠٧
- النبي (ص): إني جاورت بحراء فلما قضيت جوارى ١٢٥
- الامام علي (ع): إني لم أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً ٢٩٥
- الامام علي (ع): إني مخلف فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا ٢٩١
- الصادق (ع): أول ما نزل على رسول الله (ص) ١٢٤
- النبي (ص): أي عم قل لا إله إلا الله ٢٤٩

(ب)

- ٣٥٦ البسمة أمان وبراعة نزلت بالسيف : الامام علي (ع)
 ١٠٦ بعث الله عز وجل محمداً (ص) رحمة للعالمين : الرضا (ع)

(ث)

- ١١١ ثم نزل القرآن في طول عشرين عاماً : الصادق (ع)

(ر)

- ١٥٧ رأى النبي (ص) بني أمية ينزون على منبره : الحسن بن علي (ع)
 ١٥٨ رايت ولد الحكم ابن أبي العاص على المنابر : النبي (ص)
 ٢٦٢ المركب الذي دسه أبو سفیان للارجاف بالمؤمنين : الباقر والصادق (ع)
 ٥٧ رؤيا الانبياء وحي : الامام علي (ع)

(س)

- ١٢٥ سألت النبي (ص) عن ثواب القرآن : الامام علي (ع)

(ض)

- ١٢٨ ضعتها في رأس المائتين والثمانين : جبرائيل (ع)

(ظ)

- ٢٥٥-٢٦٤ ظهر القرآن الذين نزل فيهم : الباقر (ع)
 ٢٥٥ ظهره تنزيله وبطنه تأويله : الباقر (ع)

(ف)

- ١٢٥ النبي (ص): فبينما أنا أمشي إذ سمعت هاتفاً من السماء
 ٢٦٦ الصادق (ع): فقد العلماء
 ٣٤١ الامام علي (ع): فوالله ما فعل عثمان الذي فعل في المصاحف
 ٢٣١ الباقر والصادق (ع): في اصلاّب النبيين نبي بعد نبي
 ١٠٦ الصادق (ع): في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة

(ك)

- ٦٨ الباقر (ع): كان أهل السماوات لم يسمعوا وحياً
 ٦٢ النبي (ص): كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي
 ٦٤ الصادق (ع): كان ذلك إذا جاءه الوحي
 ٢٦٧ النبي (ص): كان لآدم سجود طاعة
 ٢٤٣ الصادق (ع): كان المسلمون يرون أن الصفا والمروة
 ٧٠ النبي (ص): كان الوحي يأتيني على نحوين
 ٢٧٥ الصادق (ع): كان يعرف انقضاء سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم
 ٢١٧ النبي (ص): كذبوا ما من نسمة يخلقها الله
 ١٦٠ الامام علي (ع): كنا نشك في عذاب القبر

(ل)

- ١٠٩ النبي (ص): لا صلاة الا بفاتحة الكتاب
 ٢٤٧ النبي (ص): لأمثلن بسبعين منهم مكانك
 ٣٤٢ الامام علي (ع): لا يهاج القرآن بعد اليوم
 ٨٦ النبي (ص): لقد افترت على الله

١٧٨	لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على القبائل	الامام علي (ع):
٢٩١	لما قبض رسول الله (ص) اقسمت أن لا أضع ردائي	الامام علي (ع):
٣٤١	لؤلؤ يصنعه هو لصنعتة	الامام علي (ع):
٣٤١	لووليت في المصاحف ما ولي عثمان	الامام علي (ع):

(م)

٣٧٣	ما شأن الطلح	الامام علي (ع):
٢٥٥	ما في القرآن آية إلا ولها ظهور وبطن	الباقر (ع):
١٥٠	مالي أراكم سكوتاً	النبي (ص):
٢٩٠	ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن	الباقر (ع):
٢٩٣	ما نزلت آية على رسول الله (ص) إلا أقرأها	الامام علي (ع):
٢٦٠	ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن	الصادق (ع):
١١١	مكث رسول الله (ص) بمكة بعد ما جاءه الوحي	الصادق (ع):
٩٤	من رأني فقد رأني	النبي (ص):
٨٦	مه من اين جئت بهاتين الكلمتين	جبرائيل (ع):
٣٤٢	مه مه كف عن هذه القراءة	الامام علي (ع):

(ن)

٦٥	نزلت على النبي (ص) سورة المائدة	الامام علي (ع):
١٤٦	نزلت فاتحة الكتاب بمكة	الامام علي (ع):
٢٥٦	نزل القرآن بأياك أعني واسمعي يا جارة	عنهم (ع):
٢٦٣	نزل القرآن بأياك أعني واسمعي يا جارة	الصادق (ع):
١١٨	نزل القرآن جملة واحدة	الصادق (ع):
٢٧٩	نسختها أي آية الامتاع	الصادق (ع):

(هـ)

١٦٥	هذه البئر التي أريتها	النبي (ص):
٢٠٢	هذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً	النبي (ص):
١٠٢	هذه الصلاة التي أمرني الله بها	النبي (ص):
١٨١	هل جهزت غازياً	النبي (ص):

(و)

١٢٧	وآخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح	الصادق (ع):
٦١	وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً	النبي (ص):
٢٦٠	والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره	الباقر (ع):
٥٧	وأما النبي فهو الذي يرى في منامه	الباقر (ع):
٦٩	وكان أشده عليّ تحت كعبتي يوم رسي	النبي (ص):
١٢٦	ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	النبي (ص):
٧٦	ولقد قرن الله به	الامام علي (ع):
٢٥٦	ولو أن الآية نزلت في قوم	الباقر (ع):
١٥٠	وهذا دليل على أنها نزلت قبل سورة الحجر	النبي (ص):
٢٩٣	ويلهم إني لأعرف نامخه من منسوخه	الامام علي (ع):

(ي)

٢٩٦	يا طلحة عمداً كففت عن جوابك	الامام علي (ع):
١٦٤	يا عائشة أشعرت	النبي (ص):
٢٨١	يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والحريز	الصادق (ع):
٢٩١	يا علي هذا كتاب الله نجده إليك	النبي (ص):

- الباقر (ع): یا محمد إذا سمعت الله ذکر احداً من هذه الامة ۲۶۴
- جبرائیل (ع): یا محمد اقرأ ۱۲۴
- الباقر (ع): یوکل الله تعالی بأنبیائه ملائكة یحصون أعمالهم ۱۰۳



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس الأعلام

(أ)

آدم ١٣٢-١٦٠-٢٣١-٢٦٧.

الآلوسي ٣٨١-٣٨٢.

أبان بن عثمان ٣٧٣.

أبراهيم ٢٩-٥٧-٥٩-٧٤-٧٦-٨١-١١٧-١١٨-١٧٣-١٨٢-٢٤٤-٢٩٣-٣١٣.

مركز تحيت كچنويز علوم رسدي

أبراهيم النخعي ٣٢١.

ابن أبي بكرة ٤٠٤.

ابن أبي حاتم ٥٨-١٥٨-١٥٩-١٦٠-٢٠٢-٢٠٥-٢٠٨-٢١١-٢١٢-٢١٥-٢٢٠-٢٥٣.

ابن أبي الحديد ١٠٣.

ابن أبي داود ٢٩٠-٣٤١-٣٤٥-٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٦٩-٣٧٢-٤٠٠.

ابن أبي سرح ١٧٥-١٧٦.

ابن أبي سلمه ٧٠.

ابن أبي شيبه ٢٤٨.

ابن أبي العاص ١٥٨.

ابن أبي عمير ٢٦٤.

ابن أبي كبشة ١٧٤.

ابن الأثير ٢٦- ٣٢٢- ٣٣٩- ٣٤١- ٣٤٣- ٣٤٤- ٣٤٥.

ابن أروي الدوسي ٦٥.

ابن اسحاق ٩٥- ١٥٢- ٢٠٥.

ابن اشتة ٣٠٢- ٣٠٧- ٣٢٥- ٣٣٧- ٣٧٣.

ابن أم عبد ٣٣٦.

ابن الأنباري ١١٥- ١٦٠- ٢٨٣- ٣٧١- ٣٧٣.

ابن أوس بن يزيد بن حزام ٣٠٠.

ابن بابويه الصدوق ٢٦٦.

ابن برهان الحلبي ١٠٨.

ابن بري ٢٦.

ابن بريدة ١٦٠.

ابن بطوطة ٣٥١- ٣٥٣.

ابن البناء ٣٧٨.

ابن جبير ٨٨- ٨٩.

ابن جريح ١١٤- ١٤٧- ٢٢٠- ٢٢٥.

ابن جرير الطبري ٨٥- ١٦٠- ٢٠٥- ٢٥٣- ٢٦٥.

ابن الجزري ٢١٠- ٣٥٨.

ابن جزى الكلبي ٢٩٠.

ابن حبان ١٦٦.

ابن حجر ٨٢- ٨٨- ٩١- ١٥٢- ١٧٠- ٢٢٤- ٢٤٩- ٢٥١- ٢٥٢- ٢٩٠- ٣٠٠.

٣٠١- ٣١٥- ٣٣٧- ٣٤٠- ٣٤٣- ٣٤٤- ٣٤٥- ٣٧١- ٣٧٤.

ابن حزم ٣٥- ١٥٣- ١٥٧- ٣١٥- ٣١٦.

ابن الحصار ١٦٩- ١٧١- ٢٠٧.

ابن حميد ٢١٢.



ابن خديج ٢٢٠.

ابن الخطيب ٣٨١-٣٨٢-٣٨٣.

ابن خلدون ٣٨٠-٣٨٢.

ابن داود ٣٠١.

ابن دريد ٢٨٧.

ابن رشد ٣٥.

ابن روزبهان ٣٦٧.

ابن زبالة ٣٥٣.

ابن الزبير ٣٤٤-٣٤٥.

ابن زمعة ٣١٠.

ابن سعد ١٠٤-٢٩٠-٣٤٠.

ابن سلمة ١٢٥.

ابن سيرين ٢٨٩-٣٤٠-٣٤٧.

ابن شهاب ٦٢.

ابن شهر آشوب ٦٦-١١٣-٢٩١.

ابن ضريس ١٧٨.

ابن عباس ٥٩-٦٦-٦٨-٨١-٨٤-٨٥-٨٧-٨٨-٨٩-١٠٧-١١٤-١١٦.

١١٧-١٢٨-١٣٣-١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٣-١٥٥-١٦٠-١٦١.

١٦٦-١٧٧-١٧٨-١٨٥-١٩٢-١٩٧-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٩.

٢١٠-٢١١-٢١٣-٢٢٠-٢٢٧-٢٢٨-٢٣٠-٢٣١-٢٣٥-٢٤٦.

٢٥٣-٢٦٦-٢٧٥-٢٧٦-٢٧٩-٢٩١-٣٠٥-٣٠٩-٣٢٣-٣٤٤.

٣٤٥-٣٥٥-٣٧٠-٣٧١-٣٧٢-٣٧٣.

ابن عبدالبر ٢٩٠-٣٠٦.

ابن العربي ٢٢٨.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

ابن عساكر ٥٨-٨٢-١٥٨-٢٠٥-٢٧٩.

ابن عمر ١٥٨-٢٠٢.

ابن عياض ٣٦٢.

ابن الغرس ١٥٣-١٩٩-٢٢١.

ابن فارس ٢٥-٢٦.

ابن فضل الله العمري ٣٥١.

ابن قتيبة ٣١٣-٣١٤-٣١٧.

ابن قيم ٦٦.

ابن كثير ١١٢-١٧٢-٢٦٥-٣٥١.

ابن كعب ٢٤٧.

ابن لهيعة ١٥١.

ابن مالك ٢٧٤.

ابن ماهر ٣٠٨.

ابن مردويه ٥٨-١٥٨-١٦٠-١٧٨-٢٠٤-٢٠٥-٢٥١-٣٢١.

ابن مسعود ٦١-٦٨-١٣١-١٣٢-١٥٢-٢١٩-٢٧٤-٢٨١-٣٠٥-٣٠٧.

٣١٠-٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤-٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩.

٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٩-٣٤٠-٣٤٣.

٣٤٧.

ابن المستب ١٥٩.

ابن معين ١٥١-٢٤٧.

ابن مقلة ٣٥٩.

ابن المنذر ٢٣٤-٣٧١.

ابن النجار ٣٥٤.

ابن النديم ٢٨٩-٢٩٦-٣١١-٣١٤-٣٢٥-٤٠٣.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

ابن نوفل ٢٤٨.

ابن هشام ٧٨.

ابن واضح اليعقوبي ١٢٨-٢٢٦.

ابن يامين ١٩٩.

أبو أحمد العسكري ٣٦١.

أبو اسحاق ٢٦.

أبو الأسود الدؤلي ٣٦٠-٣٦٢-٣٦٣.

أبو بكر الباقلاني ٣٨٤-٣٨٥.

أبو بكر البزاز ٨٩.

أبو بكر بن أبي الجارود ٣٠٩.

أبو بكر بن العربي ٨٩.

أبو بكر القاضي ١٢٩-١٣٣.

أبو بكر بن أبي قحافة ١٧٨-١٨١-٢١٥-٢١٦-٢٧٤-٢٨١-٢٨٢-٢٨٤.

٢٨٥-٢٨٩-٢٩٠-٢٩٥-٢٩٧-٢٩٨-٣٠٠-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤.

٣٠٦-٣٠٧-٣٤٧-٤٠٥.

أبو ثابت ٣٠٩.

أبو جعفر الرازي ١٦٦-١٦٧.

أبو جعفر الصدوق ٦٤-١١٤-١٢٢.

أبو جعفر الطبري ١٠٥-١٧٣-١٧٦-١٨١-١٨٧-١٩٦-١٩٩-٢٠٢.

٢٠٦-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٥-٢١٨-٢٢١-٢٢٣-٢٢٩-٣٧٠.

٣٧١.

أبو جعفر النحاس ١٧٨.

أبو جهل ٢٢٠-٢٢١-٢٢٩-٢٣٦-٢٤٩.

أبو خزيمة الانصاري ٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢.

- أبو خلف ٣٦٩.
- أبو داود ٣٠٠.
- أبو الدرداء ٢٨٤-٣٢٢.
- أبو الديلم ١٨٧.
- أبو ذر ٢٩٥.
- أبو رافع ١٩٨-٢٩١.
- أبو الربيع ٢٤٧.
- أبو زيد ٢٨٤.
- أبو سعيد الخدري ١٥٩-٢٠٩.
- أبوسفيان ٢٦٢.
- أبوشامة ٣٠١.
- أبو الشعثاء ٣٣٦.
- أبو صالح ١٦٦-٢٤٦.  مركز توثيق كتب وعلوم اسلامی
- أبو طالب ٥٦-١٠١-١٠٢-٢٢٩-٢٣٠-٢٤٩.
- أبو العالية ٢١٢-٣٤٠-٣٤٨.
- أبو العباس ٣٢٣.
- أبو العباس المراكشي ٣٧٨.
- أبو عبد الله بن حاني ٤٠٤.
- أبو عبد الله الزنجاني ١١٩-١٨٢-٢٢٦-٣٥٢.
- أبو عبد الله المفيد ١٢١.
- أبو عبد الرحمن السلمي ٣٥٠.
- أبو عبيدة ١٧٨-٣١٤-٣٦٩-٣٧٠.
- أبو العلاء العطار ٢٩١.
- أبو علي بن سينا ٣٥.

- أبو علي الطبرسي ٢٣١.
 أبو عمرو ٥٩-١٧٨.
 أبو عمرو بن الصلاح ١٧١-١٧٢.
 أبو غرس ٢١٣.
 أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٥.
 أبو الليث السمرقندي ١٧٠.
 أبو محمد ١٤٨-١٥٧-٢٢٨.
 أبو مخنف ٣٤٤.
 أبو موسى الأشعري ٢٨١-٣٠٧-٣٠٨-٣٣٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٤٣.
 أبو ميسرة ١٢٦-١٨١-٣٤٣.
 أبو النصر ٢٦٣.
 أبو نعيم ١٦٦-١٧٨-٢٩١-٢٩٢.
 أبو هريرة ١٠٧-٢٤٧.
 أبو يعلى ٢٨٩.
 أم موسى ٢٧-٢٨.
 أبي بن كعب ١٥٩-١٦٠-١٦١-١٧١-٢٨١-٢٨٣-٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧.
 ٣٠٨-٣٠٩-٣٢٣-٣٢٤-٣٣٤-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٠-٣٤٥-٣٤٧.
 ٣٤٨-٣٥٤.
 الأبياري ٣٩٩.
 أحمد أمين ٣٠٠.
 أحمد بن حنبل ١١٢-١٥٠-٢٤٥-٢٤٧-٢٧٦-٣٦٥-٣٦٩.
 أحمد بن الحسين البيهقي ٨٩-٣٦٤.
 أحمد بن فارس ٢٨٩.
 أحمد بن الواضح ٢٩٥.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

أحمد الزاهد ١٢٥.

أدريس ٣١٧.

الأزهري ٢٨.

اسحاق ٢٩.

اسحاق بن عبدالله بن أبي فروة ١٥٢.

أسد ١٩٩.

اسرافيل ١١٢.

أسماء بنت أبي بكر ١٥٠-١٥١.

اسماعيل ٢٩.

الأسود العنسي ١٧٥.

أسيد ١٩٩.

أشعث بن سعيد السمان ٢٤٧.



الأصبغ بن نباته ٢٩٣.

الأصبهاني ٢٢١.

الأعشى ٢٦.

الأعمش ٣٢١-٣٢٢.

امرئ القيس الكندي ١٨٥.

المقداد بن الأسود ٣٣٥.

أمية بن خالد ٨٩.

أمية بن خلف ١٩٥.

أمين الهلالي ٥٠.

أنس بن مالك ٥٨-٥٩-٦٢-١٠٧-١٦٢-١٦٦-٢٨٤-٣٠٨-٣٣٧-٣٣٩.

٣٤٨.

انطونيوس مزمر ٤٨.

أوس بن حذيفة ٣٦٥.

أوس بن الصامت ١٢١.

اوليفرلودج ٤٩.

أيوب ٢٩.

(ب)

باراسلوس ٤٨.

باريت ٤٩.

الباقلاني ٣١٥.

البخاري ٧٨-١٢٥-٢٢٤-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-٣٠٠-٣٠١-٣٠٥-٣٠٦.

٣٧١-٣٢٢-٣٠٨.

بدرالدين الزركشي ٣٠١-٢٤٥-١٣٣.

البزاز ١٩٨-٢٠٤.

البغدادي ٢٠٥.

بكر بن العلاء المالكي ٨٩.

بكير الأشبح ٣٣٧.

البلاغي ٢٩٠.

بلال ٨٢-٢٠٤.

البلخي ٢٧٩.

بودمور ٤٩.

البيهقي ٥٨-٥٩-٦٠-١٠٧-١١٧-١٥٨-١٦٥-١٦٦-١٧٨-١٩٢-٢٤٧.

(ت)

الترمذي ١٥٠-١٨٣-٢٠٩-٢٤٧-٢٥٣.

تميم الداري ٢٠٠.

(ث)

ثابت بن الحرث الأنصاري ٢١٧.

الثعالي ٢٦٥.

ثعلبة ١٩٩.

الثعلبي ٢٦٧-٢٤٦.

(ج)

جابر ١٥٠-٢٥٣.

جابر بن زيد ١٢٧-١٣٤-١٧٧.

جابر بن عبدالله الأنصاري ١١٧-١٢٥-١٢٧-٢٧٦.

الجارود العبدي ٢٠٠.

جبرائيل (ع) ٣٠-٥٦-٥٧-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٨-٧٠-٧٣-٨٢.

٨٤-٨٦-٨٧-٩٢-٩٣-٩٤-١٠١-١٠٢-١٠٤-١٠٥-١٠٧-١١٢.

١١٤-١١٩-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٤٧-١٦٣-١٦٥-١٦٦-١٦٨.

١٨١-١٨٦-١٨٨-٢١١-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩-٢٧٦-٢٧٩-٢٨٠.

الجبائي ٢٧٩.

جرجي زيدان ٣٦٣.

الجعبري ١٣٢-١٥٥-٣٨٢.

جعفر بن أبي طالب ١٠٢-١١٠-١٢٦.

جعفر بن محمد الصادق (أبو عبدالله) (ع) ٣٣-٦١-٦٤-٦٩-٧٥-١٠٦-١١١.

١١٧-١٢٤-١٢٧-١٧٥-١٧٧-١٨٣-١٨٤-٢٠٢-٢٢٦-٢٣١.

٢٤٣-٢٦٠-٢٦٢-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٦-٢٧٥-٢٧٩-٢٨١-٢٩٢.

٣٠٩-٣٢٣-٣٤٢.

الجهني ١٠٨.

جهينة ٢٣٢.

جلال الدين السيوطي ٥٨-٦٩-٨٩-١١٧-١٢٦-١٣٠-١٤٧-١٥٠-١٥٣-

١٥٥-١٥٧-١٦٠-١٦٢-١٦٣-١٦٦-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٨-

١٨٢-١٩٠-١٩١-١٩٣-١٩٤-١٩٧-١٩٨-٢٠٢-٢٠٤-٢٠٥-

٢١٢-٢٢١-٢٢٧-٢٣٢-٢٣٣-٢٤٦-٢٤٧-٢٨١-٢٩٤-٣٠١-

٣١٤-٣٦٣-٣٦٩-٣٧٣.

الأستاذ جويك ٤٩.

جيمس آرثر فندلاي ٥٠.



مركز تحققت كچنويز علوم رسدي

الحارث بن هشام ٦٧.

حاطب بن أبي بلتعة.

الحاكم النيسابوري ١١٧-١٥٠-١٥٧-١٦٠-٢٠٩-٢١٣-٢١٦-٢١٩-

٢٢١-٣٥٥-٣٧٠-٣٧٤.

حبيب بن سلمة الفهري ٣٤٤.

الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٥٣-٣٦٠-٣٦١-٣٦٤.

حذيفة بن أسيد الغفاري ٣٤٤.

حذيفة بن اليمان ٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٣-٣٤٤-

٣٤٥.

الحارث بن خزيمة ٣٠٠.

الحسكاني ١٥٤-١٨٨-٢٠٥-٢٢٦.

الحسن ١٤٨-١٨٣-١٩٧-٢٠٨-٢١١-٢١٦-٢٥٩.

الحسن بن علي (ع) ١٥٧.

- الحسن بن علي العسكري (ع) ٧٧.
 الحسين بن أبي الحسن ١٤٨.
 الحسين بن علي (ع) ٢٣٠.
 الحسين بن الفضل ١١٥-١٤٦.
 حسين هيكل ٩٠.
 حفص بن غياث ١١٨.
 حفص بن ميسرة القرشي ٢٤٨.
 حفصة ٢٨٢-٣٠٠-٣٠٩-٣٤٧.
 الحكيم السبزواري ٣٥.
 الحلبي ٣٢٤.
 الحلبي ١١٤.
 حمزة بن عبدالمطلب ١٨٤-١٨٥-١٨٦-٢١١-٢٣٣-٢٤٧-٢٤٨.
 حمزة الحسني ٢٨٩.

(خ)

- خالد بن أبي الهياج ٤٠٣.
 خالد بن عمرو بن عثمان ٣٥٣.
 خديجة بنت خويلد ٥٦-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-١٠٢-١٠٤-١١٠-١٢٥.
 ١٢٦.
 خزعة بن ثابت ٢٩٩-٣٠١-٣٠٢.
 خصيف ١٤٨.
 الخليل بن أحمد الفراهيدي ٣٦٣.
 الخليل بن أحمد النحوي ٢٧٢-٢٨٧.
 الخوئي ٢٨٣.

خوله بنت خويلد ١٢١-٢٤٨.

(د)

الدارقطني ٢٤٧-٢٥٣.

داود ١١٧-١٧٣.

دحية بن خليفة الكلبي ٦٢.

الدمياطي ١٠٧.

(ذ)

الذهبي ١٥٧-٢٤٧-٣٤٥.



(ر)

الرازي ٣٥-١١٢-١١٤-١١٩-٣١٥-٣١٦.

الأستاذ راسم ٤٠٥.

الراغب الأصفهاني ٢٥.

الرافعي ٥٨-٥٩-١٦٢.

الربيع بن أنس ١٦٦.

رؤوف عبيد ٤٩-٥٠.

(ز)

الزجاج ٢٥٩.

زرارة بن أعين ٧٥.

الزرقاني ٧٢-٣٠٠-٣٠٤-٣٠٥-٣٠٦-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٨-٣٦١-٣٩٩.

الزركشي ١٣١-١٣٢-١٨٢-٢٥٤.

زكريا ٢٥.

الزحشري ٢٦-١١٣-١٢٥-٣١١-٣١٨-٣٧١-٣٢٢.

الزنجاني ٢٠٤-٢١٠-٢٢٧-٢٣٤.

زياد بن أبيه ٣٦٢.

زيد بن ثابت ٦٦-٢٨١-٢٨٢-٢٨٤-٢٩٧-٢٩٨-٣٠٠-٣٠٢-٣٠٣.

٣٠٤-٣٣٩-٣٤٠-٣٥٠.

زيد بن حارثة ١٠٢-١١٠-١٢٦.

(س)

سالم مولى حذيفة ٣٠٥-٣٠٧.

سبيعة الأسلمية ٢٧٨.

السخاوي ٢٢٠-٢٣٥-٣٠١.

السدي ١١٤-١١٧-١٨٧-١٨٩-٢٠٥-٢٧٦-٢٧٩-٢٨٠-٢٨٩-٢٩١.

سعد ١٨٢-٤٠٣.

سعد بن أبي وقاص ٣١٦.

سعد بن عبيد ٢٨٤.

سعيد بن جبير ٨٥-٨٩-١٧٧-٢٥٩-٣٧٢-٣٧٣.

سعيد بن العاص ٣٠٧-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٩-٣٤٠-٣٤٤-٣٤٥.

سعيد بن المسيب ٥٨-١١١-١٢٥-١٥٨.

سعيد بن منصور ٣٧١.

سفيان بن عيينة ١١٥-١٦٤.

سلمان بن ربيعة الباهلي ٣٤٤.

سلمان الفارسي ١٠٧-٢٠٠-٢٩٥.

سليم ٤٠٤-٤٠٥.

سليم بن قيس الهلالي ٢٩٥.

سليمان ٢٩.

السمهودي ٣٥٣.

سهل بن عمرو ١٣١.

سويد بن غفلة ٣٤١.

سيد قطب ١٤٨-١٥١-١٥٤-١٥٩-١٧٦-٢٦٥.

سيف ٣٤٥.

السيوطي ١٦٥-١٧٧-٢٢٣-٢٤٢-٢٤٧-٢٤٨-٢٥٠-٢٥٣-٢٥٥.

(ش)



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

شارل ريشية ٤٩.

سيد شبر ١٥٥-٢٢٣.

شريح بن عبيد ١٥٢-٣٢١.

شعبة ٨٩.

الشعبي ١١٢-٢٦٦-٢٨٤.

شيبة بن ربيعة ٢٣٣.

شيبة بن وهب الجمحي ٦٥.

الشيرازي ٢٩١.

شيف ٤٣.

(ص)

صبحي صالح ٣٥٢-٣٨٠-٣٨٥.

صدرالدين الشيرازي ٥٧.

صدرالمأهين ٣٥.

الصدوق ٦٩-١٠٩-١١١-١١٦-١١٩.

(ض)

الضحاك ١٦٢-١٨٩-٣٧٢-٣٧٣.

(ط)

الطباطبائي ٣١-٣٥-٩٠-١٢٠.

الطبراني ١١٦-١١٧-٢١٣-٢١٥-٢٤٨.

الطبرسي ٧٥-٣١٨-١٢٥-١٥٤-١٦٧-١٩٧-٢٠١-٢٠٦-٢١١-٢١٢

٢٢١-٢٢٤-٢٢٥-٢٣١-٢٣٣.

الطبري ٧٨-٧٩-١٠٣-١١٧-١٤٩-١٩٣-٢٠١-٣٠٩-٣١٧-٣٤٤-٣٤٥.

٣٤٦-٣٧١-٣٧٢.

مركز تقيت كوتير علوم رسيدي

طلحة ٢٩٦.

طه ١٩٧-٣١٣.

الطبي ٢٨٣.

(ع)

عائشة ٦٦-١٥٨-١٦٣-١٦٥-٣٠٨-٣١٠-٣١٩-٣٦٩-٣٧٣.

العاص بن وائل السهمي ٥٩.

عامر بن ربيعة ٢٥٣.

عامر بن عبد القيس ٣٥٠.

عبادة بن الصامت ٦٥.

العباس بن عبد المطلب ١٢٧-١٤٧-٢٢٥.

عبد بن حميد ٢٢١-٣٧١.

- عبدالله أفندي ٤٠٥ .
 عبدالله بن أبي ٢٤٦ - ٢٥٢ .
 عبدالله بن أبي أمية ٢٢٩ - ٢٤٩ .
 عبدالله بن أبي سلول ٢٥٠ .
 عبدالله بن بكير ٢٦٣ .
 عبدالله بن الزبير ١٥٤ - ٣٠٧ - ٣٣٩ .
 عبدالله بن زمعة بن الأسود ٣١٠ .
 عبدالله بن السائب ٣٥٠ .
 عبدالله بن سعد بن أبي سرح ١٧٤ .
 عبدالله بن سلام ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٦ - ٢١٥ .
 عبدالله بن عامر ٣٤٧ .
 عبدالله بن عباس ٣٣٩ .
 عبدالله بن عمر ٦٧ .
 عبدالله بن فطيمة ٣٤٠ .
 عبدالله بن مسعود ٢٨٣ - ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣٢٥ - ٣٣٤ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ .
 عبدالله بن هاني البربري ٣٤٨ .
 عبدان الأشرع الحضرموتي ١٨٥ .
 عبد خير ٢٨٩ - ٢٩١ .
 عبدالرحمان بن أبي ليلى ٢٠٥ - ٢١٦ .
 عبدالرحمان بن الحارث بن هشام ٣٠٧ - ٣٣٩ .
 عبدالرحمان بن ربيعة ٣٤٣ - ٣٤٤ .
 عبدالعزيز بن سعيد ٢٤٧ .
 عبدالعزيز الدباغ ٣٧٧ .
 عبدالغني بن سعيد الثقفي ٢٤٦ .



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

- عبدالمجيد خان ٤٠٥ .
- عبدالمحسن الاسطواني ٣٥٢ .
- عبدالمطلب ٢٢٩ - ٢٤٩ .
- عبدالمملك بن مروان ٣٦٠ - ٣٦١ .
- عبدالعظيم الزرقاني ٣٨٥ .
- عبدقيس ٣٦٢ .
- عبدة بن الحارث ٢٣٣ .
- عبيد بن عمير ٣٦٩ - ٣٧٠ .
- عتبة بن ربيعة ٢٣٣ .
- عثمان بن أبي العاص ٢٧٦ .
- عثمان بن طلحة ١٤٧ - ٢٢٥ .
- عثمان بن عفان ١٧٤ - ١٧٥ - ٢٧٢ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٩٦ - ٣٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨ -
- ٣٠٩ - ٣١١ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٥ -
- ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٥ - ٣٦١ - ٣٦٦ -
- ٣٦٧ - ٣٦٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠٥ .
- عثمان بن مضعون ٦٦ .
- العجاج ٢٧ .
- العراقي ٣٠٨ .
- عروة بن الزبير ٣٦٩ .
- عطاء بن يسار ١٤٨ - ١٩٣ - ٢٠٥ - ٢٣١ .
- عطية بن الأسود ١١٧ .
- عقبة بن أبي معيط ١٩٦ .
- عكرمة ٦٥ - ١٤٨ - ١٦٢ - ٢٠٩ - ٢٢١ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٨٢ - ٢٨٩ .
- علي بن ابراهيم القمي ٥٦ - ٧٧ - ١٠١ - ١١٠ .

علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين) (ع) ٣١-٥٧-٦٢-٦٥-٧٦-١٠٢-١٠٣-
 ١١٠-١٢٥-١٢٦-١٢٨-١٣١-١٤٦-١٦٠-١٦١-١٦٦-١٦٨-
 ١٧٨-٢٠٥-٢١٣-٢٢٦-٢٢٧-٢٣٣-٢٧٥-٢٧٩-٢٨١-٢٨٢-
 ٢٨٦-٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-٢٩٢-٢٩٣-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧-
 ٣٠٢-٣٤١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٦-٣٦٤-٣٦٧-٣٧٢-٣٧٣-٤٠٣-٤٠٤.

علي بن أبي طلحة ٢٥٣.

علي بن الحسين (ع) ١٨٧-١٨٨.

علي بن رباح ٢٠٨-٢٩١.

علي بن موسى الرضا (ع) ١٠٦.

علقمة ١٣٢-٣٢٢.

عمار بن ياسر ٣١١.

عمر بن الخطاب ١٥١-١٥٢-١٨١-١٨٢-٢٢٨-٢٢٩-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-
 ٢٨٢-٢٨٤-٢٨٥-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤-٣٤٤.

عمر بن عبدالعزيز ٤٠٣.

عمرو بن شرحبيل ١٢٦.

عمرو بن العاص ٣٦٣.

عمرو بن معدي كرب ٢٤٣.

العباشي ١١١-١١٧-١٨٤.

القاضي عياض ٧٦-٨٩-٩٠-٩٣-٩٤.

عيسى ٢٩-١١٧.

عينه بن حفص ١٩٥.

(غ)

غازي ٤٩.

الغزالي ٣١٨.

(ف)

فاطمة (ع) ١٨٧-١٨٨.

الامام الفخر ٩٠.

الفراء ٢٥٩.

فردريك ميرس ٤٩.

فروة بن مسيك ٢٠٧-٢٠٨.

فريد وجدي ٣٣-٥٠.

الفضل بن شاذان ٣٠٩-٣١٤-٣٣٥.

الفضل بن يسار ٢٥٥.

فلوجل ٤٠٥.

فلورنس ٤٦.

فنحاص بن عازوراء ١٧٢.

فيسان ٤٨.

الفيض الكاشاني ١١٩.

(ق)

القاضي ٢٨٣.

قتادة ١٤٨-١٦٠-١٧٩-١٨٤-١٨٥-٢٠٦-٢١٤-٢٢٧-٢٣٤-٢٣٦-

٢٥٣.

قدامة بن مظعون ٢٤٢.

القرطبي ١١٤-٢٥١.

القسطلاني ٣٠٠.

القشيري ٢٤٢.

القطب الراوندي ١٦٨-١٦٩.

قيس بن سعد ٣٧٢.

(ك)

كاميل فلا مريون ٤٩.

كثير بن أفلج ٣٣٩.

الكرماني ٢٨٣.

كرنيليوس ٤٨.

كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشيروان ١٠٤-١٠٦.

الكلبي ٨٩-١١١-١٦٦-٢٠٢-٢٢٨-٢٤٦-٢٨١.

مركز تحقيق (ك) بدير علوم ودرسي

لبيد بن الأعصم ١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧.

لقمان ٢٠٣-٣١٣.

الليث بن سعد ٣٠٢.

(م)

مالك بن أبي عامر ٣٣٩.

مالك بن أنس ٣٥٣.

مالك بن الصيف ١٧٢-١٧٣.

المارودي ١١٤-١٢٩.

المأمون العباسي ٣٦٤.

مجاهد ١٤٦-١٤٨-١٧٨-١٨٤-١٩٦-٢٣١-٢٥٣-٢٦٦-٣١٧.

المجلسي ٧٧-١٠٧-١١١-١١٦-١٦٨.

المحاسبي ٢٩٩.

محرزبن ثابت ٣٥٣.

محمدبن أبي ٣٠٩.

محمدبن اسحاق ٨٩-١١١-١١٢-٤٠٣.

محمدبن الحسين ٤٠٤.

محمدبن السائب الكلبي ١٤٨.

محمدبن سيرين ٢٨٩-٢٩٠-٣٣٧.

محمدبن الطيب ٣٨٤.

محمدبن عبدالله - رسول الله - النبي (ص) ٢٩-٣٠-٣١-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧.

٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٧٠-٧٢-٧٣.

٧٥-٧٦-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٩٠.

٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٧-١٠١-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧.

١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨.

١١٩-١٢٠-١٢٢-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١.

١٣٣-١٤٧-١٥٠-١٥٢-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠.

١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٤-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٧١-١٧٢-١٧٣.

١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٨-١٨١-١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩.

١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٥-١٩٦-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١.

٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١١-٢١٢-٢١٣.

٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٩.

٢٣٠-٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٦-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٧-٢٤٨.

٢٤٩-٢٥٠-٢٥٢-٢٥٣-٢٥٩-٢٦٣-٢٦٥-٢٦٧-٢٧٥-٢٧٦.

٢٧٧-٢٧٨-٢٨٠-٢٨١-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٨-٢٨٩.

٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ -
 ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢٢ -
 ٣٣٥ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٥ - ٣٤٨ - ٣٥٣ - ٣٥٥ -
 ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٥ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٧ - ٣٨٤ - ٣٩٩ .

محمد بن عبد الملك الانصاري ٣٠٩ .

محمد بن علي الباقر - أبو جعفر - (ع) ٥٧ - ٦٨ - ١٠٣ - ١٧٥ - ١٨٤ - ٢٣١ - ٢٥٥ -
 ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٦٢ - ٢٦٤ - ٢٧٦ - ٢٩٠ - ٣٢٣ .

محمد بن علي بن الحسين بن مقله ٤٠٤ .

محمد بن علي الجواد (ع) ٢٥٩ .

محمد بن قيس ٨٥ .

محمد بن كعب ٨٥ .

محمد بن مروان السدي الصغير ٢٤٦ .

محمد بن مسعود العياشي ٢٦٣ .

محمد بن مسلم ٢٦٤ .

محمد حسين هيكل ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ .

محمد طاهر الكردي ٣٨١ .

محمد عبد العظيم الزرقاني ٧١ .

محمد عبده ٩٦ .

المراكشي ٣٨٢ .

مراكي ٤٠٥ .

المرتضى ٩٠ - ١٢٢ - ٢٨٣ .

مروان ٢٨٢ - ٣٠٠ .

مروان بن الحكم ١٥٨ .

مرم ١٩٧ - ٣١٣ - ٣٢٣ .



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

- المزي ١٥٧.
 مسروق ٢١٥.
 المسعودي ١٠٥.
 مسلم ٥٩-٧٨-١٢٨-١٦٢-٢١٩-٢٤٨-٢٤٩.
 المسيب ٢٤٩.
 المسيح ٥٤-٦٨-١٠٦.
 مسيلمة الكذاب ١٣١-١٧٥.
 مصعب بن سعد ٣٣٩-٣٤٥.
 معاذ بن جبل ٢٨٤-٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧.
 معاوية ٣٠٠.
 معاوية بن أبي سفيان ٢٨٢.
 المعتصم العباسي ٢٥٩.
 معمر بن المثنى ١٧٨.
 المغيرة بن شهاب ٣٥٠.
 المفيد ٢٨-١١٤-١٢١-١٩٠.
 مقاتل بن حيان ١١٤-١٤٨-٢٠٢-٢١٤-٢٢٢.
 المقداد بن الأسود ٣٠٧-٣٠٨-٣١١-٣٣٤.
 مكي بن أبي طالب ١٤٨-١٥٩-٣٩٩.
 مكّي بن حموش ١٣٣.
 ممتاز بك مصطفى أفندي ٤٠٥.
 منال بن عمرو ١٨٨.
 المهدي العباسي ٣٥٣.
 موسى ٣٠-٥٥-٧٩-٨١-١١٧-١٧٢-١٧٣-١٨١-٢٩٣-٣٧١.
 الموفق الخوارزمي ٢٩١.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

موليشوت ٤٦.

الميموني ٢٤٥.

(ن)

النجاشي ٢٠٠.

النسائي ١١٧-١٥٥.

نصربن عاصم ٣٦٠-٣٦١.

نصيربن أبي الأشعث الأسدي ٣٠٩.

نصيرالدين ٣٥.

النضربن الحرث ١٩٦.

نعيم بن مسعود الأشجعي ٢٦٢.

نوح ٢٩-٣١٣.

النوي ١٦٢.

النيسابوري ٣٥-١٥٨.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

(هـ)

هارون ٢٩-٣٧١.

هنلكمان ٤٠٥.

هود ١٥١-١٨٠-١٨٢-٢٨٢.

هود سون ٤٩.

هيزلوب ٤٩.

(و)

واثلة بن الأسقع ١١٧.

الواحدى ١١٢-١٢٦-٢١٧-٢٤٢-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٥٥.

الواقدي ٢٢٨-٢٤٥-٣١٠.

وحشي ٢١١.

ورقة بن نوفل ٧٣-٧٨-٧٩-٨١-٨٢.

الوليد بن عبد الملك ٤٠٣.

الوليد بن عتبة ٢٣٣.

الوليد بن عقبة بن أبي معيط ٢٠٥-٣٣٦-٣٤٤-٣٤٥.

وليم جيمس ٤٩.

وليم كروكس ٤٩.

وليم موير ٩٥.

(ي)



ياقوت بن عبد الله الموصل ٤٠٤.

ياقوت الحموي ٣٥١.

يحيى بن سعيد ١٥١.

يحيى بن سلام ١٣٠.

يحيى بن عيسى الفاخوري ٣٠٩.

يحيى بن يعمر ٣٦٠.

يزيد النخعي ٣٣٦-٣٤٥.

يعقوب ٢٩.

اليعقوبي ١٠٤-١١١-١٢٩-١٥٠-١٥٥-١٦٣-٢٩٣-٢٩٥-٢٩٨-٣٤٧.

٣٥٠.

يعل بن مرة ١٥٨.

يوسف ١٥١-١٨٢-٢٨٢-٢٩٤-٣١٣-٣٢٣.

يوسف العش ٣٥٢.

يونس ٢٩-١٥١-١٧٨-١٧٩-٢٨٢-٣١٢-٣٢٣-٣٥٤-٣٥٥.

فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	عجز البيت	صدر البيت
٢٧	العجاج	بالراسيات الثبت	أوحى لها القرار
٢٦	الأعشى	إذا قيل توح	مثل ربح المسك
٢٧٥	ابن مالك	فقد ورد	وسبق حال
٢٣٠	أبوطالب	بقول الأباطل	لقد علموا أن ابننا
٢٣٠	أبوطالب	سورة المتطاول	فأصبح فينا
٢٣٠	أبوطالب	بالذرا والكلال كل	حدبت بنفسي
٢٣٠	أبوطالب	حقه غير باطل	فأتيده رب العباد
٢٥	مجهول	في بديع صفاتها	نظرت إليها
٢٥	مجهول	الوحي في وجناتها	فاوحي إليها
٢٦	مجهول	والأنامل رسلها	فاوحت الينا

فهرس الفرق والمذاهب

(أ)

الاسلام ٨٩-٩٥-١٠٢-١٢٦-١٤٧-١٥٢-١٧٤-١٨١-١٩٤-٢٠٦-
٢٠٨-٢١٥-٢٢١-٢٢٣-٢٢٤-٢٤٣-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-٢٦٤-
٢٦٥-٣٣٤-٣٥٥-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٨-
الامامية ٧٣-١٠٦-١٠٨-١٠٩-١٦٧-١٦٨-٢٣٠-
أهل السنة ٧٢-١٠٧-
مركز بحوث ودراسات إسلامية

(خ)

الخاصة ١٢٠.

الخوارج ١٧٨.

(ش)

الشافعية ٨٩.

الشيعة ١٠٦-٢٩٠.

(ع)

العامة ٨٥-١١٨-١٢٠-٣٣٥.

(م)

المسلمون ٨٤-٨٦-٨٩-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-١٠٥-١٢٧-١٣١-١٧٠-١٨٦-
 ١٨٨-١٩٦-٢٠١-٢١١-٢١٦-٢١٨-٢٢١-٢٢٤-٢٢٥-٢٣١-
 ٢٣٣-٢٤٣-٢٤٩-٢٥٦-٢٦٢-٢٧٧-٢٨٤-٢٩٦-٢٩٧-٣٠٣-
 ٣١٣-٣٣٤-٣٣٥-٣٣٩-٣٤٦-٣٤٧-٣٥٩-٣٦١-٣٦٦-٣٦٧-
 ٣٦٨-٣٩٨.

المشركون ٨٦-٩٤-١٠٥-١١٠-١١٣-١٢٨-١٣١-١٥٠-١٦٣-١٧٦-
 ١٧٩-١٨١-١٨٢-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٩-١٩٠-١٩١-
 ١٩٢-١٩٤-١٩٥-١٩٩-٢١٤-٢١٥-٢١٧-٢٢٠-٢٢١-٢٢٣-
 ٢٢٤-٢٢٨-٢٣٣-٢٣٥-٢٧٧-٢٨٠.



مرکز تحقیق و کتب و اسناد اسلامی

النصارى ١٨٤-١٩٤-٣٣٨.

(ي)

اليهود ١٦٠-١٦١-١٦٣-١٦٥-١٦٦-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٩-١٨٠-
 ١٨٤-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-١٩٩-٢١٢-
 ٢١٧-٢٤٧-٢٥٣-٢٥٧-٢٩٧-٣٠٧-٣١٤-٣٣٨.

فهرس البلدان والأماكن

{ (أ) }

آذربيجان ٣٣٥-٣٤٤.

أحد ١٥٩-١٨٤-١٨٥-١٨٦-٢٠٠-٢٤٧-٢٦٢-٣١٠.

أرمينية ٣٣٨-٣٤٤.

أروبا ٣٤.

الأزهر ٤٠٦.

أفغانستان ٤٠٤.

ألمانيا ٤٠٥.

أمريكا ٣٤-٤٩.

انجلترا ٤٩.

أيلة ١٧٩.

(ب)

بُرْذِي اروان ١٦٤.

تبرسبورغ ٤٠٦.

البحرين ٣٥٠.

بدر ١٨٣-١٩٩-٢٠٥-٢١٨-٢٢٠-٢٢٨-٢٣٤-٢٤٩-٣١٠.

البصرة ٣٠٩ - ٣٣٤ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥٣ - ٣٦٤ - ٣٩٨ - ٤٠٠ .

البندقية ٤٠٥ .

البيت الحرام ١٤٧ - ٢٧٧ .

بيت المقدس ٢١٤ .

(ت)

تبريز ٤٠٦ .

تبوك ١٢٨ - ١٩١ - ٢١٩ .

تركيا ٤٠٦ .

(ج)



مركز تحقيقات كچنويز علوم و رسدوي

جامع دمشق ٣٥١ .

الجزيرة ١٨١ - ٣٥٠ - ٣٥٨ .

(ح)

الحبشة ٨٦ - ٩٦ - ١٨٥ - ٢٥٥ - ٣٠٧ .

الحجاز ١٧٩ - ٣٥٨ .

الحديبية ٥٨ - ١٣١ - ٢٣٣ - ٢٧٧ - ٢٧٨ .

حراء ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٢٥ .

حنين ٢٤٩ - ٣١٠ .

حوران ٣٥٩ .

الحيرة ٣٥٩ .

(خ)

الخنديق ٣١٠

خير ١٨٧-١٨٨ .

(د)

دارالندوة ٢٢٧ .

دمشق ٣٣٤-٣٥١-٣٥٢ .

(هـ)

الربذة ١٠٦ .

روسيا ٤٠٥-٤٠٦ .



مركز تقيت كچويز علوم و رسدي

سانت تبرسبورغ ٤٠٥ .

السقيفة ٣٠٦ .

سقيفة زمزم ٣٦٩ .

سمرقند ٤٠٦ .

(ش)

الشام ١٧٩-١٨٨-١٩١-٣٢٢-٣٤٤-٣٥٠-٣٥١-٣٩٨ .

(ص)

الصفاء ٥٩-٦٨-٢٤٢-٢٤٣-٢٧٧ .

(ط)

طبرستان ٣٤٤ .

طبرية ٣٥١.

طقشند ٤٠٦.

طهران ٤٠٦.

(ع)

العراق ٣٠٩-٣٣٧-٣٤٤-٣٥٩-٣٦٠-٣٦١-٤٠٦.

عرفات ١٦٠-٢٢٦.

عرينة ١٨٨.

(غ)



غدير خم ١٢٨-٢٢٦-٢٧٩.

مركز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی (ف)

فدك ١٨٧-١٨٨.

(ق)

قازان ٤٠٥.

القاهرة ٧١-٣٥٣-٣٦٣.

القدس ٢٥٧.

(ك)

الكعبة ٨٥-١٠٦-٢٢٥-٢٤٢-٢٥٥-٢٥٧.

كمبروج ٤٩.

الكوفة ٢٩٣-٣٠٩-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٨-٣٤٠-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٩-٣٥٠.

٣٥٣ - ٣٥٩ - ٣٦٢ - ٣٩٨ - ٤٠٠.

كولومبيا ٤٩.

(ل)

لينزبورغ ٤٠٥.

(م)

المدائن ٣٤٤.

المدينة ٥٩ - ٦٢ - ١٢٢ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٥١ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٧٠ -

١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٢ -

١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٧ - ٢٠٩ -

٢١٠ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٢ -

٢٢٣ - ٢٢٨ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٦٢ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٢ -

٢٨٩ - ٣٠٠ - ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣١٠ - ٣٣٨ - ٣٤١ - ٣٤٤ - ٣٥٠ - ٣٥٣ -

٣٥٥ - ٣٦٥ - ٣٩٨ - ٤٠٠ - ٤٠٣.

مرج أرمينية ٣٣٨ - ٣٣٥.

المروة ٥٩ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٧٧.

المزدلفة ١٦٠.

مسجد أمير المؤمنين (ع) ٣٥٣.

المسجد الحرام ٢٥٧.

مسجد دمشق ٣٥٢.

مسجد الكوفة ٣٣٦.

المسجد النبوي ٤٠٣.

مصر ١٥١ - ٣٥٠ - ٤٠٤.

مكة ٥٩- ٦٠- ٨٦- ١١١- ١٢٢- ١٢٥- ١٢٨- ١٣٠- ١٣٢- ١٣٣- ١٤٦-
 ١٤٧- ١٤٩- ١٥٠- ١٥١- ١٥٤- ١٥٦- ١٥٧- ١٦١- ١٧٠- ١٧١-
 ١٧٥- ١٧٧- ١٧٨- ١٧٩- ١٨٢- ١٨٦- ١٨٩- ١٩٠- ١٩٢- ١٩٣-
 ١٩٥- ١٩٨- ١٩٩- ٢٠٢- ٢٠٧- ٢٠٩- ٢١١- ٢١٤- ٢١٥- ٢١٦-
 ٢١٧- ٢٢٠- ٢٢٢- ٢٢٤- ٢٢٥- ٢٢٦- ٢٢٨- ٢٣٤- ٢٣٥- ٢٤٨-
 ٢٦٣- ٢٦٦- ٢٧٨- ٣٠٦- ٣٥٠- ٣٦٥- ٣٩٨- ٤٠٠-
 منى ١٢٩- ١٧٨- ٢٢٥.

(ن)



(هـ)
 مرکز تحقیقات و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

نهاوند ٣٤٦.

هارفارد ٤٩.

هانبورغ ٤٠٥.

هراة ٤٠٤.

(ي)

اليمامة ٢٩٧.

اليمن ٣٥٠.

ينبع ١٨٨.

فهرس الجماعات والقبائل

(أ)

آل جعفر ٢٨٩.

الأتراك ٤٠٤.

الأسباط ٢٩.

أصحاب الحديث ٨٥ - ٩٠ - ١١٨ - ٢٨٥.

أصحاب السبت ١٧٩.

أصحاب الصفة ٢١٣.

أصحاب الفيل ٢٥٥.

أصحاب المصاحف ٣٣٧.

أصحاب النبي (رسول الله) (ص) ١٨٩ - ٢٠١ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٩ - ٣٠٦.

٣٦٥ - ٣٣٩.

أصحاب النجاشي ٢٠٠.

الأنباط ٣٦٠.

الانبياء (ع) ٢٩ - ٣٢ - ٣٤ - ٥٢ - ٥٤ - ٥٧ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٩٠.

١٣٢ - ١٦٨ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٦٥ - ٢٦٧.

٢٨٢ - ٣١٣.

الانس ٢٨ - ٢٨٢ - ٢٨٩.

الأنصار ١٦٠-١٨٦-٢٠٠-٢٤٧-٢٤٨-٣٠٦-٣٣٧.

أهل البصرة ٣٠٨-٣٣٥-٣٣٧-٣٤٩.

أهل البيت (ع) ٧٣-٧٨-١٠٦-١٠٧-١١٠-١٥٤-٢٥٨-٢٩١-٣٠٩-٣٢٣.

أهل التوراة ١٩٦.

أهل الحديث ١٦٦-١٩٢.

أهل دمشق ٣٠٨-٣٣٥.

أهل الشام ١٨٧-٣٠٨-٣٣٨-٣٤٤-٣٤٨.

أهل العراق ٣٣٨-٣٤٤.

أهل القرى ١٨٨.

أهل الكتاب ١٧٢-١٧٣-١٧٦-١٨٠-١٩٦-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٦-٢١٥-٢١٦-٢٢٤-٢٢٨-٣٨٢.

أهل الكوفة ٣٠٨-٣٣٥-٣٣٦-٣٤٩.

أهل المدائن ٣٤٤.

أهل المدينة ١٣١-١٥٥-١٩٤-٢٢٣.

أهل مكة ١٣١-١٦١-١٧٤-٢١١-٢٢٠-٣٠٦.

أهل اليمامة ٢٩٧.

الاوروبيون ٤٠٥.

(ب)

بنو إسرائيل ١٧٣-١٨٧-١٩٩-٢١٥.

بنو أمية ٥٨-٩٥-١٥٧-١٨٢-١٨٣-١٩٠.

بنو جح ٣٦٩.

بنو الحسن (ع) ٢٩٦.

بنوزريق ١٦٤.

بنوسلمة ٢٠٩.

بنوقريظة ٦٢-١٨٨-٢٢٨.

بنومالك ٢٦٥.

بنوالمغيرة ١٨٢.

بنوالنصير ١٨٨-٢٢٨.

بنوهاشم ٢٣٠.

{(ت)}

التابعون. ٨٧-٨٨-١٣٣-٣١٦-٣٦٩.

{(ث)}

ثقيف ٢٠٧-٢٢٢-٢٢٣-٢٤٩-٣٦٥-٣٦٦.

(ج)

الجن ٢٧-٢٨-١٥٠-١٥١-٢٥٩-٢٨٢-٢٨٩-٣١٣.

(س)

سبأ ٢٠٧-٢٠٨.

السريان ٣٦٠.

(ع)

العثمانيون ٤٠٤-٤٠٥.

العرب ٩١-٩٤-٩٦-١٧٣-١٧٤-١٧٦-١٨٦-٢٠٧-٢١٥-٢١٦-٢١٧-٢٢٢.

٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٥٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٣٤٥ - ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠
٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٦ - ٣٦٧.

العلماء ٣٤ - ٤٨ - ٤٩ - ٩٤ - ١١٤ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٤٦ - ٢٦٦ -
٣٠٦ - ٣٦٠ - ٣٨١.

(غ)

الغربيون ٣٣

(ف)



مركز تحقيقات كچنيز علوم اسلامي

الفرس ٤٠٥.

الفقهاء ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٦.

فلاسفة الغرب ٥١.

(ق)

قريش ٥٩ - ٨٥ - ٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ١٠٢ - ١١٠ - ١٣١ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٨ - ١٧٩.

١٨٢ - ١٨٣ - ١٩٥ - ٢٠٢ - ٢١٥ - ٢١٨ - ٢٢٧ - ٢٣٠ - ٢٣٥ - ٢٦٣.

٢٧٨ - ٢٩٤ - ٣٠٧ - ٣١٣ - ٣٢٣ - ٣٣٧.

قريظة ١٧٢.

(ك)

كنده ٣٣٦

(م)

مشركو العرب ٢٢٢.

مشركي قریش ١٩٠-١٩٢-١٩٣-١٩٩-٢٠٠-٢١٦-٢٢٧.

مشركي مكة ١٩١-٢٢٧.

الملائكة ٢٧-٢٨-٣٠-٥٢-٥٥-١٠٢-٢٠٨.

المنافقون ٢٦٢-٢٩٣-٣١٣.

المهاجرين ١٨٦-٢٠٠-٢٤٨-٣٠٦.

(ي)

يهود المدينة ١٦٢-١٩٢.



مركز تحقیقات کتب و تراث علوم اسلامی

فهرس مواضيع الكتاب

٥	المقدمة
٧	من كتب في القرآن عبر القرون
٢٤	ظاهرة الوحي
٢٥	الوحي في اللغة
٢٦	الوحي في القرآن
٢٩	الوحي الرسالي
٣٢	وقفه عند مسألة الوحي
٣٤	جانب روحانية الإنسان
٣٥	براهين فلسفية لاثبات النفس
٤٣	أدلة حديثة على وجود الروح
٥٠	فذلكة البحث
٥١	الوحي عند فلاسفة الغرب
٥٥	أنحاء الوحي الرسالي
٥٦	١ - الرؤيا الصادقة
٦٠	٢ - نزول جبرئيل



الوحي والقرآن

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

- ٦٤ ٣ - الوحي المباشر
- ٧٢ موقف النبي من الوحي
- ٧٤ النبوة مقرونة بدلائل نيرة
- ٧٨ قصة ورقة بن نوفل!
- ٨٢ الوحي لا يحتمل إلتباساً
- ٨٥ أسطورة الغرائق!
- ٨٧ نقد الحديث سنداً
- ٩٠ نقد الحديث مدلولاً
- ٩١ ١ - مناقصته مع القرآن
- ٩٣ ٢ - منافاته لمقام العصمة
- ٩٤ ٣ - تهافته مع أي السورة



مركز تحقيق علوم القرآن

- ١٠١ بدء نزول الوحي (البعثة)
- ١٠٨ بدء نزول القرآن
- ١١٠ فترة ثلاث سنوات
- ١١٢ آراء وتأويلات
- ١٢١ تحقيق مفيد
- ١٢٤ أول ما نزل من القرآن
- ١٢٧ آخر ما نزل
- ١٢٩ المكي والمدني
- ١٣٣ ترتيب النزول
- ١٣٥ قائمة السور المكية
- ١٣٧ قائمة السور المدنية
- ١٣٨ قائمة السور مرتبة على حروف التهجي

١٤٦	سور مختلف فيها
١٦٩	آيات مستثنيات
١٧٠	استثناءات من سور مكية
٢٢٤	استثناءات من سور مدنية

معرفة اسباب النزول

٢٤١	قيمة هذه المعرفة
٢٤٥	الطريق الى معرفة اسباب النزول
٢٥٤	سبب النزول او شأن النزول
٢٥٥	التنزيل والتأويل
٢٦٠	هل يجب حضور ناقل السبب؟
٢٦١	العبرة بعموم اللفظ الا بخصوص المورد
٢٦٣	نزل القرآن باياك اعني واسمعي يا جارة!
٢٦٤	كيف الاهتداء الى معالم القرآن؟

تاريخ القرآن

٢٧١	١ - تأليف القرآن
٢٧٣	نظم كلماته
٢٧٥	تأليف الآيات
٢٨٠	ترتيب السور
٢٨٣	تمحيص الرأي المعارض
٢٨٧	جمع علي بن أبي طالب عليه السلام
٢٩٢	وصف مصحف علي عليه السلام
٢٩٥	أمد مصحف علي عليه السلام
٢٩٧	جمع زيد بن ثابت

٢٩٨	منهج زيد
٣٠٢	شكوك واعتراضات
٣٠٤	جدارة زيداً
٣٠٧	مصاحف أخرى
٣٠٨	أمد هذه المصاحف
٣١١	وصف عام عن مصاحف الصحابة
٣١٢	وصف مصحف ابن مسعود
٣٢٣	وصف مصحف أبي بن كعب
٣٢٦	جدول يقارن بين ثلاثة مصاحف



٢ - توحيد المصاحف

٣٣٣	اختلاف المصاحف
٣٣٤	نماذج من اختلاف العالم
٣٣٥	قدوم حذيفة المدينة
٣٣٨	عثمان يأتمر الصحابة
٣٣٨	لجنة توحيد المصاحف
٣٣٩	موقف الصحابة تجاه المشروع الصحافي
٣٤٠	عام تأسيس المشروع
٣٤٣	منجزات المشروع
٣٤٦	عدد المصاحف العثمانية
٣٤٩	تعريف عام بالمصاحف العثمانية
٣٥٤	١ - الترتيب
٣٥٤	٢ - النقط والتشكيل
٣٥٦	نشأة الخط العربي
٣٥٨	أول من نقط المصحف
٣٦٠	

٣٦١	اول من شكل المصحف
٣٦٣	تحسينات متأخرة
٣٦٥	٣ - مخالفات في رسم الخط
٣٧٤	نماذج من مخالفات الرسم
٣٧٥	مناقضات في الرسم العثماني
٣٧٧	غلو فاحش
٣٨٣	الرأي الحاسم
	سبعة الآف مخالفة في رسم الخط جدول تفصيلي يقارن بين رسم
٣٨٦	الكلمة
٣٩٠	باملائها القديم ورسمها بالاملاء المعاصر
٣٩٨	٤ - اختلاف المصاحف
٤٠١	جدول نموذجي يعين مواضع الاختلاف من مصاحف الآفاق
٤٠٣	القرآن في أطوار الاناقة والتجويد



الحمد لله وصلى الله على محمد نبي الله وعلى آله أكل الله

لقد قامت مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم
المشرفة بنشاطات واسعة في مجال نشر المعرفة وإحياء التراث الإسلامي وإليكم سرداً
لبعض منشوراتها:

من الكتب التي تم طبعها

- ١- أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل
 - ٢- أدب الحسين وحماسه
 - ٣- إرشاد الأذهان (ج ١ و ٢)
 - ٤- الاسلام السعودي الممسوخ
 - ٥- الأسير في الاسلام
 - ٦- الاصطلاحات في الرسائل العملية
 - ٧- الامام الصادق (ع) (ج ١ و ٢)
 - ٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (ج ١ و ٢)
 - ٩- ايضاح الاشتباه
 - ١٠- البحث في رسالات عشر
 - ١١- بحوث في الفقه، وتشمل على:
- إعداد السيد محمد جواد الجلالي
تأليف الشيخ أحمد الصابري الهمداني
= العلامة الحلبي
= السيد طالب الخرمسان
= الشيخ علي الأحدي الميانجي
= الشيخ ياسين عيسى العاملي
= الشيخ محمد حسين المظفر
إشراف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
= العلامة الحلبي
= الشيخ محمد حسن القديري
= الشيخ محمد حسين الاصفهاني

تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي

أ- صلاة الجماعة

ب- صلاة المسافر

ج- الاجارة